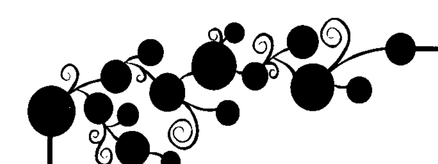


موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام

تأليف

أحمد بن سليمان أيوب

ونخبة من الباحثين

فكرة وإشراف

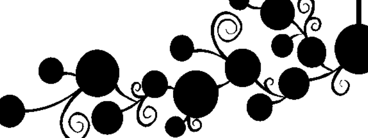
د. سليمان الدريع

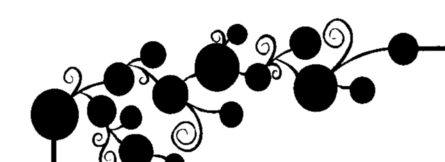
المجلد الثالث

شبهات عن العقيدة

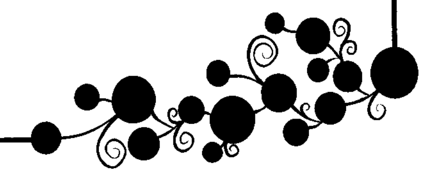
دار إيلاف الدولية

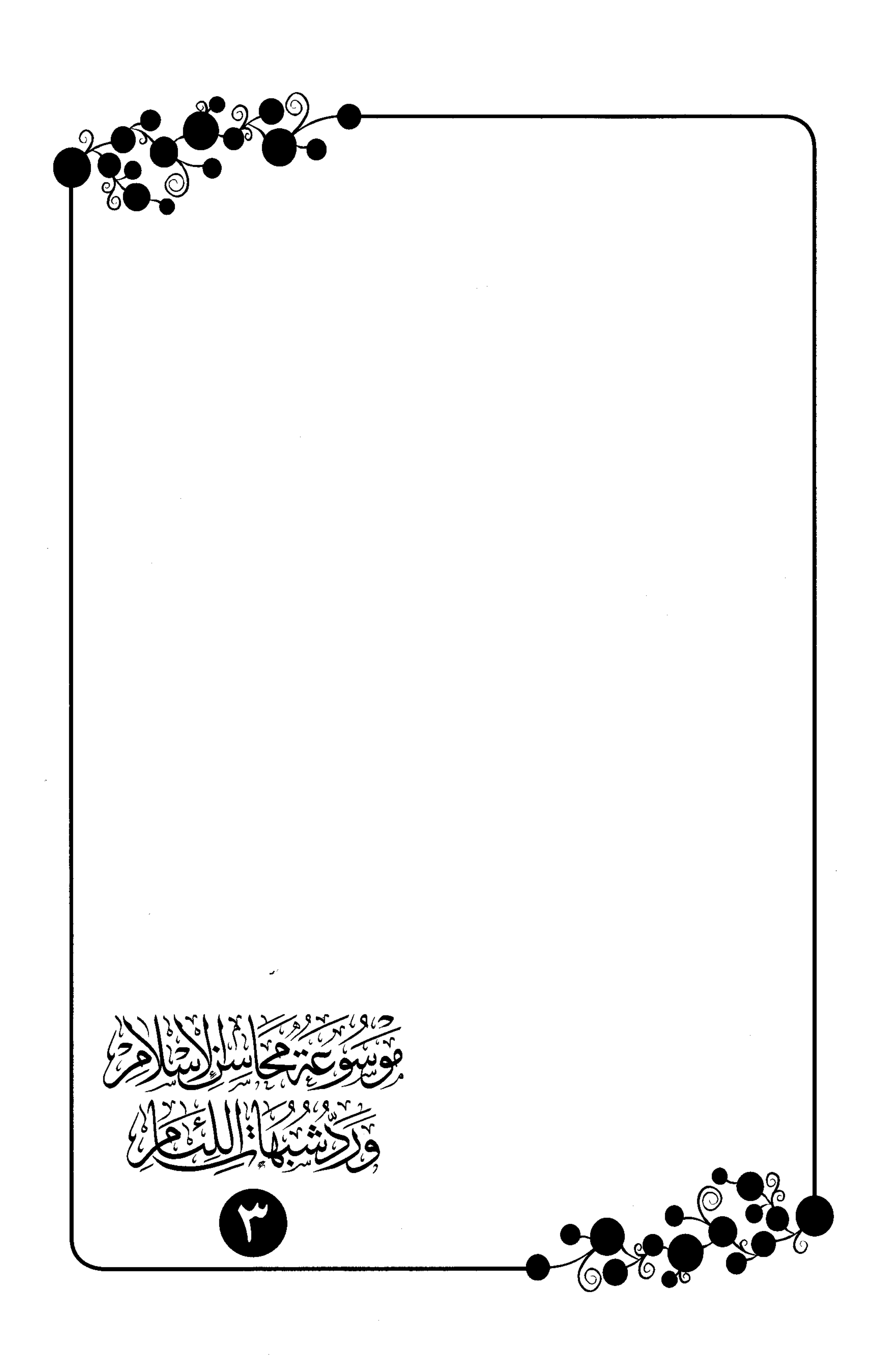
للنشر والتوزيع










موسوعة محاسن الإسلام
ورد شبهات اللئام
٣



الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م

دار إيلاف الدولية
للنشر والتوزيع
(دار وقفية دعوية)

المدير العام: د/ فرحان بن عبيد الشمري

falaslmi@gmail.com

الإدارة: مجمع المخيال – هاتف: ٢٤٥٧٠٠٨٢ – ٩٦٦٩٩٩١٨٢ - الكويت.

الفرع الأول: الجهراء – مجمع الخير – الدور الأول مكتب ١٠ هاتف ٢٤٥٥٧٥٥٩

الفرع الثاني: حولي – شارع المثنى ، هاتف وناسوخ: ٢٢٦٤١٧٩٧

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١١٠٤٥/ ٢٠١٥م

التوزيع داخل جمهورية مصر العربية:

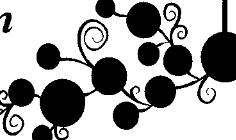


للبحث العلمي وتحقيق التراث

لصاحبها : أحمد بن سليمان

ah.solaiman1970@gmail.com

ت : ٠١١٥٨٩٨٠٥٨٠



تابع
شبهات العقيدة

٥ ـ شبهات في صفات الذات

وفيها:

١-شبهة: صفة اليد لله، والأصابع، والأنامل، والتجسيد.

٢-شبهة: صفة الوجه.

٣- شبهة: اعتراضهم على حديث النخامة في المسجد، وسوء فهمهم للنص.

٤-شبهة: صفة العين لله.

٥-شبهة: صفة القدم.

٦-شبهة: الساق.

٧-شبهات حول صفة المحبة لله تعالى.

٨-شبهة: أن الله خلق آدم على صورته.

تمهيد:

عقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته، وتشتمل على هذه الوجوه:

الوجه الأول: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته.

الوجه الثاني: أقسام صفات الله.

الوجه الثالث: الاتفاق في الأسماء لا يقتضي التماثل في المسميات.

الوجه الرابع: كيف نفرق بين صفة الخالق وصفة المخلوق؟

الوجه الخامس: كل ما جاء في مخيَّلتك فالله بخلافه.

الوجه السادس: المشَبِّهُ يعبد صنمًا والمعطل يعبد عدمًا.

الوجه السابع: عقائد بعض الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته:

قال ابن القيم نقلا عن أهل السنة: وقالوا: نصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تشبيه، ولا تمثيل؛ بل طريقتنا: إثبات حقائق الأسماء والصفات، ونفي مشابهة المخلوقات، فلا نعطل، ولا نؤول، ولا نمثل، ولا نجهل، ولا نقول: ليس لله يدان، ولا وجه، ولا سمع، ولا بصر، ولا حياة، ولا قدرة، ولا استوى على عرشه، ولا نقول: له يدان كأيدي المخلوق، ووجه كوجوههم، وسمع وبصر وحياة وقدرة واستواء، كأسماعهم وأبصارهم وقدرتهم واستوائهم؛ بل نقول: له ذات حقيقة، ليست كالذوات، وله صفات حقيقة، لا مجازًا، ليست كصفات المخلوقين، وكذلك قولنا في وجهه تبارك وتعالى، ويديه، وسمعه، وبصره، وكلامه، واستوائه.

ولا يمنعنا ذلك أن نفهم المراد من تلك الصفات وحقائقها، كما لم يمنع ذلك من إثبات لله شيئًا من صفات الكمال من فهم معنى الصفة وتحقيقها؛ فإن من أثبت له سبحانه السمع والبصر أثبتهما حقيقة، وفهم معناهما، فهكذا سائر صفاته المقدسة، يجب أن تجري هذا المجرى، وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيتها؛ فإن الله سبحانه لم يكلف عباده بذلك، ولا أراده منهم، ولم يجعل لهم إليه سبيلا؛ بل كثير من مخلوقاته، أو أكثرها لم

يجعل لهم سبيلا إلى معرفة كنهه وكيفيته، وهذه أرواحهم التي هي أدنى إليهم من كل دان؛ قد حجب عنهم معرفة كنهها وكيفيتها، وجعل لهم السبيل إلى معرفتها، والتمييز بينها، وبين أرواح البهائم، وقد أخبرنا سبحانه عن تفاصيل يوم القيامة، وما في الجنة والنار، فقامت حقائق ذلك في قلوب أهل الإيمان، وشاهدته عقولهم، ولم يعرفوا كيفيته وكنهه، فلا يشك المسلمون أن في الجنة أنهارًا من خمر وأنهارًا من عسل، وأنهارًا من لبن؛ ولكن لا يعرفون كنه ذلك، ومادته وكيفيته؛ إذ كانوا لا يعرفون في الدنيا الخمر إلا ما اعتصر من الأعناب، والعسل إلا ما قذفت به النحل في بيوتها، واللبن إلا ما خرج من الضروع، والحرير إلا ما خرج من فم دود القز، وقد فهموا معاني ذلك في الجنة من غير أن يكون مماثلا لما في الدنيا كما قال ابن عباس: ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء.

ولم يمنعهم عدم النظير في الدنيا من فهم ما أُخبروا به من ذلك، فهكذا الأسماء والصفات، لم يمنعهم انتفاء نظيرها في الدنيا ومثالها من فهم حقائقها ومعانيها؛ بل قام بقلوبهم معرفة حقائقها، وانتفاء التمثيل والتشبيه عنها، وهذا هو المثل الأعلى الذي أثبته سبحانه لنفسه في ثلاثة مواضع من القرآن:

أحدها: قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (النحل: ٦٠)

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الروم: ٢٧)

الثالث: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (الشورى: ١١)
فنفى سبحانه المماثلة عن هذا المثل الأعلى، وهو ما في قلوب أهل سماواته، وأرضه من معرفته والإقرار بربوبيته وأسمائه وصفاته وذاته، فهذا المثل الأعلى هو الذي آمن به المؤمنون وأنس به العارفون، وقامت شواهده في قلوبهم بالتعريفات الفطرية المكملة بالكتب الإلهية المقبولة بالبراهين العقلية، فاتفق على الشهادة بثبوته العقل والسمع والفطرة، فإذا قال المثبت: يا الله!

قام بقلبه ربًا قيومًا قائمًا بنفسه مستويًا على عرشه مكلمًا متكلمًا سامعًا رائيًا قديرًا مريدًا فعالًا لما يشاء، يسمع دعاء الداعين، ويقضي حوائج السائلين، ويفرج عن المكروبين، ترضيه الطاعات، وتغضبه المعاصي، تعرج الملائكة بالأمر إليه، وتنزل بالأمر من عنده، وإذا شئت زيادة تعريف بهذا المثل الأعلى؛ فقدِّر قوى جميع المخلوقات اجتمعت لواحد منهم، ثم كان جميعهم على قوة ذلك الواحد، فإذا نسبت قوته إلى قوة الرب تبارك وتعالى لم تجد لها نسبة وإياها ألبتة، كما لا تجد نسبة بين قوة البعوضة وقوة الأسد، فإذا قدَّرت علوم الخلائق اجتمعت لرجل واحد، ثم قدَّرت جميعهم بهذه المثابة، كانت علومهم بالنسبة إلى علمه تعالى كنقرة عصفور من بحر، وإذا قدَّرت حكمة جميع المخلوقين على هذا التقدير، لم يكن لها نسبة إلى حكمته، وكذلك إذا قدَّرت كل جمال في الوجود اجتمع لشخص واحد، ثم كان الخلق كلهم بذلك الجمال؛ كان نسبته إلى جمال الرب تعالى وجلاله دون نسبة السراج الضعيف إلى جرم الشمس، وقد نبهنا الله سبحانه على هذا المعنى بقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (لقمان: ٢٧) فقدر البحر المحيط بالعالم مدادًا، ووراءه سبعة أبحر، تحيط به كلها مداد، تكتب به كلمات الله؛ نفدت البحار، وفنيت الأقلام التي لو قدرت جميع أشجار الأرض من حين خلقت إلى آخر الدنيا ولم تنفد كلمات الله. . . فهذا هو الذي قام بقلوب المؤمنين المصدقين العارفين به سبحانه من المثل الأعلى، فعرفوه به، وعبدوه به، وسألوه به، فأحبوه، وخافوه، ورجوه، وتوكلوا عليه، وأنابوا إليه، واطمأنوا بذكره، وأنسوا بحبه بواسطة هذا التعريف، فلم يصعب عليهم بعد ذلك فهم استوائه على عرشه، وسائر ما وصف به نفسه من صفات كماله؛ إذ قد أحاط عليهم بأنه لا نظير لذلك، ولا مثل له، ولم يخطر بقلوبهم مماثلته لشيء من المخلوقات، وقد أعلمهم سبحانه على لسان رسوله، أنه يقبض سماواته بيده، والأرض باليد الأخرى، ثم يهزهن، وأن السماوات السبع والأرضين السبع في كفه تعالى كخردلة في كف أحدكم، وأنه يضع السماوات على أصبع، والأرضين على أصبع، والجبال على أصبع، والشجر على أصبع، وسائر الخلق على

أصبع. فأي أيدي للخلق، وأي أصبع تشبه هذه اليد، وهذه الإصبع حتى يكون إثباتها تشبيها وتمثيلا؟ فقاتل الله أصحاب التحريف، والتأويل، وأصحاب التخييل، وأصحاب التجهيل، وأصحاب التشبيه والتمثيل. ماذا حرفوه من الحقائق الإيمانية، والمعارف الإلهية؟ وماذا تعوضوا به من زبالة الأذهان، ونخالة الأفكار؟ فما أشبههم بمن كان غذاؤهم المن والسلوى، بلا تعب، ولا كلفة؛ فآثروا عليه الفوم والعدس والبصل، وقد جرت عادة الله سبحانه: أن يُذِلَّ من آثر الأدنى على الأعلى، ويجعله عبرة للعقلاء[1].

وملخص هذه العقيدة:

منهج السلف في توحيد الأسماء والصفات[2].

(١) في الإثبات:

إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من أسماء وصفات من غير تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا إلحاد.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى: ١١)، فقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: نفي المثلية والتشبيه والتكييف عن الله تعالى.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: إثبات لصفتي السمع والبصر لله مع نفي التعطيل والتأويل والإلحاد والتحريف.

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ (لأعراف: ١٨٠)

قال الشيخ حمد بن ناصر آل معمر: قولنا في آيات الصفات والأحاديث الواردة في

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٤٢٦ ـ ٤٣٣).

(٢) انظر: اعتقاد أئمة الحديث للإمام الإسماعيلي ص٥١، وعقيدة السلف أصحاب الحديث للإمام أبي عثمان الصابوني ص٤، وكذلك الرسالة الأكملية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ومختصر الفتوى الحموية لابن عثيمين ص٥٢، وتقريب التدمرية له أيضًا ص١٩.

ذلك ما قاله الله ورسوله، وما قاله سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم من علماء المسلمين.

فنصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل؛ بل نؤمن بأن الله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١) فلا ننفي عنه ما وصف به نفسه، ولا نحرف الكلم عن مواضعه، ولا نلحد في أسماء الله وآياته، ولا نكيف، ولا نمثل صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفو له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه ـ سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا ـ ، فهو سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ بل يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تكييف ولا تمثيل خلافا للمشبهة، ومن غير تحريف ولا تعطيل خلافا للمعطلة، فمذهبنا مذهب السلف إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل، وهو مذهب أئمة الإسلام كمالك والشافعي والثوري والأوزاعي وابن المبارك والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، وهو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم كالفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني وسهل بن عبد الله التستري وغيرهم، فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين. اهـ[1]

(٢) في النفي:

نفي ما نفاه الله عن نفسه، ونفاه عنه رسولهﷺ من صفاتٍ لا تليق به سبحانه وتعالى.

مثال: قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩) فنفي الظلم عن الله واجب مع إثبات كمال العدل له سبحانه.

مثال آخر: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، ففي هذه الآية إثبات لصفتي الحياة والقيومية لله تعالى؛ لأنهما من صفات الكمال،

(١) التحفة المدنية في العقيدة السلفية صـ ٢٣ ـ ٢٥.

ونفي صفتي السِنَة والنوم عنه؛ لأنهما من صفات النقص، فيجب نفيهما وإثبات كمال الحياة والقيومية. . . . وهكذا في سائر الصفات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن الله سبحانه موصوف بالإثبات والنفي، فالإثبات: كإخباره بأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شئ قدير، وأنه سميع بصير ونحو ذلك.

والنفي: كقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتًا، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال؛ لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء فهو كما قيل: ليس بشيء فضلًا عن أن يكون مدحا أو كمالا؛ ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال، فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمنا لإثبات مدح كقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٥) إلى قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ (البقرة: ٢٥٥)، فنفي السنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيومية، فهو مبين لكمال أنه الحي القيوم.

وكذلك قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أي: لا يُكرثه ولا يُثقله، وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها، بخلاف المخلوق القادر إذا كان يقدر على الشيء بنوع كلفة ومشقة، فإن هذا نقص في قدرته وعيب في قوته.

وكذلك قوله: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (سبأ: ٣) فإن نفي العزوب مستلزم لعلمه بكل ذرة في السماوات والأرض، وإذا تأملت ذلك وجدت كل نفي لا يستلزم ثبوتا هو مما لم يصف الله به نفسه، فالذين لا يصفونه إلا بالسلوب لم يثبتوا في الحقيقة إلهًا محمودًا؛ بل ولا موجودًا، وكذلك من شاركهم في بعض ذلك كالذين قالوا: لا يتكلم أو لا يرى، أو ليس فوق العالم أو لم يستو على العرش، ويقولون: ليس بداخل

العالم ولا خارجه، ولا مباين للعالم، ولا محايث له؛ إذ هذه الصفات يمكن أن يوصف بها المعدوم، وليست هي صفة مستلزمة صفة ثبوت.[١]

(٣) فيما لم يرد به إثبات ولا نفي:

وهو مما استُحدث بعد عصر السلف من ألفاظٍ تثبت لله صفات أو أسماء لم ترد لا في كتاب ولا في سنة مثل: الحيز والجسم والعرض والجهة وغير ذلك. ففيه أمران:

الأول: التوقف في اللفظ فلا نثبته ولا ننفيه.

الثاني: الاستفسار عن القصد وعما يراد منه. فإن كان يُقصد به كمالٌ يوصف الله به فنثبت المعنى دون اللفظ، وإن كان يُقصد به صفة نقص ينزه الله عنها فلا نثبت اللفظ والمعنى.

مثال: الجهة: فإن أراد من يثبت الجهة لله أنه على السماء مستوٍ على عرشه مباين للخلق؛ فهذه صفة كمال نثبتها لله، وإن أراد أنه في كل مكان بمعنى أنه داخل العالم المخلوق؛ فهذا معنى نقص ينزه الله عنه فننفيه، وهكذا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن ما أخبر به الرسول ﷺ عن ربه فإنه يجب الإيمان به، سواء عرفنا معناه أو لم نعرف؛ لأنه الصادق المصدوق، فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يَفهم معناه.

وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها، مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصًا في الكتاب والسنة متفق عليه بين سلف الأمة.

وما تنازع فيه المتأخرون نفيًا وإثباتًا؛ فليس على أحد؛ بل ولا له أن يوافق أحدا على إثبات لفظه أو نفيه حتى يعرف مراده، فإن أراد حقًّا قُبِل، وإن أراد باطلا رد، وان اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقا ولم يرد جميع معناه؛ بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى.

كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك، فلفظ الجهة قد يراد به شئ موجود غير الله، فيكون مخلوقا، كما إذا أريد بالجهة نفس العرش أو نفس السماوات، وقد يراد به ما ليس

---

(١) الفتاوى ٣/ ٣٥ - ٣٧.

بموجود غير الله تعالى، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم، ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ الجهة ولا نفيه، كما فيه إثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج إليه، ونحو ذلك، وقد علم أن ما ثَمَّ موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق مباين للمخلوق سبحانه وتعالى، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق فالله ليس داخلا في المخلوقات ، أم تريد بالجهة ما وراء العالم؟

فلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات.

وكذلك يقال لمن قال الله في جهة: أتريد بذلك أن الله فوق العالم؟ أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات؟

فإن أردت الأول فهو حق، وإن أردت الثاني فهو باطل. ا هـ[(١)]

الوجه الثاني: أقسام صفات الله.

تنقسم الصفات إلى قسمين:

١ـ صفات ذات: وهي: التي لا تنفك عن ذات الله سبحانه.

مثل اليد والوجه والساق والقدرة والحياة والعلم والسمع والبصر وغيرها من الصفات.

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ (صٓ: ٧٥)، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ (البقرة: ١١٥). وقال تعالى: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ (الرحمن: ٢٧)، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ (آل عمران: ٢) وقال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (البقرة: ١٤٨). وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴾ (القلم: ٤٢).

عن عَبْدَ الله بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قال: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُول: " إِنَّ قُلُوبَ

---

(١) وانظر: الفتاوى (٣/ ٤١) لابن تيمية .

بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ". [١]

٢ـ صفات فعل: وهي التي تتعلق بمشيئة الله، إن شاء الله فعل وإن شاء الله لم يفعل.

مثل الغضب والرضى والنزول والمجيء والمحبة والضحك والخلق والرحمة وغير ذلك من صفات الفعل.

قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ (الفتح: ٦) ، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة: ٤٠)، وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر: ٢٢)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (المجادلة: ١٤). وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ٧٦). وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (آل عمران: ٣٢). وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الدخان: ٤٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: " يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبارَكَ وَتَعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّماءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ". [٢]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: " يَضْحَكُ الله إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ"، فَقَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ الله ﷻ

---

(١) مسلم (٤٧٩٨).

(٢) البخاري (١٠٧٧)، ومسلم (١٢٦١).

فَيُسْتَشْهَدُ ثُمَّ يَتُوبُ الله عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْلِمُ فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الله ﷻ فَيُسْتَشْهَدُ ". (١)

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : " الله أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلاةٍ ". (٢)

الوجه الثالث: الاتفاق في الأسماء لا يقتضي التماثل في المسميات.

وهذه القاعدة أصل في فهم صفات الله تعالى، والتفريق بين صفات الخالق وصفات المخلوق.

فإذا كانت صفات المخلوقات لا تتماثل في المسميات ولا الكيفيات مع تساويها في الأسماء؛ فإن صفات الخالق لا تتماثل مع صفات المخلوق بداهة.

مثال ١: صفة العين

الإنس له عين، والجن له عين، والملائكة لها عين وهي لا تتماثل؛ ذلك أن هذه المخلوقات غير متماثلة لا في المادة، ولا في الذات.

الوجه الرابع: كيف نفرق بين صفة الخالق وصفة المخلوق؟

نقول: إن الله تعالى له يد، وإن للمخلوق يدًا، ولكن يد الله تليق بكماله وقدرته وحياته وبقائه. وللمخلوق صفة يد مناسبة لعجزه وفقره وفنائه.

ونقول: إن لله أصابع تليق بجلاله وعظمته وكماله وقدرته وبقائه، وللمخلوق أصابع مناسبة لعجزه وفقره وفنائه.

وهكذا كل صفة وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ تُستعمل على الوجه الذي بينَّاه.

فكون الله سبحانه له يد يبسطها، والمخلوق له يد يبسطها لا يقتضي ذلِك أن الله يشابه مخلوقاته في ذلك كما بينا.

---

(١) البخاري (٢٦١٤)، ومسلم (٣٥٠٤).

(٢) البخاري (٥٨٣٤).

الوجه الخامس: كل ما جاء في مخيلتك فالله بخلافه.

بمعنى: أن الله تعالى غيب عنا؛ لا تدرك ذاته، فليس لنا تخيله وتخيل صفاته؛ ولا يجوز لنا قياس صفات الخالق على صفات المخلوق؛ لأن ما وقع في خيالنا إنما هي صفات مخلوق قابلة للفناء والعجز. أما صفات الله تعالى فهي غير ذلك.

الوجه السادس: المشبه يعبد صنما والمعطل يعبد عدما.

بمعنى أن من عطل صفات الله؛ أي نفاها وقال: ليس لله يد، ولا قدم، ولا وجه، ولا علم، ولا قدرة، ولا سمع، ولا بصر، ولا عين... إلى آخره؛ فإنه بذلك يعبد ربا معدومًا لا وجود له.

ومن وقع في خياله أن الله له صفات، وهي تشابه صفات المخلوق فهو بذلك يعبد صنمًا، ولا فرق بينه وبين عُبَّاد الأصنام.

الوجه السابع: عقائد بعض الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات.

أولًا ـ أهل التعطيل:

وهؤلاء ينقسمون إلى:

١ ـ الجهمية: وهم أتباع جهم بن صفوان:

وهؤلاء يقولون بنفي جميع أسماء الله تعالى وصفاته.

٢ ـ المعتزلة: وهم أتباع واصل بن عطاء الغزال، وعمرو بن عبيد البصري، وهؤلاء يقولون: بإثبات الأسماء ونفي الصفات.

٣ ـ الأشاعرة والماتُرِدية:

وهؤلاء يثبتون لله سبع صفات فقط، وهي: السمع والبصر والإرادة، والكلام، والحياة، والعلم، والقدرة.

ولهم حجج في ذلك منها:

أن هذه الصفات تشابه صفات المخلوقين، فلو أثبتناها، أثبتنا النقص لله تعالى، والله ﷻ منزه عن النقص. فلجؤوا إلى تفسيرها وتأويلها بتأويلات عقيمة لا خطام لها ولا زمام.

فأوَّلُوا اليد بالقدرة أو النعمة، والوجه بالذات، ونحو ذلك من هذه التأويلات.

فنرد على الجهمية بهذه القاعدة: القول في الصفات كالقول في الذات.

ومعنى ذلك: أن الجهمية يثبتون لله ذاتًا ـ ولو نفوا الذات لما بقي لهم إله يعبدونه ـ فنقول لهم: لمَ أثبتم لله ذاتًا ووجودًا، وللمخلوق ذاتًا ووجودًا؟ قالوا: لله ذات ووجود يليق بجلاله وعظمته. وللمخلوق ذات ووجود مناسبة لعجزه وفنائه.

فنقول لهم: القول في الصفات كالقول في الذات؛ فإذا كان الله له ذات ووجود يليق بجلاله وعظمته؛ كذلك له صفات تليق بجلاله وعظمته، وللمخلوق صفات مناسبة لعجزه وفنائه.

ونرد على المعتزلة: بنفس مقولة الجهمية؛ حيث إنهم ينفون الصفات كلها، ويثبتون الذات والوجود.

ويثبتون الأسماء على أساس أنها وردت في القرآن، ولكنها لا تعبر عن صفات، ولا تتضمن صفات؛ بل هي أعلام محضة على ذات الخالق.

وهذا منهم مخالف للفطرة والعقول السليمة.

أما الأشاعرة والماترودية: فنرد عليهم بقولنا: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

بمعنى: إذا قلنا لهم: لمَ أثبتم صفة الإرادة ونفيتم صفة الغضب والفرح؟

قالوا: لله صفة إرادة تليق بجلاله وعظمته، وللمخلوق صفة إرادة مناسبة لعجزه وفنائه.

قلنا لهم: وكذلك: لله صفة غضب تليق بجلاله وعظمته، وللمخلوق صفة غضب مناسبة لعجزه وفنائه، ولا فرق بين صفة وصفة.

ثانيًا: أهل التشبيه والتمثيل:

وهم الذين أثبتوا لله الأسماء والصفات ولكن على طريقة أنها تشابه المخلوقين، فقالوا لله يد كأيدينا، وقدم كقدمنا، ووجه كوجهنا، وعين كأعيننا، وأول من تكلم بذلك هو الحكم بن هشام الرافضي. وشُبَهُهم أن الله تعبَّد الخلق بما يفهمون ويعقلون من الصفات، ولا تكون إلا بما شابه به الخلق.

ومذهبهم باطل بالشرع والعقل والحس:

أما بالشرع: فقد قال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، فنفى المثلية، وأثبت صفة السمع والبصر.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ (النحل: ٧٤) فنهى الله تعالى عن تمثيله بغيره من مخلوقاته.

وأما بالعقل: فمن وجوه منها:

الأول: التباين الواضح لكل ذي عقل بين الخالق والمخلوق في الذات والوجود، وهذا يستلزم التباين في الصفات.

الثاني: أن تشبيه الله بالمخلوق فيه تنقيص لله ﷻ؛ إذ إن صفات المخلوق ناقصة وقابلة للفناء، فيستلزم نقصان صفات الله، وهذا ضلال. فقد قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ (الفرقان: ٥٨).

وأما بالحس: فلأن المخلوقات على اختلافها لها صفات، ولكن ليست متماثلة ولا متشابهة فكيف بالخالق سبحانه وتعالى؟!

ثالثا: أهل التفويض

وهم الذين فوضوا معنى الصفات وكيفيتها إلى الله فقالوا: لا نعلم لها معنى ولا كيفية.

وهؤلاء أخطر الفرق ضلالًا؛ لأنه يستلزم من قولهم: أن الله تعبد العباد بكلام لا يفهمونه؛ بل لا يفهمه النبي ﷺ وأصحابه فضلاً عن غيرهم.

وهذا مخالف للشرع والعقل: قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤). وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (النحل: ٦٤).

فكيف يبين النبي ﷺ كلاما لا يفهم معناه ! !

والعقل يقول: إن هذه الصفات لها معان وكيفية: أما المعنى فهو الذي وضحه النبي ﷺ للناس وجاء على لسان السلف، وأما الكيفية فهذه لم يطلعنا الله تعالى عليها ولا نبيه فهي عنا مجهولة ولم نكلف الخوض فيها.

وإليك ذكر الشبهات والرد عليها.

١ـ شبهة صفة اليد لله، والأصابع، والأنامل، والتجسيد

نص الشبهة:

اعترضوا على بعض صفات الله ﷻ كصفة اليد وبسطها، وساقوا جملة من الأحاديث:

الله له يد يمنى:

عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " يطوي الله ﷻ السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ".

الله يبسط يده: عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: " إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها ".

الله له خنصر (إصبع من أصابع اليد):

عن أنس بن مالك ﷺ. أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ قال "هكذا، وأشار بإصبعيه ووضع طرف إبهامه على أنملة الخنصر. وفي لفظ: على المفصل الأعلى من الخنصر، فساخ الجبل﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾وفي لفظ: فساخ الجبل في الأرض فهو يهوي فيها إلى يوم القيامة".

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ في قوله ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ﴾ قال: أظهر مقدار هذا، ووضع الإبهام على خنصر الإصبع الصغرى، فقال حميد: يا أبا محمد ما تريد إلى هذا؟ فضرب في صدره وقال: من أنت يا حميد، وما أنت يا حميد؟ ! يحدثني أنس بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ ، وتقول أنت: ما تريد إلى هذا؟

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: إثبات صفة اليد لله.

الوجه الثاني: الجواب عن الإبهام.

الوجه الثالث: ماذا يقول الكتاب المقدس في صفة اليد لله تعالى؟

الوجه الرابع: الرد على ملحقات هذه الشبهة.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: إثبات صفة اليد لله.

وهي ثابتة بالكتاب والسنة صفة تليق بجلاله وعظمته.

أولًا: القرآن: وردت صفة اليد في القرآن على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: مفردة:

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (المؤمنون: ٨٨). وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الفتح: ١٠).

النوع الثاني: مثناه:

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾ (ص: ٧٥). وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الحجرات: ١).

والنوع الثالث: مجموعة

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾ (يس: ٧١).

فحيث ذكر اليد مثناة أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد وعدى الفعل بالباء إليهما فقال ﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ ،ولما ذكرها مجموعة أضاف العمل إليها ولم يعدها بالباء، وهذه يفهم منها مثل ما يفهم من قوله " عملنا وخلقنا " في المراد بالجمع، أما قوله ﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ لو كان المراد منها مجرد الفعل لم يكن لذكر اليدين بعد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى، فكيف وقد دخلت عليها الباء؟ فكيف إذا ثنيت؟ فالفعل إذا أضيف إلى يد ذي اليد ثم عُدّي بالباء إلى يده مفردة أو مثناة فهو مما باشرته يده، فعن حكيم بن جابر قال " أُخبرت أن ربكم ﷻ لم يمس بيده إلا ثلاثة أشياء: غَرسَ الجنة بيده، وخَلقَ آدم بيده، وكَتبَ التوراة بيده "[1]، وكما جاء في

(١) أخرجه الآجُرِّيُّ في الشريعة صـ ٣٠٣ بسند صحيح، وعبد الله بن أحمد في السنة (ص ٦٨) وصححه الذهبي في العلو. انظر مختصر العلو للألباني ص ١٣٠.

الصحيحين وغيرها في حديث الشفاعة الطويل أن النبي ﷺ أخبر بأن أهل الموقف يأتون آدم يوم القيامة فيقولون: " يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء؛ فاشفع لنا إلى ربك"[١]، وكما جاء في كتاب الأسماء والصفات للبيهقي أن الملائكة قالوا: " يا رب خلقت بني آدم يأكلون، ويشربون، وينكحون، ويركبون، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة. فقال الله تعالى: " لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيديَّ، ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان. [٢]

فكل هذه الأحاديث والآثار تبين المقصود من تخصيص آدم في الآية بكونه مخلوقاً بيد الله ﷻ.

ثانيا: الأدلة من السنة على إثبات اتصاف الله باليد.

ثم يقال: ليست هذه الآية الوحيدة التي ثبت بها اتصاف مولانا العظيم بصفة اليد؛ بل هناك نصوص أخرى من الكتاب والسنة، فمن ذلك أن أبا هريرة ﷺ كان يقول قال رسول الله ﷺ "يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟. [٣]

وعن عبدالله بن عمرو ﷺمرفوعاً " المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ". [٤]

و قوله ﷺ : " يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق فإنه لم يغض ما في يمينه، وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع". [٥]

ولمّا ذكر النبي ﷺ أعلى أهل الجنة منزلة قال الله: " أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها ". [١]

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٢)، ومسلم (١٩٣).

(٢) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي صـ ٣١٧.

(٣) البخاري (٤٥٣٤)، ومسلم (٢٧٨٧).

(٤) مسلم (١٨٢٧).

(٥) البخاري (٤٤٠٧)، ومسلم (٩٩٣).

وعن أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ كان يقول في استفتاح الصلاة: " لبيك وسعديك والخير كله في يديك ". (٢)

وعن أبي موسى أن النبي ﷺ قال: " إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها ". (٣)

وفي الصحيحين وغيرهما عنه ﷺ قال: " تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة ". (٤)

أما الأدلة من نصوص القرآن فمنها قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (سورة المائدة: ٦٤)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (سورة الزمر: ٦٧)

قال ابن عمر ﷺ: رأيت رسول الله ﷺ قائماً على المنبر فقال: " إن الله تعالى إذا كان يوم القيامة جمع السماوات والأرض في قبضته ثم قال هكذا ومد يده وبسطها ثم يقول أنا الله الرحمن ". (٥)

الوجه الثاني: الجواب عن الإبهام.

ذكروا الحديث وفيه: "وأشار بإصبعيه ووضع طرف إبهامه على أنملة الخنصر".

وهذا نشأ من عدم فهمهم للحديث ؛ لأن الذي فعل ذلك رسول الله ﷺ بإبهامه، ولم يخبر عن الله تعالى، قال ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٩٧٩): حدثنا أبو زرعة، ثنا محمد بن كثير، ثنا حماد، أنبأ ثابت، عن أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ

---

(١) مسلم (١٨٩).

(٢) مسلم (٢٢٢).

(٣) مسلم (٢٧٥٩).

(٤) البخاري (٦١٥٥)، مسلم (٢٩٧٢).

(٥) عن كتاب (الرد على منكر صفتي الوجه واليد) لسعيد بن ناصر الغامدي.

جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ (الأعراف: ١٤٣)، قال رسول الله ﷺ : ـ هكذا وصفه حماد ـ، ووضع طرف إبهامه على طرف خنصره من المفصل ». قال: «فساخ الجبل».

فالوصف كان من حماد بن سلمة لفعل رسول الله ﷺ ، ولم يكن إخبارًا عن صفات الله ﷻ، ولو فرض أن النبي ﷺ أخبر عن الله تعالى بهذه الصفة؛ فنحن نقول فيها مثلما قلنا في باقي الصفات الأخرى من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل.

أما صفة الأنامل فقد وردت في حديث الرؤيا عن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ قَالَ: احْتبَسَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ عَنْ صَلاةِ الصُّبْحِ، حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى قَرْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ سَرِيعًا، فَثُوِّبَ بِالصَّلاةِ وَصَلَّى وَتَجَوَّزَ فِي صَلاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: كَمَا أَنْتُمْ عَلَى مَصَافِّكُمْ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْنَا فَقَالَ: إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمْ الْغَدَاةَ! إِنِّي قُمْتُ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي، فَنَعَسْتُ فِي صَلاتِي حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: لا أَدْرِي يَا رَبِّ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: لا أَدْرِي رَبِّ. فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ صَدْرِي، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ، وَعَرَفْتُ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكَفَّارَاتِ. قَالَ: وَمَا الْكَفَّارَاتُ؟ قُلْتُ: نَقْلُ الأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ، وَجُلُوسٌ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلاةِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْكَرِيهَاتِ. قَالَ: وَمَا الدَّرَجَاتُ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الْكَلامِ، وَالصَّلاةُ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. قَالَ: سَلْ، قُلْتُ: اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ، وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا وَتَعَلَّمُوهَا. [1]

كل ذلك حق نؤمن به؛ ولكن ليس على طريق أهل التشبيه الذين يمثلون الخالق

---

(١) صحيح. مسند الإمام أحمد (٢٢١٦٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣١٦٩).

بالمخلوق! ؛ وليس على طريقة أهل التعطيل الذين ينفون عن الله تعالى كل صفة وصف بها نفسه بدعوى الوقوع في التشبيه.

فالله لا مثلَ له، ولا ندَ له، ولا كفوَا له سبحانه؛ وليست صفاته كصفات المخلوق وإن تشابهت في الأسماء كما قدمنا.

الوجه الثالث: ماذا يقول الكتاب المقدس في صفة اليد لله تعالى؟

١- إثبات صفة اليد في الكتاب المقدس.

٢- نسبة أفعال لا تليق بالله لهذه الصفة.

فقد وصفوا الله تعالى بأنه:

الله له يد:

١ ـ يد الله على المواشي والحمير والبقر:

في سفر (الخروج ٩: ٣): فَهَا يَدُ الرَّبِّ تَكُونُ عَلَى مَوَاشِيكَ الَّتِي فِي الْحَقْلِ، عَلَى الْخَيْلِ وَالْحَمِيرِ وَالْجِمَالِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، وَبَأً ثَقِيلاً جِدًّا.

٢ ـ يد الله تبيد وتهلك:

في سفر (التثنية ٢: ١٥): وَيَدُ الرَّبِّ أيضًا كَانَتْ عَلَيْهِمْ لإِبَادَتِهِمْ مِنْ وَسَطِ الْمَحَلَّةِ حَتَّى فَنُوا.

٣ ـ ويد غير الرب تبيد:

في سفر (٧ يوشع: ٧): وَقَالَ يَشُوعُ: «آهِ يَا سَيِّدُ الرَّبُّ! لِمَاذَا عَبَّرْتَ هذَا الشَّعْبَ الأُرْدُنَّ تَعْبِيرًا لِكَيْ تَدْفَعَنَا إِلَى يَدِ الأَمُورِيِّينَ لِيُبِيدُونَا؟ لَيْتَنَا ارْتَضَيْنَا وَسَكَنَّا فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ.

٤ ـ يد الرب تخرج على الناس وتدخل:

في سفر (راعوث ١: ١٣): هَلْ تَصْبِرَانِ لَهُمْ حَتَّى يَكْبُرُوا؟ هَلْ تَنْحَجِزَانِ مِنْ أَجْلِهِمْ عَنْ أَنْ تَكُونَا لِرَجُل؟ لاَ يَا بِنْتَيَّ. فَإِنِّي مَغْمُومَةٌ جِدًّا مِنْ أَجْلِكُمَا؛ لأَنَّ يَدَ الرَّبِّ قَدْ خَرَجَتْ عَلَيَّ».

٥ ـ يد الرب تضرب بالبواسير:

في سفر صمويل (١: ٥/ ٦): فَثَقُلَتْ يَدُ الرَّبِّ عَلَى الأَشْدُودِيِّينَ، وَأَخْرَبَهُمْ وَضَرَبَهُمْ بِالْبَوَاسِيرِ فِي أَشْدُودَ وَتُخُومِهَا.

٦ ـ يد الرب على أصحاب الطرب:

في سفر (٣ الملوك الثاني: ١٥): وَلَمَّا ضَرَبَ الْعَوَّادُ بِالْعُودِ كَانَتْ عَلَيْهِ يَدُ الرَّبِّ.

٧ـ الرب يضع في يده كأسا وخمراً:

كما جاء في(المزامير ٧٥: ٨): أَنَّ فِي يَدِ الرَّبِّ كَأْسًا وَخَمْرُهَا مُخْتَمِرَةٌ. مَلآنَةٌ شَرَابًا مَمْزُوجًا. وَهُوَ يَسْكُبُ مِنْهَا. لكِنْ عَكَرُهَا يَمَصُّهُ، يَشْرَبُهُ كُلُّ أَشْرَارِ الأَرْضِ.

٨ـ واليد تخرج من ذراع وله يمين:

كما جاء في سفر (الحكمة٥: ١٧): فلذلك سينالون ملك الكرامة وتاج الجمال من يد الرب لأنه يسترهم بيمينه وبذراعه يقيهم.

ملك الأرض في يد الرب:

كما في سفر (سيراخ ١٠: ٤): ملك الأرض في يد الرب فهو يقيم عليها في الأوان اللائق من به نفعها.

٩ـ الله يهز يده:

كما جاء في سفر(أشعيا ١١: ١٥): وَيُبِيدُ الرَّبُّ لِسَانَ بَحْرِ مِصْرَ، وَيَهُزُّ يَدَهُ عَلَى النَّهْرِ بِقُوَّةِ رِيحِهِ، وَيَضْرِبُهُ إِلَى سَبْعِ سَوَاق، وَيُجِيزُ فِيهَا بِالأَحْذِيَةِ.

١٠ـ والرب يمسح الدموع:

كما جاء في (أشعيا ٢٥: ٨): وَيَمْسَحُ السَّيِّدُ الرَّبُّ الدُّمُوعَ عَنْ كُلِّ الْوُجُوهِ، وَيَنْزِعُ عَارَ شَعْبِهِ عَنْ كُلِّ الأَرْضِ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ تَكَلَّمَ.

١١ـ يد الرب تسقي كأس الغضب:

كما جاء في(أشعيا ٥١: ١٧): انْهَضِي، انْهَضِي! قُومِي يَا أُورُشَلِيمُ الَّتِي شَرِبْتِ مِنْ يَدِ الرَّبِّ كَأْسَ غَضَبِهِ، ثُفْلَ كَأْسِ التَّرَنُّحِ شَرِبْتِ. مَصَصْتِ.

١٢ـ الرب له يد وأذن:

كما جاء في (أشعيا ٥٩: ١): ها أن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص ولم تثقل أذنه عن أن تسمع.

١٣ـ يد الرب تحمل كأس ذهب فيه خمر:

كما جاء في سفر (أرميا ٥١: ٦-٨): اهْرُبُوا مِنْ وَسْطِ بَابِلَ، وَانْجُوا كُلُّ وَاحِدٍ بِنَفْسِهِ. لاَ تَهْلِكُوا بِذَنْبِهَا، لأَنَّ هذَا زَمَانُ انْتِقَامِ الرَّبِّ، هُوَ يُؤَدِّي لَهَا جَزَاءَهَا. ٧بَابِلُ كَأْسُ ذَهَبٍ بِيَدِ الرَّبِّ تُسْكِرُ كُلَّ الأَرْضِ. مِنْ خَمْرِهَا شَرِبَتِ الشُّعُوبُ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ جُنَّتِ الشُّعُوبُ.

١٤ـ يد الله تمس المخلوق:

كما جاء في سفر (أيوب ١٩: ٢١): تَرَاءَفُوا، تَرَاءَفُوا أَنْتُمْ عَلَيَّ يَا أَصْحَابِي، لأَنَّ يَدَ الله قَدْ مَسَّتْنِي.

١٥ ـ وله أصابع:

كما جاء في(المزامير ٨: ٣): إِذَا أَرَى سَمَاوَاتِكَ عَمَلَ أَصَابِعِكَ، الْقَمَرَ وَالنُّجُومَ الَّتِي كَوَّنْتَهَا.

١٦ ـ الرب له ذراع:

كما جاء في(أشعيا ٥١: ٩): اِسْتَيْقِظِي، اسْتَيْقِظِي! الْبَسِي قُوَّةً يَا ذِرَاعَ الرَّبِّ! اسْتَيْقِظِي كَمَا فِي أَيَّامِ الْقِدَمِ، كَمَا فِي الأَدْوَارِ الْقَدِيمَةِ. أَلَسْتِ أَنْتِ الْقَاطِعَةَ رَهَبَ، الطَّاعِنَةَ التِّنِّينَ؟

وجاء أيضًا (أشعيا ٥٣: ١): مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟.

كما جاء في(يونان ١٢: ٣٨): لِيَتِمَّ قَوْلُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الَذي قَالَهُ: «يَارَبُّ، مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا؟ وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟

وهم بعد هذا كله يعيبون على القرآن والسنة ذكر صفات الله تبارك وتعالى،؟ وهما لا يشبهان الله بخلقه كما يفعلون، ولا ينفيان عنه صفات الكمال. ! ! !

الوجه الرابع: الرد على ملحقات هذه الشبهة.

الشبهة الأولى: الأصابع

نص الشبهة:

يقول المعترض: الله له خمسة أصابع.

عن عبد الله ﷺ أن يهوديا جاء إلى النبيﷺفقال: يا محمد، إن الله يمسك السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره.[1]

ونقول: أولًا: هذا كلام اليهود أيضًا؛ لأن الذي أخبر النبي ﷺ عنه هو اليهودي، فلماذا تعيبون على قوم أنت تؤمنون بكتابهم المسمي عندكم " العهد القديم " وفيه مثل هذا الكلام؟!

ثانيًا: ذكرنا كما جاء في المزامير٨: ٣: إذا أرى سماواتك عمل أصابعك القمر والنجوم التي كونتها.

---

(١) البخاري (٤٥٣٣، ٦٩٧٨، ٦٩٧٩، ٧٠١٣)، مسلم (٢٧٨٦).

فلماذا تنكرون شيئًا أو تستهزئون بشيء هو موجود في كتابكم المقدس؟! !.

ثالثًا: أن الله ﷻ إذا وصف نفسه بوصف أو وصفه نبيه بهذا الوصف فهو على ما يليق بذات الخالق.

الشبهة الثانية: الحجر يمين الله في الأرض

نص الشبهة:

الحجر الأسود يمين الله، والله يصافح الناس بيمينه كما في الحديث "الحجر يمين الله في الأرض يصافح بها عباده".

والجواب عنها نقول:

إن هذا الحديث منكر مرفوعًا: وإذا كان كذلك فلا تقوم به حجة ولا يلزمنا به عقيدة.[1]

---

(١) **ضعيف.** ورد عن جماعة من الصحابة:

١ - حديث جابر بن عبد الله ﷺ: قال رسول الله ﷺ: "الحجر يمين الله في الأرض يصافح بها عباده".

أخرجه أبو الشيخ الأنصاري في طبقات المحدثين بأصبهان (٢٩٣)، وابن عدي في الكامل (١/ ٣٤٢)، ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٩٤٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ٣٢٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠٩٩٢) من طريق إسحاق بن بشر الكاهلي.

وأخرجه ابن بشران في الأمالي (١٢) من طريق يحيى بن بشر الكوفي. كلاهما (إسحاق، يحيى) عن أبي معشر، عن محمد بن المنكدر، عن جابر به. قال فيه البخاري: منكر الحديث. وقال أحمد: ليس بذلك، وقال ابن معين: ضعيف. الضعفاء لابن الجوزي (٣/ ١٥٧)، تهذيب الكمال (٢٩/ ٣٢٦). وإسناده ضعيف فيه أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي: ضعيف.

٢ - حديث عبد الله بن عمرو ﷺقال: قال رسول الله ﷺ" يأتي الركن يوم القيامة أعظم من أبي قبيس له لسان وشفتان، يشهد لمن استلمه بالحق وهو يمين الله -عز وجل- التي يصافح بها عباده" .

أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢٧٣٧)، والطبراني في الأوسط (٥٦٣) والحاكم في المستدرك (١/ ٤٥٧)، ومن طريقه البيهقي في الأسماء و الصفات (٧٢٩)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٩٤٥)، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال (٣٣٦) من طرق عن عبد الله بن المؤمل قال: سمعت عطاء بن أبي رباح يحدث عن عبد الله بن عمرو فذكره.

الشبهة الثالثة: الله يمسك

نص الشبهة:

الله يمسك خبزة بيده كما يمسك الإنسان خبزته:

عن أبي سعيد الخدري، قال النبي ﷺ: " تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر، نزلا لأهل الجنة " فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: " بلى " قال: تكون الأرض خبزة واحدة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: إدامهم بالام ونون، قالوا: وما هذا؟ قال: ثور ونون، يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفًا". [(١)]

والجواب على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: هذا من تحريف الكلم عن مواضعه.

فليس في الحديث أن الله يمسك خبزة؛ وإنما في الحديث أن الله يمسك بالأرض، والأرض تكون كخبزة في يد أحدنا.

وإسناده ضعيف. فيه عبد الله بن المؤمل: ضعيف. قال الذهبي في المغني في الضعفاء (١/ ٣٥٩): ضعفه الدارقطني وجماعة. وقال في الميزان (٢/ ٥١٠): (وقال أحمد: أحاديثه مناكير) وضعفه البيهقي في الأسماء و الصفات (٧٢٩).

٣-حديث عبد الله بن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يبعث الله الركن يوم القيامة له لسان ينطق به، وعينان يبصر بهما، وهو يمين الله تعالى التي يصافح بها عباده". أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (١٤) من طريق عبد الله بن المؤمل، عن عطاء، عن ابن عباس به. وإسناده ضعيف. فيه عبد الله بن المؤمل: ضعيف.

٤-أثر عبد الله بن عباس ﷺقال: "إن هذا الركن يمين الله في الأرض يصافح بها عباده مصافحة الرجل أخاه". أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨٩٢٠)، والفاكهي في أخبار مكة (٢٠)، والأزرقي في أخبار مكة ١/ ٣٣٨، ومحمد بن أبي عمر في مسنده، كما في إتحاف المهرة للبوصيري (٣٣٥١)، من طريق محمد بن عباد بن جعفر، عن ابن عباس به. موقوفًا. وصححه البوصيرى كما في الإتحاف ٤/ ٧٥.

(١) البخاري (٦١٥٥)، ومسلم (٢٧٩٢).

الوجه الثاني: صفة الإمساك لله تعالى ثابتة في القرآن والسنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾﴾ (فاطر: ٤١).

فهي صفة تليق بجلاله وعظمته لا تشابه صفة المخلوق.

الوجه الثالث: ذكرنا أن ربهم يمسك كأس خمر ويسقي الناس.

كما جاء في(أشعيا ٥١: ١٧): انهضي انهضي قومي يا أورشليم التي شربت من يد الرب كأس غضبه، ثفل كأس الترنح شربت مصصت.

وكما جاء في سفر(أرميا ٥١: ٧): بابل كأس ذهب بيد الرب تسكر كل الأرض من خمرها شربت الشعوب من أجل ذلك جنت الشعوب.

الشبهة الرابعة: التجسيد في صفة اليد

نص الشبهة:

قالوا: يد الله مجسمة: يخلق بيده.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾ (يس: ٧١).

بناء الله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ (الذاريات: ٤٧).

يكتب في القلوب: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (المجادلة: ٢٢).

يكتب في كتابه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: " لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي ". [1]

---

(١) البخاري (٣٠٢٢، ٧٠١٥، ٧١١٤)، مسلم (٢٧٥١).

يد الله مجسمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ (الفتح: ١٠).

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ (الأنفال: ١٧).

عن عبد الله ﷺ أن يهوديا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد! إن الله يمسك السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قرأ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ قال يحيى بن سعيد: وزاد فيه فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله ﷺ فضحك رسول الله ﷺ تعجبا وتصديقا له.[1]

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: صفات الله تعالى لا تشابه صفات المخلوق.

الوجه الثاني: إضافة الفعل إلى اليد بغير تعدية بحرف الجر يحتمل المجاز.

الوجه الثالث: ذكر الفهم الصحيح لبعض الآيات التي استدلوا بها.

الوجه الرابع: التجسيم في الكتاب المقدس.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: صفات الله تعالى لا تماثل صفات المخلوق.

لا يلزم من إثبات الصفات لله تعالى المماثلة أو المشابهة لصفات المخلوقين؛ فالأدلة المثبتة للصفات ثبت بمثلها نفي المماثلة للمخلوقين قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وليس بين الأدلة منافاة ولا منافرة.

(١) البخاري (٤٥٣٣، ٦٩٧٨، ٦٩٧٩، ٧٠١٣)، مسلم (٢٧٨٦).

قال ابن تيمية: ولهذا سمى الله نفسه بأسماء، وسمى صفاته بأسماء، وكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم، مضافة إليهم، توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمين وتماثل مسماهما، واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص، اتفاقهما، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص فضلا عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص. . . ووصف نفسه ببسط اليدين فقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ (المائدة: ٦٤)

ووصف بعض خلقه ببسط اليد في قوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ (الإسراء: ٢٩)، وليس اليد كاليد، ولا البسط كالبسط، وإذا كان المراد بالبسط الإعطاء والجود؛ فليس إعطاء الله كإعطاء خلقه، ولا جوده كجودهم.

ونظائر هذا كثيرة، فلا بد من إثبات ما أثبته الله لنفسه ونفي مماثلته بخلقه، فمن قال: ليس لله علم ولا قوة ولا رحمة ولا كلام ولا يحب ولا يرضى ولا نادى ولا ناجى ولا استوى؛ كان معطلًا جاحدًا ممثلًا لله بالمعدومات والجمادات.

ومن قال: له علم كعلمي أو قوة كقوتي أو حب كحبي أو رضاء كرضائي أو يدان كيداي أو استواء كاستوائي؛ كان مشبها ممثلا لله بالحيوانات؛ بل لا بد من إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل.[1]

الوجه الثاني: إضافة الفعل إلى اليد بغير تعدية بحرف الجر يحتمل المجاز.

وإنما معنى الصفة في سياق الآية يختلف عن غيرها من الآيات على حسب ما ورد في لسان العرب في تعريف اليد. فقد تكون بمعنى اليد حقيقة مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ (ص: ٧٥).

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٣ ـ ١٦) باختصار.

وقد تكون بمعنى القوة أو البيعة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: من الآية ١٠)

قال ابن جرير الطبري: وفي قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وجهان من التأويل:

أحدهما: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾: البيعة؛ لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه ﷺ.

والآخر: قوة الله فوق قوتهم في نصرة رسولهﷺ؛ لأنهم إنما بايعوا رسول الله ﷺ على نصرته على العدو. [1]

وقد تأتي كصفة ولكن معناها في السياق الكرم والإنفاق كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ (المائدة: من الآية ٦٤).

وقد قال ابن جرير الطبري في اختلاف أهل الملة في هذه الآية:

واختلف أهل الجدل في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾:

فقال بعضهم: عني بذلك نعمتاه؛ وقال ذلك بمعنى يد الله على خلقه، وذلك نعمه عليهم، وقال: إن العرب تقول: لك عندي يد؛ يعنون؛ بذلك نعمة.

وقال آخرون منهم: عنى بذلك: القوة، وقالوا: ذلك نظير قول الله تعالى ذكره: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ (ص: ٤٥).

وقال آخرون منهم: بل يده ملكه، وقال: معنى قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ملكه وخزائنه، قالوا: وذلك كقول العرب للمملوك: هو ملك يمينه، وفلان بيده عقدة نكاح فلانة؛ أي يملك ذلك، وكقول الله تعالى ذكره: ﴿فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ (المجادلة: ١٢).

وقال آخرون منهم: بل يد الله صفة من صفاته، هي أنها ليست بجارحة كجوارح بني آدمعليه السلام، قالوا: وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن خصوصية آدم بما خصه به من خلقه إياه

(١) تفسير الطبري (٢٦/ ٧٦).

بيده، قالوا: ولو كان لخصوصية آدم بذلك وجه مفهوم؛ إذ كان جميع خلقه مخلوقين بقدرته، ومشيئته في خلقه تعمه، وهو لجميعهم مالك، قالوا: وإذا كان تعالى ذكره قد خص آدم بذكره خلقه إياه بيده دون غيره من عباده؛ كان معلوما إنه إنما خصه بذلك لمعنى به فارق غيره من سائر الخلق، قالوا: وإذا كان ذلك كذلك بطل قول من قال: معنى اليد من الله القوة والنعمة أو الملك في هذا الموضع، قالوا: وأحرى أن ذلك لو كان كما قال الزاعمون: إن يد الله في قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ هي نعمته؛ لقيل: بل يده مبسوطة، ولم يقل بل يداه؛ لأن نعمة الله لا تحصى بكثرة، وبذلك جاء التنزيل، يقول الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ (النحل: ١٨) قالوا: ولو كانت نعمتين ينفذ محصاتين.

قالوا: فإن ظن ظان أن النعمتين بمعنى النعم الكثيرة؛ فذلك منه خطأ؛ وذلك أن العرب قد تخرج الجميع بلفظ الواحد لأداء الواحد عن جميع جنسه؛ وذلك كقول الله تعالى ذكره: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ (العصر: ١، ٢) وكقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ (البلد: ٤) وقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ (الفرقان: ٥٥).

قال: فلم يرد بالإنسان والكافر في هذه الأماكن إنسان بعينه، ولا كافر مشار إليه حاضر؛ بل عنى به جميع الكفار؛ ولكن الواحد أدى عن جنسه؛ كما تقول العرب: ما أكثر الدرهم في أيدي الناس، وكذلك قوله: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ﴾ معناه: وكان الذين كفروا.

قالوا: فأما إذا ثني الاسم فلا يؤدى عن الجنس، ولا يؤدى إلا عن اثنين بأعيانهما دون الجميع ودون غيرهما.

قالوا: وخطأ في كلام العرب أن يقال: ما أكثر الدرهمين في أيدي الناس! بمعنى: ما أكثر الدراهم في أيديهم!.

قالوا: وذلك أن الدرهم إذا ثني لا يؤدى في كلامها إلا عن اثنين بأعيانهما.

قالوا: وغير محال ما أكثر الدرهم في أيدي الناس!، وما أكثر الدراهم في أيديهم!؛ لأن الواحد يؤدي عن الجميع.

قالوا: ففي قول الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ مع إعلامه عباده أن نعمه لا تحصى، ومع ما وصفنا من معقول في كلام العرب أن اثنين يؤديان عن الجميع، ما ينبئ عن خطأ قول من قال: معنى اليد في هذا الموضع النعمة، وصحة قول من قال: إن يد الله هي له صفة.

قالوا: وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله، وقال به العلماء وأهل التأويل. (١)

الوجه الثالث: ذكر الفهم الصحيح لبعض الآيات التي استدلوا بها.

من هذه الآيات:

١ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ (البقرة: ٩٧). وقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ (آل عمران: ٣).

وهاتان الآياتان لا علاقة لهما بصفة اليد، وإنما معنى قوله: (بين يديه): أي من قبل نزول هذا الكتاب.

قال الشنقيطي في أضواء البيان (٧/ ٢٨٨، ٢٨٩): (واعلم أن لفظ اليدين قد يستعمل في اللغة العربية استعمالا خاصا، بلفظ خاصٍّ لا تقصد به في ذلك النعمة ولا الجارحة ولا القدرة، وإنما يراد به معنى أمام.

واللفظ المختص بهذا المعنى هو لفظة اليدين التي أضيفت إليها لفظة "بين" خاصة، أعني لفظة "بين يديه"؛ فإن المراد بهذه اللفظة أمامه. وهو استعمال عربي معروف مشهور في لغة العرب لا يقصد فيه معنى الجارحة ولا النعمة ولا القدرة، ولا أي صفة كائنة ما كانت.

وإنما يراد به أمام فقط كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (سبأ: ٣١)، أي ولا بالذي كان أمامه سابقا عليه من الكتب.

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٣٠١، ٣٠٢).

وكقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ (المائدة: ٤٦)، أي مصدقا لما كان أمامه متقدما عليه من التوراة. وكقوله: ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ (فصلت: ٢٥)، فالمراد بلفظ "ما بين أيديهم" ما أمامهم. وكقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ (الأعراف: ٥٧)، أي يرسل الرياح مبشرات أمام رحمته التي هي المطر، إلى غير ذلك من الآيات". [1]

قال ابن جرير في تفسيره: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني بذلك القرآن أنه مصدق؛ لما كان قبله من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه ورسله، ومحقق ما جاءت به رسل الله من عنده، جميع ذلك واحد فلا يكون فيه اختلاف، ولو كان من ثم غيره كان فيه اختلاف كثير، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. [2]

ثم ذكر بأسانيده عن مجاهد وقتادة والربيع ذلك.

٢ ـ ومنها قوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢). وهذه الآية لا علاقة لها بصفة اليد لله تعالى ولكنه التدليس والتلبيس على الجهال أمثالهم.

واليك قول ابن جرير الطبري في الآية:

وقوله: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله:

ـ فقال بعضهم: معناه لا يأتيه النكير من بين يديه ولا من خلفه.

ذكر من قال ذلك: عن سعيد: لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. قال: النكير من بين يديه ولا من خلفه.

---

(١) أضواء البيان (٧/ ٢٨٨، ٢٨٩).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ١٦٦).

ـ وقال آخرون: معنى ذلك لا يستطيع الشيطان أن ينقص منه حقا ولا يزيد فيه باطلا، قالوا: والباطل هو الشيطان، وقوله: ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ من قبل الحق، ﴿وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ من قبل الباطل ذكر من قال ذلك:

عن قتادة: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾الباطل: إبليس لا يستطيع أن ينقص منه حقا، ولا يزيد فيه باطلًا.

وقال آخرون: معناه إن الباطل لا يطيق أن يزيد فيه شيئًا من الحروف، ولا ينقص منه شيئًا منها. ذكر من قال ذلك:

عن السدي: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ ﴾قال: الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يزيد فيه حرفا، ولا ينقص.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب: أن يقال معناه لا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكيده، وتبديل شيء من معانيه عما هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه. ولا إلحاق ما ليس منه فيه وذلك إتيانه من خلفه. (١)

٣ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ (الحجرات: ١). والمقصود بقوله: ﴿بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ مخالفة الكتاب والسنة.

قال ابن جرير: (لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ) يقول: لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم، قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله،فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله، محكيٌّ عن العرب فلان يقدم بين يدي إمامه، بمعنى يعجل بالأمر والنهي دونه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفت ألفاظهم بالبيان عن معناه. (٢)

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ١٢٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٦/ ١١٦)، وذكر بسنده عن ابن عباس قوله: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة، وانظر تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٦).

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ (الأعراف: ٥٧).

وليس للآية أيضًا علاقة بصفة اليد لله؛ وإنما معناها: أمام رحمته، أو قدام رحمته وهو الغيث.

قال ابن جرير: وأما قوله: (بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ)؛ فإنه يقول: قدام رحمته وأمامها، والعرب كذلك تقول لكل شيء حدث قدام شيء وأمامه: جاء بين يديه؛ لأن ذلك من كلامهم جرى في أخبارهم عن بني آدم، وكثر استعماله فيهم حتى قالوا ذلك في غير ابن آدم وما لا يد له.

والرحمة التي ذكرها جل ثناؤه في هذا الموضع: المطر، فمعنى الكلام إذن: والله الذي يرسل الرياح لينا هبوبها، طيبا نسيمها أمام غيثه الذي يسوقه بها إلى خلقه، فينشئ بها سحابا ثقالا، حتى إذا أقلتها، والإقلال بها: حملها كما يقال: استقل البعير بحمله وأقله: إذا حمله فقام به، ساقه الله لإحياء بلد ميت قد تعفت مزارعه، ودرست مشاربه، وأجدب أهله، فأنزل به المطر، وأخرج به من كل الثمرات.[1]

وهكذا يفعل هؤلاء؛ يستدلون بالآيات ولا يعرفون وجه تفسيرها، ويجعلونها بمعنى واحد في كل السياق، وهذا ينم عن ضلال وانحراف.

الوجه الرابع: التجسيم في الكتاب المقدس.

لقد أتوا بآيات وأحاديث ووضعوها في غير موضعها، يعيبون على المسلمين التجسيم لله تعالى زعما منهم ذلك، ونسوا ما في كتابهم المقدس عندهم من صفة اليد التي ذكرناها.

منها كما جاء في المزامير: (لأن في يد الرب كأسا وخمرها مختمرة ملآنة شرابا ممزوجا وهو يسكب منها لكن عكرها يمصه يشربه كل أشرار الأرض (مز ٧٥: ٨)

فهل يعقل أن يكون بيد الرب خمرًا يسقي بها الناس، والخمر تذهب بالعقول، وتجعل الرجل يطأ أمه أو أخته أو بنته، ويفعل ما يغضب الرب؟! !

* * *

(١) تفسير الطبري (٨/ ٣١٠).

٢ـ شبهة: صفة الوجه.

نص الشبهة:

لقد أثار النصارى شبهة: أن لله عند المسلمين وجهًا، وبهذا يكون الله جسدًا؛ لأنه لا وجه إلا على جسد واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٧). ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: ٨٨).

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

الوجه الأول: معنى الوجه.

الوجه الثاني: أقوال أهل العلم في صفة الوجه.

الوجه الثالث: الرد على النصارى.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: معنى الوجه.

في اللغة: وجه كل شيء: مستقبله.

وفي القرآن والسنة على معان:

المعنى الأول: أول النهار: قال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (آل عمران: ٧٢)

وهذا قول قتادة ومجاهد والربيع وغيرهم من السلف.[١]

المعنى الثاني: العناية والرعاية والحب قال تعالى: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (يوسف: ٩).

قال ابن كثير: يقولون هذا الذي يزاحمكم في محبة أبيكم لكم، أعدموه من وجه أبيكم؛ ليخلو لكم وحدكم؛ إما بأن تقتلوه أو تلقوه في أرض من الأراضي تستريحوا منه وتخلوا أنتم بأبيكم.[١]

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣١٣).

المعنى الثالث: الوجه الحقيقي وهو الجارحة: قال تعالى: ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (يوسف: ٩٣).

وقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (القيامة: ٢٢).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾ (الكهف: ٢٩).

المعنى الرابع: التذلل بالطاعة: قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (البقرة: ١١٢).

قال الطبري: قوله: ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ فإنه يعني بإسلام الوجه التذلل لطاعته، والإذعان لأمره، وأصل الإسلام الاستسلام؛ لأنه من استسلمت لأمره وهو الخضوع لأمره؛ وإنما سمي المسلم مسلما بخضوع جوارحه لطاعة ربه.[2]

وقال ابن كثير: أي من أخلص العمل لله وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ (آل عمران: ٢٠). وقال أبو العالية والربيع: ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ يقول: من أخلص لله. وقال سعيد بن جبير: ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ ﴾ أخلص، ﴿ وَجْهَهُۥ ﴾ قال: دينه.[3]

المعنى الخامس: الانتكاس والضلال: قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (الحج: ١١). وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الملك: ٢٢).

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧١).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٩٣).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١٥٥).

المعنى السادس: صفة من صفات الله تعالى: قال تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن: ٢٧). وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨) ﴾ (القصص: ٨٨).

هذا وهذه الآية تعبر بالوجه عن ذات الله تعالى، والوجه هو تعبير بالصفة عن الكل، وليس معناه هو الذات مع نفي الصفة كما يقول أهل البدع.

قال ابن كثير: قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨): كل شيء يفنى ولا يبقى إلا الله عز وجل كما قال: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) ﴾ [١] (الرحمن: ٢٦، ٢٧). **وقال أيضًا**: وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾: إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن: ٢٦، ٢٧).

فعبر بالوجه عن الذات، وهكذا قوله ههنا: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨) أي: إلا إياه. [٢]

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل. [٣]

وقال مجاهد والثوري في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨) أي: إلا ما أريد به وجهه، وحكاه البخاري في صحيحه كالمقرر له.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٩٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٤).

(٣) البخاري (٣٨٤١).

قال ابن جرير: ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر: أستغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل.

وهذا القول لا ينافي القول الأول؛ فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد به وجه الله تعالى من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة.

والقول الأول مقتضاه: أن كل الذوات فانية وزائلة إلا ذاته تعالى وتقدس؛ فإنه الأول والآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شئ.

المعنى السابع: الإخلاص لله: قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٧٢)، وقال تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الروم: ٣٨). وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ (الروم: ٣٩).

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ الله إِلا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ.[1]

المعنى الثامن: قبلة الله: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ (البقرة: ١١٥). وإن كانت تثبت أن لله تعالى صفة الوجه.

قال ابن تيمية: فأخبر أن العبد حيث استقبل فقد استقبل قبلة الله؛ ليبين أنه حيث أمر العبد بالاستقبال والتولية فقد استقبل وولّي قبلة الله ووجهته.[2]

وقال أيضًا: وهذا قد قال فيه طائفة من السلف: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾؛ أي فثم جهة الله، والجهة كالوعد والعدة والوزن والزنة.

---

(١) البخاري (٥٤).

(٢) تلبيس الجهمية (٢/ ٤٦١).

والمراد بوجه الله: وجهة الله، الوجه والجهة والوجهة الذي لله يُستقبل في الصلاة كما قال في أول الآية : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾، ثم قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾، كما قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة: ١٤٢) فإذا كان لله المشرق والمغرب ولكل وجهة هو موليها، وقوله: ﴿مُوَلِّيهَا ﴾؛ أي متوليها أم مستقبلها، فهذا كقوله: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾؛ أي فأينما تستقبلوا فثم وجهه الله، وقد قيل: إنه يدل على صفة الله؛ لكن يدل على أن ثم وجه الله، وأن العباد أينما يولون فثم وجه الله، فهم الذين يولون ويستقبلون لا أنه هو يولي وجهه إلى كل مكان، فهذا تحريف منهم للفظ القرآن عن معناه وكذب على المسلمين. (١)

الوجه الثاني: أقوال أهل العلم في صفة الوجه

من عقيدة السلف: أن لله تعالى وجها يليق بجلاله وعظمته، نثبت له هذه الصفة كما أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تأويل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف. وكل آية في كتاب الله تعالى مضاف فيها الوجه لله تعالى فهي تدل على صفة الوجه له سبحانه وتعالى، وإن اختلف معناها في السياق كما قدمنا في صفة اليد.

قال الشيخ على بن خضير الخضير: وهناك آيات كثيرة في القرآن وأحاديث كثيرة تدل على صفة الوجه لله، ومن أكثر الكتب بسطاً لهذه الصفة الإمام ابن خزيمة في كتاب التوحيد، وقد بسط القول فيها خصوصاً الأحاديث، وعقد ثلاثة أبواب لهذه الصفة، ومثله ابن منده في كتابه التوحيد، فقد تكلم عن هذه الصفة، وكذلك اللالكائي في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة، وقبلهم الدارمي في رده على طاغوت الجهمية بشر المريسي. وقبلها كتب السنة، السنة لعبد الله بن الإمام أحمد والسنة للخلال. (٢)

---

(١) الجواب الصحيح: ٤/ ٤١٤، ٤١٥.

(٢) الزناد شرح لمعة الاعتقاد.

أما مذهب أهل السنة والجماعة في صفة الوجه:

أهل السنة والجماعة يثبتون أن لله عز وجل وجهاً موصوفاً بالجلال والإكرام.

قال ابن خزيمة في كتابه التوحيد؛ في باب إثبات الوجه: فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز واليمن وتهامة والشام مذهبنا أن نثبت لله ما أثبته لنفسه من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، ثم قال في الباب الذي بعده: نحن نقول وعلمائنا جميعاً في جميع الأقطار أن لمعبودنا ﷻوجهاً كما أعلمنا في محكم تنزيله فذوَّاه - أي وصفه بأنه ذو جلال - وحكم له بالبقاء، ونفى عنه الهلاك، ونقول: إن لوجه ربنا عز وجل من النور والضياء والبهاء ما لو كشف حجابه لأحرقت سُبحات وجه كل شيء أدركه بصره".

مذاهب الناس في صفة الوجه:

أ - **مذهب أهل السنة والجماعة** وقد مضى الكلام عن ذلك.

ب - **مذهب الجهمية**: وهو نفي صفة الوجه لله عز وجل، ويؤولون ما جاء في القرآن من ذكر الوجه لله بأربع كلمات: أنه الذات أو القبلة أو الثواب أو الأعمال الصالحة، فيقولون: ويبقى وجه ربك أي ذاته، أي يبقى الله، ويقولون في قوله: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠﴾ (الليل: ٢٠)، أي: ابتغاء الثواب.

وفي قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾، أي: القبلة. وقد رد عليهم الدارمي في كتابه: الرد على بشر المريسي، فتناول تأويل الجهمية ورد عليهم ردوداً مفحمة.

جـ - **المعتزلة**: ومذهبهم في صفة الوجه مثل الجهمية، فهم ينفون الوجه عن الله عز وجل ويؤولون ذلك بالذات، أو بأن وجه الله هو الله، وقد نقل الأشعري في كتابه (مقالات الإسلاميين) مذاهب الناس في الوجه، وذكر مذهب المعتزلة ونسب إلى أبي الهذيل المعتزلي أنه قال: إن وجه الله هو الله، وأن غيره قال: الذات، انتهى.

ولعله يقصد النَّظَّام وهو من أئمة المعتزلة، والأشعري خبير بمذهب المعتزلة فقد استمر أربعين سنة على الاعتزال ولذلك فإن أقواله مهمة في معرفة اعتقاد المعتزلة وغيرهم.

د - **الكُلاّبية**: وهؤلاء يثبتون صفة الوجه لله تعالى كأهل السنة، ويثبتون جميع الصفات الذاتية لله كالوجه واليد والعين، ابتداءً من إمامهم عبد الله بن سعيد بن كلاّب، وكذا الأشعري فإنه يثبت صفة الوجه لله تعالى كما في كتابه (الإبانة ص٣٥) والأشعري على الصحيح أنه كُلاّبي، وقد ذكر ذلك عنه ابن حجر في كتابه " لسان الميزان "، لما ترجم لعبد الله بن سعيد بن كلاّب، قال: " وقد مشى الأشعري على طريقته ".

ومن الكلاّبية الذين أثبتوا صفة الوجه (القلانسي) والحارث المحاسبي المتصوف، وابن مهدي الطبري والباقلاني، كما أثبتها بعض المحدثين الذين فيهم ميل لذهب لكلاّبية، كالبيهقي وابن فُورك. والبيهقي في كتابه " الأسماء والصفات "، وابن فورك في كتابه " مشكل الحديث "، قد أثبتوا صفة الوجه لله ﷻ.

والبيهقي رحمه الله تأثر بالكلاّبية في باب صفات الله الاختيارية ومثله شيخه ابن فورك.

وخلاصة مذهب الكلاّبية المحضة أو من تأثر بهم في بعض الوجوه أنهم يثبتون صفة الوجه كأهل السنة والجماعة.

هـ - **مذهب المجسّمة والمشبّهة**: فإنهم يثبتون لله وجها كوجه المخلوقين، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وقد رد عليهم ابن خزيمة في كتابه التوحيد في باب إثبات الوجه، وذكر مذهبهم الأشعريُّ في كتابه مقالات الإسلاميين.

و - **مذهب الماتريدية**: فهؤلاء ينفون صفة الوجه ولا يثبتونها، ويفسرون الوجه بتفسيرات الجهمية، أنها الذات أو الثواب أو القبلة. . . إلخ.

ز - **الأشاعرة**: وهؤلاء قسمان:

١ - أوائل الأشاعرة: فهؤلاء في الحقيقة كلاّبية كأبي الحسن الأشعري، والباقلاني، وهؤلاء يثبتون صفة الوجه.

٢ - متأخري الأشاعرة: ويسمون الأشاعرة المحضة، فهؤلاء ينفون صفة الوجه عن الله ﷻ، ويفسرون آيات الوجه بمعنى الذات أو الثواب أو الجزاء أو الأعمال الصالحة إلا أنهم يضيفون تفسيرًا خاصًا بهم وهو (الرضى).

الوجه الثالث: الرد على النصارى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ردًا على النصارى: وأما قولهم: له وجه يوليه إلى كل مكان؛ فليس هذا في القرآن؛ ولكن في القرآن: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ (الرحمن: ٢٦، ٢٧) وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (القصص: ٨٨)، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥)، وهذا قد قال فيه طائفة من السلف: فثم قبلة الله، أي فثم جهة الله، والجهة كالوعد والعِدة والوزن والزِنة، والمراد بوجه الله: وجهة الله، الوجه، والجهة والوجهة الذي لله يستقبل في الصلاة كما قال في أول الآية: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾، ثم قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥) كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: ١٤٢)، فإذا كان لله المشرق والمغرب، ولكلٍ وجهة هو موليها وقوله: ﴿مُوَلِّيهَا﴾؛ أي متوليها أم مستقبلها، فهذا كقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥) أي فأينما تستقبلوا فثم وجهة الله، وقد قيل: إنه يدل على صفة الله؛ لكن يدل على أن ثم وجه لله، وأن العباد أينما يولون فثم وجه الله، فهم الذين يولون ويستقبلون لا أنه هو يولي وجهه إلى كل مكان، فهذا تحريف منهم للفظ القرآن عن معناه، وكذب على المسلمين ومن قال بالقول الثاني من المسلمين؛ فإن ذلك يقتضي أن الله محيط بالعالم كله كما قد بسطت هذه الأمور في غير هذا

الموضع؛ إذ المقصود هنا بيان ضلال هؤلاء في دينهم فيما ابتدعوا من الكفر والتثليث والاتحاد دون الذين آمنوا بالله ورسله، وما أخبرت به الرسل عن الله تبارك وتعالى.[1]

ماذا في كتابهم المقدس عن وجه الله؟

لو حصرت عدد المرات الموجودة في كتابهم المقدس عن وجه الله ووجه الرب لرأيتها أكثر مما هي موجودة في القرآن.

١ ـ الرب يمشي وله وجه وتختبئ الناس منه ولا يراهم:

كما جاء في سفر(التكوين٣: ٨): (وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه **الرب** الإله في وسط شجر الجنة).

٢ ـ الجبال تتزلزل من وجه الرب:

كما جاء سفر (القضاء٥: ٥): (تزلزلت الجبال من وجه **الرب** وسيناء هذا من وجه الرب إله إسرائيل).

٣ ـ وجه الله كوجه المخلوق:

كما جاء في سفر (التكوين٣٣: ١٠): (فقال يعقوب: لا إن وجدت نعمة في عينيك تأخذ هديتي من يدي؛ لأني رأيت **وجهك** كما يرى وجه الله فرضيت علي).

٤ ـ الدماء تسقط أمام وجه الرب:

كما جاء في صمويل الأول(٢٦: ٢٠): (والآن لا يسقط دمي إلى الأرض أمام **وجه الرب**؛ لأن ملك إسرائيل قد خرج ليفتش على برغوث واحد كما يتبع الحجل في الجبال).

٥ ـ داود يطلب وجه الرب:

كما جاء في (صمويل الثاني٢١: ١): (وكان جوع في أيام داود ثلاث سنين سنة بعد سنة فطلب داود وجه **الرب** فقال الرب: هو لأجل شاول ولأجل بيت الدماء لأنه قتل الجبعونيين).

وفي سفر الأخبار (٣٣: ١٢): (ولما تضايق طلب وجه **الرب** إلهه وتواضع جدا أمام اله آبائه).

٦ ـ وجه الرب لا يتحول عمن لا يحول وجهه عن فقير:

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٤١٤، ٤١٥).

كما جاء في طوبيا: (تصدق من مالك ولا تحول وجهك عن فقير وحينئذ فوجه الرب لا يحول عنك) (طوبيا ٤: ٧).

٧ـ الشيطان يخرج من أمام وجه الرب:

كما جاء في (سفر أيوب١: ١٢): (فقال الرب للشيطان: هوذا كل ما له في يدك وإنما إليه لا تمد يدك ثم خرج الشيطان من أمام وجه الرب).

٨ـ وجه الرب ضد عامل الشر:

كما جاء في (المزامير٣٤: ١٦): (وجه الرب ضد عاملي الشر ليقطع من الأرض ذكرهم).

٩ـ المدن تهدم من وجه الرب:

كما جاء في (أرمياء٤: ٢٦): (نظرت وإذا البستان برية وكل مدنها نقضت من وجه الرب من وجه حمو غضبه).

١٠ـ الرب له وجه يطلب ويندم الرب على فعل الشر:

في أرمياء (٢٦: ١٩): هل قتلا قتله حزقيا ملك يهوذا وكل يهوذا ألم يخف الرب وطلب وجه الرب فندم الرب عن الشر الذي تكلم به عليهم فنحن عاملون شرا عظيما ضد أنفسنا.

١١ـ وجه الرب يقسم:

كما جاء في مراثي(أرمياء ٤: ١٦): (وجه الرب قسمهم لا يعود ينظر إليهم لم يرفعوا وجوه الكهنة ولم يترأفوا على الشيوخ).

١٢ـ وجه الرب يستعطفه الناس:

كما جاء في (باروك ٢: ٨): (ونحن لم نستعطف وجه الرب تائبين كل واحد عن أفكار قلبه الشرير).

١٣ـ وجه الرب يتضرع إليه:

كما جاء في(دنيال ٩: ١٣): (كما كتب في شريعة موسى قد جاء علينا كل هذا الشر ولم نتضرع إلى وجه الرب إلهنا لنرجع من آثامنا و نفطن بحقك).

١٤ ـ وجه الرب يهرب منه الناس:

كما جاء في (يوئيل ١ : ٣): (فقام يونان ليهرب إلى ترشيش من وجه الرب فنزل إلى يافا ووجد سفينة ذاهبة إلى ترشيش فدفع أجرتها ونزل فيها ليذهب معهم إلى ترشيش من **وجه الرب**).

وكما جاء في (يوئيل١ : ١٠) أيضًا: (فخاف الرجال خوفا عظيما وقالوا له: لماذا فعلت هذا فإن الرجال عرفوا أنه هارب من **وجه الرب** لأنه اخبرهم).

وكما جاء في (حجي ١: ١٢): (حينئذ سمع زربابل بن شالتيئيل ويهوشع بن يهو صادق الكاهن العظيم وكل بقية الشعب صوت الرب إلههم وكلام حجي النبي كما أرسله الرب إلههم وخاف الشعب أمام **وجه الرب**).

١٥ ـ وجه الرب يطلب الرضى:

جاء في (زكرياء ٨: ٢١): (وسكان واحدة يسيرون إلى أخرى قائلين لنذهب ذهابا لنترضي **وجه الرب** ونطلب رب الجنود أنا أيضًا اذهب. ٢٢فتأتي شعوب كثيرة وأمم قوية ليطلبوا رب الجنود في أورشليم وليترضوا **وجه الرب**).

١٦ ـ الناس تتقدم أمام وجه الرب:

كما جاء في (لوقا ١ : ٧٦): (وأنت أيها الصبي نبي العلي تدعى لأنك تتقدم أمام **وجه الرب** لتعد طرقه).

١٧ ـ وجه الرب يأتي بالفرج:

كما جاء في (أعمال الرسل٣: ١٩): (فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم لكي تأتى أوقات الفرج من **وجه الرب**).

كل هذه الفقرات من الكتاب المقدس تثبت صفة الوجه للرب، وفي كثير منها تحييز للرب في مكان، وتشبيه الرب بالمخلوق الضعيف، وصفات النقص.

*   *   *

٣ـ شبهة: النخامة في المسجد.

نص الشبهة:

وهذه الشبهة تابعة لشبهة الوجه، ولكننا أردنا إفرادها برد؛ لأنها تحتاج إلى توضيح.

فقد قالوا: يبزق في وجه الله:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَأَى نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ، فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ "مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يَقُومُ مُسْتَقْبِلَ رَبِّهِ فَيَتَنَخَّعُ أَمَامَهُ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُسْتَقْبَلَ فَيُتَنَخَّعَ فِي وَجْهِهِ؟ فَإِذَا تَنَخَّعَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَنَخَّعْ عَنْ يَسَارِهِ تَحْتَ قَدَمِهِ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَقُلْ هَكَذَا ». وَوَصَفَ الْقَاسِمُ: فَتَفَلَ فِي ثَوْبِهِ ثُمَّ مَسَحَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ".(١)

والجواب عنها من وجوه:

الوجه الأول: كل ما جاء في خيالك فالله بخلافه.

الوجه الثاني: المعني الصحيح للحديث.

الوجه الثالث: أن الإسلام قد راعى الأدب في عبادة العبد ربه.

الوجه الرابع: عقوبة من بصق تجاه القبلة.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: كل ما جاء في خيالك فالله بخلافه.

فما جاء في الكتاب والسنة عن الله تعالى لا يجب على المسلم أن يصور ذلك في خياله ويحكيه على أساس أنه هو المقصود من الكلام.

فما تخيله هؤلاء الجاهلون عن الله من خلال هذه النصوص هو محض افتراء على الله؛ لأنه ليس هو ما قصدوه هم. وذلك أنه لا يستطيع أحد أن يصف الله في ذاته؛ فكيف يكيفه في أفعاله؟ والقول في الصفات كالقول في الذات.

الوجه الثاني: المعني الصحيح للحديث.

---

(١) مسلم (٥٥٠).

قال ابن تيمية: وكذلك قوله ﷺ : "إذا قام أحدكم إلى الصلاة؛ فإن الله قِبَلَ وجهه فلا يبصق قِبَل وجهه. . . الحديث " حق على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قبل وجه المصلى؛ بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات؛ فإن الإنسان لو أنه يناجى السماء أو يناجى الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضًا قبل وجهه، وقد ضرب النبيﷺ المثل بذلك ـ ولله المثل الأعلى ـ ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وإمكانه؛ لا تشبيه الخالق بالمخلوق فقال النبي ﷺ "ما منكم من أحد إلا سيرى ربه مخليا به" فقال له أبو رزين العقيلى: كيف يا رسول الله وهو واحد ونحن جميع؟

فقال النبي ﷺ : سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، هذا القمر كلكم يراه مخليا به، وهو آية من آيات الله، فالله أكبر". [(١)]

وقال: "إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر" فشبه الرؤية بالرؤية، وإن لم يكن المرئي مشابها للمرئي، فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه؛ كلٌ يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر، ولا منافاة أصلا، ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله؛ يكون إقراره للكتاب والسنة على ما هما عليه أوكد.

واعلم أن من المتأخرين من يقول: مذهب السلف إقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، وهذا اللفظ مجمل؛ فإن قوله: (ظاهرها غير مراد) يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين، مثل أن يراد بكون الله قبل وجه المصلى أنه مستقر في الحائط الذي يصلى إليه، وأن الله معنا ظاهره أنه إلى جانبنا ونحو ذلك، فلا شك أن هذا غير مراد.

ومن قال: إن مذهب السلف أن هذا غير مراد فقد أصاب في المعنى؛ لكن أخطأ بإطلاق القول بأن هذا ظاهر الآيات والأحاديث، فإن هذا المحال ليس هو الظاهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضع، اللهم إلا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٧٦٥)، وأبو داود (٤٧٣١)، وحسنه الألباني كما في ظلال الجنة (٤٥٩).

الناس، فيكون القائل لذلك مصيبا بهذا الاعتبار معذورا في هذا الإطلاق، فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس، وهو من الأمور النسبية، وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد أن هذا هو الظاهر أن هذا ليس هو الظاهر؛ حتى يكون قد أعطى كلام الله وكلام رسوله حقه لفظًا ومعنى.

وإن كان الناقل عن السلف أراد بقوله: (الظاهر غير مراد عندهم) أن المعاني التي تظهر من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته، ولا يختص بصفة المخلوقين؛ بل هي واجبة لله أو جائزة عليه جوازًا ذهنيا أو جوازًا خارجيا غير مراد؛ فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف، أو تعمد الكذب، فما يمكن أحد قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل لا نصا ولا ظاهرا أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش، ولا أن الله ليس له سمع ولا بصر ولا يد حقيقة، وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف، ويقولون: إن طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف، بمعنى: أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه وتعالى، ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها، والمتأخرون رأوا المصلحة في تأويلها؛ لمسيس الحاجة إلى ذلك، ويقولون: الفرق بين الطريقين؛ أن هؤلاء قد يعينون المراد بالتأويل، وأولئك لا يعينون؛ لجواز أن يراد غيره، وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف.

أما في كثير من الصفات فقطعا مثل أن الله تعالى فوق العرش، فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم الذي لم يحك هنا عشره؛ علم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة، وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط، وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك، والله يعلم أني بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف ما رأيت كلام أحد منهم يدل لا نصا ولا ظاهرا ولا بالقرائن على نفي الصفات الخبرية في نفس الأمر؛ بل الذي رأيته أن كثيرا من كلامهم يدل إما نصا، وإما ظاهرا على تقرير جنس هذه الصفات، ولا أنقل عن كل واحد منهم إثبات كل صفة؛ بل الذي رأيته؛

أنهم يثبتون جنسها في الجملة، وما رأيت أحدا منهم نفاها، وإنما ينفون التشبيه، وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه، مع إنكارهم على من ينفي الصفات أيضًا كقول نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر.

وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها. (١)

الوجه الثالث: أن الإسلام قد راعى الأدب في عبادة العبد ربه.

وليس البصاق من الأدب إذا كان تلقاء من يناجيه. ألا ترى أنه لو خاطب إنسان آخر ثم أراد أن يبصق فبصق في وجهه أنه ليس من الأدب الذي درجت عليه الفطرة؛ إذا كان هذا حال الإنسان مع الإنسان فكيف بالإنسان مع ربه؟!!

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَلا يَبْصُقْ أَمَامَهُ؛ فَإِنَّمَا يُنَاجِي الله مَا دَامَ فِي مُصَلاهُ وَلا عَنْ يَمِينِهِ فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ فَيَدْفِنُهَا"(٢)

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يعجبه العراجين أن يمسكها بيده، فدخل المسجد ذات يوم وفي يده واحد منها، فرأى نخامات في قبلة المسجد فحتهن حتى أنقاهن ثم أقبل على الناس مغضبًا فقال: "أيحب أحدكم أن يستقبله رجل فيبصق في وجهه؟!! إن أحدكم إذا قام إلى الصلاة فإنما يستقبل ربه والملك عن يمينه فلا يبصق بين يديه ولا عن يمينه". (٣)

وأيضًا: هل يجوز في عقيدتهم وهم في كنائسهم يتضرعون أمام صورة من يدعون أنه المسيح أو مريم؛ أن يبصقوا تلقاء وجوههم وهم على هذه الحالة؟

والجواب بالبديهة: لا.

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٠٧ ـ ١٠٩).

(٢) البخاري (٤١٦).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٨٨٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٢): حسن صحيح.

فلماذا يتندرون ويسخرون من النبي ﷺ وهو يعلم المسلمين الأدب مع الله تعالى؟! ! !

الوجه الرابع: عقوبة من بصق تجاه القبلة.

لقد نهى النبي ﷺ في أكثر من حديث عن البصاق تجاه القبلة منها:

عن ابن عمر قال رسول الله: ﷺ "يجيء صاحب النخامة في القبلة يوم القيامة وهي في وجهه". [١]

قال الصنعاني: وفي الحديث دلالة على تحريم البصاق إلى القبلة مطلقا، سواء ذلك في المسجد أو في غيره، وعلى المصلي وغيره، " وقد جزم النووي بالمنع في كل حالة داخل الصلاة و خارجها وفي المسجد أو غيره "[٢].

قال الألباني: والأحاديث الواردة في النهي عن البصق في الصلاة تجاه القبلة كثيرة مشهورة في الصحيحين وغيرها، وإنها آثرت هذا دون غيره، لعزته وقلة من أحاط علمه به. ولأن فيه أدبا رفيعا مع الكعبة المشرفة، طالما غفل عنه كثير من الخاصة، فضلا عن العامة، فكم رأيت في أئمة المساجد من يبصق إلى القبلة من نافذة المسجد!

وفي الحديث أيضًا فائدة هامة و هي الإشارة إلى أن النهي عن استقبال القبلة ببول أو غائط؛ إنما هو مطلق يشمل الصحراء و البنيان؛ لأنه إذا أفاد الحديث أن البصق تجاه القبلة لا يجوز مطلقا، فالبول و الغائط مستقبلا لها لا يجوز بالأولى. [٣]

* * *

---

(١) صحيح ابن خزيمة (١٣١٣)، صحيح ابن حبان (١٦٣٨)، قال الألباني في الصحيحة (٣٢٣): والحديث صحيح على كل حال.

(٢) سبل السلام (١/ ٢٣٠).

(٣) السلسلة الصحيحة حديث (٣٢٣).

٤ ـ شبهة: صفة العين لله.

نص الشبهة:

قالوا: الله له عين، وهذا لا يليق بالإله، ووردت أحاديث تنفي العور عن الله.

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: كلمة حق يراد بها باطل.

الوجه الثاني: من عقيدة أهل السنة والجماعة؛ إثبات صفة العين لله تعالى.

الوجه الثالث: إثبات العينين لله.

الوجه الرابع: أن الله تعالى ليس بأعور.

الوجه الخامس: في كتابهم المقدس صفة العين للرب.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: كلمة حق يراد بها باطل.

عندما ذكروا هذه الآيات والأحاديث؛ ليس لإثبات حق؛ وإنما لإرادة الباطل الذي وقع في رؤوسهم. وقد ثبتت هذه الصفة لله تعالى في القرآن والسنة :

١ – من القرآن: قال تعالى ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ (طـه: ٣٩)

وقال ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ (الطور: ٤٨)

ومن السنة: عن نافع عن عبد الله رضي الله عنه قال: ذُكر الدجال عند النبي ﷺ فقال " إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور – وأشار بيده إلى عينه – وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية". [١]

قال ابن خزيمة: فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبَّتَ الخالق البارئ لنفسه من العين، وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبته الله في محكم تنزيله ببيان النبي ﷺ الذي جعله الله مبينا عنه عز وجل في قوله ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا

---

(١) البخاري (٧٤٠٧) ومسلم (١٦٩).

﴿نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(النحل : ٤٤) فبين النبي ﷺ أن لله عينين، فكان بيانه موافقا لبيان محكم التنزيل الذي هو مسطور بين الدفتين مقروء في المحاريب والكتاتيب.[١]

الوجه الثاني: من عقيدة أهل السنة والجماعة: إثبات صفة العين لله تعالى.

وأنها ليست كعين المخلوق، فله سبحانه وتعالى عين تليق بجلاله وعظمته، وللمخلوق عين مناسبة لعجزه وفنائه.

الوجه الثالث: إثبات العينين لله.

قال ابن خزيمة: نحن نقول: لربنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرى، وتحت الأرض السابعة السفلى، وما في السموات العلى، وما بينهما من صغير وكبير، لا يخفى على خالقنا خافية في السموات السبع والأرضين السبع ولا مما بينهم، ولا فوقهم ولا أسفل منهن، لا يغيب عن بصره من ذلك شيء، يرى ما في جوف البحار ولججها كما يرى عرشه الذي هو مستو عليه.[٢]

وبوب اللالكائي في أصول الاعتقاد (سياق مادل من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ على أن صفات الله ﷻ الوجه والعينين واليدين).[٣]

الوجه الرابع: أن الله تعالى ليس بأعور.

لأن العور صفة نقص، والله منزه عن صفة النقص. وقد خلق الله تعالى الدجال بهذه الصفة حتى لا يختلط الأمر عند الناس ويظنوا أنه الله، وخاصة وأن الله تعالى قد أقدره على أشياء لا يقدر عليها إلا هو سبحانه؛ فتنة للناس، واختبارا وامتحانا؛ ليكشف الله لخلقه حال الناس فيميز الصادق من الكاذب للناس.

---

(١) كتاب التوحيد (١/ ٩٧).

(٢) كتاب التوحيد (١/ ١١٧).

(٣) أصول الاعتقاد (٣/ ٤١٢).

وهذا شيخ الإسلام يحتج بحديث الدجال على إثبات صفة العين لله تعالى، وردا على النصارى فقال: ولهذا لما أنذر النبي ﷺ بالمسيح الدجال وقال: "ما من نبي إلا وقد أنذر أمته المسيح الدجال حتى نوح أنذر قومه به ".

وذكر النبي ﷺ له ثلاث دلائل ظاهرة تظهر لكل مسلم تبين كذبه:

أحدها: قوله ﷺ : " مكتوب بين عينيه كافر (ك ف ر) يقرأه كل مؤمن قارئ وغير قارئ".

الثاني: قوله ﷺ : "واعلموا أن أحدًا منكم لن يرى ربه حتى يموت " فبين أن الله لا يراه أحد في الدنيا بعينيه، وكل بشر فإنه يرى في الدنيا بالعين، فعلم أن الله لا يتحد ببشر.

الثالث: قوله ﷺ : " أنه أعور وأن ربكم ليس بأعور " ودلائل نفي الربوبية عنه كثيرة؛ لكن لما كان حلول اللاهوت في البشر، واتخاذه به مذهبا ضل به طوائف كثيرون من بني آدم، النصارى وغيرهم، وكان المسيح الدجال يأتي بخوارق عظيمة، والنصارى احتجوا على إلهية المسيح بمثل ذلك.

ذكر النبي ﷺ من علامات كذبه أمورا ظاهرة لا يحتاج فيها إلى بيان موارد النزاع التي ضل فيها خلق كثير من الآدميين، فإن كثيرًا من الناس؛ بل أكثرهم تدهشهم الخوارق حتى يصدقوا صاحبها قبل النظر في إمكان دعواه، وإذا صدقوه صدقوا النصارى في دعوى إلهية المسيح، وصدقوا أيضًا من ادعى الحلول والاتحاد في بعض المشايخ، أو بعض أهل البيت، أو غيرهم من أهل الإفك والفجور.

وبهذا يظهر الجواب عما يورده بعض أهل الكلام كالرازي على هذا الحديث حيث قالوا: دلائل كون الدجال ليس هو الله ظاهرة، فكيف يحتج النبي ﷺ على ذلك بقوله: " إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور"؟ وهذا السؤال يدل على جهل قائله بما يقع فيه بنو آدم من الضلال، وبالأدلة البينة التي تبين فساد الأقوال الباطلة، وإلا فإذا كان بنو إسرائيل في عهد موسى ظنوا أن العجل هو إله موسى فقالوا: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ (طه: ٨٨)، وظنوا أن موسى نسيه، والنصارى مع كثرتهم يقولون: إن المسيح هو الله، وفي المنتسبين إلى القبلة خلق كثير

يقولون ذلك في كثير من المشايخ، وأهل البيت، حتى إن كثيرا من أكابر شيوخ المعرفة والتصوف يجعلون هذا نهاية التحقيق والتوحيد، وهو أن يكون الموحِّد هو الموحَّد وينشدون:

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد

توحيد من يخبر عن نعته عارية أبطلها الواحد

توحيده إياه توحيده ونعت من ينعته لاحد

فكيف يستبعد مع إظهار الدجال هذه الخوارق العظيمة أن يعتقد فيه أنه الله! وهو يقول: أنا الله، وقد اعتقد ذلك فيمن لم يظهر فيه مثل خوارقه من الكذابين، وفيمن لم يقل أنا الله كالمسيح، وسائر الأنبياء والصالحين. [(١)]

الوجه الخامس: في كتابهم المقدس صفة العين للرب.

ـ الله له أعين :

كما جاء في سفر (الأمثال٣: ٤): (فتجد نعمة وفطنة صالحة في **أعين الله** والناس).

وكما جاء في سفر (زكريا٤: ١٠): (لأنه من ازدرى بيوم الأمور الصغيرة فتفرح أولئك السبع ويرون الزيج بيد زربابل إنما هي **أعين الرب** الجائلة في الأرض كلها).

ـ جاء ت العين مفردة.

كما جاء في(المزامير٣٣: ١٨): (هوذا **عين الرب** على خائفيه الراجين رحمته).

ـ **عين** الرب على خائفيه.

كما جاء في (المزامير٣٣: ١٨): (هوذا **عين الرب على خائفيه** الراجين رحمته).

فكيف بعد ذلك يعيبون على المسلمين أن الله ذكر صفة العين له في كتابه؟! ! ، أم أنهم يكفرون بكتابهم أيضًا؛ لأن فيه هذه الصفة؟! !

* * * *

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ٣/ ٣٢٤، ٣٢٥.

٥ـ شبهة: صفة القدم.

نص الشبهة:

قالوا: الله له قدم و يضعها في جهنم.

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : "لا يزال يُلقى فيها، و تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رب العالمين قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، ثم تقول: قد قد بعزتك وكرمك. ولا تزال الجنة تفضل حتى ينشئ الله لها خلقًا فيسكنهم فضل الجنة"(١)

الجنة و النار يتحاوران والله يتدخل في الحوار ويضع رجله في جهنم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : "تحاجت الجنة والنار، فقالت: النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها. فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا. (٢)

والرد على ذلك نقول:

صفة القدم والرجل ثابتة لله تعالى في السنة الصحيحة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقوله ﷺ : " لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه " ـ وفي رواية: رجله ـ فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قد قد ـ وفي رواية: قط قط ـ بعزتك "، ونحو قوله ﷺ : " فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا "، وقوله ﷺ : " يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، أنا الملك أنا الديان "، إلى غيرها من الأحاديث هالتنا أو لم تهلنا، بلغتنا أو لم تبلغنا، اعتقادنا فيها، وفي الآي الواردة في

(١) البخاري (٦٩٤٩)، مسلم (٢٨٤٨)

(٢) البخارى (٤٥٦٩)، مسلم (٢٨٤٦)

الصفات: أنا نقلبها، ولا نحرفها، ولا نكيفها، ولا نعطلها، ولا نتأولها، وعلى العقول لا نحملها، وبصفات الخلق لا نشبهها، ولا نُعمل رأينا وفكرنا فيها، ولا نزيد عليها ولا ننقص منها؛ بل نؤمن بها، ونكل علمها إلى عالمها، كما فعل ذلك السلف الصالح، وهم القدوة لنا في كل علم. روينا عن إسحاق أنه قال: لا نزيل صفة مما وصف الله بها نفسه أو وصفه بها الرسول عن جهتها، لا بكلام، ولا بإرادة؛ إنما يلزم المسلم الأداء، ويوقن بقلبه أن ما وصف الله به نفسه في القرآن إنما هي صفاته، ولا يعقل نبي مرسل، ولا ملك مقرب تلك الصفات إلا بالأسماء التي عرفهم الرب عز وجل، فأما أن يدرك أحد من بني آدم تلك الصفات، فلا يدركه أحد... الحديث إلى آخره. وكما روينا عن مالك والأوزاعي وسفيان والليث وأحمد بن حنبل أنهم قالوا في الأحاديث في الرؤية والنزول: أَمِرُّوها كما جاءت، وكما روى عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة أنه قال في الأحاديث التي جاءت أن الله يهبط إلى السماء الدنيا ونحو هذا من الأحاديث: إن هذه الأحاديث قد رواها الثقات، فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها. اهـ[1]

* * *

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ١٨٥، ١٨٦).

٦ـ شبهة: الساق.

نص الشبهة:

قالوا: الله يكشف عن ساقه أمام الناس.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (القلم: ٤٢).

وفي حديث أبي سعيد الخدري. . . . وفيه، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا. . . . . . . الحديث.[1]

الرد على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: وصف الله ﷻ نفسه بأن له ساق، ووصفه رسوله به.

الوجه الثاني: تنازع السلف في المراد بالساق في الآية؛ هل هي صفة، أو أنها غير صفة.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: وصف الله ﷻ نفسه بأن له ساق، ووصفه رسوله به.

فهو حق نؤمن به من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تأويل، ولا تعطيل كباقي الصفات التي ذكرت في القرآن والسنة الصحيحة.

قال تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (القلم ٤٢).

وفي حديث أبي سعيد ﷺقال سمعت النبي ﷺ يقول: يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدًا.[2]

الوجه الثاني: تنازع السلف في المراد بالساق في الآية؛ هل هي صفة، أو أنها غير صفة

قال ابن تيمية: وتمام هذا: أني لم أجدهم تنازعوا إلا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ (القلم: ٤٢) فروي عن ابن عباس ﷺ وطائفة: أن المراد به الشدة؛ أن الله يكشف عن

---

(١) البخاري (٤٦٣٥، ٧٠٠١).

(٢) البخاري (٤٦٣٥).

الشدة في الآخرة، وعن أبي سعيد وطائفة: أنهم عدُّوها في الصفات للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين، ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات؛ فإنه قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ نكرة في الإثبات لم يضفها إلى الله، ولم يقل عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر. (١)

وقال ابن القيم: نقول من أين في ظاهر القرآن أن لله ساقا؟ وليس معك إلا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾؛ والصحابة متنازعون في تفسير الآية؛ هل المراد الكشف عن الشدة، أو المراد بها أن الرب تعالى يكشف عن ساقه، ولا يحفظ عن الصحابة والتابعين نزاع فيما يذكر أنه من الصفات أم لا في غير هذا الموضع، وليس في ظاهر القرآن ما يدل على أن ذلك صفة لله؛ لأنه سبحانه لم يضف الساق إليه؛ وإنما ذكره مجردا عن الإضافة منكرا، والذين أثبتوا ذلك صفة كاليدين والإصبع لم يأخذوا ذلك من ظاهر القرآن، وإنما أثبتوه بحديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته، وهو حديث الشفاعة الطويل، وفيه: (فيكشف الرب عن ساقه فيخرون له سجدًا)، ومن حمل الآية على ذلك قال قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ مطابق لقوله ﷺ : "فيكشف عن ساقه فيخرون له سجدا "، وتنكيره للتعظيم والتفخيم؛ كأنه قال: يكشف عن ساق عظيمة جلت عظمتها وتعالى شأنها أن يكون لها نظير أو مثيل أو شبيه، قالوا: وحمل الآية على الشدة لا يصح بوجه؛ فإن لغة القوم في مثل ذلك: أن يقال كشفت الشدة عن القوم لا كشف عنها، كما قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ (الزخرف: ٥٠)، وقال: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ ﴾ (المؤمنون: ٧٥)، فالعذاب والشدة هو المكشوف؛ لا المكشوف عنه، وأيضًا فهناك تحدث الشدة وتشتد، ولا تزال إلا بدخول الجنة، وهناك لا

---

(١) دقائق التفسير لابن تيمية (٢/ ٤٨٢).

يدعون إلى السجود؛ وإنما يدعون إليه أشد ما كانت الشدة.[١]

وفي خلاصة القول: أن الساق ثبتت في الحديث الصحيح وأضيفت إلى الله تعالى؛ فهي صفة من صفات الذات تليق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى.

* * *

(١) الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية (١/ ٢٥٢ـ ٢٥٤).

٧ـ شبهات حول صفة المحبة لله تعالى.

نص الشبهة:

لقد أثار المعترضون شبهة أن الله في عقيدة المسلمين لا يوصف بالمحبة، وعلى ذلك فالمسلمون لا يعرفون المحبة في دينهم.

المسلم محروم من معرفة عظمة وقوة واتساع محبة الله، لأن القرآن لا يوافق على أن يوصف الله بأنه محبة لأن الله لم يصف نفسه في القرآن بذلك؟

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: صفات الله تعالى غاية في الكمال.

الوجه الثاني: من صفات الله المحبة.

الوجه الثالث: من الأسماء الدالة على المحبة؛ الودود.

الوجه الرابع: ومن الصفات الدال على المحبة صفة الإرادة.

الوجه الخامس: من الصفات الدالة على المحبة الفرح.

الوجه السادس: الله سبحانه يأمر بالمحبة.

الوجه السابع: النبي ﷺ يأمر بالمحبة.

الوجه الثامن: المحبة هي من أصول الإيمان القلبي.

الوجه التاسع: المحبة في كتابهم المقدس وفي تاريخهم.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: صفات الله تعالى غاية في الكمال.

فإن الله سبحانه وتعالى قد وصف نفسه بصفات الكمال ونعوت الجلال.

والصفات كما قدمنا على نوعين:

صفات ذات: وهي التي لا تنفك عن ذات الله تعالى: مثل اليد والوجه والقدم والساق والكف وغير ذلك.

وصفات فعل: وهي التي تتعلق بمشيئة الله تعالى إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل.

مثل الغضب والرضا والمحبة والنزول والاستواء ونحو ذلك من صفات الفعل.

وفي كل هذه الصفات لابد من أن نؤمن بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى: ١١)

الوجه الثاني: من صفات الله المحبة.

فالله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالمحبة، وليس كما افترى النصارى أنه ليس له صفات المحبة.

ومحبة لله تعالى للعبد لها أسباب:

والدليل على ذلك من القرآن والسنة:

الدليل من القرآن:

١ ـ الإنفاق في سبيل الله سبب لحب الله للعبد:

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥)، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ (آل عمران: ١٣٤).

٢ ـ الطهارة من النجاسة والحدث، وكذلك التوبة من الذنوب والمعاصي:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ (البقرة: ٢٢٢).

٣ ـ اتباع النبي ﷺ مجلبة لمحبة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ (آل عمران: ٣١).

٤ ـ الوفاء بالعهد سبب لحب الله للعبد:

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ (آل عمران: ٧٦).

٦ ـ التوكل على الله وترك الاعتماد بالقلب على البشر سبب في محبة الله:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ (آل عمران: ١٥٩).

٧ ـ الحكم بالعدل سبب في محبة الله للعبد:

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (المائدة: ٤٢) وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجرات: ٩).

٨ ـ عدم الخوف في الله لومة لائم سبب لمحبة الله:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (المائدة: ٥٤).

٩ ـ معاملة غير المسلم بالعدل سبب في محبة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (الممتحنة: ٨)

١٠ ـ القتال في سبيل الله سبب في محبة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (الصف: ٤)

١١ ـ إطعام الطعام سبب في حب الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ (الإنسان: ٨).

هذا غيض من فيض، وهناك آيات كثيرة تدل على صفة المحبة لله تعالى.

وهناك أمر آخر في القرآن يدل على محبة الله تعالى للعبد، وهو نفي محبة الله لمن فعل ما يغضبه، وحب الله تعالى لمن فعل ضد الفعل.

منها قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (البقرة: ١٩٠).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) ﴾ (البقرة: ٢٠٥).

وقوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (البقرة: ٢٧٦).

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢)﴾ (آل عمران: ٣٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء: ٣٦).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (النساء: ١٠٧).

الدليل من السنة:

أما أدلة السنة فكثيرة ولكن نكتفي ببعضها:

١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " **إِذَا أَحَبَّ الله الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ الله يُحِبُّ فُلانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ الله يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ** ". (١)

وفي هذا الحديث دلالة صريحة على صفة المحبة لله تعالى.

٢ ـ عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: " **لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلا يَفْتَحُ الله عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ**. قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا.فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ الله يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ الله ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ الله أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى

---

(١) البخاري (٢٩٧٠).

تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ". (١)

٣ ـ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا، فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ.. (٢)

٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال قال رسول الله ﷺ : للهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَهُوَ وَتْرٌ يُحِبُّ الْوَتْرَ. (٣)

٥ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ. قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ؛ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ. (٤)

الوجه الثالث: من الأسماء الدالة على المحبة؛ الودود.

فإن الله تعالى من أسمائه الحسنى: الودود، وهو يدل على كمال المحبة له سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ (هود: ٩٠).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ (البروج: ١٤).

قال ابن جرير: وقوله: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ يقول تعالى ذكره: وهو ذو المغفرة لمن تاب إليه من ذنوبه، وذو المحبة له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.قال ابن عباس: قوله: ﴿الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ يقول: الحبيب. (٥)

---

(١) البخاري (٣٨٨٨).

(٢) البخاري (٥٥٦٥).

(٣) البخاري (٥٩٣١).

(٤) مسلم (١٣١).

(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٤٦).

وقال القرطبي: (الودود) أي المحب لأوليائه. [١]

الوجه الرابع: ومن الصفات الدال على المحبة صفة الإرادة.

فإن الله تعالى موصوف بالإرادة، وهي صفة فعل، والله يريد الخير لعباده.

قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾ (البقرة: ١٨٥). وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النساء: ٢٦). وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ (النساء: ٢٧).وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ (النساء: ٢٨).

وإرادة الشيء تدل على محبته له.

الوجه الخامس: من الصفات الدالة على المحبة الفرح.

فإن الفرح بالشيء دلالة على حبه له. والفرح صفة من صفات الله تعالى الفعلية، والله تعالى يفرح بتوبة عبده.

عن عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ الله، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ". [٢]

الوجه السادس: الله سبحانه يأمر بالمحبة.

فقد حث الله تبارك وتعالى على الحب له وللمؤمنين في كثير من القرآن منها:

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴾ (البقرة: ١٦٥)

---

(١) تفسير القرطبي (١٩/ ٢٩٦).

(٢) البخاري (٥٨٣٣).

وفي هذه الآية حث المؤمنين على حب الله تعالى، ومثلها التحذير الآخر من حب شئ فوق حبه لله مع عدم المنع من حبها.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة: ٢٤)

ومن رحمته سبحانه وتعالى أن ألقى حب موسى في قلب آل فرعون

قال تعالى لأم موسى: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ (طه: ٣٩)

ومن رحمته أن حث المؤمنين على الإحسان حبا في مغفرة الله تعالى لهم فقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور: ٢٢).

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.[1]

ولم يمنع الله سبحانه وتعالى الحب الطبيعي للكافر نظير نصرته للحق كما قال لنبيه ﷺ في عمه أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص: ٥٦).

ولم يمنع الله سبحانه وتعالى حب الخير ولكن إذا شغل الإنسان عن ذكر الله فهو مذموم، قال تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾.

---

(١) البخاري (٤٤٧٣)، مسلم (٢٧٧٠).

الوجه السابع: النبي ﷺ يأمر بالمحبة.

في أحاديث كثيرة أمر النبي ﷺ بحب الله تعالى، وحبه، وحب المؤمنين، وحب الخير للناس، وحب الناس بعضهم لبعض، منها:

١ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ: "عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ ". [1]

٢ - النبي ﷺ يعلن حبه للأنصار:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَكَلَّمَهَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مَرَّتَيْنِ ". [2]

٣ - النبي ﷺ يعلن عن حبه لأسامة بن زيد:

عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ أُسَامَةَ فَقَالُوا فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ قُلْتُمْ فِي أُسَامَةَ، وَإِنَّهُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ. [3]

٣ - النبي ﷺ يعلن عن حب الله ورسوله لعلي بن أبي طالب:

عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: "لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا؟ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟. . . الحديث[4].

٤ - عدة الجنة حب الله ورسوله:

---

(١) البخاري (١٥).

(٢) البخاري (٣٥٠٢).

(٣) البخاري (٤١٠٨).

(٤) البخاري أيضا (٣٨٨٨).

عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ؟ قَالَ: وَيْلَكَ وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا إِلا أَنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ. قَالَ: إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، فَقُلْنَا: وَنَحْنُ كَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا فَمَرَّ غُلامٌ لِلْمُغِيرَةِ وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِي فَقَالَ: إِنْ أُخِّرَ هَذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ". (١)

٥ ـ الرسول يحث على حب الخير للناس:

عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ. (٢)

٦ ـ حث النبي ﷺ على حب الأنصار:

عن أنس ﷺ: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ. (٣)

٧ ـ ربط النبي ﷺ الإيمان بالحب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ: أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ(٤).

٨ ـ حب الجار من الإيمان:

عَنْ أَنَسٍ: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ، ـ أَوْ قَالَ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . (٥)

٩ ـ ظل الرحمن يُنال بالحب في الله:

---

(١) البخاري (٥٧٠١).

(٢) البخاري (١٢).

(٣) البخاري (١٦).

(٤) مسلم (٨١).

(٥) مسلم (٦٥).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ. (١)

الوجه الثامن: المحبة هي من أصول الإيمان القلبي.

لا شك أن الله سبحانه قد أمر عباده بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وركب فيهم الاختيار والحرية في فعل ذلك أو تركه. قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (النساء: ١٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء: ٦٩) والطاعة الاختيارية لا تكون إلا عن حب.

كما قال الشاعر: إن المحب لمن أحب مطيع، فالعبادة مبناها على فعل المأمور وترك المحظور، وفعل المأمور لا يكون إلا عن حب. وترك المحظور لا يكون إلا عن خوف.

قال ابن رجب: ومن كان همه طلب محبة الله ﷻ أعطاه الله فوق ما يريده من الدنيا تبعاً، قال بعض السلف: لما توفي داود ﷺ أرسل الله ﷻ إلى سليمان ﷺ: ألك حاجة تسألني إياها؟.

فقال سليمان: أسأل الله أن يجعل قلبي يحبه كما كان قلب أبي داود يحبه، وأن يجعل قلبي يخشاه كما كان قلب أبي داود يخشاه. فشكر الله له ذلك وأعطاه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده.

ومحبة الله تعالى على درجتين: إحداهما: واجبة، وهي المحبة التي توجب للعبد محبة ما يحبه الله من الواجبات، وكراهة ما يكرهه من المحرمات، فإن المحبة التامة تقتضي الموافقة لمن يحبه في محبة ما يحبه، وكراهة ما يكرهه خصوصاً فيما يحبه ويكرهه من المحب نفسه، فلا

---

(١) البخاري (٦٢٠).

تصح المحبة بدون فعل ما يحبه المحبوب وكراهة ما يكرهه المحبوب. وسئل بعض العارفين عن المحبة، فقال: الموافقة في جميع الأحوال. وأنشد:

ولو قلتَ لي: مُتْ مُتُّ سمعاً وطاع وقلتُ لداعي الموت: أهلاً ومرحبا

وأنشد بعضهم:

تعصى الإلهَ وتزعُمُ حبَّه هذا لعمري في القياسِ شنيعُ
لو كان حبُّك صادقاً لأطعته إن المحبَّ لمن يحبُّ مُطيعُ

ومتى أخل العبد ببعض الواجبات، أو ارتكب بعض المحرمات فمحبته لربه غير تامة، فالواجب عليه المبادرة بالتوبة، والاجتهاد في تكميل المحبة المفضية لفعل الواجبات كلها واجتناب المحرمات كلها، وهذا معنى قول النبي ﷺ: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ". فإن الإيمان الكامل يقتضي محبة ما يحبه الله، وكراهة ما يكرهه الله عز وجل والعمل بمقتضى ذلك، فلا يرتكب أحد شيئًا من المحرمات أو يخل بشيء من الواجبات إلا لتقديم هوى النفس المقتضي لارتكاب ذلك على محبة الله تعالى المقتضية لخلافه.

الدرجة الثانية من المحبة: درجة المقربين، وهي أن يمتلئ القلب بمحبة الله تعالى حتى توجب له محبة النوافل، والاجتهاد فيها، وكراهة المكروهات، والانكفاف عنها، والرضا بالأقضية والأقدار المؤلمة للنفوس لصدورها عن المحبوب، كما قال عامر بن قيس: أحببت الله حباً هوّن عليَّ كل مصيبة، ورضَّاني بكل بلية، فلا أبالي مع حبي إياه على ما أصبحت عليه ولا على ما أمسيت. وقال عمر بن عبد العزيز لما مات ولده الصالح: إن الله أحب قبضه، وإني أعوذ بالله أن يكون لي محبة في شيء من الأمور يخالف محبة الله. وكان يقول: إذا أصبحت فمالي سرور إلا في مواقع القضاء والقدر.

يا من يعز علينا أن نفارقهم وِجدَانُنا كلَّ شيءٍ بعدَكم عدمُ

إن كان سرَّكم ما قد بُليت به   فما لجرحٍ إذا أرضاكُمُ ألمُ[١]

الوجه التاسع: المحبة في كتابهم المقدس وفي تاريخهم.

أما المحبة في كتابهم المقدس فقد وردت على النحو التالي:

١ ـ الله محبة.

وردت في سفر أيوب في موضعين:

الموضع الأول: (ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة) (١يو ٤: ٨)

الموضع الثاني: (ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التي لله فينا الله محبة ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه)(١يو ٤: ١٦).

وعندما نتجه إلى الموضع الأول: (من لا يحب لا يعرف الله).

ونقول هذا قول فيه نظر: لأن المعرفة تختلف عن الحب، فليس كل ما يعرفه الإنسان يحبه، وإلا ما كانت هناك كراهية!!!

فكثير من الناس يعرفون الله تعالى، ومع ذلك تحمل قلوبهم الكراهية للمؤمنين والرسل، قال تعالى عن اليهود والنصارى في شأن النبي محمدﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٤٦). وكلمة (من لا يحب) عامة تشمل الحب الغريزي والحب الإيماني. فنجد أن الشيوعي والملحد والكافر فيهم غريزة الحب لكثير من الناس. وإيصال الخير لهم. ومع ذلك ليسوا بمؤمنين.

ولكن الإسلام لم يربط الحب بالمعرفة؛ وإنما بالإيمان، وهذا أبلغ في الوصف وأدق.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥)

وقول الرسول ﷺ: " ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا للهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ".

---

(١) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى.

ففي الآية والحديث ربط الإيمان بالحب، وليس ربط الحب بالمعرفة.

وأما الكلام عن الموضع الثاني فهو أشد من الأول:

فهم يقولون: (ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التي لله فينا، الله محبة، ومن يثبت في المحبة يثبت في الله، والله فيه) فقولهم (ومن يثبت في المحبة يثبت في الله، والله فيه) هذا دلالة على حلول الله في العبد، وهي عقيدة خبيثة درج عليها النصارى. وتدل على أن الله قد يوجد في جميع البشر ليس الأمر خاصًا بحلول اللاهوت في الناسوت كما صوروا ذلك مع المسيح عليه السلام؛ بل صار الأمر أعم من ذلك؛ فكل من يحب يحل الله فيه، فكل المحبين آلهة؛ وليس المسيح فقط.

كما أنهم يدعون أن المسيح هو ابن الله ثم يعودون ويقولون (طوبى لصانعي السلام.فإنهم أبناء الله يدعون) وكل هذا تناقض في العبارات دلالة على تحريفهم لكتابهم كما هو مبين في موضعه.

وفي موضع آخر من سفر يوحنا (انظروا أية محبة أعطانا الأب حتى ندعى أولاد الله من أجل هذا لا يعرفنا العالم لأنه لا يعرفه) (١يو ٣: ١)

٢ـ محبة الناس مخالفة لمحبة الله.

فها هم يدعون إلى ترك محبة الناس

فقد جاء في يوحنا ١: (لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الأب) (١يو ٢: ١٥). وهي دعوة صريحة للكراهية وحب النفس.

٣ـ محبة المال أصل لكل شر.

والمال هو عصب الحياة، وحبه أمر فطري غريزي لا ينكره أحد من البشر. ولكنهم هنا يناقضون الفطرة والغريزة في ذلك فقد جاء في رسالة بولس الأولى: (إن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة) (١تي ٦: ١٠).

وأما في الإسلام فقد قال الله تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الكهف: ٤٦).

ثم حذر أن يلهيه المال عن طاعة الله تعالى فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ (المنافقون: ٩).

٣ ـ وصايا في كتاب لوقا يعمل النصارى بعكسها تمامًا جاء في إنجيل لوقا الإصحاح السادس: ٢٧«لكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، ٢٨بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ. ٢٩مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الآخَرَ أيضًا، وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلاَ تَمْنَعْهُ ثَوْبَكَ أيضًا. ٣٠وَكُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَخَذَ الَّذِي لَكَ فَلاَ تُطَالِبْهُ. ٣١وَكَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا أَنْتُمْ أيضًا بِهِمْ هكَذَا. ٣٢وَإِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ فَضْل لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أيضًا يُحِبُّونَ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ. ٣٣وَإِذَا أَحْسَنْتُمْ إِلَى الَّذِينَ يُحْسِنُونَ إِلَيْكُمْ، فَأَيُّ فَضْل لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أيضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا. ٣٤وَإِنْ أَقْرَضْتُمُ الَّذِينَ تَرْجُونَ أَنْ تَسْتَرِدُّوا مِنْهُمْ، فَأَيُّ فَضْل لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أيضًا يُقْرِضُونَ الْخُطَاةَ لِكَيْ يَسْتَرِدُّوا مِنْهُمُ الْمِثْلَ. ٣٥بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لاَ تَرْجُونَ شَيْئًا، فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيمًا وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ، فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالأَشْرَارِ. ٣٦فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أيضًا رَحِيمٌ. ٣٧«وَلاَ تَدِينُوا فَلاَ تُدَانُوا. لاَ تَقْضُوا عَلَى أَحَدٍ فَلاَ يُقْضَى عَلَيْكُمْ. اِغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ».

ولننظر في تاريخ النصارى على مر العصور ماذا فعلوا بأعدائهم حتى بني جلدتهم؟، وكيف أن الحرب العالمية الأولى والثانية قد راح ضحيتها أكثر من سبعين مليون نسمة دون فائدة تعود لأحد الأطراف.

ولننظر إلى الحرب الصليبية وكم قتلوا من الأطفال والنساء والشيوخ والعجزة والشباب؟!

ولننظر إلى الحركات الاستعمارية في الأمريكتين، كم قتلوا من السكان الأصليين؟ كما جاء في بعض الإحصائيات أكثر من مليار، وماذا فعلوا في أفريقيا والهند والدول التي استعمروها؟ نهبوا الأموال وقتلوا الناس واستعبدوهم.

وماذا فعلوا في البوسنة والهرسك؟، وماذا فعلوا في الشيشان ولا يزالوا يفعلون؟، وماذا فعل الأمريكان وحلفائهم في أفغانستان والعراق؟

ولو نظرنا إلى حركات التشويه والسب في نبي الإسلام والله سبحانه وتعالى على صفحات الانترنت، وفي الفضائيات والصحف وغيرها من وسائل الإعلام لرأينا أن كل هذا يناقض ما جاء في إنجيل لوقا.

وهذا إذا دل فإنما يدل على أن هؤلاء لا دين لهم صحيح يرتكزون عليه؛ إنما هو الهوى والتحريف بحسب هواهم(١).

* * *

(١) راجع شبهة (انتشار الإسلام بالسيف) في هذه الموسوعة.

٨ـ شبهة: أن الله خلق آدم على صورته.

نص الشبهة :

في قوله ﷺ: " خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ "، استشكل البعض؛ حيث فهموا أن القول بإعادة الضمير على الله تعالى في هذا الحديث يلزم منه التشبيه، تشبيه صورة آدم بصورة الله تعالى.

والرد من وجوه:

الوجه الأول: الأحاديث الواردة في هذا الباب، وبيان درجتها.

الوجه الثاني: أقوال أهل العلم في الأحاديث.

الوجه الثالث: ترجيح القول الأول (أن الضمير يعود على الله، والصورة من باب إضافة الصفة إلى الموصوف)، ولإثبات الصورة لله تعالى، والرد على الأقوال الأخرى.

الوجه الرابع: المعنى الصحيح للحديث.

الوجه الخامس: وجوب الإيمان بظاهر الكتاب والسنة، وأنه حق.

الوجه السادس: وماذا عن هذا الوصف الذي ذكره الكتاب المقدس؟.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: الأحاديث الواردة في هذا الباب.

١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ، قَالَ: اذْهَبْ؛ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الْآنَ[1].

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْهَ؛ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ"[2].

---

(١) البخاري (٦٢٢٧)، مسلم (٢٨٤١)، مسند أحمد (٢/ ٣١٥، ٣٢٣)، صحيح ابن حبان (٦١٦٢)، مصنف عبد الرزاق (١٩٤٣٥)، مسند الشاميين وأخرجه إلى قوله (ستون ذراعًا) فقط (٣٣٥٩).

(٢) مسلم (٢٦١٢)، مسند أحمد (٢/ ٥١٩، ٤٦٣، ٢٤٤)، صحيح ابن حبان (٥٧١٠، ٥٦٠٥)، المعجم الأوسط (٧٨٥٠) بلفظ: على صورة وجهه، مصنف عبد الرزاق (١٧٩٥٠).

٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَجَنَّبْ الْوَجْهَ، وَلَا تَقُلْ قَبَّحَ الله وَجْهَكَ، وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ؛ فَإِنَّ الله تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ"[(١)].

٣- عَنِ ابْنِ عُمَر ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: لا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ؛ فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ تَعَالَى[(٢)].

---

(١) حسن. أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٥١، ٤٣٤)، البخاري في الأدب المفرد (١٧٣)، مصنف عبد الرزاق (١٧٩٥٢)، مسند عبد بن حميد (٩٠٠)، مسند الحميدي (١٢٠)، ابن أبي عاصم في السنة (٤٢٠)، واللالكائي (٧١٥)، التوحيد لابن منده (٨١)، التوحيد لابن خزيمة (٣٨)، الصفات للدارقطني (٤٦)، كلهم من طريق محمد بن عجلان، عن سعيد، عن أبي هريرة.

قال ابن منده: هذا إسناد مشهور متصل صريح، وابن عجلان أخرج له مسلم، والنسائي، والجماعة إلا البخاري، وقال يحيى القطان عن ابن عجلان: كان سعيد المقبري يحدث عن أبي هريرة وعن أبيه عن أبي هريرة، وعن رجل عن أبي هريرة، فاختُلف عليه فجعلها كلها عن أبي هريرة.

ولكن قال ابن حبان: قال ليس هذا بوهن يوهن الإنسان به؛ لأن الصحيفة كلها في نفسها صحيحة، وربما قال ابن عجلان عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة فهذا مما حمل عنه قديما قبل اختلاط صحيفته، فلا يجب الاحتجاج إلا بما يروي عنه الثقات.

وعلى كلام ابن حبان، فقد روى هذا الحديث عنه يحيى بن سعيد القطان وهو ثقة متقن حافظ إمام قدوة، ورواه عنه أيضًا ابن عيينة، قال الدارقطني: اختلف فيه على المقبري، فرواه محمد بن موسى الفطري مديني صالح عن المقبري عن أبيه عن أبي هريرة. وخالفه محمد بن عجلان، وعبد الله بن سعيد، وأسامة بن زيد الليثي، فرووه عن المقبري عن أبي هريرة، ولم يقولوا: عن أبيه، والأشبه بالصواب: قول من لم يقل: عن أبيه (العلل ١٠/ ٣٧٢).

قال ابن حجر: محمد بن عجلان صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة، وقال الذهبي: وثقه أحمد، وابن معين. وقد حسن الحديث الألباني في ظلال الجنة (٥١٩)، والسلسلة الصحيحة (٢/ ٣٦١).

(٢) مرسل. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٣٥٨٠)، الحارث ابن أبي أسامة في مسنده (زوائد الهيثمي٨٧٢)، ابن أبي عاصم في السنة (٥١٧)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٩٨)، ابن خزيمة في التوحيد (٤١)، الآجري في الشريعة (٧٢٥)، الدارقطني في الصفات (٤٩، ٤٨)، البيهقي في الصفات (٦٤٠، ٦٢٧). كلهم من طريق الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عمر، ورواه عن الأعمش جرير ابن عبد الحميد، ومحاضر وخالفهم ابن خزيمة في التوحيد (٤٢)، فأخرجه مرسلاً من طريق محمد بن المثنى عن ابن مهدي عن الثوري عن حبيب عن عطاء.

الوجه الثاني: أقوال أهل العلم.

اختلف أهل العلم -رحمهم الله تعالى- في هذه الأحاديث وما في معناها على أقوال كثيرة، واختلفوا على أي شئ يعود الضمير في قولهﷺ(خلق الله آدم على صورته)، ويمكن أن تُقسم أقوالهم في هذا الحديث إلى خمسة أقوال:

القول الأول: أن الضمير يعود على الله ﷻ من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

القول الثاني: أن الضمير يعود على الله ﷻ من باب إضافة الخالق إلى المخلوق.

القول الثالث: أن الضمير يعود على المضروب.

القول الرابع: أن الضمير يعود على آدم.

القول الخامس: إنكار التحدث بهذا الحديث.

وفيما يلي بيان لهذه الأقوال، وترجيح الصحيح منها:

القول الأول: أن الضمير يعود على الله ﷻ من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

وقد ضعف ابن خزيمة الإسناد المتصل: فقال ابن خزيمة: فإن في الخبر عللاً ثلاثًا: إحداها: أن الثوري قد خالف الأعمش في إسناده فأرسله الثوري و لم يقل: " عن ابن عمر. و الثانية: أن الأعمش مدلس لم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي ثابت. و الثالثة: أن حبيب بن أبي ثابت أيضا مدلس لم يعلم أنه سمعه من عطاء. (التوحيد لابن خزيمة١/ ٨٦)

قال الألباني: قلت: و العلة الرابعة: هي جرير بن عبد الحميد فإنه و إن كان ثقة كما تقدم فقد ذكر الذهبي في ترجمته من " الميزان " أن البيهقي ذكر في " سننه " في ثلاثين حديثًا لجرير بن عبد الحميد قال: " قد نسب في آخر عمره إلى سوء الحفظ ". (السلسلة الضعيفة٣/ ٣١٧)

فمن ذلك تكون لفظة (على صورة الرحمن) شاذة، والثابت (على صورته)، وعلى كلٍ فالصورة ثابتة لله تبارك وتعالى كما سنبين إن شاء الله تعالى.

وسُئل الدارقطني عن حديث عطاء بن رباح عن ابن عمر، قال رسول اللهﷺ: (لا تقبحوا الوجه، فإن ابن آدم خُلق على صورة الرحمن)، فقال: يرويه حبيب بن أبي ثابت، واختُلف عنه: فرواه جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن حبيب، عن عطاء، عن ابن عمر، عن النبيﷺ، وغيره يرويه عن الأعمش، عن حبيب، عن عطاء مرسلاً، عن النبيﷺ، وكذلك رواه الثوري عن حبيب عن عطاء مرسلاً، والمرسل أصح (علل الدارقطني١٣/ ١٨٨).

وعلى هذا جمهور أهل السنة؛ بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو ممن انتصر لهذا القول وأطال الكلام جدًا على هذا الحديث، قال: لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير في الحديث عائد إلى الله تعالى، فإنه مستفيض من طرق متعددة، عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها تدل على ذلك[١].

وممن أثبت أن الصورة لله تعالى بهذا الحديث: إسحاق بن راهوية، والإمام أحمد. فعن إسحاق الكوسج أنه قال: قلت لأحمد(لا تقبحوا الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته)[٢]، أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد: صحيح.

وقال ابن راهوية: صحيح ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي[٣].

وسُئل الإمام أحمد فقيل له: يا أبا عبد الله الحديث الذي روي عن النبيﷺ (أن الله خلق آدم على صورته) على صورة آدم؟ فقال: فأين الذي يروي عن النبي (أن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن)[٤].

وأي صورة كانت لآدم قبل أن يُخلق؟ [٥].

---

(١) بيان تلبيس الجهمية تحقيق د. عبد الرحمن يحيى (٢/ ٣٩٦).

(٢) مسائل الإمام أحمد وإسحاق للكوسج (٢/ ٥٣٥)، مسند أحمد بهذا اللفظ عن ابن عمر، ابن أبي عاصم في السنة (٥١٨)، الدارقطني في الصفات (٤٩)، وحسنه الألباني في ظلال الجنة (٥١٧).

(٣) الشريعة للآجري (٣/ ١١٢٨: ١١٢٧)، ابن بطة في الإبانة (٦/ ٩٦).

(٤) تقدم تخريجه، وهو ضعيف.

(٥) إبطال التأويلات (١/ ٩٠: ٨٨).

تنبيه: رُوي عن الإمام أحمد أنه قال في معنى الحديث: صور آدم قبل خلقه ثم خلقه على تلك الصورة، فأما أن يكون الله خلق آدم على صورته فلا، وقد قال الله (ليس كمثله شيء)، ولا نقول: إن الله يشبهه شيء من خلقه، ولا يخفى على الناس أن الله خلق آدم على صورة آدم. ولكن هذه الرواية باطلة لا تصح عن الإمام أحمد؛ إذ أن جميع الروايات عنه في هذا الباب ترد هذه الرواية وتبطلها، كيف وقد جعل الإمام أحمد هذا التأويل من تأويلات الجهمية، وقد نقل هذه الرواية أبو يعلى الفراء في إبطال التأويلات (١/ ٨٨ ـ ٩٠)، ثم قال: قال أبو طالب المكي: هذا توهمٌ عن أحمد، إنما هذا قول أبي ثور، فذكر ذلك لأحمد فأنكر عليه، وقال: ويله، وأي

وصرح الإمام أحمد بأن القول: بإعادة الضمير على آدم أو على الرجل المضروب قول الجهمية، فقال: من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي، وأي صورة لآدم قبل أن يخلقه؟[١].

وقال عبد الله بن الإمام أحمد: قال رجل لأبي: إنّ فلاناً يقول في حديث رسول الله ﷺ: (إنّ الله خلـق آدم على صورته) فقال: على صورة الرجل، فقال أبي: كذب، هذا قول الجهمية، وأي فائدة في هذا[٢].

وممن قال بهذا القول أيضًا الآجري رحمه الله، فقد عقد بابًا بعنوان (الإيمان بأن الله خلق آدم على صورته بلا كيف)، ثم ساق هذا الحديث بطرق متعددة، ثم قال: هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولا يقال فيها كيف، ولم؛ بل تستقبل بالتسليم والتصديق وترك النظر[٣].

وقال به أيضًا ابن قتيبة، وأبويعلى الفراء، وأبو إسماعيل الهروي، فقد عقد بابًا بعنوان: (إثبات الصورة لله ﷻ)[٤]. ثم ساق تحته حديث أبي هريرة(خلق الله آدم على صورته).

وكذا قوام السنة إسماعيل التيمي الأصبهاني[٥]، والشيخ أبو بطين[٦]، وعبد العزيز بن باز[١]، ومحمد العثيمين[٢] -عليهم رحمة الله -.

صورة كانت لآدم حتى خلقه عليها؟ يقول: إن الله خلق على مثال؟ ويله، فكيف يصنع بالحديث الآخر: أن الله خلق آدم على صورة الرحمن. وذكر هذه الرواية الذهبي في (الميزان ١/ ٦٠٢ـ ٦٠٣)، ووصف الراوي لها بأنه أتى بشيء منكر.

(١) الإبانة لابن بطة (١٩٨).

(٢) إبطال التأويلات (١/ ٨٨).

(٣) الشريعة (١/ ٣١٩).

(٤) الأربعين في دلائل التوحيد (١/ ٦٣).

(٥) الحجة في بيان المحجة (١/ ٣١٠ـ ٣١١).

(٦) الدرر السنية (٣/ ٢٦٠ـ ٢٦٤).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

١- ظاهر النصوص السابقة والتي فيها قولهﷺ (خلق الله آدم على صورته).

والأصل حمل اللفظ على ظاهره وذلك بإرجاع الضمير إلى الله تعالى، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله عند هذا الحديث: وإذا ثبتت صحته فغير ممتنع الأخذ بظاهره من غير تفسير ولا تأويل(٣).

وسُئل رحمه الله عنه فقال: لا نفسره، كما جاء الحديث(٤).

قال القاضي أبو يعلى تعليقًا على هذا الكلام: فقد صرح بالقول بالأخذ بظاهره والكلام فيه في فصلين: أحدهما: جواز إطلاق تسمية الصورة عليه سبحانه، والثاني: في إطلاق القول بأنه خلق آدم على صورته وأن الهاء راجعة على الرحمن(٥).

وسُئل الإمام أحمد أيضًا فقال: نقول كما جاء الحديث(٦).

٢- حديث ابْنِ عُمَر قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: لا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ تَعَالَى. فقالوا: هذا نص صحيح صريح غير قابل للتأويل(٧).

القول الثاني: أن الضمير يعود على الله ﷻ من باب إضافة المخلوق إلى خالقه.

كما في قوله (ناقة الله)، وكما يقال في الكعبة (بيت الله) وهكذا، وبهذا جزم ابن خزيمة بناءً على افتراض صحة حديث (على صورة الرحمن) فقال بعد ما أعلَّ الحديث بما تقدم: فإن صح هذا الخبر مسنداً بأن يكون الأعمش قد سمعه من حبيب بن أبي ثابت، وحبيب

(١) مجموع الفتاوى ومقالات متنوعة له (٤/ ٢٢٦).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (١/ ١٠٨ـ ١١٠).

(٣) إبطال التأويلات (١/ ٧٩).

(٤) المصدر السابق (١/ ٧٩ ـ ٨٠).

(٥) المصدر السابق (١/ ٨١).

(٦) الإبانة (١٩٦).

(٧) عقيدة أهل الإيمان (٤٠)، وقد قدمنا أن الصحيح في الخبر أنه مرسل.

قد سمعه من عطاء بن أبي رباح، وصح أنه عن ابن عمر على ما رواه الأعمش، فمعنى هذا الخبر عندنا أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر إنما هو من إضافة الخلق إليه؛ لأن الخلق يضاف إلى الرحمن؛ إذ الله خلقه، وكذلك الصورة تضاف إلى الرحمن؛ لأن الله صورها، ألم تسمع قوله ﷻ: ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾ (لقمان: ١١)، فأضاف الله الخلق إلى نفسه؛ إذ الله تولى خلقه إلى آخر كلامه، وكذاك قولهﷻ: ﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ (الأعراف: ٧٣)، فأضاف الله الناقة إلى نفسه[١].

وقال النووي: وَقَالَتْ طَائِفَة: يَعُود إِلَى الله تَعَالَى، وَيَكُون الْمُرَادُ إِضَافَة تَشْرِيف وَاخْتِصَاص كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَاقَة الله﴾ وَكَمَا يُقَال فِي الْكَعْبَة: بَيْت الله وَنَظَائِره. وَالله أَعْلَم[٢].

القول الثالث: أن الضمير في قوله (على صورته) عائد على المضروب:

قال النووي رحمه الله: وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي تَأْوِيله فَقَالَتْ طَائِفَة: الضَّمِير فِي (صُورَته) عَائِد عَلَى الْأَخ الْمَضْرُوب، وَهَذَا ظَاهِر رِوَايَة مُسْلِم[٣].

وقال ابن حجر رحمه الله: وَاخْتُلِفَ فِي الضَّمِير عَلَى مَنْ يَعُود؟ فَالْأَكْثَر عَلَى أَنَّهُ يَعُودُ عَلَى الْمَضْرُوبِ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ الْأَمْر بِإِكْرَامِ وَجْهه، وَلَوْلَا أَنَّ الْمُرَاد التَّعْلِيل بِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِهَذِهِ الْجُمْلَة اِرْتِبَاط بِمَا قَبْلهَا[٤].

ولعل مراد الحافظ بقوله(فالأكثر. . .)، أي: أكثر أهل التأويل كابن حبان والبيهقي والقاضي عياض والقرطبي وغيرهم[٥].

وقال أبو حاتم: يريد به صورة المضروب، لأن الضارب إذا ضرب وجه أخيه المسلم

(١) التوحيد (١/ ٨٧ : ٩١).

(٢) شرح النووي (٨/ ٤١٣).

(٣) شرح النووي (٨/ ٤١٣).

(٤) فتح الباري (٥/ ٢٠٥).

(٥) أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين (١١٥).

ضرب وجهًا خلق الله آدم على صورته[١].

وهذا القول لا يُعرف عند أحد من أهل السنة سوى ابن خزيمة وابن منده.

قال ابن خزيمة: تَوَهَّمَ بَعْضُ مَنْ لَمْ يَتَحَرَّ الْعِلْمَ أَنَّ قَوْلَهُ: «عَلَى صُورَتِهِ» يُرِيدُ صُورَةَ الرَّحْمَنِ عَزَّ رَبُّنَا وَجَلَّ عَنْ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَعْنَى الْخَبَرِ، بَلْ مَعْنَى قَوْلِهِ: «خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» ، الْهَاءُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كِنَايَةٌ عَنِ اسْمِ الْمَضْرُوبِ، وَالْمَشْتُومِ، أَرَادَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ هَذَا الْمَضْرُوبِ، الَّذِي أَمَرَ الضَّارِبَ بِاجْتِنَابِ وَجْهِهِ بِالضَّرْبِ، وَالَّذِي قَبَّحَ وَجْهَهَ، فَزَجَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ: «وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ» ، لِأَنَّ وَجْهَ آدَمَ شَبِيهُ وُجُوهِ بَنِيهِ، فَإِذَا قَالَ الشَّاتِمُ لِبَعْضِ بَنِي آدَمَ: قَبَّحَ اللهُ وَجْهَكَ وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ، كَانَ مُقَبِّحًا وَجْهَ آدَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ، الَّذِي وُجُوهُ بَنِيهِ شَبِيهَةٌ بِوَجْهِ أَبِيهِمْ، فَتَفَهَّمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ مَعْنَى الْخَبَرِ، لَا تَغْلَطُوا وَلَا تَغَالَطُوا فَتَضِلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَتَحْمِلُوا عَلَى الْقَوْلِ بِالتَّشْبِيهِ الَّذِي هُوَ ضَلَالٌ [٢].

وقال ابن بطال: وذهب طائفة إلى أن الحديث إنما خرج على سبب، وذلك: « أن النبي ﷺ مر برجل يضرب ابنه أو عبده فى وجهه لطخًا ويقول: قبح الله وجهك، ووجه من أشبه وجهك فقال ﷺ، وذكره[٣].

وقال البدر العيني: واختلف في مرجع هذا الضمير، فعند الأكثرين يرجع إلى المضروب وهذا حسن[٤].

واستدل من قال بأن الضمير يعود على المضروب بما يلي:

---

(١) صحيح ابن حبان (١٢/ ٤١٩).

(٢) كتاب التوحيد (١ / ٨٤) .

(٣) شرح ابن بطال (٣/ ٧٠).

(٤) عمدة القاري (١٣/ ١١٦) باب إذا ضُرب العبد.

١- التعليل في قولهﷺ: (إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته)، فقوله(فإن الله خلق آدم على صورته) بيان لسبب النهي عن ضرب الوجه، وهو أن آدمعليه السلام خُلق على صورة المضروب، ولذلك عنون ابن حبان على هذا الحديث بقول (ذكر العلة التي من أجلها زُجر عن هذا الفعل)[١].

وقال البيهقي: وإنما أرادوا- والله أعلم - أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب[٢].

٢-حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهقَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: "إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَجَنَّبِ الْوَجْهَ، وَلَا تَقُلْ قَبَّحَ الله وَجْهَكَ وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ؛ فَإِنَّ الله تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ "[٣].

قال ابن حجر: وهو ظاهر في عود الضمير على المقول له ذلك[٤].

ونقد استدلال ابن خزيمة بهذا الحديث.

٣- أن حمل الحديث على ظاهره يقتضي التشبيه، قال ابن خزيمة عن هذه الأحاديث: تأولها بعض من لم يتحر العلم على غير تأويلها، ففتن عالمًا من أهل الجهل والغباوة، حملهم الجهل بمعنى الخبر على القول بالتشبيه، جل وعلا عن أن يكون وجه خلق من خلقه مثل وجهه، الذي وصفه الله بالجلال والإكرام ونفي الهلاك عنه[٥].

قال ابن بطال: إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته ، فزجره النبيﷺ عن ذلك؛ لأنه قد سب الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين وخص آدم بالذكر؛ لأنه هو الذى ابتدئت خِلقة وجهه على الحدِّ الذى تخلَّق عليها سائر ولده، فالهاء على هذا الوجه كناية عن المضروب فى وجهه[٦].

---

(١) صحيح ابن حبان (١٢/ ٤١٩).

(٢) الأسماء والصفات (٢/ ٦٣).

(٣) مسند أحمد (٢/ ٢٥١)، الأدب المفرد (١٧٣) وتقدم تخريجه، وحسنه الألباني في ظلال الجنة (٥١٩).

(٤) فتح الباري (٥/ ٢٠٥).

(٥) التوحيد (١/ ٨١)، انظر: أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين (١١٧، ١١٨).

(٦) شرح ابن بطال (٩ / ٧).

وقال ابن قتيبة: وزاد قوم في الحديث أنه ﷺ مر برجل يضرب وجه رجل آخر فقال: لا تضربه؛ فإن الله تعالى خلق آدم عليه السلام على صورته أي على صورة المضروب[1].

القول الرابع: أن الضمير يعود على آدم نفسه:

قال النووي في قوله (على صورته): هَذِهِ الرِّوَايَة ظَاهِرَة فِي أَنَّ الضَّمِير فِي (صُورَته) عَائِد إِلَى آدَم، وَأَنَّ الْمُرَاد أَنَّهُ خُلِقَ فِي أَوَّل نَشْأَته عَلَى صُورَته الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا فِي الْأَرْض، وَتُوُفِّيَ عَلَيْهَا، وَهِيَ طُوله سِتُّونَ ذِرَاعًا، وَلَمْ يَنْتَقِل أَطْوَارًا كَذُرِّيَّتِهِ، وَكَانَتْ صُورَته فِي الْجَنَّة هِيَ صُورَته فِي الْأَرْض لَمْ تَتَغَيَّر[2].

وقال ابن حجر: وَاخْتُلِفَ إِلَى مَاذَا يَعُود الضَّمِير؟ فَقِيلَ: إِلَى آدَم، أَيْ خَلَقَهُ عَلَى صورَته الَّتِي اِسْتَمَرَّ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ أُهْبِطَ وَإِلَى أَنْ مَاتَ؛ دَفْعًا لِتَوَهُّمِ مَنْ يَظُنّ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي الْجَنَّة كَانَ عَلَى صِفَة أُخْرَى[3].

وقال في قوله(سِتُّونَ ذِرَاعًا): وَهَذِهِ الرِّوَايَة تُؤَيِّد قَوْل مَنْ قَالَ إِنَّ الضَّمِير لِآدَم، وَالْمَعْنَى أَنَّ الله تَعَالَى أَوْجَدَهُ عَلَى الْهَيْئَة الَّتِي خَلَقَهُ عَلَيْهَا لَمْ يَنْتَقِل فِي النَّشْأَة أَحْوَالًا، وَلَا تَرَدَّدَ فِي الْأَرْحَام أَطْوَارًا كَذُرِّيَّتِهِ[4].

وقال ابن منده: اختلف أهل التأويل في معنى هذا الحديث، وتكلموا على ضروب شتى، والأحسن أن الله تعالى خلق آدم على صورته، معناه: لم يخلقه طفلاً ثم صبياً ثم كهلاً ثم شيخاً، هو الأصح منها، وإنما أراد النبي ﷺ بهذا الكلام أن الله ﷻ خلق بني آدم على صورة آدم عليه السلام فإذا شتم أحد من ولده ومن يشبه وجهه فقد شتم آدم عليه السلام، فنهى عن ذلك[5].

---

(١) تأويل مختلف الحديث (١/ ٦٥).

(٢) شرح النووي (٩/ ١٩٥).

(٣) فتح الباري (١١/ ٥).

(٤) فتح الباري (٦/ ٤٠٨).

(٥) التوحيد لابن منده (١/ ١٠٥ـ ١٠٦).

قال ابن بطال: قال ابن فورك: فذهب طائفة إلى أن الهاء من « صورته » راجعة إلى آدم عليه السلام، وأفادنا بذلك عليه السلام إبطال قول الدهرية أنه لم يكن قط إنسان إلا من نطفة، ولا نطفة إلا من إنسان فيما مضى ويأتي، وليس لذلك أول ولا آخر[١].

قال المناوي في فيض القدير: أي على صورة آدم التي كان عليها من مبدأ فطرته إلى موته لم تتفاوت قامته، ولم تتغير هيئته بخلاف بنيه[٢].

قال الكلاباذي: ومعنى قوله: خلق الله آدم على صورته التي كان عليها يوم قبض أي: لم يكن علقة، ثم مضغة، ثم عظما، ثم مكسوا لحما؛ بل خلق على الصورة التي كان بها[٣].

وقال العيني: قوله "على صورته" أي: على صورة آدم؛ لأنه أقرب أي خلقه في أول الأمر بشرًا سويًا كامل الخلقة طويلًا ستين ذراعًا كما هو المشاهد بخلاف غيره[٤].

وممن قال بذلك أبو ثور، وابن ثور، وابن خزيمة، والخطابي، وأبو الشيخ الأصبهاني، وابن منده، والبيهقي، فقد نقل قول الخطابي وأقره عليه[٥]، والقاضي عياض[٦]، والقرطبي[٧].

وعزاه ابن قتيبة إلى أهل الكلام[٨]، وهو كما قال[٩]؛ فإن هذا القول لا يُعرف لأحد من أهل السنة غير أبي ثور، وابن خزيمة، وأبي الشيخ، وابن منده رحمهم الله.

قال أبو ثور: إنما هو على صورة آدم ليس هو على صورة الرحمن[١].

---

(١) شرح ابن بطال (٩ / ٦).

(٢) فيض القدير (٣/ ٥٩٣).

(٣) بحر الفوائد للكلاباذي (١/ ٩٧).

(٤) عمدة القاري (٢٢/ ٢٢٩).

(٥) الأسماء والصفات (٢/ ٦١).

(٦) إكمال المعلم (٨/ ٣٧٤).

(٧) المفهم (٧/ ١٨٣).

(٨) تأويل مختلف الحديث (١/ ٦٥).

(٩) انظر مثلاً: أساس التقديس في علم الكلام للرازي (٧١).

وقال ابن خزيمة: فصورة آدم ستون ذراعاً، التي أخبر النبي ﷺأن آدم خُلق عليها، لا على ما توهم بعض من لم يتحر العلم، فظن أن قوله (على صورته): صورة الرحمن، صفة من صفات ذاته، جل وعلا عن أن يوصف بالموتان والأبشار، قد نزه الله نفسه وقدس عن صفات المخلوقين، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)[٢].

وقال الخطابي: الهاء كناية عن اسمين ظاهرين فلا يصح أن يضاف إلى الله ﷻ لقيام الدليل على أنه ليس بذي صورة سبحانه﴿ليس كمثله شئ﴾، فكان مرجعها إلى آدم ﵇ فالمعنى أن ذرية آدم إنما خُلقوا أطوارًا كانوا في مبدأ الخلقة نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم صاروا صور أجنة إلى أن تتم مدة الحمل فيولدون أطفالا، وينشؤون صغارًا إلى أن يكبروا فتطول أجسامهم، يقول: إن آدم لم يكن خلقه على هذه الصفة، لكنه أول ما تناولته الخلقة وجد خلقًا تامًا طوله ستون ذراعًا[٣].

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

١ – حديث: (خلق الله آدم على صورته، طوله. . .).

قال القاضي عياض: قوله هنا (طوله ستون ذراعًا) يبين الإشكال ويزيح التشابه ويوضح أن الضمير راجع إلى آدم نفسه[٤].

وقال ابن حجر: بعد ذكره لهذا الحديث: وَهَذِهِ الرِّوَايَة تُؤَيِّد قَوْل مَنْ قَالَ: إِنَّ الضَّمِير لِآدَم، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الله تَعَالَى أَوْجَدَهُ عَلَى الْهَيْئَة الَّتِي خَلَقَهُ عَلَيْهَا لَمْ يَنْتَقِل فِي النَّشْأَة أَحْوَالًا[٥].

---

(١) طبقات الحنابلة (٢/ ٨٩، ٩٠).

(٢) التوحيد (١/ ٩٤).

(٣) أعلام الحديث (٣/ ٢٢٢٧).

(٤) إكمال المعلم (٨/ ٣٧٤)، وانظر التوحيد لابن خزيمة (١/ ٩٣: ٩٤).

(٥) فتح الباري (٦/ ٤٠٩).

٢- أن حمل هذا الحديث على ظاهره يقتضي التشبيه، فالحامل لهم على هذا التأويل هو الفرار من التشبيه[١].

الوجه الثالث: إثبات الصورة لله تبارك وتعالى، وترجيح القول الأول، والرد على الأقوال الأخرى.

مما لا ريب فيه أن الصورة ثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وأن الضمير في قوله: (على صورته) عائد إلى الله تعالى، وإضافة الصورة إليه من باب إضافة الصفة إلى الموصوف على ما جاء في القول الأول، ولا يجوز تأويل الحديث وصرفه عن ظاهره لمجرد توهم التشبيه والتمثيل، فإن هذا شأن أهل البدع.

أما أهل السنة فإنهم يؤمنون بما صح من أحاديث الصفات كلها، ويجرونها على ظاهرها على ما يليق بجلال الله وعظمته مع نفي المماثلة على حد قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)[٢].

قال ابن تيمية: هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير في الحديث عائد إلى الله تعالى، فإنه مستفيض من طرق متعددة، عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها تدل على ذلك. . . ولكن لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة جعل طائفة الضمير فيه عائدا إلى غير الله تعالى، حتى نقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسنة في عامة أمورهم، كأبي ثور، وابن خزيمة، وأبي الشيخ الأصفهاني، وغيرهم، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة[٣].

قال ابن قتيبة: والذي عندي ـ والله تعالى أعلم ـ أن الصورة ليست أعجب من اليدين والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من

---

(١) أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين (١٢١).

(٢) المصدر السابق (١٣٧).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣٩٦، ٣٩٩).

هذه؛ لأنها لم تأت في القرآن. ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد[١].

وقال القاضي أبو يعلى: والوجه فيه: أنه ليس في حمله على ظاهره، ما يزيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه؛ لأننا نطلق تسمية الصورة عليه، لا كالصور، كما أطلقنا تسمية: ذات، ونفس، لا كالذوات والنفوس[٢].

وقد جاءت عدة أحاديث صحيحة في إثبات الصورة لله تعالى غير ما تقدم، ومن ذلك ما يلي:

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: قَالَ أُنَاسٌ يَا رَسولَ الله هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسولَ الله. قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسولَ الله. قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ. يَجْمَعُ الله النَّاسَ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شيئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمْ الله فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِالله مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمْ الله فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ[٣].

قال ابن حجر: الْمَعْنَى: يَأْتِيهِمْ الله بِصُورَةٍ - أَيْ بِصِفَةٍ - تَظْهَر لَهُمْ مِنْ الصُّوَر الْمَخْلُوقَة الَّتِي لَا تُشْبِهُ صِفَةَ الْإِلَه لِيَخْتَبِرَهُمْ بِذَلِكَ، فَإِذَا قَالَ لَهُمْ هَذَا الْمَلَك: أَنَا رَبّكُمْ وَرَأَوْا عَلَيْهِ مِنْ عَلَامَة الْمَخْلُوقِينَ مَا يَعْلَمُونَ بِهِ أَنَّهُ لَيْسَ رَبّهمْ اِسْتَعَاذُوا مِنْهُ لِذَلِكَ[٤].

وقال النووي: فَالْمُرَاد بِالصُّورَةِ هُنَا الصِّفَة، وَمَعْنَاهُ: فَيَتَجَلَّى الله سُبْحَانه وَتَعَالَى لَهُمْ عَلَى الصِّفَة الَّتِي يَعْلَمُونَهَا وَيَعْرِفُونَهُ بِهَا، وَإِنَّمَا عَرَفُوهُ بِصِفَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَقَدَّمَتْ لَهُمْ رُؤْيَة لَهُ

---

(١) تأويل مختلف الحديث (١/ ٢٢١).

(٢) إبطال التأويلات (١/ ٨١).

(٣) البخاري (٦٥٧٣، ٧٤٣٧، ٧٤٣٩)، مسلم (٢١٨٢، ٢٩٦٨).

(٤) فتح الباري (١١/ ٤٥٨).

سُبْحَانه وَتَعَالَى؛ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ لَا يُشْبِه شيئًا مِنْ مَخْلُوقَاته، وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ لَا يُشْبِه شيئًا مِنْ مَخْلُوقَاته، فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَبّهمْ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبّنَا، وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِالصُّورَةِ عَنْ الصِّفَة لِمُشَابَهَتِهَا إِيَّاهَا، وَلِمُجَانَسَةِ الْكَلَام فَإِنَّهُ تَقَدَّمَ ذِكْر الصُّورَة[(١)].

قال القاضي أبو يعلى: اعلم أن هذا الخبر يدل على إثبات الصورة وعلى الإتيان. . .، وأنه غير ممتنع جواز إطلاق الصورة لا كالصور[(٢)].

وأيضًا من الأدلة على إثبات الصورة حديث أبي سعيد الخدري في الرؤية، وهو بمعنى الحديث السابق وفيه: حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنْ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا[(٣)].

الرد على الأقوال الأخرى:

أولاً: الرد على القول بأن الضمير يعود على غير الله تعالى، إما على المضروب وإما على آدم عليه السلام:

فنقول: هذا تأويل بعيد جدًا عن ظاهر اللفظ، والأصل حمل اللفظ على ظاهره، كما أن في هذا القول موافقة لأهل الكلام المحرفين لنصوص الصفات عن ظاهرها، ولهذا قال الإمام أحمد: هذا التأويل من تأويلات الجهمية، وأنكره أشد الإنكار[(٤)]. فقال: من قال إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي[(٥)].

وعند التأمل نجد أن الشبهة التي أوقعت إمام الأئمة ابن خزيمة وغيره في هذا التأويل هي: توهم التشبيه، ولذلك اجتهد في تأويله وصرفه عن ظاهره، فجعل متعلق الضمير في كل حديث غيره في الحديث الآخر، ففي حديث (إذا قاتل أحدكم. . .)، جعل الضمير

(١) شرح النووي (٢/ ٢٩).

(٢) إبطال التأويلات (١/ ١٥١).

(٣) البخاري (٤٥٨١)، مسلم (١٨٣).

(٤) أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها (١٤٣).

(٥) الإبانة لابن بطة (١٩٨).

عائدًا إلى المضروب، فلما أتى إلى حديث (خلق الله آدم على صورته)، ورأى أن هذا التأويل لا يستقيم جعله عائدًا إلى آدم عليه السلام.

ولما أتى إلى حديث ابن عمر: (فإن ابن آدم خُلق على صورة الرحمن)، فجعله على فرض صحته من باب إضافة الخلق إلى خالقه، كل ذلك فرارًا من التشبيه، فهذا يؤكد أنه لجأ إلى تأويل هذا الحديث؛ لتوهمه أن حمله على ظاهره يقتضي التشبيه، فأوَّله تنزيهًا لله تعالى عن صفات المخلوقين.

وقال أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي صاحب كتاب الترغيب والترهيب: أخطأ محمد بن خزيمة في حديث الصورة، ولا يطعن عليه ذلك؛ بل لا يُؤخذ عنه هذا فحسب.

قال أبو موسى المديني(ناقل هذا الكلام): أشار بذلك إلى أنه قَلَّ من إمام إلا وله زلة، فإن تُرك ذلك الإمام لأجل زلته، تُرك كثير من الأئمة، وهذا لا ينبغي أن يُفعل[1].

قال الذهبي: وقد تأول ابن خزيمة في ذلك حديث الصورة، فليعذر من تأول بعض الصفات، وأما السلف، فما خاضوا في التأويل؛ بل آمنوا وكفوا، وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه، وتوخيه لاتباع الحق أهدرناه، وبدعناه، لقل من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنه وكرمه[2].

ثم إن هذا الحديث ليس في حمله على ظاهره ما يقتضي التشبيه؛ بل نحن نثبته ونجريه على ظاهره مع نفي التشبيه.

ثانيًا: الرد على القول بأن الضمير يعود على الله، وجعل إضافة الصورة إلى الله تعالى من باب إضافة المخلوق إلى خالقه:

والرد على ذلك من وجوه:

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤١٩، ٤٢٤، ٤٣٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٤ : ٣٧٦).

أحدها: أنه لم يكن قبل خلق آدم صورة مخلوقة خلق آدم عليها، فقول القائل: على صورة مخلوقة لله، وليس هناك إلا صورة آدم بمنزلة قوله: على صورة آدم، وقد تقدم إبطال هذا.

ثانيها: أن إضافة المخلوق جاءت في الأعيان القائمة بنفسها كالناقة والبيت والأرض والفطرة التي هي مفطورة، فأما الصفات القائمة بغيرها مثل العلم والقدرة والكلام والمشيئة، إذا أُضيفت كانت إضافة صفة إلى موصوف، وهذا هو الفرق بين الأمرين.

ثالثها: أن هذا الوجه المضروب هو في كونه مخلوقًا مملوكًا لله بمنزلة الصورة المملوكة لله، فلو كان قد نهى عن ضرب هذا لكونه ذاك، لكان التشبيه من باب العبث؛ لأن العلة في المشبه به، مثل من يقول لأحد بنيه: إنما أكرمتك لأنك مثل ابني الآخر في معنى البنوة.

رابعها: أن العلم بأن الله خلق آدم هو من أظهر العلوم عند العامة والخاصة، فإذا لم يكن في قوله (على صورته) معنى، إلا أنها الصورة التي خلقها وهي ملكه، لكان قوله(خلق آدم كافيًا)[1].

الوجه الرابع: المعنى الصحيح لقوله: (خلق الله آدم على صورته).

بعد ما أثبتنا الصورة لله تبارك وتعالى، وقلنا: إن معنى هذا الحديث أن الله خلق آدم على صورة الرحمن، فماذا يكون المعنى الصحيح للحديث؟.

فنقول مستعينين بالله: للعلماء فيه قولان:

القول الأول: إمرار اللفظ كما جاء، فنؤمن به من غير تكييف، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تأويل.

القول الثاني: أن يكون له معنى لا يخرج عن مذهب أهل السنةوالجماعة، ويليق بجلال الله تبارك وتعالى.

فممن قال بالقول الأول:

قوام السنة إسماعيل التيمي قال: فصل في الرد على الجهمية الذين أنكروا صفات الله ﷻ، وسموا أهل السنة مشبهة، وليس قول أهل السنة أن لله وجهًا ويدين وسائر ما أخبر

---

(١) أحاديث العقيدة (١٥٨).

الله تعالى به عن نفسه موجبًا تشبيهه بخلقه، وليس روايتهم حديث النبيﷺ: (خلق الله آدم على صورته) بموجبة نسبة التشبيه إليهم؛ بل كل ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبر به رسوله فهو حق، قول إله حق وقول رسوله حق، والله أعلم بما يقول، ورسوله أعلم بما قال، وإنما علينا الإيمان والتسليم، وحسبنا الله ونعم الوكيل(١).

فالواجب إذا جاءت الآية من كتاب الله تعالى أو صح الحديث عن رسول اللهﷺ الإيمان والتصديق بهما، واعتقاد ما جاء فيهما، والتسليم والانقياد لهما، ولا يجوز السؤال عن كيفية ما جاء فيهما من الصفات، فإن الله تعالى أخبرنا أنه متصف بالصفات، ولم يخبرنا عن كيفية هذه الصفات، فنكل علمها إلى الله تعالى، مع اعتقادنا أنها لا تماثل صفات المخلوقين، فالله تعالى قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)(٢).

قال ابن بطة: كل ما جاء من هذه الأحاديث، وصحت عن رسول الله ﷺ ففرض على المسلمين قبولها، والتصديق بها، والتسليم لها، وترك الاعتراض عليها، وواجب على من قبلها، وصدَّق بها أن لا يضرب لها المقاييس، ولا يتحمل لها المعاني والتفاسير، لكن تُمَر على ما جاءت، ولا يقال فيها: لِمَ؟ ولا كيف؟ إيمانًا بها وتصديقًا، ونقف من لفظها وروايتها حيث وقف أئمتنا وشيوخنا، وننتهي منها حيث انتُهي بنا، كما قال المصطفى نبينا ﷺ بلا معارضة، ولا تكذيب، ولا تنقير، ولا تفتيش، والله الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل، فإن الذين نقلوها إلينا هم الذين نقلوا إلينا القرآن وأصل الشريعة، فالطعن عليهم، والرد لما نقلوه من هذه الأحاديث طعن في الدين، ورد لشريعة المسلمين ومن فعل ذلك فالله حسيبه، والمنتقم منه بما هو أهله(٣).

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ٣١٠).

(٢) أحاديث العقيدة (١٤٨).

(٣) الإبانة صـ٢٤٤، الشريعة للآجري (٣/ ١١٥٣).

وقال الكرجي: بعد ما ساق عددًا من أحاديث الصفات والتي منها(خلق الله آدم على صورته)... إِلَى غَيْرِهَا مِنْ الْأَحَادِيثِ، هَالَتْنَا أَوْ لَمْ تَهُلْنَا، بَلَغَتْنَا أَوْ لَمْ تَبْلُغْنَا، اعْتِقَادُنَا فِيهَا وَفِي الْآيِ الْوَارِدَةِ فِي الصِّفَاتِ: أَنَّا نَقْبَلُهَا وَلَا نُحَرِّفُهَا، وَلَا نُكَيِّفُهَا، وَلَا نُعَطِّلُهَا، وَلَا نَتَأَوَّلُهَا، وَعَلَى الْعُقُولِ لَا نَحْمِلُهَا، وَبِصِفَاتِ الْخَلْقِ لَا نُشَبِّهُهَا، وَلَا نُعْمِلُ رَأْيَنَا وَفِكْرَنَا فِيهَا، وَلَا نَزِيدُ عَلَيْهَا وَلَا نَنْقُصُ مِنْهَا؛ بَلْ نُؤْمِنُ بِهَا وَنَكِلُ عِلْمَهَا إِلَى عَالِمِهَا كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ السَّلَفُ الصَّالِحُ وَهُمْ الْقُدْوَةُ لَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ[1].

وقال الذهبي: أما معنى حديث الصورة فنرد علمه إلى الله ورسوله، ونسكت كما سكت السلف مع الجزم بأن الله ليس كمثله شيء[2].

قال محمد بن الحسين: هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولا يقال فيها: كيف؟ ولم؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق، وترك النظر، كما قال من تقدم من أئمة المسلمين[3].

وقال النووي: هذا من أحاديث الصفات ومذهب السلف أَنَّهُ لَا يُتَكَلَّم فِي مَعْنَاهَا؛ بَلْ يَقُولُونَ: يَجِب عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِن بِهَا وَنَعْتَقِد لَهَا مَعْنًى يَلِيق بِجَلَالِ الله تَعَالَى مَعَ اِعْتِقَادنَا الْجَازِم أَنّه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء، وَهَذَا الْقَوْل اختاره جَمَاعَة مِنْ محققي الْمُتَكَلِّمِينَ، وَهُوَ أَسْلَم، وَ الثَّانِي: أَنَّهَا تُتَأَوَّل عَلَى مَا يَلِيق بِهَا عَلَى حَسَب مَوَاقِعهَا[4].

وأما من قالوا بأن له معنى يليق بالله، ولا نشبه فيه الله بالمخلوقين، فهو أن نقول: إن آدم عليه السلام خُلق ذا وجه متصفًا بصفة السمع والبصر والكلام، كما أن الله تعالى كذلك، فهو مخلوق على صورة الله من هذه الحيثية، ولا يلزم من ذلك المماثلة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٨٥).

(٢) ميزان الاعتدال (٤/ ٩٦).

(٣) الشريعة للآجري (٣/ ١١٥٣).

(٤) شرح النووي (٢/ ٢٩).

قال ابن القيم: وقوله: (خلق آدم على صورة الرحمن)، لم يُرد به تشبيه الرب وتمثيله بالمخلوق، إنما أراد به تحقيق الوجه، وإثبات السمع والبصر والكلام صفةً ومحلاً، والله أعلم[١].

قال الشوكاني: قال ابن العربي: ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حياً عالماً قادراً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً مدبراً حكيماً، وهذه صفات الرب سبحانه، وعليها حمل بعض العلماء قوله ﷺ: " إن الله خلق آدم على صورته "يعني: على صفاته التي تقدم ذكرها. قلت: وينبغي أن يضم إلى كلامه هذا قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ (طه: ١١٠).[٢]

وقال ابن باز: والمعنى والله أعلم أنه خلق آدم على صورته ذا وجه وسمع وبصر يسمع ويتكلم ويبصر ويفعل ما يشاء، ولا يلزم أن يكون الوجه كالوجه والسمع كالسمع والبصر كالبصر. . وهكذا لا يلزم أن تكون الصورة كالصورة[٣].

قال ابن تيمية: من المعلوم أن الشيئين المخلوقين قد يكون أحدهما على صورة الآخر مع التفاوت العظيم بين جنس ذواتهما وقدر ذواتهما، وقد تظهر صورة السماوات والقمر في الماء أو في مرآة في غاية الصغر، ويقال هذه صورتها، مع العلم بأن حقيقة السماوات والأرض أعظم من ذلك بما لا نسبة لأحدهما إلى الأخر[٤].

وقال ابن عثيمين: الذي قال: "إن الله خلق آدم على صورته" رسول الذي قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، والرسول ﷺ لا يمكن أن ينطق بما يكذب المرسل، والذي قال: "خلق آدم على صورته": هو الذي قال: "إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر"،

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٢/ ٥١٥).

(٢) فتح القدير (٥/ ٦٦٩: ٦٧٠).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة د. محمد الشويعر (٦/ ٣٥٣: ٣٥٤).

(٤) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٣٧، ٥٣٨).

فهل أنت تعتقد أن هؤلاء الذين يدخلون الجنة على صورة القمر من كل وجه؟

فإن قلت بالأول، فمقتضاه أنهم دخلوا وليس لهم أعين، وليس لهم آناف، وليس لهم أفواه، وإن شئنا قلنا: دخلوا وهم أحجار. وإن قلت بالثاني، زال الإشكال، وتبين أنه لا يلزم من كون الشيء على صورة الشيء أن يكون مماثلاً له من كل وجه[١].

وخلاصة الكلام أن الصورة هنا بمعنى الصفة؛ لأن الصورة في اللغة تطلق على الصفة كما جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر» يعني على صفة القمر من الوضاءة والنور والضياء، فقوله ﷺ (إن الله خلق آدم على صورته)؛ يعني خلق آدم على صورة الرحمن ؛ يعني على صفة الرحمن، ووجود الصفة في المخلوق لا يماثل وجودها في الخالق، فالله له سمع وجعل لآدم صفة السمع، والله موصوف بصفة الوجه وجعل لآدم وجها، وموصوف بصفة اليدين وجعل لآدم صفة اليدين، وهكذا.

فإذن هذا الحديث ليس فيه غرابة كما قال ابن قتيبة قال: (وإنما لم يألفه الناس فاستنكروه)[٢].

وهذا اشتراك في الصفة، والاشتراك في الصفة لا يعني الاشتراك في الكيفية؛ لأن هذا باطل، فالله سبحانه وتعالى جعل لآدم مثل الصفات التي ذكرنا، وكما جاء في الحديث هذا (خلق الله آدم على صورته)؛ و(على) ليست للتمثيل وليست للتشبيه، وإنما هي في اللغة للاشتراك، وهذا الاشتراك حاصل بدلالة النصوص، والصورة في اللغة هي الصفة، وكذلك من الصفات التي جاءت في الأحاديث أن لله ﷻ صورة ليست كصورة المخلوق، وهذا بمعنى الصورة الخاصة، وهو سبحانه له صورة يعني له صفات، وجعل المخلوق له من الصفات على صفات الرحمن سبحانه، وهذا هو التحقيق في معنى الحديث، خلافًا لمن

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (٧٠، ٧١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية للشيخ صالح آل الشيخ (١/ ١٩٨)، وهذه إجابة على سؤال سُئل للشيخ صالح، وانظر شرح الفتوى الحموية للشيخ حمد التويجري (١/ ١٥٤).

فهموا منه التمثيل أو التشبيه، أو الذين ردوه، أو الذين جعلوا معنى الصورة الصورة الخاصة، وليست الصورة العامة التي بمعنى الصفات[١].

الوجه الخامس: وجوب الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله، وأنه حق، والإيمان بظاهر الكتاب والسنة.

اعلم أن أعظم ما يحتاج إلى معرفة مراده هو الله تعالى ورسولهﷺ ؛ لأن على هذه المعرفة ينبني الاعتقاد والعمل[٢].

قال ابن تيمية: وَلَا بُدَّ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ مِنْ أَنْ يُعْرَفَ مَا يَدُلُّ عَلَى مُرَادِ الله وَرَسُولِهِ مِنْ الْأَلْفَاظِ وَكَيْفَ يُفْهَمُ كَلَامُهُ[٣].

والقاعدة عند أهل السنة والجماعة في نصوص الكتاب والسنة: أنهم يجرونها على ظاهرها، معتقدين أنه هو الحق الذي يوافق مراد الله تعالى، ومراد رسولهﷺ، لا سيما ما ليس للرأي فيه مجال كنصوص الصفات والمعاد، وغيرها من أمور الغيب[٤].

قَالَ الشَّافِعِيُّ: آمَنْت بِالله، وَبِمَا جَاءَ عَنْ الله، عَلَى مُرَادِ الله، وَآمَنْت بِرَسُولِ الله، وَمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ،عَلَى مُرَادِ رَسُولِ الله ﷺ[٥].

ولو أراد الله ورسوله من كلامه خلاف حقيقته وظاهره الذي يفهمه المخاطب لكان قد كلفه أن يفهم مراده بما لا يدل عليه؛ بل بما يدل على نقيض مراده، وأراد منه فهم النفي بما يدل على غاية الإثبات[٦].

---

(١) كتاب قسم العقيدة (شرح الفتوى١٨/ ١٩٩: ٢٠١).

(٢) أحاديث العقيدة (٥٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ١١٦٢).

(٤) القواعد المثلى (٣٩).

(٥) مجموع الفتاوى (٤/ ٢).

(٦) الصواعق (١/ ٣١٠: ٣١١).

والله تعالى يقول: ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ (النساء١٧٦)، ويقول جل وعلا: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النساء٢٦)، ويقول عن نبيهﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى٥٢)، وعلى هذا فالواجب حمل نصوص الكتاب والسنة على ظاهرها، واعتقاد أنه حق، فمن رام غير هذا مؤثرًا تحريفات المبطلين وتأويلات الجاهلين على بيان رب العالمين الذي قال عن نفسه: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (النساء٨٧)، وبيان رسوله الصادق الأمين الذي قال له ربه ﴿ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ (النساء٦٣)، فقد خاب وخسر وضل عن الصراط المستقيم والطريق القويم(١).

وهناك أدلة من الكتاب والسنة على أن ظاهر الكتاب والسنة يجب إجراؤه على ظاهره، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ (النحل٨٩)، وقوله: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (يوسف: ١١١)، وقوله: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (المائدة١٥)، وقال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء ١٩٣: ١٩٥)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف: ٢)، وهذا يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي(٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُولَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ (البقرة: ١٥٩)

---

(١) أحاديث العقيدة (٥١).

(٢) القواعد المثلى (٤٠).

قال ابن تيمية: فَقَدْ لَعَنَ كَاتِمَهُ -يعني كاتم العلم -وَأَخْبَرَ أَنَّهُ بَيَّنَهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ، فَكَيْفَ يَكُونُ قَدْ بَيَّنَهُ لِلنَّاسِ وَهُوَ قَدْ كَتَمَ الْحَقَّ وَأَخْفَاهُ وَأَظْهَرَ خِلَافَ مَا أَبْطَنَ؟ فَلَوْ سَكَتَ عَنْ بَيَانِ الْحَقِّ كَانَ كَاتِمًا، وَمَنْ نَسَبَ الْأَنْبِيَاءَ إلَى الْكَذِبِ وَالْكِتْمَانِ مَعَ كَوْنِهِ يَقُولُ: إنَّهُمْ أَنْبِيَاءُ فَهُوَ مِنْ أَشَرِّ الْمُنَافِقِينَ وَأَخْبَثِهِمْ وَأَبْيَنِهِمْ تَنَاقُضًا(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ (القمر: ١٧).

قال ابن القيم: تيسيره للذكر يتضمن أنواعًا من التيسير:

إحداها: تيسير ألفاظه للحفظ.

الثاني: تيسير معانيه للفهم.

الثالث: تيسير أوامره ونواهيه للامتثال.

ومعلوم أنه لو كان بألفاظ لا يفهمها المخاطب لم يكن ميسرًا له؛ بل كان معسرًا عليه فهكذا إذا أريد من المخاطب أن يفهم من ألفاظه ما لا يدل عليه من المعاني، أو يدل على خلافه فهذا من أشد التعسير وهو مناف للتيسير(٢).

ومن أدلة السنة على أن الأصل في النصوص حملها على ظاهرها:

قوله ﷺ في حديث الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ: "تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ"(٣).

والبيضاء: الحجة الظاهرة القوية التي لا لبس فيها ولا اشتباه(٤).

وقوله ﷺ كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: " قد تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٦٥).

(٢) الصواعق (١/ ٣٣١: ٣٣٢).

(٣) ابن ماجه (٤٣) بلفظ (إلا هلك)، مسند أحمد (٤/ ١٢٦)، الحاكم (٣٣١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٣٧)، صحيح ابن ماجه (٤١).

(٤) لسان العرب: مادة بيض (١/ ٣٩٦).

اعْتَصَمْتُمْ بِهِ؛ كِتَابُ الله، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ اللهمَّ اشْهَدْ! اللهمَّ اشْهَدْ! ثَلَاثَ مَرَّاتٍ"[١].

فالرسول ﷺ قد أخبر أنه تركنا على المحجة البيضاء الواضحةالبينة، ظاهرها وباطنها سواء، والصحابة شهدوا بأنه قد بلغ، وهذا يعني أن ظاهر كلامه مطابق لمراده؛ لأن هذا مقتضى البلاغ وحسن الأداء وكمال النصح[٢].

ومن أدلة العقل على ذلك:

فلأن المتكلم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره، وقد خاطبنا باللسان العربي المبين، فوجب قبوله على ظاهره، وإلا لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة[٣].

وقال الشافعي: كلام كان عامًا ظاهرًا في سنة رسول الله ﷺفهو على ظهوره وعمومه حتى يعلم حديث ثابت عن رسول الله يدل على أنه إنما أريد بالجملة العامة في الظاهر بعض الجملة دون بعض. [٤]

وقال ابن تيمية: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ -أي الصحابة- يَعْتَقِدُ فِي خَبَرِهِ وَأَمْرِهِ مَا يُنَاقِضُ ظَاهِرَ مَا بَيَّنَهُ لَهُمْ وَدَلَّهُمْ عَلَيْهِ وَأَرْشَدَهُمْ إلَيْهِ، وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ تَأَوَّلَ شيئًا مِنْ نُصُوصِهِ عَلَى خِلَافِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ لَا فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ اللهُ عَنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَا فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ[٥].

الوجه السادس وصف الإله في الكتاب المقدس

في سفر (التكوين١/ ٢٧): فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خلقَهُمْ.

---

(١) مسلم (١٢١٨).

(٢) أحاديث العقيدة (٥٤).

(٣) القواعد المثلى (٤٠).

(٤) الرسالة (٣٤١).

(٥) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٥٢).

حتى أنهم يعبدون ربهم على أنه خروف: (رؤيا١٧/ ١٤): هؤُلاَءِ سَيُحَارِبُونَ الْخَرُوفَ، وَالْخَرُوفُ يَغْلِبُهُمْ، لأَنَّهُ رَبُّ الأَرْبَابِ وَمَلِكُ الْمُلُوكِ، وَالَّذِينَ مَعَهُ مَدْعُوُّونَ وَمُخْتَارُونَ وَمُؤْمِنُونَ.

(رؤيا٥/ ٦): وَرَأَيْتُ فَإِذَا فِي وَسَطِ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ الأَرْبَعَةِ وَفِي وَسَطِ الشُّيُوخِ خَرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ، لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ الْمُرْسَلَةُ إِلَى كُلِّ الأَرْضِ.

والرب عندهم يجلس وله أذيال (إشعياء: ٦/ ١): فِي سَنَةِ وَفَاةِ عُزِّيَّا الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَال وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ.

* * *

٦ ـ شبهات صفات الفعل

وفيها:

١- شبهة: النزول.

٢- شبهة: التردد.

٣- شبهة: النفخ في فرج مريم.

٤- شبهة: صفة الضحك.

٥- شبهة: ويمكرون ويمكر الله .

٦-شبهة: البغض والكره.

٧- شبهة: الملل.

٨- شبهة: التحسر.

٩- شبهة: صفة العَجب.

١٠- شبهة: الله الطبيب.

١١- شبهة: شم رائحة فم الصائم.

١٢- شبهة: اختلاق الأسف لله

١٣- شبهة: القتل والرمي.

١٤- شبهة: الرعد منطق الله.

وإليك التفصيل

١ـ شبهات: النزول.

الشبهة الأولى: النزول إلى السماء الدنيا.

نص الشبهة:

الله ينزل للسماء الدنيا؟.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه؟ ومن يستغفرني فأغفر له؟".

وأن الله ينزل على جمل يوم الجمعة.

وأن الله ينزل للسماء الدنيا بروحه فتنتفض روحه، وتنتفض الملائكة.

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

الوجه الأول: نزول الله جل وعلا ليس كنزول البشر.

الوجه الثاني: لا يُسأل عن كيفية النزول.

الوجه الثالث: الرد على قولهم: كيف ينزل مع اختلاف الليل في البلاد؟.

الوجه الرابع: أقوال أهل العلم في إثبات النزول.

الوجه الخامس: إذا كان من العيب أن يوصف الرب بالنزول، فهل هذا دلالة على خطأ كتابهم المقدس في ذكر النزول؟.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: نزول الله جل وعلا ليس كنزول البشر.

صفة النزول لله سبحانه وتعالى صفة فعل، تليق بجلاله وعظمته، يفعل ذلك سبحانه متى يشاء، لا يشبه نزول المخلوق؛ لأن الخالق غير المخلوق في الذات والصفات، فلا يجوز أن نشبه الله بخلقه في ذلك، أو أن نتوهم أنها صفة تشابه صفة الخلق، ومن وقع له ذلك في قلبه فليتهم نفسه.

ولقد سبق الجهمية لهذا الزيغ وقلبوا المعاني ، فقيض الله لهم من يبطل كلامهم بالحجة والبرهان، وإليك بعضاً من ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: روى أبو بكر الأثرم عن الفضيل بن عياض قال: ليس

لنا أن نتوهم في الله كيف؟ وكيف؟؛ لأن الله وصف فأبلغ فقال: قل هو الله أحد الله، الصمد، فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه.

ومثل هذا النزول والضحك، وهذه المباهاة، وهذا الاطلاع، كما شاء أن ينزل، وكما شاء أن يضحك، فليس لنا أن نتوهم أن ينزل عن مكانه كيف؟ وكيف؟.

وإذا قال لك الجهمي: أنا كفرت برب ينزل.

فقل أنت: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء.

وقال البخاري في كتاب " خلق الأفعال " والفضيل بن عياض: إذا قال لك الجهمي أنا أكفر برب يزول عن مكانه.

فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء.

قال البخاري: وحدث يزيد بن هارون عن الجهمية فقال: من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما تقرر في قلوب العامة فهو جهمي.

وروى الخلال عن سليمان بن حرب أنه سأل بشر بن السري حماد بن زيد فقال: يا أبا إسماعيل! الحديث ينزل الله إلى السماء الدنيا أيتحول من مكان إلى مكان؟

فسكت حماد بن زيد، ثم قال: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء وهذا نقله الأشعري في كتاب " المقالات " عن أهل السنة والحديث، فقال: ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن النبيﷺ، ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ (النساء: ٥٩)، ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين، ولا يحدثون في دينهم ما لم يأذن به الله، ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ ﴾ (الفجر: ٢٢).

وإن الله يقرب من خلقه كما يشاء كما قال: ﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ (قٓ: ١٦) ثم قال الأشعري: وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب.

وقال أبو عثمان النيسابوري الملقب في رسالته المشهورة في السنة قال: ويثبت أهل الحديث نزول الرب سبحانه في كل ليلة إلى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل، ولا تكييف؛ بل يثبتون له ما أثبته له رسول الله ﷺ، وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله، وكذلك يثبتون ما أنزل الله في كتابه من ذكر المجيء، والإتيان في ظلل من الغمام والملائكة، وقوله ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر: ٢٢).

وقال: سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول: سمعت إبراهيم بن أبي طالب سمعت أحمد بن سعيد الرباطي يقول: حضرت مجلس الأمير عبد الله ابن طاهر ذات يوم، وحضر إسحاق بن إبراهيم - يعني ابن راهويه - فسئل عن حديث النزول صحيح هو؟

فقال: . فقال بعض قواد عبد الله: يا أبا يعقوب أتزعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال: نعم، قال كيف ينزل؟ قال: أثبته فوق؛ حتى أصف لك النزول، فقال الرجل: أثبته فوق؟ فقال إسحاق: قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ (الفجر: ٢٢).

فقال له الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة.

فقال إسحاق: أعز الله الأمير! من يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟! !

وروى بإسناده عن إسحاق قال: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب! هذا الحديث الذي تروونه عن النبي ﷺ: " ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا " كيف ينزل؟

قال: قلت: أعز الله الأمير، لا يقال لأمر الرب كيف ينزل؟؛ إنما ينزل بلا كيف – أي بلا كيف معلوم لنا – وبإسناده أيضًا عن عبد الله بن المبارك أنه سأله سائل عن النزول ليلة النصف من شعبان؟.

فقال عبد الله: يا ضعيف ليلة النصف، أي وحدها؟! هو ينزل في كل ليلة.

فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن! كيف ينزل، ألم يخل ذلك المكان؟

فقال عبد الله بن المبارك: ينزل كيف شاء.

قال أبو عثمان النيسابوري: فلما صح خبر النزول عن النبي ﷺ أقر به أهل السنة، وقبلوا الحديث، وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله ﷺ، ولم يعتقدوا تشبيها له بنزول خلقه، وعلموا، وعرفوا، واعتقدوا، وتحققوا أن صفات الرب لا تشبه صفات الخلق، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق سبحانه وتعالى عما يقول المشبهة والمعطلة علوًا كبيرًا.

و عن إسحاق بن راهويه قال: جمعني وهذا المبتدع ـ يعني ابن صالح ـ مجلس الأمير عبد الله بن طاهر فسألني الأمير عن أخبار النزول؟ فثبتها، فقال إبراهيم: كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء، فقلت: آمنت برب يفعل ما يشاء، فرضي عبد الله كلامي، وأنكر على إبراهيم. (١)

الوجه الثاني: لا يُسأل عن كيفية النزول.

فمن سأل عن كيفية نزول الرب فنقول له: كيف هو في ذاته؟ فعندئذ لا يستطيع أن يتكلم؛ لأن القول في الصفات كالقول في الذات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقية لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات.

فإذا قال السائل: كيف استوى على العرش؟

قيل له: كما قال ربيعة ومالك وغيرهما رضي الله عنهما: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة.

لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه.

وكذلك إذا قال: كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا؟ قيل له: كيف هو؟

فإذا قال: لا أعلم كيفيته.

---

(١) العقيدة الأصفهانية صـ ٤٩ : ٥١.

قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله؛ إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له وتابع له، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه ونزوله وأنت لا تعلم كيفية ذاته؟ وإذا كنت تقر بأن له حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء، فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستواؤه ثابت في نفس الأمر وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستواؤهم.(١)

الوجه الثالث: الرد على قولهم، كيف ينزل مع اختلاف الليل في البلاد؟

وقد يتساءل البعض: الليل يختلف من بلد إلى أخرى، فحين يكون ثلث الليل في بلد يكون نهار في بلاد أخرى فكيف التوفيق؟

ونقول: إذا كنا بدايةً آمنا بالله سبحانه وتعالى، وأن رب الكون كله علويه وسفليه، لا يشاركه فيه أحد لا في خلق ولا في تدبير، وأن الله تعالى له القدرة التامة والمشيئة الكاملة، وأنه لا يشبه المخلوق لا في ذات ولا في صفات، وأنه يفعل في ملكه ما يشاء، فنحن نؤمن بأن ما جاء به حق وأن ما جاء به رسوله حق، فما كان متعلق بصفاته وذاته فنؤمن به من غير كيف؛ لأننا لم نرَ ربنا حتى نستطيع أن نكيفه.

فإذا أخبر رسوله ﷺ الأمين الصادق في قوله ونقله، وقد شهد له العدو قبل الحبيب بالصدق والأمانة بقوله عن ربه أن ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة، فنحن نؤمن بذلك من غير نظر في مجريات الكون وتغير الزمن والحال؛ لأن كل ذلك من خلق الله.

وقد أجاب عن هذا شيخ الإسلام ابن تيمية عن ذلك وهذا نص الجواب:

الحمد لله رب العالمين، أما القائل الأول الذي ذكر نص النبي ﷺ؛ فقد أصاب فيما قال؛ فإنَّ هذا القول الذي قاله قد استفاضت به السنة عن النبي ﷺ، واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك، وتلقيه بالقبول، ومن قال ما قاله الرسول فقوله حق وصدق، وإن كان لا يعرف حقيقة ما اشتمل عليه من المعاني كمن قرأ القرآن ولم يفهم ما فيه

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ٢٥.

من المعاني، فإنَّ أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمدالنبي، قال هذا الكلام وأمثاله علانية، وبلغه الأمة تبليغا عاما لم يخص به أحدا دون أحد، ولا كتمه عن أحد، وكانت الصحابة والتابعون، تذكره وتأثره وتبلغه وترويه في المجالس الخاصة والعامة، واشتملت عليه كتب الإسلام التي تُقرأ في المجالس الخاصة والعامة كصحيحي البخاري ومسلم، وموطأ مالك، ومسند الإمام أحمد، وسنن أبى داود، والترمذي، والنسائي، وأمثال ذلك من كتب المسلمين؛ لكن من فهم من هذا الحديث، وأمثاله ما يجب تنزيه الله عنه كتمثيله بصفات المخلوقين، ووصفه بالنقص المنافي لكماله الذي يستحقه؛ فقد أخطأ في ذلك، وإن أظهر ذلك مُنع منه، وإن زعم أن الحديث يدل على ذلك ويقتضيه فقد أخطأ أيضًا في ذلك، فإن وصفه سبحانه وتعالى في هذا الحديث بالنزول هو كوصفه بسائر الصفات كوصفه بالاستواء إلى السماء، وهى دخان ووصفه بأنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، ووصفه بالإتيان والمجيء في مثل قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ (البقرة: ٢١٠)، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ (الأنعام: ١٥٨)، وقوله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (الفجر: ٢٢)، وكذلك قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ (الفرقان: ٥٩)، وقوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ (الذريات: ٤٧)، وقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ﴾ (الروم: ٤٠) وقوله: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ (السجدة: ٥) وأمثال ذلك من الأفعال التي وصف الله تعالى بها نفسه.[١]

الوجه الرابع: أقوال أهل العلم في إثبات النزول.

قال الإمام أحمد: قال حنبل بن إسحاق، قال: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٣٢٣.

الأحاديث التي تروى عن النبي ﷺ إن الله ينزل إلى السماء الدنيا، فقال أبو عبد الله: نؤمن بها ونصدق بها، ولا نرد شيئًا منها إذا كانت أسانيد صحاح، ولا نرد على رسول الله قوله، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، حتى قلت لأبي عبد الله ينزل الله إلى سماء الدنيا، قال: قلت: نزوله بعلمه بماذا؟ فقال لي: اسكت عن هذا، مالك ولهذا؟ امض الحديث على ما روي بلا كيف، ولا حد، وإنما جاءت به الآثار وبما جاء به الكتاب، قال الله ﷻ ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾، ينزل كيف يشاء بعلمه، وقدرته، وعظمته، أحاط بكل شيء علما، لا يبلغ قدره واصف، ولا ينأى عنه هرب هارب[1].

قال أبو سعيد ـ الدارمي ـ: فهذه الأحاديث (أحاديث النزول) قد جاءت كلها، وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا لا ينكرها منهم أحد ولا يمتنع من روايتها. [2]

قال ابن خزيمة: باب أخبار ثابتة السند صحيحة القوام، رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ في نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة، نشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب، من غير أن نصف الكيفية؛ لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفيه نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل. والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم.

فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية؛ إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفيه النزول.

وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح أن الله جل وعلا فوق سماء الدنيا الذي أخبرنا نبينا أنه ينزل إليه؛ إذ محال في لغة العرب أن يقول: نزل من أسفل إلى أعلى، ومفهوم في

(١) اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/ ٢٨٥.

(٢) الرد على الجهمية ١/ ٩٣.

الخطاب أن النزول من أعلى إلى أسفل. [١]

قال الآجري: الإيمان والتصديق بأن الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة.

قال محمد بن الحسين رحمه الله: الإيمان بهذا واجب، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول: كيف ينزل؟ ولا يردد هذا إلا المعتزلة.

وأما أهل الحق فيقولون: الإيمان به واجب بلا كيف؛ لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله ﷺ: أن الله ﷻ، ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام، وعلم الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد وكما قبل العلماء منهم ذلك، كذلك قبلوا منهم هذه السنن، وقالوا: من ردها فهو ضال خبيث، يحذرونه ويحذرون منه. [٢]

قال الذهبي: وأحاديث نزول الباري تعالى متواترة قد سُقت طرقها، وتكلمت عليها بما أُسأل عنه يوم القيامة فلا قوة إلا بالله العلي العظيم. [٣]

الوجه الخامس: إذا كان من العيب أن يوصف الرب بالنزول، فهل هذا دلالة على خطأ كتابهم المقدس في ذكر النزول؟

فقد جاء في(الخروج ٣٤: ٥): فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي السَّحَابِ، فَوَقَفَ عِنْدَهُ هُنَاكَ وَنَادَى بِاسْمِ الرَّبِّ.

وجاء أيضًا: فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي سَحَابَةٍ وَتَكَلَّمَ مَعَهُ، وَأَخَذَ مِنَ الرُّوحِ الَّذِي عَلَيْهِ وَجَعَلَ عَلَى السَّبْعِينَ رَجُلاً الشُّيُوخَ. فَلَمَّا حَلَّتْ عَلَيْهِمِ الرُّوحُ تَنَبَّأُوا، وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَزِيدُوا. (العدد ١١: ٢٥).

فهل ينكرون هم ذلك؟ وهل لو أثبتوها أثبتوا المماثلة لله والمشابهة بخلقه؟ أم أنهم لا يدرون ولا يدرون أنهم لا يدرون! ! !

---

(١) التوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٩٠-٢٩٨.

(٢) الشريعة للآجري ص ٢٩٤.

(٣) العلو للعلي الغفار ١/ ٩١.

الله ينزل على جبل سيناء بالنار

فقد جاء في سفر الخروج(١٩ : ١٨): وَكَانَ جَبَلُ سِينَاءَ كُلُّهُ يُدَخِّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، وَصَعِدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الأَتُونِ، وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ جِدًّا.

وفي هذا تجسيم صريح وتنقيص من الله تعالى، فكونه ينزل على جبل معناه: أن الجبل أكبر منه! فهل يعقل أن يقال هذا عن الله تعالى؟!

الرب ينزل أمام الشعب:

جاء في سفر الخروج(١٩: ١١): وَيَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِلْيَوْمِ الثَّالِثِ. لأَنَّهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَنْزِلُ الرَّبُّ أَمَامَ عُيونِ جَمِيعِ الشَّعْبِ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ.

الرب يخرج وينزل ويمشي على الأرض:

فَإِنَّهُ هُوَذَا الرَّبُّ يَخْرُجُ مِنْ مَكَانِهِ وَيَنْزِلُ وَيَمْشِي عَلَى شَوَامِخِ الأَرْضِ، (ميخا ١ : ٣).

الرب ينزل لينظر إلى برج آدم:

فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا. (التكوين ١١ : ٥).

الرب ينزل في السحاب:

فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي السَّحَابِ، فَوَقَفَ عِنْدَهُ هُنَاكَ وَنَادَى بِاسْمِ الرَّبِّ. (الخروج ٣٤:

الرب ينزل في عمود سحاب ويقف على باب الخيمة:

فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي عَمُودِ سَحَابٍ وَوَقَفَ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ. (عدد ١٢ : ٥)

* * *

٢ـ شبهة: التردد.

نص الشبهة:

قالوا: الله يتردد ـ سبحان الله عما يصفون ـ

عن أبي هريرة ﷺقال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته".[1]

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: المعنى الصحيح للحديث.

الوجه الثاني: ما وصف به الله في الكتاب المقدس.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: المعنى الصحيح للحديث.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا حديث شريف، وهو أشرف حديث روي في صفة الأولياء، وقد رد هذا الكلام طائفة، وقالوا: إن الله لا يوصف بالتردد، فإنما يتردد من لا يعلم عواقب الأمور، والله أعلم بالعواقب، وربما قال بعضهم: إن الله يعامل معاملة التردد، والتحقيق: أن كلام رسوله حق، وليس أحد أعلم بالله من رسوله، ولا أنصح للأمة، ولا أفصح ولا أحسن بيانًا منه، فإذا كان كذلك كان المتحذلق والمنكر عليه من أضل الناس، وأجهلهم وأسوئهم أدبًا؛ بل يجب تأديبه وتعزيره، ويجب أن يصان كلام رسول الله ﷺعن الظنون الباطلة، والاعتقادات الفاسدة، ولكن المتردد منا وإن كان تردده في الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبة الأمور، فإنه لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا، فإن الله ليس كمثله شيء، ثم هذا باطل على إطلاقه؛ فإن الواحد

---

(١) البخاري (٦٥٠٢).

يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب، وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد، فيريد الفعل لما فيه من المصلحة، ويكرهه لما فيه من المفسدة، لا لجهله منه بالشيء الواحد الذي يحب من وجه، ويكره من وجه، كما قيل:

الشيب كره، وكره أن أفارقه فاعجب لشيء على البغضاء محبوب.

وهذا مثل إرادة المريض لدوائه الكريه؛ بل جميع ما يريده العبد من الأعمال الصالحة التي تكرهها النفس هو من هذا الباب، وفي الصحيح: " حفت النار بالشهوات، وحفت الجنة بالمكاره "، وقال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾.

ومن هذا الباب يظهر معنى التردد المذكور في الحديث، فإنه قال: " لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه " فإن العبد الذي هذا حاله صار محبوبًا للحق محبًا له، يتقرب إليه أولًا بالفرائض وهو يحبها، ثم اجتهد في النوافل، التي يحبها ويحب فاعلها، فأتى بكل ما يقدر عليه من محبوب الحق فأحبه الحق لفعل محبوبه من الجانبين بقصد اتفاق الإرادة، بحيث يحب ما يحبه محبوبه، ويكره ما يكره محبوبه، والرب يكره أن يسوء عبده محبوبه، فلزم من هذا أن يكره الموت ليزداد من محاب محبوبه، والله ـ سبحانه ـ قد قضى بالموت، فكل ما قضى به فهو يريده ولابد منه، فالرب مريد لموته لما سبق به قضاؤه، وهو مع ذلك كارهٌ لمساءة عبده؛ وهي المساءة التي تحصل له بالموت، فصار الموت مرادًا للحق من وجه مكروهًا له من وجه، وهذا حقيقة التردد؛ وهو أن يكون الشيء الواحد مرادًا من وجه مكروهًا من وجه، وإن كان لابد من ترجح أحد الجانبين كما ترجح إرادة الموت، لكن مع وجود كراهة مساءة عبده، وليس إرادته لموت المؤمن الذي يحبه ويكره مساءته كإرادته لموت الكافر الذي يبغضه ويريد مساءته ". [1]

وقال في مكان آخر: " فبين سبحانه أنه يتردد؛ لأن التردد تعارض إرادتين، فهو

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨/ ١٢٩ـ ١٣١.

سبحانه يحب ما يحب عبده، ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت فهو يكرهه كما قال: " وأنا أكره مساءته "، وهو سبحانه قد قضى بالموت فهو يريد أن يموت، فسمى ذلك ترددًا، ثم بين أنه لابد من وقوع ذلك ".[١]

الوجه الثاني: هل هذا الكلام مثل ما ذكروه هم عن الله حين وصفوه بالندم، والحزن، وغيرها من صفات النقص؟

كما جاء في سفر التكوين في (الإصحاح٦: العدد ٥ـ٨): "وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ فِكْرِ قَلْبِهِ يَتَّسِمُ دَائِماً بِالإِثْمِ ، فَمَلأَ قَلْبَهُ الأَسَفُ وَالْحُزْنُ؛ لأَنَّهُ خَلَقَ الإِنْسَانَ، وَقَالَ الرَّبُّ: أَمْحُو الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ مَعَ سَائِرِ النَّاسِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالزَّوَاحِفِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ ؛ لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي خَلَقْتُهُ".

فهل الندم والحزن يليقان بعظمة الله تعالى؟! كما أنهم يستهزئون بالتردد ولم يثبت ذلك، ولو ثبت لكان له معنىً آخر غير ما يظنون.

* * *

(١) المصدر السابق ١٠/ ٥٨ـ٥٩.

٣ـ شبهة: النفخ في فرج مريم.

نص الشبهة:

أثاروا شبهة حول مريم بنت عمران عندما نفخ في فرجها، واعتبروا هذا منقصة في حق الله تعالى. فقالوا: الله ينفخ في الفروج (تعالى الله عما تقولون)، ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (التحريم ١٢).

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: تفسير الآية.

الوجه الثاني: تكريم الله لمريم بنت عمران.

الوجه الثالث: هل الروح صفة لله أو مخلوقة؟

الوجه الرابع: ماذا في كتبهم؟

وإليك التفصيل

الوجه الأول: تفسير الآية.

قبل الشروع في الرد على الشبهة نورد ما ذكره أهل التفسير في الآية:

قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي حفظته وصانته.

والإحصان: هو العفاف والحرية، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾أي: بواسطة المَلَك، وهو جبريل، فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشرٍ سَوي، وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها، فنزلت النفخة فولجت في فرجها، فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام، ولهذا قال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ﴾ أي: بقدره وشرعه ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾﴾[1].

ومن هنا يتضح أن الذي تولى النفخ هو جبريل بأمر الله تعالى، وليس الله عز وجل مباشرة كما زعم المعترضون. وأن الذي نُفخ فيه هو جيب درعها، وليس فرجها بالمعنى الغالب

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٠٥.

والمقصود بكلمة الفرج.

الوجه الثاني: تكريم الله لمريم بنت عمران.

في هذه الآية تكريم من الله تعالى لمريم بنت عمران ورفعها فوق النساء، وقد ضرب بها المثل الصالح، ولم ترفع بأكثر من قدرها كعبد لله تعالى.

بعكس ما فعلوه هم، حيث جعلوا لها زوجًا، وهو يوسف النجار، ولم يثبت لها الزواج منه، وجعلوا ابنها ولدًا ليوسف النجار، وهو لم يكن له أب.

وغالوا فيها، فمنهم من جعلها إلهًا، ومنهم من جعلها أم الرب. وغير ذلك من خرافاتهم التي يمجها العقل الخرب فضلًا عن السليم.

الوجه الثالث: هل الروح صفة لله أو مخلوقة؟

الروح مخلوقة وليست صفة من صفات الله تعالى، وهي هنا مضافة إليه إضافة تشريف لا إضافة وصف.

الرُوحُ: الرُّوح؛ بالضم: خلقٌ من مخلوقات الله ﷻ، أضيفت إلى الله إضافة مُلكٍ وتشريفٍ لا إضافة وصف؛ فهو خالقها ومالكها، يقبضها متى شاء ويرسلها متى شاء سبحانه، وقد وردت في الكتاب والسنة مضافة إلى الله عَزَّ وجَلَّ في عدة مواضع.

ذكرها في الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ (النساء: ١٧١).

٢- وقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ (الحجر: ٢٩).

٣- وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ (مريم: ١٧).

ذكرها في السنة: حديث أبي هريرة ﷺ في الشفاعة، وفيه: "يا آدم! أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه... فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى! أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه".[1]

---

(١) البخاري (٣٣٤٠)، (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

أقوال العلماء في (الرُّوح) المضافة إلى الله تعالى:

قال ابن تيمية: فليس في مجرد الإضافة ما يستلزم أن يكون المضاف إلى الله صفة له؛ بل قد يضاف إليه من الأعيان المخلوقة وصفاتها القائمة بها ما ليس بصفة له باتفاق الخلق؛ كقوله تعالى: (بيت الله)، و(ناقة الله)، و(عباد الله)؛ بل وكذلك (روح الله) عند سلف المسلمين وأئمتهم وجمهورهم، ولكن؛ إذا أضيف إليه ما هو صفة له وليس بصفة لغيره؛ مثل كلام الله، وعلم الله، ويد الله ... ونحو ذلك؛ كان صفة له)). [(١)]

وقال أيضًا: ((وقال النبي ﷺ: ((الريح من روح الله))؛ أي: من الروح التي خلقها الله، فإضافة الروح إلى الله إضافة ملك، لا إضافة وصف؛ إذ كل ما يضاف إلى الله إن كان عيناً قائمة بنفسها فهو ملك له، وإن كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به؛ فهو صفة لله؛ فالأول كقوله ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾، وقوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾، وهو جبريل، ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾، وقال: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾، وقال عن آدم: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾.

- حديث أبي هريرة ﷺ في استفتاح الجنة، وفيه: " فيأتون آدم ... ثم موسى عليهما السلام، فيقول: اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه...". [(٢)]

وقال ابن القيم: فصل: هل الروح قديمة أم محدثة مخلوقة؟ وإذا كانت محدثة مخلوقة، وهي من أمر الله؛ فكيف يكون أمر الله محدثاً مخلوقاً؟ وقد أخبر سبحانه أنه نفخ في آدم من روحه؛ فهذه الإضافة إليه هل تدل على أنها قديمة أم لا؟ وما حقيقة هذه الإضافة؛ فقد أخبر عن آدم أنه خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، فأضاف اليد والروح إليه إضافة واحدة؟.

---

(١) الجواب الصحيح ٣/ ١٤٥.

(٢) رواه مسلم (١٩٥)، مجموع الفتاوى ٩/ ٢٩٠.

فهذه مسألة زلَّ فيها عالَم، وضل فيها طوائف من بني آدم، وهدى الله أتباع رسوله فيها للحق المبين والصواب المستبين، فأجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة، هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم؛ كما يُعلم بالاضطرار من دينهم أنَّ العالَم حادث، وأن معاد الأبدان واقع، وأن الله وحده الخالق، وكل ما سواه مخلوق له، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم - وهم القرون المفضلة - على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها وأنها مخلوقة، حتى نبغت نابغة ممَّن قصر فهمه في الكتاب والسنة، فزعم أنها قديمة غير مخلوقة، واحتج بأنها من أمر الله، وأمره غير مخلوق، وبأن الله تعالى أضافها إليه كما أضاف إليه علمه وكتابه وقدرته وسمعه وبصره ويده، وتوقف آخرون فقالوا: لا نقول مخلوقة ولا غير مخلوقة. . .)).

ثم نقل كلام الحافظ أبي عبد الله بن منده، والحافظ محمد بن نصر المروزي، وهما ممن يقولان بأنها مخلوقة، ثم قال: ((ولا خلاف بين المسلمين أنَّ الأرواح التي في آدم وبنيه وعيسى ومَن سواه من بني آدم كلها مخلوقة لله، خلقها وأنشأها وكوَّنها واخترعها، ثم أضافها إلى نفسه كما أضاف إليه سائر خلقه، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ (الجاثية: ١٣). [١]

وقال ابن كثير: فقوله في الآية والحديث: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾؛ كقوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾؛ أي: من خلقه ومن عنده، وليست (من) للتبعيض... ؛ بل هي لابتداء الغاية، وقد قال مجاهد في قوله: (وَرُوحٌ مِنْهُ)، أي ورسول منه، وقال غيره: ومحبة منه، والأظهر الأول؛ أنه مخلوق من روح مخلوقة، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف؛ كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله. [٢]

---

(١) كتاب الروح صـ ٥٠١.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٧٨٤.

لكن روى الإمام أحمد حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: " حتى لا يبقى في الأرضين إلا شرار أهلها، وتلفظهم أرضوهم، وتقذرهم رُوح الرحمن ﷻ".

قال الشيخ أحمد شاكر: ((إسناده ضعيف))، ولكن الغريب أنه علق على الحديث بقوله: ((روح الرحمن من الصفات التي يجب الإيمان بها دون تأويل أو إنكار، من غير تشبيه ولا تمثيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، سبحانه وتعالى.

قلت: هذا مردود بما سبق، والحديث ضعيف. [١]

نقل أبو موسى المديني في ((المجموع المغيث)) كلاماً نافعاً جدّاً لأبي إسحاق إبراهيم الحربي عن الاختلاف في قراءة وتفسير (الرّوْح)؛ فراجعه إن شئت.

قال ابن تيمية: لم يعبر أحدٌ من الأنبياء عن حياة الله بأنها رَوْحُ الله، فمن حمل كلام أحدٍ من الأنبياء بلفظ الروح أنه يراد به حياة الله فقد كذب. [٢]

الوجه الرابع: ماذا في كتبهم؟

الله في كتبهم ينفخ:

كما ورد في سفر التكوين(٢: ٧): وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً.

والرب ينفخ في البوق:

كما جاء في زكريا(٩: ١٤): وَيُرَى الرَّبُّ فَوْقَهُمْ، وَسَهْمُهُ يَخْرُجُ كَالْبَرْقِ، وَالسَّيِّدُ الرَّبُّ يَنْفُخُ فِي الْبُوقِ وَيَسِيرُ فِي زَوَابعِ الْجَنُوبِ.

روح القدس هو الذي أحبل مريم:

كما جاء في إنجيل متى(١/ ١٨): أَمَّا وِلاَدَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ هكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا، وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ.

* * *

---

(١) مسند أحمد٢/ ٨٤ ، قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده ضعيف.

(٢) الجواب الصحيح٤/ ٥٠.

٤ـ شبهة: صفة الضحك.

نص الشبهة:

قالوا: الله يضحك، فعن جابر ﷺ سمعت النبيﷺ يقول: اهتز العرش لموت سعد بن معاذ ، وعن الأعمش حدثنا أبو صالح عن جابر عن النبي ﷺ مثله، فقال رجل لجابر: فإن البراء يقول: اهتز السرير، فقال: إنه كان بين هذين الحيين ضغائن، سمعت النبي ﷺ يقول: اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ. (١)

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة. فقالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: يقاتل هذا في سبيل الله ﷻفيستشهد، ثم يتوب الله على القاتل فيُسلم فيقاتل في سبيل اللهﷻ فيستشهد، وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، وزهير بن حرب، وأبو كريب قالوا: حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي الزناد بهذا الإسناد مثله. (٢)

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: صفة الضحك لله تعالى.

الوجه الثاني: ماذا في كتب النصارى حول ضحك الرب؟

واليك التفصيل

الوجه الأول: صفة الضحك لله تعالى.

فإن الله سبحانه وتعالى كما ورد في الأحاديث المتقدمة قد وصف نفسه بالضحك، وهي صفة فعل له سبحانه وتعالى متعلقة بمشيئته؛ إذا شاء ضحك وإذا شاء لم يضحك. صفة تليق بجلاله وعظمته من غير تشبيه لأحد من خلقه، أو تمثيل، أو تكييف، أو تعطيل، أو إلحاد فيها، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة خلافًا لأهل البدعة.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهﷺ قَال: " آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فَهُوَ يَمْشِى مَرَّةً وَيَكْبُو مَرَّةً وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً. . .فَيَقُولُ اللهُ : يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِى مِنْكَ، أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ

---

(١) البخاري (٣٨٠٣)، مسلم (٢٤٦٦).

(٢) البخاري (٢٨٢٦)، مسلم (١٨٩٠).

الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ». فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلاَ تَسْأَلُونِّي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ الله ﷺ. فَقَالُوا مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: « مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إني لاَ أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ". [(١)]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ الله، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: ((هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟)) قَالُوا: لَا يَا رَسولَ الله. قَالَ: ((هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟)) قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ الله. . . الحديث [(٢)].

قال ابن خزيمة: باب ذكر إثبات ضحك ربنا ﷻ، بلا صفة تصف ضحكه جل ثناؤه، ولا يشبّه ضحكه بضحك المخلوقين وضحكهم كذلك؛ بل نؤمن بأنه يضحك كما أعلم النبي ﷺ ونسكت عن صفة ضحكه جل وعلا؛ إذ الله ﷻاستأثر بصفة ضحكه لم يطلعنا على ذلك، فنحن قائلون بما قال النبي ﷺ ، مصدقون بذلك بقلوبنا، منصتون عما لم يبين لنا مما استأثر الله بعلمه. [(٣)]

وقال محمد بن الحسين الآجري رحمه الله: باب الإيمان بأن الله ﷻيضحك. اعلموا - وفقنا الله، وإياكم للرشاد من القول والعمل - أن أهل الحق يصفون الله ﷻبما وصف به نفسه ﷻ، وبما وصفه به رسوله ﷺ، وبما وصفه به الصحابة ﷺ.

وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع، ولا يقال فيه: كيف؟ بل التسليم له، والإيمان به: أنَّ الله عز وجل يضحك، كذا روي عن النبي ﷺ، وعن صحابته رضي الله عنهم، فلا ينكر هذا إلا من لا يحمد حاله عند أهل الحق. [(٤)]

---

(١) مسلم (١٨٧).

(٢) البخاري (٦٥٧٣ ، ٧٤٣٧، ٧٤٣٩)، مسلم (٢١٨٢ ، ٢٩٦٨).

(٣) التوحيد ٢/ ٥٦٣.

(٤) الشريعة ٢٦٨.

وقال ابن تيمية: وقول القائل: إن الضحك خفة روح ليس بصحيح، وإن كان ذلك قد يقارنه، ثم قول القائل: خفة الروح إن أراد به وصفا مذموما فهذا يكون لما لا ينبغي أن يضحك منه وإلا فالضحك في موضعه المناسب له صفة مدح وكمال، وإذا قدر حيان أحدهما يضحك مما يضحك منه، والآخر لا يضحك قط كان الأول أكمل من الثاني، ولهذا قال النبيﷺ : ينظر إليكم الرب قنطين فيظل يضحك، يعلم أن فرجكم قريب، فقال له أبو رزين العقيلي: يا رسول الله أوَ يضحك الرب؟ قال: نعم. قال: لن نعدم من رب يضحك خيرا.

فجعل الأعرابي العاقل بصحة فطرته ضحكه دليلًا على إحسانه وإنعامه؛ فدل على أن هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود وأنه من صفات الكمال، والشخص العبوس الذي لا يضحك قط هو مذموم بذلك، وقد قيل في اليوم الشديد العذاب إنه يومًا عبوسًا قمطريرًا، وقد رُوي أن الملائكة قالت لآدم: حياك الله وبياك أي أضحكك، والإنسان حيوان ناطق ضاحك، وما يميز الإنسان عن البهيمة صفة كمال، فكما أن النطق صفة كمال فكذلك الضحك صفة كمال، فمن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، ومن يضحك أكمل ممن لا يضحك، وإذا كان الضحك فينا مستلزمًا لشيء من النقص فالله منزه عن ذلك، وذلك الأكثر مختص لا عام فليس حقيقة الضحك مطلقًا مقرونة بالنقص، كما أن ذواتنا وصفاتنا مقرونة بالنقص، ووجودنا مقرون بالنقص، ولا يلزم أن يكون الرب مُوجِدًا، وأن لا تكون له ذات. [1]

الوجه الثاني: ماذا في كتب النصارى حول ضحك الرب؟

ففي كتابهم المقدس عندهم صفة الضحك للرب.

١. الرب يضحك ويستهزئ بالناس

كما جاء في المزامير(٢: ٤): اَلسَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. الرَّبُّ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ.

وأيضًا في المزامير(٥٩: ٨): أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَتَضْحَكُ بِهِمْ. تَسْتَهْزِئُ بِجَمِيعِ الأُمَمِ.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/ ١٢١، ١٢٢.

٢. الرب يضحك من القدر

كما جاء في المزامير(٣٧: ١٣): الرَّبُّ يَضْحَكُ بِهِ لأَنَّهُ رَأَى أَنَّ يَوْمَهُ آتٍ!

٣. الرب يضحك شماتة

كما جاء في الأمثال(١ : ٢٦): فَأَنَا أيضًا أَضْحَكُ عِنْدَ بَلِيَّتِكُمْ. أَشْمَتُ عِنْدَ مَجِيءِ خَوْفِكُمْ.

فهل قرأوا هذه الفقرات في كتبهم؟ واطلعوا عليها قبل أن يتسهزءوا بغيرهم؟! !

* * *

٥ـ شبهة: ويمكرون ويمكر الله.

نص الشبهة:

أثار المعترضون شبهة أن الله ﷻ ماكر، ويمكر، واعتبروا أن هذا نقص، وكيف يكون إله وله هذه الصفة المذمومة؟ ، فحرفوا الكلم عن مواضعه وقالوا: **الله ماكر ويمكر** ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٥٤)، ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل: ٥٠).

وعن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يدعو يقول: رب أعني ولا تعن عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى عليَّ، رب اجعلني لك شكارًا، لك ذكارًا، لك رهابًا، لك مطواعًا، لك مخبتًا، إليك أواها منيبا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، وسدد لساني، واهدقلبي، واسلل سخيمة صدري.[1]

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

الوجه الأول: المكر في اللغة.

الوجه الثاني: المكر بمعنى الاحتيال أو الخديعة ليس مذمومًا مطلقًا.

الوجه الثالث: التشابه في الأسماء لا يلزم التشابه في المسميات.

الوجه الرابع: الألفاظ في النصوص الشرعية قد تتشابه في مواضع بين الخالق والمخلوق.

الوجه الخامس: إذا اتفقنا أن صفات الله غير صفات المخلوق.

الوجه السادس: صفة المكر كما وردت في القرآن.

الوجه السابع: أقوال أهل العلم في المكر.

الوجه الثامن: ماذا في كتبهم المقدسة لديهم من صفة المكر؟

الوجه التاسع: نبذة يسيرة عما في كتبهم من وصف الله تعالى بصفات لا تليق.

وإليك التفصيل

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٣٥٥١)، وأبو داود في سننه (١٥١٠)، وابن ماجه في سننه (٣٨٣٠)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٠٠٨).

الوجه الأول: المكر في اللغة.

يأتي بمعاني: منها:

١. الـمَكْرُ: احتـيال فـي خُفـية.

٢. ابن سيده: الـمَكْرُ الـخَدِيعَة والاحتـيال.

٣. والـمَكْرُ: الـمَغْرَةُ. وثوب مَـمْكُورٌ ومُـمْتَكَرٌ: مصبوغ بالـمَكْرِ، وقد مَكَرَه فامْتَكَرَ أَي خَضَبه فاخْتَضَبَ.

٤. والمكر: نوع من النبات.

٥. والمكر: السقيا.[1]

٦. المكر التدبير والتخطيط. فيقال: فلان يمكر لك: أي يدبر ويخطط له.

فكلمة المكر في لغة العرب ليست على معنى واحد.

الوجه الثاني: المكر بمعنى الاحتيال أو الخديعة ليس مذمومًا مطلقًا.

وذلك أن العرب كانت تطلق صفة المكر على معنين:

المعنى الأول: معنى محمود: وهو أن المكر والدهاء يطلقان على من يستدرج عدوه، أو من لا يغلبه عدوه، فكانوا يمدحون من كانت هذه صفته.

المعنى الثاني: مذموم: وذلك يطلق على من يمكر بأوليائه ومن كان قريبًا منه، لاحتلال مكانته إذا كان ذا جاه أو سلطان، أو لنيل مال أو امرأة أو غير ذلك مما يتنازع عليه الناس في أمور الدنيا. وهذا يحتاج إلى تدبير وتخطيط وتفكير.

الوجه الثالث: التشابه في الأسماء لا يلزم منه التشابه في المسميات.

من المعلوم أن القرآن نزل بلغة العرب، وتفهم مفرداته بحسب لغة العرب، وذلك باختيار المعنى المناسب للنص، وروده فيه، فقد تأتي لفظة في القرآن أو السنة، وتتكرر، ويقصد بها في موضع معنى، وفي موضع آخر معنى مختلف، وهكذا.

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٥/ ١٨٣، ١٨٤.

ومن أمثلة ذلك:

* الرجس: جاء معناها في اللغة: القَذَارة، والنجاسة، والعذاب، والإثم، والشك، والعمل القبيح الذي يؤدي إلى العذاب.[1]

وقد وردت في القرآن بمعنى مثل ذلك وكذلك السنة.

* أما في القرآن فالرجس بمعنى النجاسة كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأنعام: ١٤٥).

وبمعنى الحرام والإثم: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ (المائدة: ٩٠).

وبمعنى العذاب: قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ (الأعراف: ٧١).

وبمعنى العمل القبيح: قال تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (التوبة: ٩٥).

وفي السنة كذلك:

* عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: الطاعون رجس، أُرسل على طائفة من بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرضٍ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه.[2]

فمعنى رجس هنا: أي عذاب.

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فإنها رجس.[1]

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٦/ ٩٤، ٩٥.

(٢) البخاري (٣٢٨٦).

ومعناه هنا: النجاسة.

ونحو ذلك من المعاني، فكون إنسان يحكم على لفظة بمعنى لفظة أخرى؛ فهذا من الجهل بالمعاني.

الوجه الرابع: الألفاظ في النصوص الشرعية (الكتاب والسنة) قد تتشابه في مواضع بين الخالق والمخلوق " ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

لأن صفات الخالق غير صفات المخلوق، بمعنى إذا كنا نؤمن بأن الخالق سبحانه وتعالى منزه عن مشابهة المخلوق في صفاته وذاته، فهنا لا نستطيع أن نأتي بلفظة لمخلوق مشابهة للفظة في حق الخالق ونسوي بينها.

ومثال على ذلك:

الله ﷻ وصف نفسه في كتابه بأنه رحيم ورؤوف.

فقال تعالى في حق نفسه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ٢٠)

فهاتان صفتان لله سبحانه وتعالى تليق بجلاله وعظمته. وهما من صفات الكمال في حقه سبحانه كخالق ورب للعالمين.

وقال سبحانه في حق نبيه محمدﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)

فقد وصف نبيهﷺ بأنه رؤوف رحيم، ووصف نفسه بأنه رؤوف رحيم، فهل نستطيع أن نقول: إن صفة الرحمة في حق الله تتشابه مع صفة الرحمة في حق النبي ﷺ؟

من يقدر الله سبحانه حق قدره؛ لا يقع في التشابه.

فصفة الرحمة في حق النبي ﷺ هي صفة كمال بشري، مناسبة لحالته البشرية القابلة للفناء والنقص والزيادة.

أما صفة الله تعالى: فهي صفة كمال في حق الخالق الباقي الذي لا يفنى سبحانه.

---

(١) البخاري (٣٩٦٢).

وهكذا كثير من الصفات.

ولذلك قاعدة مهمة عند أهل السنة وهي: (التشابه في الأسماء لا يقتضي التشابه في المسميات)

بمعنى: إذا نظرنا إلى حالة الخلق من حولنا وأخذنا مثالًا على ذلك (القدم):

فلو نظرنا إلى لفظة القدم وعضو القدم نجده موجودًا في الفيل والحصان والنملة والإنسان.

فهل هذه الصفات تتشابه؟ والجواب بالبديهة: لا تتشابه.

فكذلك الصفة إذا وصف بها مخلوق ووصف بها الخالق، فلا يقتضي ذلك التساوي في المعنى والكيفية؟

الوجه الخامس: إذا اتفقنا أن صفات الله غير صفات المخلوق.

فصفات الله صفات كمال، وصفات المخلوق صفات نقص. استطعنا أن نفرق بين مكر الله ومكر المخلوق، وإذا كان مكر المخلوق ليس مذمومًا مطلقًا، فلماذا جعلنا مكر الله مذمومًا مطلقًا؟! أليس هذا من الجهل والظلم؟!

الوجه السادس: صفة المكر كما وردت في القرآن.

وردت صفة المكر ومشتقاتها في القرآن في واحد وأربعين موضعًا، في ثلاث وعشرين آية:

وهي على قسمين:

القسم الأول: وردت خاصة بأهل الزيغ والضلال من أعداء الرسل كصفة مذمومة.

والقسم الثاني: وردت في آيات كصفة للمخلوق، وردَّ الله عليهم بصفة له سبحانه فلم تأت هذه الصفة كصفة مستقلة لله سبحانه وتعالى.

ونبدأ بالكلام على القسم الأول، فنقول:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (الأنعام: ١٢٣)

قال ابن كثير: والمراد بالمكر هاهنا دعاؤهم إلى الضلالة بزخرفٍ من المقال والفعال، كما قال تعالى إخبارًا عن قوم نوح: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢)﴾ (نوح: ٢٢). [١]

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (١٢٤) ﴾ (الأنعام: ١٢٤).

قال الطبري: تأويل قوله تعالى: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ مُعْلِمُه ما هو صانع بهؤلاء المتمردين عليه: سيصيب يا محمد الذي اكتسبوا الإثم بشركهم بالله وعبادتهم غيره صَغار يعني ذلة وهوان. [٢]

وقال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾؛ لما كان المكر غالبًا إنما يكون خفيًا، وهو التلطف في التحيل والخديعة قوبلوا بالعذاب الشديد من الله يوم القيامة جزاء وفاقا، ولا يظلم ربك أحدا كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩)﴾ (الطارق: ٩).

أي تظهر المستترات والمكنونات والضمائر. وجاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: " يُنصب لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان"؛ والحكمة في هذا أنه لما كان الغدر خفيًا لا يطلع عليه الناس، فيوم القيامة يصير علما منشورا على صاحبه بما فعل. [٣]

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٣)

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٧٣.

(٢) تفسير الطبري ٨/ ٢٥.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ١٧٥.

قال ابن جرير: قال فرعون للسحرة إذ آمنوا بالله يعني: صدقوا رسوله موسى عليه السلام لما عاينوا من عظيم قدرة الله وسلطانه (آمنتم) يقول: أصدقتم بموسى وأقررتم بنبوته قبل أن آذن لكم بالإيمان به؟ (إن هذا) يقول: تصديقكم إياه وإقراركم بنبوته (لمكر مكرتموه في المدينة) يقول: لخدعة خدعتم بها من في مدينتنا لتخرجوهم منها.[1]

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (يوسف: ٣١)

عن ابن إسحاق قال: لما أظهر النساء ذلك من قولهن: تراود عبدها؛ مكرا بها لتريهن يوسف وكان يوصف لهن بحسنه وجماله، فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكئًا.[2]

وهكذا باقي الآيات في مكر هؤلاء تدور حول الخداع، والتضليل، والتدبير للمؤمنين لإيقاعهم في الباطل أو قتلهم.

ـ قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ (يوسف: ١٠٢)، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ (الرعد: ٣٣)، وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ (إبراهيم: ٤٦).

ـ وقال تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (النحل: ٢٦).

---

(١) تفسير الطبري ٩/ ٢٣.

(٢) تفسير الطبري ١٢/ ٢٠١، وابن كثير ٢/ ٤٧٧.

قال ابن كثير: قوله تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ برسلهم وأرادوا إخراجهم من بلادهم؛ فمكر الله بهم وجعل العاقبة للمتقين كقوله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٣٠).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١ ﴾ (النمل: ٥٠، ٥١)، ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ﴾ (النمل: من الآية٥٢) الآيتين، وقوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ (الرعد: ٤٢)؛ أي أنه تعالى عالم بجميع السرائر والضمائر، ويجزي كل عامل بعمله وسيعلم الكافر، والقراءة الأخرى: الكفار لمن عقبى الدار، أي لمن تكون الدائرة والعاقبة لهم أو لأتباع الرسل، كلا بل هي لأتباع الرسل في الدنيا والآخرة ولله الحمد والمنة.[1]

- قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٤٥ ﴾ (النحل: ٤٥)

- وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝١٢٧ ﴾ (النحل: ١٢٧).

- وقال تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١ ﴾ (النمل: ٥١).

- وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝٧٠ ﴾ (النمل: ٧٠).

- وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٢٢.

كَفَرُوا۟ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (سبأ: ٣٣).

ـ وقال تعالى: ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (فاطر: ٤٣).

ـ وقال تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ (غافر: ٤٥).

القسم الثاني: ما ذكر فيه مكر الله تعالى:

لم يذكر مكر الله في أي آية إلا صفة فعل مقابل لما يفعله أهل الضلال، ولم تذكر الصفة مفردة، ومن أجل ذلك لا تطلق الصفة إلا مقارنة بالكفار كما ذكرت في القرآن، ولا يتخذ منها اسمًا أو صفة مستقلة. ولنأخذ مثالا على ذلك:

منها: قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٥٤)

قال البغوي: قوله تعالى: (وَمَكَرُوا) يعني كفار بني إسرائيل الذي أحس عيسى منهم الكفر، وبَرُّوا في قتل عيسى ، وذلك أن عيسى بعد إخراج قومه إياه وأمه عاد إليهم مع الحواريين، وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله، وتواطؤوا على الفتك به فذلك مكرهم قال الله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾فالمكر من المخلوقين: الخبث والخديعة والحيلة، والمكر من الله: استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يعلم كما قال: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٢)، وقال الزجاج: مكر الله مجازاتهم على مكرهم فسمي الجزاء باسم الابتداء؛ لأنه في مقابلته كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ (البقرة: ١٥) ﴿وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ ﴾ (النساء: ١٤٢) ومكر الله تعالى خاصة بهم في هذه الآية، وهو إلقاؤه الشَبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى حتى قتل.[١]

---

(١) تفسير البغوي ١/ ٣٠٧.

وقال أيضًا: وجملته: أن أسماء الله تعالى على التوقيف؛ فإنه يسمى جوادًا ولا يسمى سخيًا، وإن كان في معنى الجواد، ويسمى رحيمًا ولا يسمى رفيقًا، ويسمى عالماً ولا يسمى عاقلًا، وقال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ (النساء: ١٤٢)وقال ﷻ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٥٤)، ولا يقال في الدعاء: يا مخادع، يا مكار؛ بل يدعى بأسمائه التي ورد بها التوقيف على وجه التعظيم، فيقال: يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا عزيز، يا كريم ونحو ذلك.[1]

وقال الشيخ السعدي: قال تعالى هنا (ومكروا) أي: الكفار بإرادة قتل نبي الله، وإطفاء نوره (ومكر الله) بهم جزاء لهم على مكرهم (والله خير الماكرين) رد الله كيدهم في نحورهم، فانقلبوا خاسرين.[2]

وجاء في التفسير الميسر: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾، ومكر الذين كفروا من بني إسرائيل بعيسى عليه السلام، بأن وكَّلوا به من يقتله غِيْلة، فألقى الله شَبَه عيسى على رجل دلَّهم عليه فأمسكوا به، وقتلوه وصلبوه ظناً منهم أنه عيسى عليه السلام، والله خير الماكرين. وفي هذا إثبات صفة المكر لله -تعالى- على ما يليق بجلاله وكماله؛ لأنه مكر بحق، وفي مقابلة مكر الماكرين.[3]

ومن المواضع الأخرى:

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ (الأعراف: ٩٩).

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ (الأنفال: ٣٠).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ

---

(١) تفسير البغوي ٢/ ٢١٨.

(٢) تيسير السعدي صـ١٣٢.

(٣) التفسير الميسر: مجموعة من العلماء بإشراف الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي.

مَكْرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (يونس: ٢١).

وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًاۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الرعد: ٤٢).

وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ (إبراهيم: ٤٦).

الوجه السابع: أقوال أهل العلم في المكر، وأن الله لا يوصف بالمكر إلا مقيدًا.

قال الراغب الأصفهاني:المكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة.

وذلك ضربان:

مكر محمود: وذلك أن يتحرى بذلك فعل جميل على ذلك قال: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

ومكرمذموم: وهو أن يتحرى به فعل قبيح، قال: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾، ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾، ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ ﴾ وقال في الأمرين: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾.

وقال بعضهم: من مكر الله إمهال العبد وتمكينه من أعراض الدنيا، ولذلك قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: من وسع عليه دنياه ولم يعلم أنه مكر به فهو مخدوع عن عقله. [(١)]

وعلى التقديرين فإطلاق ذلك عليه سبحانه على حقيقته دون مجازها.

وقال ابن القيم: وأما المكر الذي وصف به نفسه فهو مجازاته للماكرين بأوليائه ورسله، فيقابل مكرهم السيء بمكره الحسن فيكون المكر منهم أقبح شيء، ومنه أحسن شيء؛ لأنه عدل ومجازاة وكذلك المخادعة منه جزاء على مخادعة رسله أوليائه فلا أحسن من تلك المخادعة والمكر[(٢)].

---

(١) مفردات القرآن صـ٤٧١.

(٢) الفوائد صـ١٦٣.

وقال رحمه الله: وكذلك المكر ينقسم إلى محمود ومذموم؛ فإن حقيقته إظهار أمر وإخفاء خلافه؛ ليتوصل به إلى مراده. فمن المحمود مكره تعالى بأهل المكر مقابلة لهم بفعلهم وجزاء لهم بجنس عملهم قال تعالى ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٥٤) وقال تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ (النمل: ٥٠). [١]

وقال أيضًا: فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي وكذلك الكيد والمخادعة، ولكنه نوعان: قبيح وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه، وحسن وهو إيصاله إلى مستحقه عقوبة له؛ فالأول مذموم والثاني ممدوح، والرب تعالى إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلا منه وحكمة وهو تعالى يأخذ الظالم والفاجر من حيث لا يحتسب لا كما يفعل الظلمة بعباده، وأما السيئة فهي فيعلة مما يسوء ولا ريب أن العقوبة تسوء صاحبها فهي سيئة له حسنة من الحكم العدل. [٢]

وقال ناصر الفهد: والصحيح في هذه الصفات إثباتها على الوجه اللائق بالله سبحانه، وكون الاستهزاء والمكر والكيد ونحوها صفات مذمومة من البشر لا يقتضي هذا نفيها عن الله سبحانه لأمرين:

الأمر الأول: أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فلا يقاس بخلقه -كقياسات المعتزلة مشبهة الأفعال- فيجعل كل ما حسن من البشر حسن منه، وما قبح منهم قبح منه، فإن هذا لا يكون إلا للنظيرين، والله سبحانه لا نظير له، فقد يحسن منه ما لا يجوز للبشر الاتصاف به كالعظمة والكبرياء، وقد يحسن من خلقه ما ينزه عنه سبحانه كالعبودية.

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٣٨٨.

(٢) إعلام الموقعين ٣/ ٢١٨.

الأمر الثاني: إن كون الاتصاف بهذه الصفات مذموم ليس على الإطلاق، لأن هذه الصفات ونحوها لها حالتان:

الحالة الأولى: يكون الاتصاف بها مذموماً وهو إذا ما تضمن ذلك الظلم والكذب والغش ونحوها.

الحالة الثانية: يكون الاتصاف بها محموداً وهو ما كان بحقٍ وعدلٍ ومجازاةٍ، فمن مكر بظلم فيحسن أن يمكر به بحقٍ و بعدلٍ.

فمثل هذه الصفات ليست كمالاً على الإطلاق، وليست نقصاً على الإطلاق؛ بل فيها تفصيل، ومثلها يرد إطلاقها على الله سبحانه في حالة كونها كمالاً وهي التي تكون على سبيل المقابلة، لذلك فليس من أسمائه سبحانه (المستهزئ) ولا (الماكر) ولا (الكائد) ونحوها؛ لأنها ليست محمودة على الإطلاق، والله سبحانه لم يصف نفسه بها إلا على وجه المقابلة والجزاء لمن فعل ذلك بغير وجه حق.[1]

قال ابن القيم: عن صفات المكر والخداع والكيد والاستهزاء ونحوها-: (لا ريب أن هذه المعاني يذم بها كثيراً، فيقال: فلان صاحب مكر وخداع وكيد واستهزاء، ولا تكاد تطلق على سبيل المدح بخلاف أضدادها، وهذا هو الذي غر من جعلها مجازاً في حق من يتعالى ويتقدس عن كل عيبٍ وذم.

والصواب: أن معانيها تنقسم إلى محمود ومذموم، فالمذموم منها يرجع إلى الظلم والكذب، فما يذم منها إنما لكونه متضمناً للكذب والظلم أو لهما جميعاً، وهذا هو الذي ذمه الله تعالى لأهله...فلما كان غالب استعمال هذه الألفاظ في المعاني المذمومة ظن المعطلون أن ذلك هو حقيقتها، فإذا أطلقت لغير الذم كان مجازاً، والحق خلاف هذا الظن، وأنها منقسمة إلى محمود ومذموم، فما كان منها متضمناً للكذب والظلم فهو مذموم، وما كان

(١) الإعلام بمخالفات الموافقات والاعتصام صـ٦١.

منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح فهو حسن محمود، فإن المخادع إذا خادع بباطل وظلم حسُن من المجازي له أن يخدعه بحقٍ وعدلٍ -إلى أن قال-إذا عرف ذلك فنقول: إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقاً، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى -إلى أن قال- أن الله سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد عُلِم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق، فكيف من الخالق سبحانه؟ ، وهذا إذا نزلنا على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين، وأنه سبحانه منزه عما يقدر عليه مما لا يليق بكماله، ولكنه لا يفعله لقبحه وغناه عنه، وإن نزلنا ذلك على نفي التحسين والتقبيح عقلاً وأنه يجوز عليه كل ممكن ولا يكون قبيحاً، فلا يكون الاستهزاء والمكر والخداع منه قبيحاً البتة، فلا يمتنع وصفه به ابتداءً لا على سبيل المقابلة على هذا التقرير. ا هـ. [1]

الوجه الثامن: ماذا في كتبهم المقدسة لديهم من صفة المكر؟

ولنعرض هنا بعض ما جاء في كتبهم ورسائلهم المقدسة من صفة المكر .

جاءت صفة المكر في كتبهم مقارب للمعنى الذي ذكرناه.

أولًا: كونه صفة مذمومة

جاء في مزامير داود (١١٩ : ١١٨): احْتَقَرْتَ كُلَّ الضَّالِّينَ عَنْ فَرَائِضِكَ، لأَنَّ مَكْرَهُمْ بَاطِلٌ.

ثانيًا: وورد كصفة حسنة:

جاء في سفر التكوين: فَقَالَ: «قَدْ جَاءَ أَخُوكَ بِمَكْرٍ وَأَخَذَ بَرَكَتَكَ». (التكوين ٢٧: ٣٥).

فإذا كانت البركة شيء محمود فأخذها شيء محمود، فالمكر هنا شيء محمود، وإذا كان المكر عندهم مذموم مطلقًا؛ فإن هذا سبة في يعقوب الذي أخذ بركة أبيه بدلًا من أخيه مكرًا.

وجاء في مزامير داود: لأَنَّهُمْ لاَ يَتَكَلَّمُونَ بِالسَّلاَمِ، وَعَلَى الْهَادِئِينَ فِي الأَرْضِ يَتَفَكَّرُونَ بِكَلاَمِ مَكْرٍ. (مز ٣٥: ٢٠)

---

(١) الصواعق المرسلة صـ ٢٩٠ ـ ٢٩٣.

فإذا كان الهدوء شيء ممدوح فالمكر شيء ممدوح، وإذا كان المكر مذموم فالهدوء مذموم، وبذلك قد خالفتم الفطرة والعقل.

وفي حق الرب:

جاء في سفر أرمياء (٩: ٦): مَسْكَنُكَ فِي وَسْطِ الْمَكْرِ. بِالْمَكْرِ أَبَوْا أَنْ يَعْرِفُونِي، يَقُولُ الرَّبُّ.

فهذا الرب يأمر بالمكر، فهل يقصد المكر المذموم وهو خديعة أهل الحق للإيقاع بهم في شر؟ أم يقصد إمهال أهل الباطل حتى يقعوا في شرهم الذي نصبوه لغيرهم؟

فإذا كان الأول: فلما تعيبون على غيركم؟

وإذا كان الثاني! فلم يكون الكيل بمكيالين؟! تحملون كلامكم على الوجه الحسن وكلامنا على الوجه السيئ. ! !

ونجد المكر والخديعة بصورة أخرى للرب عند النصارى:

ونجدها في الرسالة الثانية إلى تسالونكي٢) ٢: ١١:)"وَلأَجْلِ هذَا سَيُرْسِلُ إِلَيْهِمُ اللهُ عَمَلَ الضَّلاَلِ، حَتَّى يُصَدِّقُوا الْكَذِبَ" (وفي سفر حزقيال١٤: ٩): " فَإِذَا ضَلَّ النَّبِيُّ وَتَكَلَّمَ كَلاَمًا، فَأَنَا الرَّبُّ قَدْ أَضْلَلْتُ ذلِكَ النَّبِيَّ. "

وهل يجوز للرب أن يرسل عمل الضلال على أساس أنه الحق ليصدقوا الضلال؟ أم أن الله تعالى في شرعه إلى الخلق يبين لهم الهدى من الضلال فمن سار في الضلال فبإرادته سلك الطريق، ومن سلك طريق الضلال فبإرادته سلك الطريق؟ هذا هو الحق؛ أم كون الله تعالى يظهر الضلال في صورة الهدى ليضل الناس! فهذا ليس برب ناصح لعباده. وهل يضل الله النبي الذي اصطفاه من خلقه ليكون إمامًا وقدوة للناس؟! كيف يكون ذلك، والأصل أن الأنبياء يجب أن يكونوا على جانب كبير من الهدى والحق.

ولذلك جاء في القرآن أن الله تعالى يملك الهداية والضلال، فيضل من عباده من علم الله فيه أنه يسلك طريق الضلال، ويهدي من عباده من علم فيه أنه يسلك طريق الهداية فقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (الأنعام: ١١٧).

وقال سبحانه: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ

إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ (الرعد: ٢٧).

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾ (مريم: ٧٥).

وهذا هو استدراج الله تعالى بالعبد بسبب تركه للهدى واتباع طريق الضلالة.

الوجه التاسع: نبذة يسيرة عما في كتبهم من وصف الله تعالى بصفات لا تليق:

١. الرب خروف:

جاء في رؤيا يوحنا: (هؤُلاَءِ سَيُحَارِبُونَ الْخَرُوفَ، وَالْخَرُوفُ يَغْلِبُهُمْ، لأَنَّهُ رَبُّ الأَرْبَابِ وَمَلِكُ الْمُلُوكِ)(رؤيا يوحنا ١٧/ ١٤).

فهل هناك عقل يقبل أن يكون رب الأرباب خروفًا؟!!

٢. الرب يستيقظ كالسكران:

جاء في المزامير: (فَاسْتَيْقَظَ الرَّبُّ كَنَائِمٍ، كَجَبَّارٍ مُعَيِّطٍ مِنَ الْخَمْرِ.) (مز ٧٨: ٦٥)

فهل هناك رب يشرب الخمر وينام ويترنح من السكر؟!! سبحانك ربي تعالى عما يصفون.

٣. الرب يستهزئ بالناس:

كما جاء في سفر الأمثال: لَعْنَةُ الرَّبِّ فِي بَيْتِ الشِّرِّيرِ، لكِنَّهُ يُبَارِكُ مَسْكَنَ الصِّدِّيقِينَ. [٣٤] كَمَا أَنَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِالْمُسْتَهْزِئِينَ، هكَذَا يُعْطِي نِعْمَةً لِلْمُتَوَاضِعِينَ. (أمثال ٣ : ٣٣، ٣٤) قد يقال هذا مدح على سبيل المقابلة.

وكما جاء في سفر الحكمة: (يبصرون ويزدرون والرب يستهزئ بهم (الحكمة ٤: ١٨).

ملحقات هذه الشبهة:

وقد أثار المعترضون شبهات تلحق بما ذكرنا وهي لفظ: وهو خادعهم، يستهزئ بهم، وأكيد كيدا، ونحوها:

الله مخادع يخادع الناس: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء ١٤٢).

عن الزبير بن العوام أنه كانت عنده أم كلثوم بنت عقبة، فقالت له وهي حامل: طيب نفسي بتطليقة فطلقها تطليقة ثم خرج إلى الصلاة فرجع وقد وضعت، فقال: ما لها خدعتني خدعها الله ثم أتى النبي ﷺ فقال سبق الكتاب أجله اخطبها إلى نفسها.[1]

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: أننا ذكرنا في جواب شبهة المكر أن الفعل -سواء كان المكر أو الخداع أو الكيد- من العبد له معنى مذموم، وهو خداع أهل الخير لإيقاعهم في شر.

ومعنى محمود: وهو استدراج العدو حتى يقع هو فيما يخدع به غيره من غير خيانة له.

وذكرنا أنه من الله تعالى: محمود مطلقًا: لأن العبد من خلق الله تعالى وهو سبحانه أعلم بحقيقة عبده، وما يريد أن يفعله قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فهو سبحانه يعلم بخداعه وقد جعل الله لمن خادع أو مكر بمؤمن أن خداعة لا يرجع إلا على نفسه كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ (فاطر: من الآية٤٣).

فهناك مكر سيئ، وهناك مكر محمود، فالسيئ لا يضر إلا بأهله، والمكر المحمود يعود نفعه على كل الناس.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٢٦) من طريق قبيصة بن عقبة. حدثنا سفيان عن عمرو بن ميمون عن أبيه عن الزبير بن العوام، وأخرجه إسحاق في مسنده (٢٢٣٦) من طريق وكيع، والبيهقي ٢/ ٤٢١من طريق عبيد الله الأشجعي، كلاهما وكيع والأشجعي عن سفيان عن عمرو بن ميمون عن أبيه عن أم كلثوم، وأخرجه الحاكم ٢/ ٢٠٩من طريق عبد الملك بن أبي القاسم عن أم كلثوم.

فالحديث صحيح من مسند أم كلثوم، وقد صححه الألباني كما في الإرواء (٢١١٧) بمتابعة الأشجعي.

الوجه الثاني: سنة الله في عباده.

وقد اطردت سنته الكونية سبحانه في عباده بأن من مكر بالباطل مكر به، ومن احتال احتيل عليه، ومن خادع غيره خدع قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ (النساء: ١٤٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ (فاطر: ٤٣)، فلا تجد ماكرًا إلا وهو ممكور به، ولا مخادعًا إلا وهو مخدوع، ولا محتالًا إلا وهو محتال عليه. (١)

الوجه الثالث: أعلى مراتب الحسن.

وقد دل على هذا نسبة الله سبحانه ذلك الكيد إلى نفسه بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (يوسف: ٧٦) وهو سبحانه ينسب إلى نفسه أحسن هذه المعاني، وما هو منها حكمة وحق وصواب وجزاء للمسيء، وذلك غاية العدل والحق كقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ (الطارق: ١٥، ١٦). وقوله: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٥٤) وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ (البقرة: ١٥) وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ (النساء: ١٤٢) وقوله: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ (الأعراف: ١٨٣).

فهذا منه سبحانه في أعلى مراتب الحسن، وإن كان من العبد قبيحًا سيئًا؛ لأنه ظالم فيه؛ وموقعه بمن لا يستحقه؛ والرب تعالى عادل فيه موقعه بأهله؛ ومن يستحقه سواء قيل: إنه مجاز للمشاكلة الصورية أو للمقابلة، أو سماه كذلك مشاكلة لاسم ما فعلوه، أو قيل: إنه حقيقة وإن مسمى هذه الأفعال ينقسم إلى مذموم ومحمود واللفظ حقيقة في هذا وهذا. (٢)

الوجه الرابع: وماذا في كتبهم عن صفة الخداع؟

جاء في سفر أشعيا: هكَذَا تُكَلِّمُونَ حَزَقِيَّا مَلِكَ يَهُوذَا قَائِلِينَ: لاَ يَخْدَعْكَ إِلهُكَ الَّذِي أَنْتَ مُتَوَكِّلٌ عَلَيْهِ، قَائِلاً: لاَ تُدْفَعُ أُورُشَلِيمُ إِلَى يَدِ مَلِكِ أَشُّورَ. (أشعيا ٣٧: ١٠).

* * *

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية ١/ ٣٦٠.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١١٤.

٦ـ شبهة: البغض والكره.

نص الشبهة:

عاب النصارى على أن الله يبغض ويكره بعض عباده لمخالفتهم أمر الله تعالى فقالوا:

الله يبغض و يكره الناس، و يفرض على جبريل أن يبغضهم و يكرههم، و يفرض ذلك على كل أهل السماء و الأرض كما في الحديث.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله : ﷺ إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل، فقال: إني أحب فلانا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء، فيقول: إن الله يحب فلانا؛ فأحبوه، فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل، فيقول: إني أبغض فلانًا؛ فأبغضه، قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانا؛ فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض.

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: صفة الكره ثابتة لله.

الوجه الثاني: صفة البغض، وكلام أهل العلم في صفة البغض.

الوجه الثالث: صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله حق.

الوجه الرابع: صفة البغض في كتبهم.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: صفة الكره ثابتة لله تعالى.

الدليل من القرآن: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ (التوبة: ٤٦).

الدليل من السنة: حديث المغيرة أَنَّه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -ﷺيَقُولُ: " إِنَّ الله كَرِهَ لَكُمْ : قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ". [1]

---

(١) البخاري (١٤٧٧)، مسلم (٥٩٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الله يرضى لكم ويكره لكم ثلاثًا: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال". (١)

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ نَبِىَّ الله ﷺ قَالَ: " مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ الله لِقَاءَهُ ". (٢)

قال الشيخ مُحَمَّد خَلِيل هَرَّاس: تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ إِثْبَاتَ بَعْضِ صِفَاتِ الْفِعْلِ مِنَ الرِّضَى لله، وَالْغَضَبِ، وَاللَّعْنِ، وَالْكُرْهِ، وَالسَّخَطِ، وَالْمَقْتِ، وَالْأَسَفِ.

وَهِيَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ صِفَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ، وَلَا تُشْبِهُ مَا يَتَّصِفُ بِهِ الْمَخْلُوقُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْهَا مَا يَلْزَمُ فِي الْمَخْلُوقِ. (٣)

الوجه الثاني: صفة البغض، وكلام أهل العلم في صفة البغض.

صفةٌ فعليةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وَجَلَّ بالأحاديث الصحيحة.

الدليل:

١ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: " إِنَّ الله إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّى أُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ - قَالَ - فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِى فِى السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ الله يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ - قَالَ - ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِى الأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّى أُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضْهُ - قَالَ - فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِى فِى أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ الله يُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضُوهُ - قَالَ - فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِى الأَرْضِ"(٤).

٢ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها". (٥)

---

(١) مسلم (١٧١٥).

(٢) البخاري (٦٥٠٧)، مسلم (٢٦٨٣).

(٣) شرح العقيد الواسطية ١/ ١١١.

(٤) رواه مسلم (٢٦٣٧).

(٥) رواه مسلم (٦٧١).

يقول ابن القيم: إن ما وصف الله سبحانه به نفسه من المحبة والرضى والفرح والغضب والبغض والسخط من أعظم صفات الكمال. [١]

وفي ((تهذيب اللغة)): ((وقال الليث: البغض: نقيض الحب)). [٢]

قال الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر:"والبغض" أي: ومن أوصافه الثابتة له سبحانه: البغض، فهو سبحانه يبغض الكفر والكافرين، والعصيان والعصاة.

ومن أدلة ثبوت هذه الصفة قول النبي ﷺ: "إنَّ الله إذا أحب عبداً دعا جبريل، فقال: إني أحب فلاناً فأَحِبَّه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إنَّ الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا أبغض عبداً دعا جبريل، فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إنَّ الله يبغض فلاناً فأبغضوه، فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض".

وهذا الحديث العظيم، هو في بيان شأن ومقام الذين يحبهم الله من عباده ـ وأسأل الله ﷻأن يجعلني وإياكم منهم بمنه وكرمه ـ فهو سبحانه ينادي في السماء: يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل لحب الله تعالى له، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: يا أهل السماء إنَّ الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يطرح له القبول في الأرض. وهذا هو معنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ۝٩٦﴾ (مريم: ٩٦).

وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل: إني أبغض فلاناً فأبغضه. فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إنَّ الله يبغض فلاناً فأبغضوه، فيبغضه أهل السماء، ثم تطرح له البغضاء في الأرض، فهناك أهل محبة وأهل بغضاء، وإذا آمن العبد بذلك فعليه أن يعرف الأوصاف

(١) الصواعق المرسلة٤/ ١٤٥١.

(٢) تهذيب اللغة ٨/ ١٧.

والأشخاص الذين يحبهم الله، وقد جاء في الحديث الصحيح قول النبي ﷺ: "أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله"(١).

فهذا الحديث من تحقيق الإيمان بصفة الحب وصفة البغض لله سبحانه وتعالى؛ لأن العبد مأمور أن يحب ما يحبه الله، وأن يبغض ما يبغضه الله.

إذا علمنا هذا، عرفنا الانقطاع الشاسع الكبير الذي وقع فيه الجهمية ومن تأثر بهم، الذين يقولون: إنَّ الله لا يُحب ولا يبغض ولا يرضى ولا يسخط. فما أضرَّ تعطيل صفات الله تبارك وتعالى أو تعطيل شيء منها على عبادة الإنسان وسلوكه، فكم أوجد فيهم هذا المعتقد من الانحرافات التعبدية والسلوكية.

فعقيدة الجهمية كما أنها انحراف في المعتقد هي كذلك انحراف في العبادة والسلوك، وبحسب ما يقع فيه العبد من التعطيل لصفات الله تعالى يكون الخلل في عبادته وسلوكه؛ إذ كلامهم الباطل في صفات الله تعالى قطع عليهم الطريق لتحصيل الآثار التي تقع من العبد إثر إيمانه بهذه الصفات العظيمة.(٢)

ولهذا يقول ابن القيم: تجد أضعف الناس بصيرة أهل الكلام الباطل المذموم الذي ذمه السلف؛ لجهلهم بالنصوص ومعانيها وتمكن الشبه الباطلة من قلوبهم، وإذا تأملت حال العامة الذين ليسوا مؤمنين عند أكثرهم رأيتهم أتم بصيرة وأقوى إيماناً وأعظم تسليماً للوحي وانقياداً للحق"(٣)؛ لأنهم على السنة والفطرة.

وهذا يجعلنا نتنبه، فكما أكرمنا الله ﷻ بالإيمان بهذه الصفة: صفة المحبة وصفة البغض، فعلينا أن ننهض بأنفسنا، وأن نسعى جادين ـ مستعينين بالله ـ في معرفة الأمور التي يحبها الله لنفعلها فننال محبته، ولنعرف الأمور التي يبغضها فنجتنبها لنسلم من بغضه تبارك وتعالى لنا.

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٨٦، والطيالسي (٧٤٧)، وابن أبي شيبة (٣٤٣٣٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٢٨).

(٢) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي صـ١٥٨: ١٦٠.

(٣) مدارج السالكين ١/ ١٢٥.

الوجه الثالث: صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه ووصفها به رسوله حق.

نؤمن بها كما جاءت من غير تحريف، ولا تشبيه، ولا تكييف، ولا تمثيل، ولا تعطيل؛ فالغضب والرضى والضحك والبغض والحب، ونحو ذلك مما وصف الله به نفسه ووصفه بها رسوله حق نؤمن بها وهي صفات كمال لله تعالى، غير صفات المخلوق فهي صفات نقص مناسبة لعجزه وفقره وفنائه.

الوجه الرابع: صفة البغض في كتبهم.

جاء ت صفة البغض في كتبهم المقدسة كثيرة ومتناقضة

١ ـ الرب يبغض من النصب:

وفيه: وَلاَ تُقِمْ لَكَ نَصَبًا. الشَّيْءَ الَّذِي يُبْغِضُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ. (التثنية١٦: ٢٢).

٢ ـ الرب يبغض الستة:

وفيه: هذِهِ السِّتَّةُ يُبْغِضُهَا الرَّبُّ، وَسَبْعَةٌ هِيَ مَكْرُهَةُ نَفْسِهِ (أمثال ٦: ١٦).

٣ ـ الرب يبغض النفاق وأعمال السوء:

جاء: (كل رجس مبغض عند الرب وليس بمحبوب عند الذين يتقونه (سيراخ ١٥: ١٣)، وكما جاء في أشعيا(٦١: ٨): لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُحِبُّ الْعَدْلِ، مُبْغِضُ الْمُخْتَلِسِ بِالظُّلْمِ. وَأَجْعَلُ أُجْرَتَهُمْ أَمِينَةً، وَأَقْطَعُ لَهُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا.

٤ ـ الرب يبغض سكان أرضه المقدسة:

وجاء أيضًا في (الحكمة ١٢: ٣): فإنك أبغضت الذين كانوا قديما سكان أرضك المقدسة.

٥ ـ ونجد التناقض أن الرب لو بغض شيئًا لا يخلقه:

كما جاء في سفر الحكمة(١١: ٢٥): لأنك تحب جميع الأكوان ولا تمقت شيئًا مما صنعت فإنك لو أبغضت شيئًا لم تكونه.

٦ ـ ونجد أن المسيح يأمر ببغض كل الناس:

كما جاء في إنجيل لوقا (١٤: ٢٦): إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أيضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا.

* * *

٧ـ شبهة: الملل.

نص الشبهة:

أثار هؤلاء المعترضون شبهة في حديثٍ عن النبي ﷺ، وادعوا أن الله تعالى له صفة الملل فقالوا: الله يمل و يسأم.

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قُلْتُ: فُلَانَةُ لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ فَذُكِرَ مِنْ صَلَاتِهَا، فَقَالَ: مَهْ عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنْ الْأَعْمَالِ؛ فَإِنَّ الله لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا. (١)

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: ما صح عن النبي ﷺ في حق الله تعالى سواء كان وصفًا أو اسمًا.

فنحن نؤمن به على مراد الله تعالى مع تنزيه الله ﷻ عن كل نقص وعيب، وقد ذكرنا ذلك سابقا، وهذا هو منهج الصحابة ومن سار على منهجهم من التابعين وتابعيهم بإحسان.

الوجه الثاني: توضيح معنى الملل هنا

قال ابن قتيبة: ونحن نقول: إن التأويل لو كان على ما ذهبوا إليه كان عظيما من الخطأ فاحشا، ولكنه أراد فإن الله سبحانه لا يمل إذا مللتم. ومثال هذا قولك في الكلام: هذا الفرس لا يفتر حتى تفتر الخيل، لا تريد بذلك أنه يفتر إذا فترت، ولو كان هذا هو المراد ما كان له فضل عليها؛ لأنه يفتر معها، فأية فضيلة له؟ وإنما تريد أنه لا يفتر إذا فترت، وكذلك تقول في الرجل البليغ في كلامه الغزير: فلان لا ينقطع حتى تنقطع خصومه؛ تريد أنه لا ينقطع إذا انقطعوا، ولو أردت أنه ينقطع إذا انقطعوا لم يكن له في هذا القول فضل على غيره، ولا وجبت له به مدحة. وقد جاء مثل هذا بعينه في الشعر المنسوب إلى ابن أخت تأبط شرا ويقال إنه لخلف الأحمر:

صليت مني هذيل بخرق لا يمل الشر حتى يملوا

لم يرد أنه يمل الشر إذا ملوه، ولو أراد ذلك ما كان فيه مدح له؛ لأنه بمنزلتهم وإنما

---

(١) البخاري (١١٥١) ومسلم (٧٨٥).

أراد أنهم يملون الشر وهو لا يمله.[1]

قال أبو إسحاق الحربي:قوله: ((لا يَمَلُّ الله حتى تملوا)): أخبرنا سلمة عن الفراء؛ يقال: مللت أمَلُّ: ضجرت، وقال أبو زيد: ملَّ يَمَلُّ ملالة، وأمللته إملالاً، فكأنَّ المعنى لا يملُّ من ثواب أعمالكم حتى تملُّوا من العمل.[2]

قلت: وهذا ليس تأويلاً؛ بل تفسير الحديث على ظاهره.

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم: ((فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتى تملُّوا)): من نصوص الصفات، وهذا على وجه يليق بالباري، لا نقص فيه؛ كنصوص الاستهزاء والخداع فيها يتبادر.[3]

وقد سُئل الشيخ ابن عثيمين: هل نستطيع أن نثبت صفة الملل والهرولة لله تعالى؟ فأجاب: ((جاء في الحديث عن النبي ﷺقوله: "فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتى تملوا".

فمن العلماء من قال: إنَّ هذا دليل على إثبات الملل لله، لكن؛ ملل الله ليس كملل المخلوق؛ إذ إنَّ ملل المخلوق نقص؛ لأنه يدل على سأمه وضجره من هذا الشيء، أما ملل الله؛ فهو كمال وليس فيه نقص، ويجري هذا كسائر الصفات التي نثبتها لله على وجه الكمال وإن كانت في حق المخلوق ليست كمالاً.

ومن العلماء من يقول: إنَّ قوله: ((لا يَمَلُّ حتى تملوا))؛ يراد به بيان أنه مهما عملت من عمل؛ فإنَّ الله يجازيك عليه؛ فاعمل ما بدا لك؛ فإنَّ الله لا يمل من ثوابك حتى تمل من العمل، وعلى هذا، فيكون المراد بالملل لازم الملل.

ومنهم من قال: إنَّ هذا الحديث لا يدل على صفة الملل لله إطلاقاً؛ لأنَّ قول القائل: لا أقوم حتى تقوم؛ لا يستلزم قيام الثاني، وهذا أيضًا: ((لا يمل حتى تملوا))؛ لا يستلزم ثبوت الملل لله ﷻ.

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص٣٤٩، ٣٥٠.

(٢) غريب الحديث ١/ ٣٣٨.

(٣) الفتاوى والرسائل ١/ ٢٠٩.

وعلى كل حال يجب علينا أن نعتقد أنَّ الله تعالى مُنَزَّه عن كل صفة نقص من الملل وغيره، وإذا ثبت أنَّ هذا الحديث دليل على الملل؛ فالمراد به ملل ليس كملل المخلوق)). [1]

الوجه الثالث: ماذا في كتب النصارى؟

جاء في سفر أرميا: أَنْتِ تَرَكْتِنِي، يَقُولُ الرَّبُّ. إِلَى الْوَرَاءِ سِرْتِ. فَأَمُدُّ يَدِي عَلَيْكِ وَأُهْلِكُكِ. مَلِلْتُ مِنَ النَّدَامَةِ. (أرميا ١٥ : ٦).

فهذا هو الرب عندهم يمل من الندامة ولا يمل من ترك العبد الطاعة.

* * *

(١) مجموعة دروس وفتاوى الحرم ١/ ١٥٢.

٨ـ شبهة: التحسر.

نص الشبهة:

قالوا عن الله: إنه يتحسر (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا).

ويحتجون بقول الله: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ (يس: ٣٠).

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: تفسير الآية.

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: يا حسرةً من العباد على أنفسها، وتندّمًا وتلهفًا في استهزائهم برسل الله﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ ﴾ من الله﴿إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١١﴾ وذكر أن ذلك في بعض القراءات (يَاحَسْرَةَ العِبَادِ عَلى أنْفُسِهَا)[١].

عن قتادة ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ ﴾ أي: يا حسرة العباد على أنفسها على ما ضَيَّعت من أمر الله، وفرّطت في جنب الله. قال: وفي بعض القراءات: (يَاحَسْرَةَ العِبَادِ عَلى أنْفُسِهَا). [٢]

قال ابن كثير: ومعنى هذا: يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، كيف كذبوا رسل الله، وخالفوا أمر الله؟ فإنهم كانوا في الدار الدنيا المكذبون منهم، ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠﴾ أي: يكذبونه ويستهزئون به، ويجحدون ما أرسل به من الحق. [٣]

الوجه الثاني: من المتحسر؟

قال ابن الجوزي: قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾ قال الفراء: المعنى: يالها حَسْرَة على العباد. وقال الزجاج: الحَسْرَةُ أن يَرْكَبَ الإِنسان من شِدَّة الندم مالا نهاية له حتى يبقى قلبُه حَسِيراً.

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٣: ٢.

(٢) إسناده صحيح. أخرجه الطبري فى تفسيره ٢٣/ ٢ من طريق سعيد، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٤٧٢) من طريق معمر، كلاهما سعيد ومعمر عن قتادة. وفي لفظ معمر أنه قال: على العباد الحسرة.

(٣) تفسير ابن كثير ١١/ ٣٥٨، ٣٥٩.

وفي المتحسِّر على العباد قولان:

أحدهما: أنهم يتحسَّرون على أنفسهم، قال مجاهد والزجاج: استهزاؤهم بالرُّسل كان حسرةً عليهم في الآخرة. وقال أبو العالية: لَمَّا عايَنوا العذاب، قالوا: يا حسرتنا على المرسَلين، كيف لنا بهمُ الآن حتى نؤمِن.

والثاني: أنه تحسُّر الملائكة على العباد في تكذيبهم الرُّسل، قاله الضحاك.[1]

* * *

(١) زاد المسير ٥/ ١٩١.

٩ـ شبهة: صفة العَجب.

نص الشبهة:

استغرب المعترض أن لله تعالى صفة العَجَب، وظنوا أن هذا منقصة في حق الله تعالى، فاستهزأوا وقالوا: الله يعجب و يتعجب (سبحان الله)﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ (الصافات ١٢)، قَوْله: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: الله تعالى ليس كمثله شيء.

كل ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة في وصف الله تعالى نؤمن على مراد الله ﷻمن غير تحريف ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل.

فصفة العجب ثابتة لله تعالى بالسنة الصحيحة، نؤمن بها مع إيماننا أنه سبحانه وتعالى (ليس كمثله شئ) لا في ذاته ولا في صفاته.

الوجه الثاني: صحة القراءة الثانية (بضم التاء).

قال ابن خالويه: قوله تعالى (بل عجبت) يقرأ بضم التاء وفتحها، فالحجة لمن ضم أنه من إخبار الله تعالى عن نفسه. ودليله قوله النبيﷺ :"عجب ربكم من آلكم وقنوطكم"، فالعجب من الله ﷻ إنكار لأفعالهم من إنكارهم البعث، وسخرياتهم من القرآن، وازدرائهم بالرسول جرأة على الله وتمردًا وعدوانًا وتكبرًا فهذا العجب من الله ﷻ، والفرق بينه وبين عجب المخلوقين أن المخلوق لا يعجب إلا عند نظره إلى ما لم يكن في علمه، ولا جرت العادة بمثله فبهره ما رأى من ذلك فيتعجب من ذلك، وقد جاء في القرآن ما يقارب معنى ذلك كقوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾، وكقوله ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾، وكقوله ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، فالمكر من الله والاستهزاء والمحبة على غير ما هي من الخلق وبخلافها، فكذلك العجب منه بخلاف ما هو من المخلوقين؛ لأنها منه على طريق المجازاة بأفعالهم وإتيان اللفظ مردودًا على اللفظ، والحجة لمن فتح أنه جعل التاء للنبي ﷺ.

ومعناه: بل عجبت يا محمد من وحي الله إليك وهم يسخرون. [١]

والقراءة بضم التاء متواترة قرأ بها حمزة والكسائي وخلف. [٢]

الوجه الثالث: صفة العجب.

الْعَجَبُ صفةٌ من صفاتِ الله ﷻ الفعليَّة الخبريَّة الثابتة له بالكتاب والسنة.

الدليل من الكتاب:

١ - قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (الصافات: ١٢).

قال ابن جرير قوله: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾؛ اختلفت القرَّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرَّاء الكوفة: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾؛ بضم التاء من ﴿ عَجِبْتَ ﴾؛ بمعنى: بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكاً وتكذيبهم تَنْزيلي وهم يسخرون، وقرأ ذلك عامة قرَّاء المدينة والبصرة وبعض قرَّاء الكوفة ﴿عَجِبْتَ ﴾؛ بفتح التاء؛ بمعنى: بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قرَّاء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ؛ فمصيب.

فإن قال قائل: وكيف يكون مصيباً القارئ بهما مع اختلاف معنييهما؟! قيل: إنهما وإن اختلف معنياهما؛ فكلّ واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجِب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسَخِر المشركونَ مما قالوه)). [٣]

وقال أبو زرعة عبدالرحمن بن زنجلة: قرأ حمزة والكسائي: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾؛ بضم التاء، وقرأ الباقون بفتح التاء. . .))، ثم قال: ((قال أبو عبيد: قوله:

---

(١) الحجة في القراءات السبع ١٩٤: ١٩٥.

(٢) التيسير في القراءات السبع ١٤٧، النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٥٦.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن٢٣/ ٤٣: ٤٤.

﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾؛ بالنصب: بل عجبت يا محمد من جهلهم وتكذيبهم وهم يسخرون منك، ومن قرأ: (عَجِبْتُ)؛ فهو إخبار عن الله ﷻ. [١]

وقد صحت القراءة بالضم عن ابن مسعود ﷺ كما سيأتي.

٢- وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (الرعد: ٥).

نقل ابن جرير في تفسير هذه الآية بإسناده إلى قتادة قوله: ((قوله: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ﴾: إن عجِبت يا محمد؛ فعَجَبٌ﴿قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: عجِب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت)). [٢]

قال ابن زنجلة بعد ذكر قراءة ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ بالضم: ((قال أبو عبيد: والشاهد لها مع هذه الأخبار قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾، فأخبر جل جلاله أنه عجيب)). [٣]

الدليل من السنة:

١- حديث أبي هريرة ﷺ: "لقد عَجِبَ الله ﷻ (أو: ضحك) من فلان وفلانة))، بلفظ: ((قد عَجِب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة". [٤]

٢- حديث أبي هريرة ﷺ: "عَجِبَ الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل". [٥]

٣- عن أبي وائل شقيق بن سلمة؛ قال: ((قرأ عبد الله (يعني: ابن مسعود) ﷺ: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾؛ قال شريح: إنَّ الله لا يعجب من شيء، إنما يعجب من لا يعلم.

---

(١) حجة القراءات صـ ٦٠٦.

(٢) إسناده صحيح. تفسير الطبري ١٣/ ١٠٤.

(٣) حجة القراءات صـ ٦٠٧.

(٤) رواه البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤).

(٥) رواه البخاري (٣٠١٠).

قال الأعمش: فذكرت لإبراهيم، فقال: إنَّ شريحاً كان يعجبه رأيه، إنَّ عبدالله كان أعلم من شريح، وكان عبد الله يقرأها: (بَلْ عَجِبْتُ). (١)

قال أبو يعلى الفراء بعد أن ذكر ثلاثة أحاديث في إثبات صفة العَجَب: ((اعلم أنَّ الكلام في هذا الحديث (يعني: الثالث) كالكلام في الذي قبله، وأنه لا يمتنع إطلاق ذلك عليه وحمله على ظاهره؛ إذ ليس في ذلك ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه؛ لأنا لا نثبت عَجَباً هو تعظيم لأمر دَهَمَه استعظمه لم يكن عالماً به؛ لأنه مما لا يليق بصفاته؛ بل نثبت ذلك صفة كما أثبتنا غيرها من صفاته)). (٢)

وقال قوَّام السُنَّة الأصبهاني: ((وقال قوم: لا يوصف الله بأنه يَعْجَبُ؛ لأن العَجَب ممَّن يعلم ما لم يكن يعلم، واحتج مثبت هذه الصفة بالحديث، وبقراءة أهل الكوفة: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ ؛ على أنه إخبار من الله ﷻ عن نفسه)). (٣)

وقال ابن أبي عاصم في ((السنة)): ((باب: في تَعَجُّبِ ربنا من بعض ما يصنع عباده مما يتقرب به إليه))، ثم سرد جملة من الأحاديث التي تثبت هذه الصفة لله ﷻ. (٤)

الوجه الرابع: ماذا في كتبهم عن التعجب؟
يسوع الرب عندهم يتعجب

كما جاء في إنجيل لوقا (٧: ٩): وَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ هذَا تَعَجَّبَ مِنْهُ، وَالْتَفَتَ إِلَى الْجَمْعِ الَّذِي يَتْبَعُهُ وَقَالَ: «أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَانًا بِمِقْدَارِ هذَا!".

* * *

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٣٠، ومن طريقه البيهقي في الأسماء والصفات صـ٥٨٧؛ بسند صحيح عن الأعمش قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه.

(٢) إبطال التأويلات صـ ٢٤٥.

(٣) الحجة ٢/ ٤٥٧.

(٤) السنة١/ ٢٤٩، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/ ١٨١، ٦/ ١٢٣و١٢٤.

١٠ـ شبهة: الله الطبيب.

نص الشبهة:

ظن المعترض أن اسم الطبيب الذي ذكره النبي ﷺ لله فيه غضاضة أو تنقص لله تعالى فقالوا: الله طبيب، كما في حديث أبي رمثة ﵁؛ أنه قال للنبي ﷺ: " أرني هذا الذي بظهرك؛ فإني رجل طبيب؛ قال: "الله الطبيب؛ بل أنت رجل رفيق، طبيبها الذي خلقها".(١)

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: كل اسم محلى بالألف ووافق شروط التسمية لله من التنزيه فنحن نؤمن به على الوجه اللائق بالله سبحانه، والاسم منسوب لله تعالى فنحن نسميه بهذا الاسم.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الحشر: ٢٣)، فالملك والقدوس والسلام والمؤمن والمهيمن والعزيز والجبار والمتكبر من أسماء الله تعالى، وهي أسماء بالغة الحسن تحمل صفات الكمال لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (لأعراف: ١٨٠).

الوجه الثاني: اسم الله الطبيب.

يوصف الله ﷻ بأنه (الطَّبيب)، وهذا ثابت بالحديث الصحيح.

وقد دل على ذلك:

١- حديث أبي رمثة ﵁؛ أنه قال للنبي ﷺ: أرني هذا الذي بظهرك؛ فإني رجل طبيب. قال: "الله الطبيب، بل أنت رجل رفيق، طبيبها الذي خلقها". (٢)

٢- حديث عائشة ﵂: قالت: ثم مرض رسول الله ﷺفوضعت يدي على صدره فقلت: اذهب البأس، رب الناس، أنت الطبيب، وأنت الشافي، وكان رسول الله يقول:

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) صحيح. رواه أبو داود واللفظ له (٣٥٤٤)، والإمام أحمد (٧١٠٩، ٧١١٠)، وابن حبان في صحيحه (٥٩٩٥) وغيرهم. وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٣٧)، وأحمد شاكر في المسند.

"ألحقني بالرفيق الأعلى، وألحقني بالرفيق الأعلى". (١)

قال ابن فارس: الطِّبُّ: هو العلم بالشيء، يقال: رجل طَبٌّ وطبيبٌ؛ أي: عالمٌ حاذق. (٢)

وقال الأزهري بعد أن أورد حديث أبي رمثة ﷺ: "طبيبها الذي خلقها": معناه: العالم بها خالقها الذي خلقها لا أنت. (٣)

وقال شمس الدين الحق أبادي: ((الله الطبيب، بل أنت رجل رفيق))؛ أي: أنت ترفق بالمريض، وتتلطفه، والله هو يبرئه ويعافيه. (٤)

الوجه الثالث: أن الشفاء بيد الله تعالى.

وذلك أن المرض والدواء بيد الله، فإذا صادف الدواء الداء كان الشفاء بإذن الله تعالى، ولا يعلم مصادفة الداء للدواء إلا الله ﷻ.

لذلك فالأطباء ما هم إلا مجربين للدواء ولا يعلمون حقيقة الشفاء.

ولذلك جعل إبراهيم عليه السلام الشفاء بيده سبحانه لا بيد غيره، وهذا من علامات الربوبية لله.

قال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (الشعراء: ٨٠).

فكون الله ﷻ هو الطبيب: أي هو الأعلم بمواطن الداء، والأعلم بمصادفة الدواء له، وهل سينجو منه صاحبه أم لا ؟ ولذلك علم النبي ﷺ أن هذا مرضه الأخير، وعلم أن الطب لا يفيد في ذلك، وأنه يرغب في ملاقاة الله تعالى.

الوجه الرابع: ماذا في كتابهم المقدس؟

ورد الشفاء في كتابهم على يد المسيح والرب كما هي عقيدتهم.

---

(١) **إسناده صحيح**. رواه أحمد ٦/ ١٠٨ من طريق ابن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة عنها رضي الله عنها بإسناد صحيح، ورواه النسائي في السنن الكبرى ٤/ ٣٦٤ عن سريج به، ورواه أيضًا٦/ ٢٥١ عن طريق خالد بن نزار والخصيب بن ناصح عن نافع به.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٤٠٧.

(٣) تهذيب اللغة ١٣/ ٣٠٤.

(٤) عون المعبود ١١/ ٢٦٢.

١ ـ الرب يشفي:

جاء في المزامير: الَّذِي يَغْفِرُ جَمِيعَ ذُنُوبِكِ. الَّذِي يَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِكِ. (مزمور١٠٣: ٣).

يَشْفِي الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، وَيَجْبُرُ كَسْرَهُمْ. (مز ١٤٧: ٣).

فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: «يَا إِينِيَاسُ، يَشْفِيكَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ. قُمْ وَافْرُشْ لِنَفْسِكَ! ». فَقَامَ لِلْوَقْتِ. (أعمال الرسل ٩: ٣٤).

٢ ـ المسيح يطوف في البلاد ويداوي المرضى:

كما جاء في إنجيل متى: وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ. (متى ٤: ٢٣).

وكما جاء في نفس الإنجيل: وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ الْمُدُنَ كُلَّهَا وَالْقُرَى يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهَا، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ فِي الشَّعْبِ. (متى ٩: ٣٥).

٣ ـ و التناقض موجود:

بأن المسيح ليس ربًا؛ وإنما مرسل من قبل الرب الأعلى، كما جاء في أعمال الرسل: يَسُوعُ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ كَيْفَ مَسَحَهُ اللهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُوَّةِ، الَّذِي جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا وَيَشْفِي جَمِيعَ الْمُتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ، لأَنَّ اللهَ كَانَ مَعَهُ. (أعمال الرسل ١٠: ٣٨).

٤ ـ المسيح طبيب:

جاء في إنجيل لوقا: (فَقَالَ لَهُمْ: «لاَ شَكَّ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ لِي هذَا الْمَثَلَ: أَيُّهَا الطَّبِيبُ اشْفِ نَفْسَكَ! فَاصْنَعْ هُنَا فِي بَلْدَتِكَ مَا سَمِعْنَا أَنَّهُ جَرَى فِي كَفْرِنَاحُومَ. . . » ٢٤ثُمَّ أَضَافَ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَا مِنْ نَبِيٍّ يُقْبَلُ فِي بَلْدَتِهِ.).

* * *

١١ـ شبهة: شم رائحة فم الصائم .

نص الشبهة:

أضاف هؤلاء صفة الشم لله تعالى، ولم ترد في الكتاب ولا في السنة الصحيحة ولكنهم تأولوها من الأحاديث التي وردت في فضل خلوف فم الصائم فقالوا: الله يشم رائحة فم الصائم و يحب رائحة فمه أكثر من المسك.

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، ولخُلُوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك".

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: إثبات صفة استطابة الروائح.

قال ابن القيم: ومن المعلوم أن أطيب ما عند الناس من الرائحة رائحة المسك، فمَثَّلَ النبي ﷺ هذا الخلوف عند الله تعالى بطيب رائحة المسك عندنا وأعظم، ونسبةُ استطابة ذلك إليه ـ سبحانه وتعالى ـ كنسبة سائر صفاته وأفعاله إليه فإنها استطابة لا تماثل استطابة المخلوقين، كما أن رضاه، وغضبه، وفرحه، وكراهته، وحبه، وبغضه لا تماثل ما للمخلوق من ذلك، كما أن ذاته ـ سبحانه وتعالى ـ لا تشبه ذوات خلقه، وصفاته لا تشبه صفاتهم وأفعالهم، وهو ـ سبحانه وتعالى ـ يستطيب الكلم الطيب فيصعد إليه، والعمل الصالح فيرفعه، وليست هذه الاستطابة كاستطابتنا، ثم إن تأويله لا يرفع الإشكال؛ إذ ما استشكله هؤلاء من الاستطابة يلزم مثله الرضا، فإن قال: رضا ليس كرضا المخلوقين، فقولوا: استطابة ليس كاستطابة المخلوقين، وعلى هذا جميع ما يجيء من هذا الباب. [1]

الوجه الثاني: ليس في الحديث صفة الشم لله.

وإنما هذا من تحريف الكلم عن مواضعه ، فصفات الله ـ تعالى ـ نوردها كما جاءت في كتاب الله تعالى، وكما جاءت في السنة الصحيحة، وتأتي على ظاهرها لا تأويلًا ولا استنباطًا.

---

(١) الوابل الصيب ١/ ٤٣.

الوجه الثالث: فضل الصائم.

في هذا الحديث الذي ذكروه حث على عبادة الصيام، وأنها العبادة التي لا يستطيع الإنسان أن يرائي فيها؛ لأنها بين العبد وربه، ولذلك كان جزاؤها بين العبد وربه.

ورائحة فم الصائم تكون متغيرة وغير مقبولة عند الناس، ولكن عند الله هذه الرائحة أطيب من المسك، ليس معنى ذلك إثبات الشم لله؛ وإنما تذكير للعباد، كما أنهم يفرون من الرائحة غير المقبولة أو الكريهة ويذمون صاحبها؛ ويتنعمون بالرائحة الطيبة؛ ويمدحون صاحبها؛ فإن رائحة فم الصائم ممدوح صاحبها عند الله تعالى أطيب من مدح رائحة المسك عند الناس، والله أعلم.

الوجه الرابع: ماذا في كتبهم عن الرائحة ؟

الرب يطلب البخور والرائحة الطيبة:

كما جاء في سيراخ: (اصطفاه من بين جميع الأحياء ليقرب التقدمة للرب البخور والرائحة الطيبة ذكرًا وتكفيرًا عن شعبه (سيراخ ٤٥: ٢٠)

فعلى حسب هذا النص: الرب يشم كما يشم البشر، بل يطلب البخور والرائحة الطيبة.

الرب له رائحة:

كما جاء في رسالة كورونثوس ٢(٢: ١٤-١٥): وَلكِنْ شُكْرًا لله الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ، وَيُظْهِرُ بِنَا رَائِحَةَ مَعْرِفَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ. لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ لله، فِي الَّذِينَ يَخْلُصُونَ وَفِي الَّذِينَ يَهْلِكُونَ.

وكما جاء في أفسس: وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أيضًا وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، قُرْبَانًا وَذَبِيحَةً لله رَائِحَةً طَيِّبَةً. (أفسس ٥: ٢).

* * *

١٢ـ شبهة اختلاق الأسف لله.

نص الشبهة:

ظن هؤلاء المعترضون من خلال نظرهم في القرآن أن الله يأسف، على بعض ما وقع من الناس فقالوا: الله يشعر بالأسف، في قوله: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (الزخرف: ٥٥).

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: معنى الأسف.

قال ابن منظور: الأَسَفُ: الـمُبالغةُ في الـحُزْنِ والغَضَبِ، وأَسِفَ أَسَفاً، فهو أَسِفٌ وأَسْفان وآسِفٌ وأَسُوفٌ وأَسِيفٌ، والـجمع أُسَفَاء.

وقد أَسِفَ على ما فاتَه و تأَسَّف أَي تَلَهَّفَ، وأَسِفَ عليه أَسَفاً أَي غَضِبَ.

وآسَفَه: أَغْضَبَه، وفي التنزيل العزيز: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾؛ معنى آسَفُونا أَغْضَبُونا، وكذلك قوله ﷻ: ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ﴾.[١]

الوجه الثاني: تفسير الآية.

قال ابن جرير الطبري: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ يعني بقوله: آسفونا: أغضبونا.[٢]

وقال الشيخ محمد خليل هراس: وَأَمَّا قَوْلُهُ: (فَلَمَّا آسَفُونَا). . إِلَخْ؛ فَالْأَسَفُ يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى شِدَّةِ الْحُزْنِ، وَبِمَعْنَى شِدَّةِ الْغَضَبِ وَالسَّخَطِ؛ وَهُوَ الْمُرَادُ فِي الْآيَةِ.

وَالِانْتِقَامُ: الْمُجَازَاةُ بِالْعُقُوبَةِ، مَأْخُوذٌ مِنَ النِّقْمَةِ وَهِيَ شِدَّةُ الْكَرَاهَةِ وَالسَّخَطِ.[٣]

فتبين من ذلك أن الأسف في الآية بمعنى الغضب وليس بمعنى الحزن كما هو مشاع عند العامة.

---

(١) لسان العرب (مادة : أسف) .

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ١٩٦.

(٣) شرح العقيدة الواسطية صـ ١١٥ لمحمد خليل هراس.

الوجه الثالث: الأدلة على أن الله يغضب.

أولًا من القرآن:

قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥٢)، قال ﷻ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (النحل: ١٠٦)، قال ﷻ: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ ﴾ (طه: ٨٦)، قال ﷻ: ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾ (النور: ٩)، قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ (الشورى: ١٦)، قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ (المجادلة: ١٤)، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ (الممتحنة: ١٣).

ثانيًا من السنة: في حديث الشفاعة الطويل، وفيه أن الأنبياء يقولون:

"إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله".[1]

عن أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: " لَمَّا خَلَقَ الله الْخَلْقَ كَتَبَ فِى كِتَابِهِ - هُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهْوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ - إِنَّ رَحْمَتِى تَغْلِبُ غَضَبِى ".[2]

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه - يشير إلى رباعيته - اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله".[1]

---

(١) البخاري (٣٣٤٠)، مسلم (١٩٤).

(٢) البخاري ٣١٩٤، مسلم (٢٧٥١).

وعن أبي هريرةﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قومًا في أيديهم مثل أذناب البقر يغدون في غضب الله ويروحون في سخط الله".[٢]

قال الطحاوي: والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى. [٣]

الوجه الرابع: ماذا في كتبهم عن الأسف؟

جاءت فقرات كثيرة في كتابهم المقدس في وصف الرب بالأسف والحزن.

١ ـ الرب يحزن ويتأسف في قلبه:

كما جاء في سفر التكوين(٦ : ٦): فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ.

وهذا الفعل من علامات الندم، والله ـ تعالى ـ منزه عن ذلك، فهو سبحانه القادر على كل شيء ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

٢ ـ الرب يحزن على خلق الإنسان:

كما جاء في سفر التكوين (٦: ٧): فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ".

٣ ـ المخلوق يحزن، والحزن صفة قبيحة:

كما جاء في سيراخ (٣٨: ٢١): لا تسلم قلبك إلى الحزن بل اصرفه ذاكرًا الأواخر.

* * * *

---

(١) البخاري (٤٠٧٣)، مسلم (١٧٩٣).

(٢) مسلم (٢٨٥٧).

(٣) العقيدة الطحاوية ١/ ٥٦.

١٣ـ شبهة: القتل والرمي.

نص الشبهة:

أثار هؤلاء شبهاتٍ في الآيات؛ الله يرمي، و يقتل، و يقاتل، ويحارب في الحروب: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ (الأنفال: ١٧).

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: آجال العباد بيد الله تعالى:

الأجل بيد الله تعالى، فهو الذي حدد لكل إنسان أجله، فعندما رمى الرامي قد يصيب برميته بإذن الله تعالى، وقد لا يصيب برميته أيضًا بإذن الله تعالى، فعاد الرمي والقتل بيد الله عز وجل، وليس للمخلوق؛ قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٤)، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (النحل: ٦١).

عَنْ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: اللهمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ الله ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شيئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شيئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ الله أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ". [(١)]

الوجه الثاني: تفسير الآية:

قال الطبري: القول في تأويل قوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

---

(١) مسلم (٤٨١٤).

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ممن شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ؛ فقاتل أعداء دينه معه من كفار قريش: فلم تقتلوا المشركين أيها المؤمنون أنتم، ولكن الله قتلهم.

وأضاف ـ جل ثناؤه ـ قتلهم إلى نفسه، ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين؛ إذ كان ـ جل ثناؤه ـ هو مسبِّب قتلهم، وعن أمره كان قتالُ المؤمنين إياهم، ففي ذلك أدلُّ الدليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله في أفعال خلقه صُنْعٌ به وَصَلوا إليها.

وكذلك قوله لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، فأضاف الرميَ إلى نبي الله، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي، إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرميَّ به إلى الذين رُمُوا به من المشركين، والمسبِّب الرمية لرسوله.

فيقال للمنكرين: ما ذكرنا قد علمتم إضافة الله رَمْيِ نبيه ﷺ المشركين إلى نفسه، بعد وصفه نبيَّه به، وإضافته إليه، وذلك فعلٌ واحد، كان من الله تسبيبه وتسديده، ومن رسول الله ﷺ الحذفُ والإرسال، فما تنكرون أن يكون كذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة من الله الإنشاء والإنجاز بالتسبيب، ومن الخلق الاكتسابُ بالقُوى؟ فلن يقولوا في أحدهما قولًا إلا ألزموا في الآخر مثله، وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل[1].

قال ابن تيمية: إن قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، لَمْ يُرِدْ بِهِ أَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ هُوَ فِعْلُ اللهَّ تَعَالَى - كَمَا تَظُنُّهُ طَائِفَةٌ مِنْ الغالطين - فَإِنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ صَحِيحًا لَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ لِكُلِّ أَحَدٍ حَتَّى يُقَالَ لِلْمَاشِي : مَا مَشَيْت إذْ مَشَيْت وَلَكِنَّ الله مَشَى وَيُقَالُ لِلرَّاكِبِ : وَمَا رَكِبْت إذْ رَكِبْت وَلَكِنَّ الله رَكِبَ وَيُقَالُ لِلْمُتَكَلِّمِ : مَا تَكَلَّمْت إذْ تَكَلَّمْت وَلَكِنَّ الله تَكَلَّمَ وَيُقَالُ مِثْلُ ذَلِكَ لِلْآكِلِ وَالشَّارِبِ وَالصَّائِمِ وَالْمُصَلِّي وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَطَرْدُ ذَلِكَ : يَسْتَلْزِمُ أَنْ يُقَالَ لِلْكَافِرِ مَا كَفَرْت إذْ كَفَرْت وَلَكِنَّ الله كَفَرَ وَيُقَالُ لِلْكَاذِبِ مَا كَذَبْت إذْ كَذَبْت وَلَكِنَّ الله كَذَبَ . وَمَنْ قَالَ مِثْلَ هَذَا : فَهُوَ كَافِرٌ مُلْحِدٌ خَارِجٌ عَنْ الْعَقْلِ وَالدِّينِ .

---

(١) تفسير الطبري ٩/ ٣٠٣، ٣٠٤.

وَلَكِنَّ مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ رَمَاهُمْ وَلَمْ يَكُنْ فِي قُدْرَتِهِ أَنْ يُوصِلَ الرَّمْيَ إِلَى جَمِيعِهِمْ فَإِنَّهُ إِذْ رَمَاهُمْ بِالتُّرَابِ وَقَالَ : شَاهَتْ الْوُجُوهُ لَمْ يَكُنْ فِي قُدْرَتِهِ أَنْ يُوصِلَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ كُلِّهِمْ، فَاللهُ تَعَالَى أَوْصَلَ ذَلِكَ الرَّمْيَ إِلَيْهِمْ كُلِّهِمْ بِقُدْرَتِهِ . يَقُولُ : وَمَا أَوْصَلْتَ إِذْ حَذَفْتَ وَلَكِنَّ اللهَ أَوْصَلَ، فَالرَّمْيُ الَّذِي أَثْبَتَهُ لَهُ لَيْسَ هُوَ الرَّمْيُ الَّذِي نَفَاهُ عَنْهُ؛ فَإِنَّ هَذَا مُسْتَلْزِمٌ لِلْجَمْعِ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ؛ بَلْ نَفَى عَنْهُ الْإِيصَالَ وَالتَّبْلِيغَ وَأَثْبَتَ لَهُ الْحَذْفَ وَالْإِلْقَاءَ، وَكَذَلِكَ إِذَا رَمَى سَهْمًا فَأَوْصَلَهُ اللهُ إِلَى الْعَدُوِّ إِيصَالًا خَارِقًا لِلْعَادَةِ : كَانَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَوْصَلَهُ بِقُدْرَتِهِ .[1]

الوجه الثالث: ماذا في كتبهم المقدسة؟

نجد في كتبهم المقدسة أن الرب يقتل ويرمي بالحجارة ويأمر بالقتل:

جاء في سفر العدد(١٤/ ١٦): لأَنَّ الرَّبَّ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُدْخِلَ هذَا الشَّعْبَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ لَهُمْ، قَتَلَهُمْ فِي الْقَفْرِ.

وفي سفر يشوع (١٠: ١١): وَبَيْنَمَا هُمْ هَارِبُونَ مِنْ أَمَامِ إِسْرَائِيلَ وَهُمْ فِي مُنْحَدَرِ بَيْتِ حُورُونَ، رَمَاهُمُ الرَّبُّ بِحِجَارَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى عَزِيقَةَ فَمَاتُوا. وَالَّذِينَ مَاتُوا بِحِجَارَةِ الْبَرَدِ هُمْ أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِالسَّيْفِ.

* * *

(١) مجموع الفتاوى ٢ / ٣٣١ ، ٣٣٢ .

١٤ـ شبهة: الرعد منطق الله .

نص الشبهة:

أثار هؤلاء شبهة على ما ورد في أحد كتب التفسير عن الرعد والبرق فقالوا: الرعد هو منطق الله و البرق هو ضحك الله.

عَنْ شَيْخ مِنْ بَنِي غِفَار أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيّ ﷺ يَقُول: "إِنَّ الله يُنْشِئ السَّحَاب، فَيَنْطِق أَحْسَن النُّطْق، وَيَضْحَك أَحْسَن الضَّحِك".

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: ماذا في الحديث؟

عَنْ شَيْخ مِنْ بَنِي غِفَار أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيّ ﷺ يَقُول: "إِنَّ الله يُنْشِئ السَّحَاب فَيَنْطِق أَحْسَن المنطْق وَيَضْحَك أَحْسَن الضَّحِك[1].

الوجه الثاني: المعنى المستقيم للحديث .

قال ابن كثير: والمراد -والله أعلم -أن نطقَها الرعدُ، وضحكها البرقُ.

وقال موسى بن عبيدة، عن سعد بن إبراهيم قال: يبعث الله الغيث، فلا أحسن منه مضحكا، ولا آنس منه منطقا، فضحكه البرق، ومنطقه الرعد.

وكذا روي عن ابن عباس، والأسود بن يزيد، وطاوس: أنهم كانوا يقولون كذلك.

وقال الأوزاعي: كان ابن أبي زكريا يقول: من قال حين يسمع الرعد: سبحان الله وبحمده، لم تصبه صاعقة.

وروي عن علي ﷺ، أنه كان إذا سمع صوت الرعد قال: سبحان من سَبَّحت له. [2]

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٤٣٥، والبيهقي في " الأسماء " صـ ٤٧٥، والرامهرمزي في " الأمثال " (١٢٥)، والعقيلي في الضعفاء (١٨). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٤٥٩رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في " السلسلة الصحيحة " (١٦٦٥) وقال: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، وجهالة الصحابي لا تضر.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٠٦ باختصار.

قال الطحاوي: فَتَأَمَّلْنَا هَذَا الْحَدِيثَ، فَوَجَدْنَا مَا فِيهِ مَوْجُودًا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، فَمِنْهُ مَا ذَكَرَهُ الْفَرَّاءُ قَالَ: تَقُولُ الْعَرَبُ: يَوْمٌ ضَاحِكٌ مُصِحٌّ، وَسَحَابٌ نَاطِقٌ هَاطِلٌ، تَذْهَبُ بِنُطْقِهِ إِلَى رُجُوعِهِ وَمَطَرِهِ، لِأَنْوَاءَ يَعْرِفُونَهُ بِهَا قَالَ الْفَرَّاءُ: وَسَمِعْتُ أَبَا ثَرْوَانَ يَقُولُ: شَتَوْنَا بِأَرْضٍ سَهْلٍ عُبُورُهَا، كَثِيرٌ حُبُورُهَا، نَاطِقٌ سَحَابُهَا، ضَاحِكٌ جَنَّاتُهَا فَأَخْبَرَ عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِأَفْعَالِ الْآدَمِيِّينَ لِثُبُوتِ الْمَعْرِفَةِ عَلَى مَا قَصَدَ لَهُ بِوَصْفِ السَّحَابِ بِالنُّطْقِ، يُرِيدُ غَزَارَةَ مَائِهِ، وَوَصْفِ الْجَنَّاتِ بِالضَّحِكِ، لِخُرُوجِ زَهْرِهِ، وَكَبِيرِ مَرْعَاهُ، قَالَ: وَفِي أَمْثَالِهِمْ: نَطَقَ الشَّيْبُ فِي رَأْسِهِ، وَضَحِكَ الشَّيْبُ كَذَلِكَ أَيْضًا: إِذَا ظَهَرَ، وَكَذَلِكَ: مَالَ الْجِدَارُ، وَاحْتَرَقَ الثَّوْبُ، كُلُّ هَذَا مَعْقُولٌ فِي الْمَعْنَى، فَخَاطَبَ النَّبِيُّ ﷺ - وَقَوْمُهُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ ذُرْوَتُهَا وَسَنَامُهَا - الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ بِذَلِكَ - وَهُمْ عَرَبٌ - بِمَا يَفْهَمُونَهُ عَنْهُ، وَيَعْقِلُونَهُ مِنْ مُرَادِهِ، لِأَنَّ اللهَ إِنَّمَا أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ بِلِسَانِهِمْ؛ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ، كَمَا قَالَ ﷻ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ (إبراهيم: ٤)، فَخَاطَبَهُمْ بِلِسَانِهِمْ لِعِلْمِهِ بِفَهْمِهِمْ عَنْهُ مَا خَاطَبَهُمْ بِهِ، وَاللهَ نَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ. (١)

ومن هنا يتضح أن الرعد ليس منطق الله وإنما منطق السحاب، والبرق ضحكه.

الوجه الثالث: ماذا في كتبهم؟

الرب يخرج سهمه كالبرق، وينفخ في البوق.

كما جاء في زكريا: وَيُرَى الرَّبُّ فَوْقَهُمْ، وَسَهْمُهُ يَخْرُجُ كَالْبَرْقِ، وَالسَّيِّدُ الرَّبُّ يَنْفُخُ فِي الْبُوقِ وَيَسِيرُ فِي زَوَابِعِ الْجَنُوبِ. (زكريا ٩: ١٤).

ونرى أن المغرب اسم الرب ومشرق الشمس مجده.

كما جاء في أشعيا: فَيَخَافُونَ مِنَ الْمَغْرِبِ اسْمَ الرَّبِّ، وَمِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ مَجْدَهُ. عِنْدَمَا يَأْتِي الْعَدُوُّ كَنَهْرٍ فَنَفْخَةُ الرَّبِّ تَدْفَعُهُ. (أشعيا ٥٩: ١٩).

* * *

(١) شرح مشكل الآثار١٣/ ٢١٨ .

٧ـ شبهات في حق اللّه

وفيها:

١- شبهة: ادعاؤهم أن الله ﷻ عنده كلب.

٢- شبهة: حول العرش.

٣- شبهة: علم الله للغيب.

٤- شبهة: القسم.

٥- شبهة: أن الله يدعو إلى الفجور.

٦- شبهة: أن الله يميل إلى النساء.

٧- شبهة: ادعاؤهم أن الله سبحانه وتعالى قوَّاد.

٨- شبهة: أن الله سبحانه وتعالى يُضل الناس.

٩- شبهة: ما ينزل من السماء.

١٠- شبهة: ادعاؤهم أن الله يمرض ويجوع.

١ـ شبهة: ادعاؤهم أن الله ﷻ عنده كلب.

نص الشبهة:

هل الله عنده كلب ويسلطه على الناس؟.

واحتج هؤلاء بما روي عن هَبَّار بْن الْأَسْوَد ﷺأَنَّ عُتْبَة بْن أَبِي لَهَب لَمَّا خَرَج فِي تِجَارَة إِلَى الشَّام، قَالَ لِأَهْلِ مَكَّة: اِعْلَمُوا أَنِّي كَافِرٌ بِالَّذِي دَنَا فَتَدَلَّى، فَبَلَغَ قَوْلُهُ رَسُولَ ﷺ فَقَالَ: " سَيُرْسِلُ الله عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابه " قَالَ هَبَّار: فَكُنْت مَعَهُمْ. فَنَزَلْنَا بِأَرْضٍ كَثِيرَة الْأُسْد، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْت الْأَسَد جَاءَ فَجَعَلَ يَشُمُّ رُءُوس الْقَوْم وَاحِدًا وَاحِدًا، حَتَّى تَخَطَّى إِلَى عُتْبَة فَاقْتَطَعَ رَأْسه مِنْ بَيْنهمْ.

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: ما نسب الله تعالى إلى نفسه ونسبه له رسولهﷺ فنحن نثبته له مع التنزيه.

الوجه الثاني: حديث "اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك" لا يثبت.

الوجه الثالث: ماذا في كتب النصارى عن الله؟

وإليك التفصيل

الوجه الأول: ما نسب الله تعالى إلى نفسه، ونسبه له رسولهﷺ.

فنحن ننسبه كما جاء مع تنزيه الله تعالى عن التشبيه بالخلق، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ٧٣)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَاۚ﴾ (النساء: ٩٧).

وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ (لقمان: ١١)، وقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ (يوسف: ٨٧).

وقد وردت أحاديث كثيرة في بيت الله، وأسد الله، وسيف الله، ونحوها مما أضافه النبي ﷺ إلى الله تعالى.

قال ابن تيمية: فالصفات إذا أضيفت إليه كالعلم والقدرة والكلام والحياة والرضا والغضب ونحو ذلك: دلت الإضافة على أنها إضافة وصف له قائم به؛ ليست مخلوقة؛ لأن الصفة لا تقوم بنفسها، فلا بد لها من موصوف تقوم به، فإذا أضيفت إليه علم أنها صفة له.

لكن قد يعبر باسم الصفة عن المفعول بها:

فيسمى المقدور قدرة، والمخلوق بالكلمة كلامًا، والمعلوم علمًا، والمرحوم به رحمة.

كقول النبي ﷺ: "إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة". [1]

وقوله تعالى فيما يروي عنه نبيه ﷺ أنه قال للجنة: "أنت رحمتي أرحم بك من أشاء". [2] ويقال للمطر والسحاب هذه قدرة قادر، وهذه قدرة عظيمة، ويقال في الدعاء: غفر الله لك علمه فيك، أي: معلومه.

وأما الأعيان إذا أضيفت إلى الله تعالى: فإما أن تضاف بالجهة العامة التي يشترك فيها المخلوق، مثل كونها مخلوقة ومملوكة له، ومقدورة، ونحو ذلك؛ فهذه إضافة عامة مشتركة. كقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ (لقمان: ١١).

وقد يضاف لمعنى يختص بها يميز به المضاف عن غيره مثل: (بيت الله)، (وناقة الله)، (وعبد الله)، (وروح الله)، فمن المعلوم اختصاص ناقة صالح بما تميزت به عن سائر النياق، وكذلك اختصاص الكعبة، واختصاص العبد الصالح الذي عبد الله، وأطاع أمره. وكذلك الروح المقدسة التي امتازت بها فارقت به غيرها من الأرواح.

فإن المخلوقات اشتركت في كونها مخلوقة مملوكة مربوبة لله يجري عليها حكمه وقضاؤه وقدره. وهذه الإضافة لا اختصاص فيها، ولا فضيلة للمضاف على غيره، وامتاز بعضها بأن الله يحبه ويرضاه ويصطفيه ويقربه إليه ويأمر به أو يعظمه ويحبه؛ فهذه الإضافة

---

(١) البخاري (٦٤٦٩).

(٢) البخاري (٤٨٥٠)، مسلم (٢٨٤٦).

يختص بها بعض المخلوقات؛ كإضافة البيت والناقة والروح، وعباد الله من هذا الباب وقد قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ٩١).

وقال في سورة التحريم: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ (التحريم: ١١، ١٢).

فذكر امرأة فرعون التي ربت موسى بن عمران، وجمعت بينه وبين أمه، حتى أرضعته أمه عندها، وذكر مريم أم المسيح التي ولدته وربته، فهاتان المرأتان ربتا هذين الرسولين الكريمين، فلما قال هنا: (فنفخنا فيه) أي: في المرأة، و(فيه) أي: في فرجها، (من روحنا)، وقال هنا: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ (مريم: ١٧) إلى قوله: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ (مريم: ١٩) دل على أن قوله: (روحنا) ليس المراد به أنه صفة لله؛ لا الحياة ولا غيرها، ولا هو رب خالق، فلا هو الرب الخالق، ولا صفة الرب الخالق؛ بل هو روح من الأرواح التي اصطفاها الله وأكرمها، كما تقدم في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾، وأن الأكثرين على أنه جبريل.

وهذا الأصل الذي ذكرناه من الفرق فيما يضاف إلى الله بين صفاته، وبين مملوكاته، أصل عظيم ضل فيه كثير من أهل الأرض من أهل الملل كلهم؛ فإن كتب الأنبياء التوراة والإنجيل والقرآن وغيرها أضافت إلى الله أشياء على هذا الوجه، وأشياء على هذا الوجه، فاختلف الناس في هذه الإضافة:

فقالت المعطلة - نفاة الصفات من أهل الملل-: إن الجميع إضافة ملك، وليس لله حياة قائمة به، ولا علم قائم به، ولا قدرة قائمة به، ولا كلام قائم به، ولا حب ولا بغض، ولا غضب ولا رضى؛ بل جميع ذلك مخلوق من مخلوقاته.

وهذا أول ما ابتدعته في الإسلام الجهمية، وإنما ابتدعوه بعد انقراض عصر الصحابة، وأكابر التابعين لهم بإحسان، وكان مقدمهم رجل يقال له: الجهم بن صفوان فنسبت الجهمية إليه، ونفوا الأسماء والصفات، واتبعهم المعتزلة، وغيرهم؛ فنفوا الصفات دون الأسماء، ووافقهم طائفة من الفلاسفة أتباع أرسطو.

وقالت الحلولية: بل ما يضاف إلى الله قد يكون هو صفة له، وإن كان بائنًا عنه؛ بل قالوا: هو قديم أزلي، فقالوا: روح الله قديمة أزلية صفة لله، حتى قال كثير منهم: إن أرواح بني آدم قديمة أزلية وصفة لله، وقالوا: إن ما يسمعه الناس من أصوات القراء ومداد المصاحف قديم أزلي، وهو صفة لله، وقال حذاق هؤلاء: بل غضبه ورضاه، وحبه وبغضه، وإرادته لما يخلقه قديم أزلي، وهو صفة الله، وكلامه الذي سمعه موسى قديم أزلي، وأنه لم يزل راضيًا محبًا لمن علم أنه يطيعه قبل أن يخلق، ولم يزل غضبانًا ساخطًا على من علم أنه يكفر قبل أن يخلق، ولم يزل ولا يزال قائلًا: يا آدم! ، يا نوح! ، يا إبراهيم قبل أن يوجدوا، وبعد موتهم، ولم يزل: ولا يزال يقول يا معشر الجن والإنس قبل أن يخلقوا، وبعد ما يدخلون الجنة والنار.

وأما سلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين المشهورون بالإمامة فيهم، كالأربعة وغيرهم، وأهل العلم بالكتاب والسنة؛ فيفرقون بين مملوكاته، وبين صفاته، فيعلمون أن العباد مخلوقون، وصفات العباد مخلوقة، وأجسادهم، وأرواحهم، وكلامهم، وأصواتهم بالكتب الإلهية، وغيرها ومدادهم وأوراقهم والملائكة والأنبياء وغيرها، ويعلمون أن صفات الله القائمة به ليست مخلوقة؛ كعلمه، وقدرته، وكلامه، وإرادته، وحياته، وسمعه، وبصره، ورضاه، وغضبه، وحبه، وبغضه؛ بل هو موصوف بها وصف به

نفسه وبما وصفته به رسله من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ووصفه به رسله، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يتأولون كلام الله بغير ما أراده، ولا يمثلون صفات الخالق بصفات المخلوق؛ بل يعلمون أن الله سبحانه ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ بل هو موصوف بصفات الكمال، منزه عن النقائص، وليس له مثل في شيء من صفاته، ويقولون: إنه لم يزل ولا يزال موصوفًا بصفات الكمال، لم يزل متكلما إذا شاء بمشيئته وقدرته، ولم يزل عالمًا، ولم يزل قادرًا، ولم يزل حيًا سميعًا بصيرًا، ولم يزل مريدًا، فكل كمال لا نقص فيه يمكن اتصافه به فهو موصوف به، لم يزل ولا يزال متصفًا بصفات الكمال، منعوتا بنعوت الجلال والإكرام سبحانه وتعالى، والنصارى من أعظم الناس اضطرابًا في هذا الأصل. [1]

الوجه الثاني: حديث (اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك) لا يثبت. [2]

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ١٥٩ ـ ١٦٤.

(٢) **ضعيف جدًّا.** من حديث **هبار الأسود** أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة صـ ٣٨٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق٢٨/ ٣٠١ من حديث محمد بن حميد الرازى، ثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، عن عثمان بن عروة، عن أبيه، عن هبار الأسود فذكره. وإسناده ضعيف جدًّا.

وهو ضعيف جدًّا: فيه محمد بن إسحاق: مدلس وقد عنعن.

وسلمة بن الفضل: صدوق كثير الخطأ.

ومحمد بن حميد: كذبه أهل بلده. وقال الذهبي: الأولى تركه.

وأخرجه ابن قانع في معجم الصحابة (١١٨٨) من حديث داود بن إبراهيم العقيلي، عن حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن هبار بن الأسود فذكره.

فيه داود بن إبراهيم العقيلي: كذبه الأزدي. ميزان الاعتدال ٢/ ٤، لسان الميزان ٢/ ٤.

ومن حديث أبى عقرب البكري.

أخرجه الحاكم ٢/ ٥٣٩ من حديث العباس بن الفضل الأنصاري ثنا الأسود بن شيبان، عن أبي نوفل بن أبي عقرب، عن أبيه قال: كان لهب بن أبي لهب يسب النبيﷺ فقال النبى: " اللهم سلط عليه كلبك". وإسناده ضعيف جدًّا.

فيه العباس بن الفضل: متروك. التقريب ١/ ٢٧٧، ميزان الاعتدال ٢/ ٣٨٥.

الوجه الثالث: ماذا في كتب النصارى عن الله؟

يعتبر هؤلاء أن ما وجد في السنة من إضافة النبي ﷺ لله تعالى كلبًا له، عيبًا ويتندرون به على المسلمين، فماذا قالوا هم عن الله تعالى ذاته؟

١ ـ الله كالدب:

ونجد هذا الوصف في سفر مراثي إرميا (٣: ١٠) فيصف النبي إرميا الرب فيقول: (هُوَ لِي كَدُبٍّ مُتَرَبِّصٍ).

٢ ـ الله كالحشرة:

ونجد هذا الوصف في سفر هوشع٥: ١٢: يقول الرب: فَأَنَا لأَفْرَايِمَ كَالْعُثِّ، وَلِبَيْتِ يَهُوذَا كَالسُّوسِ.

والعث: هي حشرة تتغذي على الثياب وتتلفه (معجم الكلمات الصعبة للكتاب المقدس).

٣ ـ الله كلبوة.

ومن حديث عثمان بن عروة عن بعض أهله.

أخرجه أبونعيم في الدلائل ص ٣٩٠ من حديث محمد بن إسحاق، عن يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، عن عثمان بن عروة بن الزبير، عن رجال من أهل بيته. فذكره. وإسناده ضعيف. لجهالة من حدث عثمان، ومحمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن.

ومن حديث قتادة: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ تَلَا: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾، فَقَالَ ابْنٌ لِأَبِي لَهَب حَسِبْته قَالَ: اسْمه عُتْبَة: كَفَرْت بِرَبِّ النَّجْم، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: " احْذَرْ لَا يَأْكُلك كَلْبُ الله "؛ قَالَ: فَضَرَبَ هَامَته. قَالَ: وَقَالَ ابْن طَاوُس عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: " أَلَا تَخَاف أَنْ يُسَلِّطَ الله عَلَيْك كَلْبَهُ؟ " فَخَرَجَ ابْن أَبِي لَهَب مَعَ نَاس فِي سَفَر حَتَّى إِذَا كَانُوا فِي بَعْض الطَّرِيق سَمِعُوا صَوْت الْأَسَد، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا يُرِيدُنِي، فَاجْتَمَعَ أَصْحَابه حَوْله وَجَعَلُوهُ فِي وَسَطِهِمْ، حَتَّى إِذَا نَامُوا جَاءَ الْأَسَد فَأَخَذَهُ مِنْ بَيْنهمْ.

أخرجه الطبري في تفسيره ١١/ ٥٠٣. وهو مرسل ضعيف من مراسيل طاووس.

وأخرجه أبو نعيم في الدلائل ص ٣٩٢ من حديث محمد بن عمر الواقدي، حدثني معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه. فذكره. وإسناده ضعيف جدًا.

فيه محمد بن عمر الواقدي: متروك. التقريب ٢/ ٥٤٣.

ونجد هذا الوصف في سفر هوشع (١٣: ٤-٨): يقول الرب: وَآكُلُهُمْ هُنَاكَ كَلَبْوَةٍ.

٤ ـ الله كالدودة.

ونجد هذا الوصف في سفر هوشع (٥: ١٢) يقول الرب: فَأَنَا لأَفْرَايِمَ كَالْعُثِّ، وَلِبَيْتِ يَهُوذَا كَالسُّوسِ.

والسُّوْس: دودٌ يقع في الصوف والثياب والطعام والشجر.

٥ ـ الله كبنات آوى .

ونجد هذا الوصف في سفر ميخا (١: ٨)يقول الرب عن نفسه: (لِهَذَا أَنُوحُ وَأُوَلْوِلُ وَأَمْشِي حَافِياً عُرْيَاناً، وَأُعْوِلُ كَبَنَاتِ آوَى، وَأَنْتَحِبُ).

* * *

٢ـ شبهة: حول العرش وأنه محمول على حيوانات .

نص الشبهة:

يقولون: إن عرش الرحمن قائم على حيوانات، ويحتجون على ذلك بما روي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ (الحاقة: ١٧) أن النبي ﷺ قال: هُمْ ثَمَانِيَة أَمْلَاك عَلَى صُورَة الأَوْعَال.

وقال أيضًا: ملك على صورة سيد الصور وهو ابن آدم، وملك على صورة سيد السباع وهو الأسد، وملك على صورة سيد الأنعام وهو الثور، وملك على صورة سيد الطير وهو النسر.

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

الوجه الأول: تفسير الآية على ما ورد عن أهل العلم مع تحقيق القول الصحيح فيها.

الوجه الثاني: تحقيق القول في العرش وحملته.

الوجه الثالث: القرآن يوجب أن لله عرشًا يُحمل.

الوجه الرابع: أن العرش في اللغة السرير بالنسبة إلى ما فوقه، وكالسقف بالنسبة إلى ما تحته.

الوجه الخامس: إضافة العرش إلى الله إضافة اختصاص.

الوجه السادس: بعض ما ذكر في العرش.

الوجه السابع: ماذا قال الكتاب المقدس عن العرش؟

وإليك التفصيل

الوجه الأول: تفسير الآية على ما ورد عن أهل العلم مع تحقيق القول الصحيح فيها.

قال الطبري: وقوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾، اختلف أهل التأويل في الذي عني بقوله: ﴿ثَمَٰنِيَةٌ﴾، فقال بعضهم: عني به ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم عدّتهن إلا الله.

ذكر من قال ذلك:

أولًا: ابن عباس. [1]

---

(١) ضعيف جدًّا. جاء عن ابن عباس من ثلاثة طرق:

ثانيًا: عن الضحاك قال في قوله: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ قال بعضهم: ثمانية صفوف لا يعلم عدتهنّ إلا الله. (١)

وقال بعضهم: ثمانية أملاك على خلق الوعلة.

وقال آخرون: بل عني به ثمانية أملاك.

ذكر من قال ذلك:

قال ابن زيد في قوله: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ قال: ثمانية أملاك، وقال، قال رسول الله ﷺ : "يَحْمِلُهُ الْيَوْمَ أَرْبعَةٌ، وَيَوْم القِيامَةِ ثَمانِيَةٌ"، وقال رسول الله ﷺ : "إنَّ أَقْدامَهُمْ لَفِي الأَرْضِ السَّابِعَةِ، وَإِنَّ مَناكِبَهُمْ لخَارِجَةٌ مِنَ السَّمَوَاتِ عَلَيْها الْعَرْشُ". قال ابن زيد: الأربعة، قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: "لَمَّا خَلَقَهُمُ اللهُ قالَ: تَدْرُون لِمَ خَلَقْتُكُمْ؟ قالُوا: خَلَقْتَنا رَبَّنا لِمَا تَشاءُ، قالَ لَهُمْ: تَحْمِلُونَ عَرْشِي، ثُمَّ قالَ: سَلُوني مِنَ القُوَّةِ ما شِئْتُمْ أَجْعَلْها فِيكُمْ، فَقالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: قَدْ كانَ عَرْشُ رَبِّنا على المَاءِ، فاجْعل فِيَّ قُوَّةَ المَاءِ، قالَ: قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوَّةَ المَاءِ؛ وقال آخرُ: اجْعَل فِيَّ قُوَّةَ السَّمَوَاتِ، قالَ: قَدْ جَعَلْتُ فيك قُوَّةَ السَّمَوَاتِ؛ وقالَ آخَرُ: اجْعَل فِيَّ قُوَّةَ الأَرْضِ، قالَ: قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوَّةَ الأَرْضِ والجِبالِ؛ وقالَ آخَرُ: اجْعَلْ فِيَّ قُوَّةَ الرِّياحِ، قالَ: قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوَّةَ الرِّياحِ؛ ثُمَّ قال:

١-أخرجه الطبري في تفسيره ٢٩/ ٥٨ من طريق الحكم بن ظهير، عن السدي، عن أبي مالك عن ابن عباس به. وفيه ابن ظهير: متروك.

٢- أخرجه الطبري في تفسيره ٢٩/ ٥٨ من طريق ابن حميد، عن يحيى بن واضح، عن الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، عن ابن عباس به. وفيه يزيد بن أبان: ضعيف. وابن حميد: كذبه أهل بلده.

٣-أخرجه الطبري في تفسيره ٢٩/ ٥٨ من طريق محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس به. وإسناده مسلسل بالضعفاء.

(١) إسناده ضعيف.

أخرجه الطبري في تفسيره ٢٩/ ٥٨ قال حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك به. وإسناده ضعيف لجهالة شيخ الطبري.

احْمِلُوا، فَوَضَعُوا العَرْش على كَوَاهِلِهِمْ، فَلَمْ يَزُولُوا؛ قالَ: فَجاءَ عِلْمٌ آخَرُ، وإنَّمَا كانَ عِلْمُهُمُ الَّذِي سأَلُوهُ القُوَّةَ، فقالَ لَهُمْ: قُولُوا: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بالله، فقالوا: لا حَوْلَ وَلا قوَّةَ إلا بالله، فَجَعَلَ اللهُ فِيهِمْ مِنْ الحَوْلِ والقُوَّةِ ما لَمْ يَبْلُغْهُ عِلْمُهُمْ، فَحَمَلُوا". (١)

قال الحافظ ابن كثير: وقوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ أي: يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة. ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش: العرش العظيم، أو: العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء، والله أعلم بالصواب. وفي حديث عبد الله بن عَميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب، في ذكر حَمَلة العرش أنهم ثمانية أوعال. (٢)

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو قال: حملة العرش ثمانية، ما بين مُوق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام. (٣)

وأخرج أيضًا عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: "أُذِنَ لي أن أحدثكم عن ملك من حَمَلة العرش: بُعْدُ ما بين شحمة أذنه وعنقه بخفق الطير سبعمائة عام"(٤).

وقد رواه أبو داود في كتاب "السنة" من سننه: عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: "أُذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش: أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام". (٥)

---

(١) **مرسل ضعيف.** أخرجه الطبري في تفسيره ٢٩/ ٥٨ من طريق يونس، عن ابن وهب، عن ابن زيد به. فيه ابن زيد هو أسامة بن زيد بن أسلم: ضعيف.

(٢) الوعل: هو تيس الجبل، والخبر منكر وسيأتي.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٩٦٦) قال حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد، حدثنا زيد بن الخباب، حدثنا أبو السمح البصري، حدثنا قبيل حيي بن هاني، أنه سمع عبد الله بن عمرو، يقول. . فذكره.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٩٦٦). قال ابن كثير: وهذا إسناده جيد، رجاله ثقات.

(٥) أخرجه أبو داود ٤٧٢٧) وإسناده حسن. وقد صححه الألباني في الصحيحة (١٥١).

وعن سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ قال: ثمانية صفوف من الملائكة[١][٢].

قال البغوي: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: فوق رءوسهم يعني الحملة (يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (ثَمَانِيَةٌ)أي ثمانية أملاك.

جاء في الحديث: "لكل ملك منهم وجه رجل، ووجه أسد، ووجه ثور، ووجه نسر". [٣]

ثم ساق البغوي بسنده عن عبد الله بن عميرة، عن العباس بن عبد المطلب قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ بالبطحاء فمرت سحابة فقال: النبي ﷺ : "أتدرون ما هذا؟ قلنا: السحاب. قال: والمزن؟ قلنا: والمزن، قال: والعنان؟ فسكتنا، فقال: هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكذلك غِلظ كل سماء خمسمائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض ثم بين ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٩٦٦). حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا يحيى بن المغيرة، حدثنا جرير، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد به.

جعفر بن أبي المغيرة: صدوق يهم. قال ابن منده: ابن أبي المغيرة ليس بالقوي في ابن جبير.

(٢) تفسير ابن كثير (١٤/ ١١٦: ١١٥) باختصار.

(٣) **ضعيف.** أخرجه عبد الرزاق في التفسير (٣٣١٣) من طريق عبد الله بن وهب، عن أبيه في قوله ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾ قال: أربعة ملائكة يحملون العرش على أكتافهم لكل واحد منهم أربعة أوجه، وجه وجه ثور، ووجه وجه أسد، ووجه وجه نسر، ووجه وجه إنسان ولكل واحد منهم أربعة أجنحة؛ أما جناحان فعلى وجهه من أن ينظر إلى العرش فيصعق، وأما جناحان فيهفو بهما ليس لهم كلام، إلا أن يقولوا: قدسوا الله ملأت عظمته السموات والأرضين.

وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية: (٣/ ٣٩١) وقال: موقوف ضعيف الإسناد. وقال البوصيري: ضعيف لجهالة بعض رواته.

وركبهن كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض والله تعالى فوق ذلك، ليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء"[١]. [٢]

قال السيوطي: قال الله تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ (الحاقة: ١٧).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الأَرْضَ السَّابِعَةَ وَالْعَرْشُ عَلَى مِنْكَبِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ أَيْنَ كُنْتَ وَأَيْنَ تَكُونُ". [٣]

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : "أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام، ويقول ذلك الملك: سبحانك حيث كنت". [٤]

---

(١) **منكر**. أخرجه أبو داود في سننه (٤٧٢٣)، والترمذي في سننه (٣٣٢٠) وابن ماجه (١٩٣)، وابن خزيمة في التوحيد (١٢٤)، والآجري في الشريعة ١/ ٢٩٥، والدارمي في الرد على الجهمية (٧٢) والبزار في مسنده (١٣٠٩) وغيرهم من حديث سماك بن حرب، عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب به.

وفيه عبد الله بن عميرة: فيه جهالة. وقال البخاري لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس. ميزان الاعتدال ٢/ ٤٦٩، التاريخ الكبير للبخاري٥/ ١٥٩، تهذيب التهذيب ٤/ ٤٢٢.

وضعفه الألباني في " السلسلة الضعيفة و الموضوعة " (٣/ ٣٩٨).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٣٨٧) باختصار.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦٦١٩) قال حدثنا عمرو الناقد حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا إسرائيل، عن معاوية بن إسحاق، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة به. وصححه ابن حجر في المطالب العالية ١٠/ ٨٢. والسيوطي في الدر المنثور٧/ ٢٧٤.

(٤) **منكر بهذا اللفظ**. أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٥٠٣) من طريق عبيد الله بن عبد الله بن المنكدر بن محمد بن المنكدر: نا أبي عن، أبيه، عن جده محمد بن المنكدر، عن أنس بن مالك مرفوعًا.

فيه المنكدر بن محمد: لين الحديث. وقد تفرد به.

وابنه عبد الله بن المنكدر فيه جهالة. لسان الميزان ٣/ ٣٧٦.

وانظر السلسلة الضعيفة (٦٩٢٣).

وعن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ : "إن في حملة العرش أربعة أملاك: ملك على صورة سيد الصور وهو ابن آدم، وملك على صورة سيد السباع وهو الأسد، وملك على صورة سيد الأنعام وهو الثور، فما زال غضبان منذ يوم عبد العجل إلى ساعتي هذه، وملك على صورة سيد الطير وهو النسر". (١)

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال ما جمعكم؟ فقالوا: اجتمعنا نذكر ربنا، ونتفكر في عظمته فقال: لن تدركوا التفكير في عظمته، ألا أخبركم ببعض عظمة ربكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إن ملكا من حملة العرش يقال له: إسرافيل، زاوية من زوايا العرش على كاهله، قد مرقت قدماه في الأرض السابعة السفلى، ومرق رأسه من السماء السابعة العليا، في مثله من خليقة ربكم. (٢)

وعَنْ أُمِّ سَعْدٍ امْرَأَةٍ مِنْ الْمُهَاجِرَاتِ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : " الْعَرْشُ عَلَى مَلَكٍ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ فِي صُورَةِ دِيكٍ، رِجْلاهُ فِي التُّخُومِ السُّفْلَى، وَعُنُقُه مَثْنِيَةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَجَنَاحَاهُ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَإِذَا سَبَّحَ اللهَ ذَلِكَ الْمَلَكُ، لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ إِلا سَبَّحَ ". (٣)

---

(١) **موضوع**. أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣٣١) من طريق ركن الشامي، عن مكحول به.
وفي سنده علتان: الأولى: ركن الشامي وهاه ابن المبارك، وقال يحيى: ليس بشيء، وقال النسائي والدار قطني: متروك، وقال البخاري: منكر الحديث. وأحاديثه عن مكحول فيها مناكير. لسان الميزان ٢/ ٤٦٢، التاريخ الكبير ٣/ ٣٤٣، الكامل في الضعفاء٣/ ١٦٠.
والثانية: الانقطاع بين مكحول وبين النبي ﷺ.

(٢) **ضعيف**. أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة (٢٨٣)، وأبو نعيم في الحلية٦/ ٦٥ من طريق شهر بن حوشب، عن ابن عباس به. وإسناده ضعيف.
فيه شهر بن حوشب: ضعيف.

(٣) **ضعيف جدًّا**. أخرجه ابن أبي شيبة في العرش (٦٨) من طريق حدثنا داود بن عبد الرحمن المكي، عن محمد بن زاذان، أنه أخبره عن أم سعد به.
فيه محمد بن زاذان: متروك.

وعلى هذا لم يصح حديث عن رسول الله ﷺ في أن صفة ملائكة العرش كصفة الأوعال. فلا عبرة بما قيل بعد ذلك.

قال أبو حيان: وذكروا في صفات هؤلاء الثمانية أشكالًا متكاذبة ضربنا عن ذكرها صفحًا. (١)

الوجه الثاني: تحقيق القول في العرش وحملته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: للناس في أن الله فوق العرش والعالم قولان مشهوران لعامة الطوائف من المتكلمين، وأهل الحديث، والصوفية، والفقهاء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم:

أحدهما: أنه مجرد نسبة وإضافة بين المخلوقات والخالق، وبين العرش والرب، تجددت بخلقه للعرش من غير أن يكون هو في نفسه تحرك أو تصرف بنفسه شيئًا.

وهذا قول من يقول: يمتنع حلول الحوادث بذاته وتمتنع الحركة عليه.

والقول الثاني: هو المشهور عن السلف، وأئمة الحديث، وكثير من أهل الكلام والفقهاء والصوفية من الطوائف الأربعة وغيرهم؛ أنه استوى عليه بعد خلق السماوات والأرض كما دل عليه القرآن، فيكون قد استوى عليه بعد أن لم يكن مستويًا عليه، وكذلك استواؤه إلى السماء ومجيؤه وإتيانه كما وردت بذلك النصوص المتواترة الصحيحة، وعلى هذا التقدير فليس في ذلك انقلاب لذاته؛ بل قد ذكر أنه ليس في الأدلة العقلية ما يحيل ذلك.

وللناس في حملة العرش قولان:

أحدهما: أن حملة العرش يحملون العرش ولا يحملون من فوقه.

والثاني: أنهم يحملون العرش ومن فوقه كما تقدم حكاية القولين.

فيذكر ما يقوله الفريقان في جواب هذه الحجة فإنهم ينازعونه في المقدمتين جميعًا.

---

(١) البحر المحيط (٨/ ٣٢٤).

فيقال: من جهة الأولين لا نسلم أن من حمل العرش يجب أن يحمل ما فوقه إلا أن يكون ما فوقه معتمدًا عليه، وإلا فالهواء والطير وغير ذلك مما هو فوق السقف ليس محمولًا لما يحمل السقف، وكذلك السماوات فوق الأرض وليست الأرض حاملة السماوات، وكل سماء فوقها سماء وليست السفلى حاملة للعليا، فإذا لم يجب في المخلوقات أن يكون الشيء حاملًا لما فوقه؛ بل قد يكون وقد لا يكون، لم يلزم أن يكون العرش حاملًا للرب تعالى إلا بحجة تبين ذلك، وإذا لم يكن العرش حاملًا لم يكن حملة العرش حاملة لما فوقه بطريق الأولى.

الوجه الثاني: أن الطائفة الأخرى تمنع المقدمة الثانية؛ فيقولون: لا نسلم أن العرش وحملته إذا كانوا حاملين لله لزم أن يكون الله محتاجًا إليهم، فإن الله هو الذي يخلقهم ويخلق قواهم وأفعالهم فلا يحملونه إلا بقدرته ومعونته، كما لا يفعلون شيئًا من الأفعال إلا بذلك، فلا يحمل في الحقيقة نفسه إلا نفسه، كما أنه سبحانه إذا دعاه عباده فأجابهم وهو سبحانه الذي خلقهم وخلق دعاءهم وأفعالهم؛ فهو المجيب لما خلقه وأعان عليه من الأفعال، وكذلك إذا فرح بتوبة التائب من عباده، أو غضب من معاصيهم، وغير ذلك مما فيه إثبات نوع تحول عن أفعال عباده، فإن هذا يقوله كثير من أهل الكلام مع موافقة جمهور أهل الحديث وغيرهم فيه مقامان مشكلان:

أحدهما: مسألة حلول الحوادث.

والثانية: تأثير المخلوق فيه.

وجواب المسألة الأولى مذكور في غير هذا الموضع.

وجواب السؤال الثاني:

أنه لا خالق، ولا بارئ، ولا مصور، ولا مدبر لأمر الأرض والسماء إلا هو فلا حول ولا قوة إلا به، وكل ما في عباده من حول وقوة فبه هو سبحانه فيعود الأمر إلى أنه هو المتصرف بنفسه سبحانه وتعالى الغني عما سواه.

وهؤلاء يقولون: هذا الذي ذكرناه أكمل في صفة الغني عما سواه، والقدرة على كل شيء مما يقوله النفاة، فإن أولئك يقولون: لا يقدر أن يتصرف بنفسه، ولا يقدر أن ينزل ولا يصعد ولا يأتي ولا يجيء، ولا يقدر أن يخلق في عباده قوة يحملون بها عرشه الذي هو عليه، ويكونون إنما حملوه وهو فوق عرشه بقوته.

ولولا ذلك ما استقل به العرش ولا الحملة ولا السماوات ولا الأرض ولا من فيهن، ولو قد شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته؛ فكيف على عرش عظيم أكبر من السماوات والأرض، وكيف تنكر أيها النفاج أن عرشه يقله والعرش أكبر من السماوات السبع والأرضين السبع؟! !

ولو كان العرش في السماوات والأرضيين ما وسعته؛ ولكنه فوق السماء السابعة فكيف تنكر هذا؟! وأنت تزعم أن الله في الأرض في جميع أمكنتها؟! ! ، والأرض دون العرش في العظمة والسعة، فكيف تقله الأرض في دعواك ولا يقله العرش الذي هو أعظم منها وأوسع؟! !

وأدخل هذا القياس الذي أدخلت علينا في عظم العرش وصغره وكبره على نفسك وعلى أصحابك في الأرض وصغرها؛ حتى تستدل على جهلك، وتفطن لما يورد عليك حصائد لسانك، فإنك لا تحتج بشيء إلا هو راجع عليك وآخذ بحلقك.

أفلا تدري أيها المعارض أن حملة العرش لم يحملوا العرش ومن عليه بقوتهم وبشدة أسرهم إلا بقوة الله.[1]

الوجه الثالث: القرآن يوجب أن لله عرشًا يُحْمَل.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ (غافر: ٧). وقوله: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ (الحاقة: ١٧).

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ١ / ٥٦٦ .

وهذا يوجب أن لله عرشًا يُحمل، ويوجب أن ذلك العرش ليس هو الملك كما تقوله طائفة من الجهمية فإن الملك هو مجموع الخلق، فهنا دلت الآية على أن لله ملائكة من جملة خلقه يحملون عرشه وآخرون يكونون حوله، وعلى أنه يوم القيامة يحمله ثمانية إما ثمانية أملاك وإما ثمانية أصناف وصفوف وهذا إلى مذهب المثبتة أقرب منه إلى قول النافية بلا ريب. (١)

الوجه الرابع: أن العرش في اللغة السرير بالنسبة إلى ما فوقه، وكالسقف بالنسبة إلى ما تحته.

فإذا كان القرآن قد جعل لله عرشًا وليس هو بالنسبة إليه كالسقف علم أنه بالنسبة إليه كالسرير بالنسبة إلى غيره وذلك يقتضي أنه فوق العرش.

الوجه الخامس: إضافة العرش إلى الله إضافة اختصاص.

إن إضافة العرش مخصوصة إلى الله لقوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ (الحاقة: من الآية١٧) يقتضي أنه مضاف إلى الله إضافة تخصه كما في سائر المضافات إلى الله كقوله: ﴿بيت الله﴾، ﴿وناقة الله﴾ ونحو ذلك.

وإذا كان العرش مضافًا إلى الله في هذه الآية إضافة اختصاص؛ وذلك يوجب أن يكون بينه وبين الله من النسبة ما ليس لغيره، فما يذكره الجهمية من الاستيلاء والقدرة وغير ذلك أمر مشترك بين العرش وسائر المخلوقات، وهذه الآية التي احتج بها تنفي أن يكون الثابت من الإضافة هو القدر المشترك، وتوجب اختصاصا للعرش بالله ليس لغيره كقوله: ﴿عَرْشَ رَبِّكَ﴾ وهذا إنما يدل على قول المثبتة هو إلى الدلالة عليه أقرب، وأيهما كان فقد دلت الآية على نقيض مطلوبه، وهو الذي ألزمناه فلم يذكر آية من كتاب الله على مطلوبه إلا وهي لا دلالة فيها؛ بل دلالتها على نقيض مطلوبه أقوى. اهـ. (٢)

الوجه السادس: بعض ما ذكر في العرش.

أولًا: في القرآن

---

(١) المصدر السابق ١/ ٥٧٦ .

(٢) تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٥٦٤ ـ ٥٧٧).

١ ـ ذكر استواء الله على عرشه في سبعة مواضع هي:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ (الأعراف: ٥٤)

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (يونس: ٣)

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (الرعد: ٢)

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ (طـه: ٥)

الموضع الخامس: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ (الفرقان: ٥٩)

الموضع السادس: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ (السجدة: ٤).

الموضع السابع: قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ (الحديد: ٤).

٢ ـ وصف الله بأنه رب العرش (أي خالقه ومالكه والمتصرف فيه كيف يشاء) **في مواضع:**

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ (التوبة: ١٢٩).

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (الأنبياء: ٢٢).

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (المؤمنون: ٨٦).

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ (المؤمنون: ١١٦).

الموضع الخامس: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ (النمل: ٢٦).

الموضع السادس: قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (الزخرف: ٨٢).

٣ ـ وصف الله بأنه صاحب العرش في مواضع:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ (الإسراء: ٤٢).

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾ (غافر: ١٥).

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ (التكوير: ٢٠).

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ (البروج: ١٥).

٤ ـ أضيف العرش إلى الله في موضعين:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ (هود: ٧).

الموضع الثاني: قال تعالى ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٧).

٥ ـ ذكر العرش مفردًا في موضعين:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ (الزمر: ٧٥)

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾ (غافر: ٧).

هذه جملة ما ذكر فيها عرش الله تعالى في كتابه، ومعنى الاستواء في الآيات: الارتفاع، والاستقرار، والصعود، والعلو.

قال ابن تيمية: ما ذكره الخلال وغيره عن إسحاق بن راهويه حدثنا بشر بن عمر قال سمعت غير واحد من المفسرين يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ (طه: ٥) أي ارتفع. [١]

وقال البخاري في صحيحه: قال أبو العالية: استوى إلى السماء: ارتفع.

وقال مجاهد: استوى: علا على العرش.

وقال البغوي في تفسيره: قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: استوى إلى السماء ارتفع إلى السماء. وكذلك قال الخليل بن أحمد.

وروى البيهقي عن الفراء: استوى أي صعد، وهو كقول الرجل: كان قاعدًا فاستوى قائمًا وروى الشافعي في مسنده عن أنس بن مالك أنه قال عن يوم الجمعة: وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش.

ثانيًا: في السنة:

فضل العرش على الكرسي.

عن أبي ذر الغفاري قال دخلت المسجد الحرام، فرأيت رسول الله ﷺ وحده فجلست إليه، فقلت: يا رسول الله أي آية نزلت عليك أفضل؟ قال: "آية الكرسي، ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة". [١]

---

(١) العقيدة الأصفهانية (صـ٤٩).

العرش له قوائم:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ ". (٢)

هذا جزء مما يتعلق بالعرش في عقيدة أهل الإسلام، لا تشعر فيها إلا بالعظمة للخالق سبحانه وتعالى.

أما عن قولهم: إن الله يجلس على العرش والعرش له أطيط وصرير من ثقله ويشبه الراكب على الرحل. فهذا لا يصح لأنهم يعتمدون على حديث ضعيف وبيانه كالتالي

عن جُبَيْرِ بن مُحَمَّدِ بن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: جَاءَ رَسُولَ الله ﷺ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله جَهِدَتِ الأَنْفُسُ، وَضَاعَ الْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ الأَمْوَالُ، وَنَهَكَتِ الأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ الله ﷻ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى الله، وَنَسْتَشْفِعُ بِالله عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : وَيْحَكَ تَدْرِي مَا تَقُولُ؟ ، فَسَبَّحَ رَسُولُ الله ﷺ ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ، حَتَّى عَرَفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ لا يُسْتَشْفَعُ بِالله عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ الله أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ تَدْرِي مَا الله ﷻ؟ إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ، وَأَرْضِهِ هَكَذَا، وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ: مِثْلُ الْقُبَّةِ، وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ. (٣)

الوجه السابع: ماذا قال الكتاب المقدس عن العرش؟

---

(١) صحيح. أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٦١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٦٧)، وابن أبي شيبة في العرش (١١٤) من طريق أبي إدريس الخولاني. وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٣٠) من طريق عبيد بن عمير الليثي. كلهم عن أبي ذر به.

والحديث صححه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (١٠٩).

(٢) البخاري (٣٣٩٨).

(٣) ضعيف. رواه أبو داود في سننه (٤١٠١)، والطبراني في الكبير (١٥٤٧) من طريق جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده به.

فيه جبير بن محمد بن جبير وهو مقبول وهذا حيث يتابع وإلا فهو لين ولم يتابع هنا. فعلى هذا فإسناده ضعيف. وضعفه الألباني في " السلسلة الضعيفة و الموضوعة " (٢٦٣٩).

١ ـ السماء هي عرش الله، والله جالس عليه.

ورد في إنجيل متى (إصحاح: ٢٣ فقرة: ٢٢): (وَمَنْ حَلَفَ بِالسَّمَاءِ فَقَدْ حَلَفَ بِعَرْشِ الله وَبِالجَالِسِ عَلَيْهِ).

٢ ـ العرش يخرج منه رعد وبرق ولله سبعة أرواح هي مصابيح أمام العرش وحيوانات وقصص وحكايات.

جاء في رؤيا يوحنا: الإصحاح الرابع: (١ بَعْدَ هذَا نَظَرْتُ وَإِذَا بَابٌ مَفْتُوحٌ فِي السَّمَاءِ، وَالصَّوْتُ الأَوَّلُ الَّذِي سَمِعْتُهُ كَبُوق يَتكَلَّمُ مَعِي قَائِلاً: «اصْعَدْ إِلَى هُنَا فَأُرِيَكَ مَا لاَ بُدَّ أَنْ يَصِيرَ بَعْدَ هذَا». ٢ وَلِلْوَقْتِ صِرْتُ فِي الرُّوحِ، وَإِذَا عَرْشٌ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَعَلَى الْعَرْشِ جَالِسٌ. ٣ وَكَانَ الجَالِسُ فِي الْمَنْظَرِ شِبْهَ حَجَرِ الْيَشْبِ وَالْعَقِيقِ، وَقَوْسُ قُزَحَ حَوْلَ الْعَرْشِ فِي الْمَنْظَرِ شِبْهُ الزُّمُرُّدِ. ٤ وَحَوْلَ الْعَرْشِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ عَرْشًا. وَرَأَيْتُ عَلَى الْعُرُوشِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ شَيْخًا جَالِسِينَ مُتَسَرْبِلِينَ بِثِيَابٍ بِيضٍ، وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ أَكَالِيلُ مِنْ ذَهَبٍ. ٥ وَمِنَ الْعَرْشِ يَخْرُجُ بُرُوقٌ وَرُعُودٌ وَأَصْوَاتٌ. وَأَمَامَ الْعَرْشِ سَبْعَةُ مَصَابِيحِ نَارٍ مُتَّقِدَةٌ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ الله. ٦ وَقُدَّامَ الْعَرْشِ بَحْرُ زُجَاجٍ شِبْهُ الْبَلُّورِ. وَفِي وَسَطِ الْعَرْشِ وَحَوْلَ الْعَرْشِ أَرْبَعَةُ حَيَوَانَاتٍ مَمْلُوَّةٌ عُيُونًا مِنْ قُدَّامٍ وَمِنْ وَرَاءٍ: ٧ وَالحَيَوَانُ الأَوَّلُ شِبْهُ أَسَدٍ، وَالحَيَوَانُ الثَّانِي شِبْهُ عِجْل، وَالحَيَوَانُ الثَّالِثُ لَهُ وَجْهٌ مِثْلُ وَجْهِ إِنْسَانٍ، وَالحَيَوَانُ الرَّابعُ شِبْهُ نَسْرٍ طَائِرٍ. ٨ وَالأَرْبَعَةُ الحَيَوَانَاتُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ حَوْلَهَا، وَمِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوَّةٌ عُيُونًا، وَلاَ تَزَالُ نَهَارًا وَلَيْلاً قَائِلَةً: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي». ٩ وَحِينَمَا تُعْطِي الحَيَوَانَاتُ مَجْدًا وَكَرَامَةً وَشُكْرًا لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ، الحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ، ١٠ يَخِرُّ الأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ شَيْخًا قُدَّامَ الجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ، وَيَسْجُدُونَ لِلْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ، وَيَطْرَحُونَ أَكَالِيلَهُمْ أَمَامَ الْعَرْشِ قَائِلِينَ: ١١ «أَنْتَ مُسْتَحِق أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ المَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ».

* * *

٣ـ شبهة: علم الله للغيب.

نص الشبهة:

ادعى المعترضون أن الله لا يعلم الغيب واستدلوا - بالفهم الخاطىء - لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (لأنفال: ٦٥)، وبقول الله تعالى: ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (الأنفال: ٦٦).

وبقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ﴾ (المائدة: من الآية ٩٤).

وبقول الله تعالى: ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ (العنكبوت: ١١).

والجواب عن الشبهة من وجوه:

الوجه الأول: أن ما قالوه مناقض تمامًا لما هو مذكور في الكتاب والسنة؛ ولما هو موجود في الفطر السليمة، والعقول القويمة، من أن الله وحده هو الذي يعلم الغيب.

الوجه الثاني: تفسير الآيات التي استشهدوا بها.

الوجه الثالث: في كتبهم الله لا يعلم الغيب.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: أن ما قالوه مناقض تمامًا لما هو مذكور في الكتاب والسنة؛ ولما هو موجود في الفطر السليمة، والعقول القويمة؛ من أن الله وحده هو الذي يعلم الغيب.

أولًا: من القرآن.

فكثير من الآيات تتحدث عن تفرد الله تعالى بعلمه للغيب منها:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام: ٥٩).

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ ۚ

وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ (الأنعام: ٧٣).

٣ ـ قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (يونس: ٢٠).

٤ ـ قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ (النمل: ٦٥).

٥ ـ قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ (سبأ: ٣).

٦ ـ قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الجن: ٢٦).

ومن الآيات التي نفت علم الغيب عن الأنبياء والجن والملائكة:

١ ـ قال تعالى لنبيه: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام: ٥٠).

٢ ـ وقال تعالى أيضًا: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٨).

٣ ـ وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ (سبأ: ١٤).

ثانيًا: السنة. وهي كثيرة منها:

١ ـ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهَا إلا الله، لا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ، وَلا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الأَرْحَامِ، وَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ". (١)

(١) البخاري (٩٨١).

٢ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَقَدْ كَذَبَ وَهُوَ يَقُولُ: "لا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلا اللهُ".[(١)]

ثالثًا: العقل والفطرة.

فإنه من المعلوم لدى العقلاء أن الذي يقدر أن يخلق السماوات والأرض وما فيهن وما بينهن عالم بكل شيء قبل خلقه لهذه الأشياء، وأن علمه للغيب والشهادة لا يملكه مخلوق سواء أكان ملكًا مقربًا أو نبيًا مرسلًا إلا من أطلعه الله تعالى على بعض هذه الغيبيات. فيستحيل في العقول السليمة أن يساوي علم المخلوق علم الخالق؛ فضلا عن أن يفوقه.

الوجه الثاني: تفسير الآيات التي استشهدوا بها.

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الانفال: ٦٥).

هذه الآية خبر من الله تعالى تدل على علمه بالغيب وليس نفي علم الغيب عنه، وذلك أن علم الله تعالى بالمؤمنين أنهم يستطيعون أن يغلبوا أكثر بما يعادل أن يغلب الواحد عشرة أفراد، لكن قد يكون هذا شاقًا عليهم، وإن كانوا يستطيعون ذلك فخفف الله تعالى عنهم فصار الأمر أن لو فر رجل من أكثر من اثنين فلا لوم عليه في ذلك. أما إذا كان الوضع كما هو الحال الأول؛ فإن الواحد لو فر من عشرة فيأثم لذلك.

قال تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (لأنفال:

---

(١) البخاري (٦٨٣٢).

٦٦)، ولأجل ذلك نجد في التاريخ الإسلامي كم من جيش مسلم عدده عشرون ألفا، ومع ذلك غلب جيشا وعدده أكثر من مائتي ألف من غير المسلمين .

قال ابن كثير: ثم قال تعالى مُبَشِّرًا للمؤمنين وآمرا: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ كل واحد بعشرة ثم نسخ هذا الأمر وبقيت البشارة.

قال عبد الله بن المبارك: حدثنا جرير بن حازم، حدثني الزبير بن الخِرِّيت عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض الله عليهم ألا يفر واحد من عشرة، ثم جاء التخفيف، فقال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ﴾ قال: خفف الله عنهم من العدة، ونقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم.

وروى البخاري من حديث ابن المبارك، نحوه. [١]

وقال سعيد بن منصور: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس في هذه الآية قال: كتب عليهم ألا يفر عشرون من مائتين، ثم خفف الله عنهم، فقال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ﴾ فلا ينبغي لمائة أن يفروا من مائتين. [٢]

وروى البخاري، عن علي بن عبد الله، عن سفيان، به ونحوه. [٣]

وقال محمد بن إسحاق: حدثني ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين، وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين، ومائة ألفًا، فخفف الله عنهم فنسخها بالآية الأخرى فقال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ

---

(١) البخاري (٤٦٥٢).

(٢) سنن سعيد بن منصور (٢٥٣٧) بإسناد صحيح.

(٣) البخاري (٤٦٥٣).

ضَعۡفًاۚ﴾الآية، فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدو لهم لم ينبغ لهم أن يفروا من عدوهم، وإذا كانوا دون ذلك، لم يجب عليهم قتالهم، وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم. (١)

وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه، من حديث المسيب بن شريك، عن ابن عون، عن نافع، عن ابن عمر، رضي الله عنهما: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِ﴾ قال: نزلت فينا أصحاب محمد ﷺ. (٢)

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾﴾ (المائدة: ٩٤).

قال الطبري: يعني تعالى ذكره: ليختبرنكم الله، أيها المؤمنون، ببعض الصيد في حال إحرامكم، كي يعلم أهلَ طاعة الله والإيمان به، والمنتهين إلى حدوده وأمره ونهيه، ومن الذي يخاف الله فيتقي ما نهاه عنه، ويجتنبه خوف عقابه "بالغيب"، بمعنى: في الدنيا، بحيث لا يراه. (٣)

وقال ابن كثير: ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ﴾يعني: أنه تعالى يبتليهم بالصيد يغشاهم في رحالهم، يتمكنون من أخذه بالأيدي والرماح سرًا وجهرًا ليظهر طاعة من يطيع منهم في سره وجهره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ (الملك: ١٢). (٤)

الآية الثالثة: خلطوا بين آيتين:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ (العنكبوت: ٣).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٦/ ٢٨٢ قال: حدثنا ابن حميد، عن سلمة قال: قال محمد بن إسحق به. وإسناده ضعيف جدًّا فيه محمد بن حميد كذبه أهل بلده.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢٥).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٣٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٨).

والثانية: قوله تعالى: ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ (العنكبوت: ١١).

المقصود في هاتين الآيتين هو كشف الله تعالى المؤمن الصادق من الذي يدعي الإيمان لعلمه تعالى الأزلي بأحوال العباد قبل خلقهم.

الآية الأولى:

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: ولقد اختبرنا الذين من قبلهم من الأمم، ممن أرسلنا إليهم رسلنا، فقالوا مثل ما قالته أمتك يا محمد بأعدائهم، وتمكيننا إياهم من أذاهم، كموسى إذ أرسلناه إلى بني إسرائيل، فابتليناهم بفرعون وملئهم، وكعيسى إذ أرسلناه إلى بني إسرائيل، فابتلينا من اتبعه بمن تولى عنه، فكذلك ابتلينا أتباعك بمخالفيك من أعدائك ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ منهم في قيلهم: آمنَّا ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ منهم في قيلهم ذلك، والله عالم بذلك منهم قبل الاختبار، وفي حال الاختبار، وبعد الاختبار، ولكن معنى ذلك: ولَيُظْهِرَنَّ الله صدق الصادق منهم في قيله آمنا بالله من كذب الكاذب منهم بابتلائه إياه بعدوّه، ليعلم صدقه من كذبه أولياؤه، على نحو ما قد بيَّناه فيما مضى قبلُ. (١)

والآية الثانية:

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: وليعلمنّ الله أولياء الله، وحزبه أهل الإيمان بالله منكم أيها القوم، وليعلمنّ المنافقين منكم حتى يميزوا كلّ فريق منكم من الفريق الآخر، بإظهار الله ذلك منكم بالمحن والابتلاء والاختبار وبمسارعة المسارع منكم إلى الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام، وتثاقل المتثاقل منكم عنها. (٢)

وبعدُ فقد تبين من خلال عرض تفسير هذه الآيات التي استشهدوا بها أنها على غير مقصدهم وفهمهم، والله يهدي الجميع إلى سواء السبيل .

الوجه الثالث: في كتبهم الله لا يعلم الغيب.

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٢٢٥).

(٢) مصدر السابق (٢٠/ ١٣٢).

١ ـ الله لا يعلم الغيب الحاضر:

جاء في سفر التكوين: (٣وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ الله: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا». ٤ فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! ٥ بَلِ الله عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَالله عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ». ٦ فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ. ٧ فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ. ٨ وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. ٩ فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟ ». ١٠ فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ». ١١ فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟ » ١٢ فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». ١٣ فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟ » فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ». (سفر التكوين ٣/ ١٣: ٣).

٢ ـ الرب لا يعلم ما حدث من خلقه فندم على خلقه:

جاء في سفر التكوين: (فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ). (تكوين٦: ٦).

٣ـ الرب يندم على فعل الشر لأنه لم يكن يعلم ما سيكون من عاقبته:

كما جاء في سفر الخروج: (فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ). (سفر الخروج ٣٢: ١٤).

وكما جاء في صموئيل: (وَبَسَطَ الْمَلاَكُ يَدَهُ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِيُهْلِكَهَا، فَنَدِمَ الرَّبُّ عَنِ الشَّرِّ، وَقَالَ لِلْمَلاَكِ الْمُهْلِكِ الشَّعْبَ: «كَفَى! الآنَ رُدَّ يَدَكَ». وَكَانَ مَلاَكُ الرَّبِّ عِنْدَ بَيْدَرِ أَرُونَةَ الْيَبُوسِيِّ) (صموئيل الثانى ٢٤: ١٦).

٤ ـ الرب يسأل قايين عن أخيه لأنه لا يعلم مكانه:

كما جاء في سفر التكوين: (فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: «أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟ » فَقَالَ: «لاَ أَعْلَمُ! أَحَارِسٌ أَنَا لأَخِي؟ » (تكوين ٤: ٩).

٥ ـ الرب لا يعلم لماذا ضحكت سارة:

كما جاء في سفر التكوين: (فَقَالَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ: «لِمَاذَا ضَحِكَتْ سَارَةُ قَائِلَةً: أَفَبِالْحَقِيقَةِ أَلِدُ وَأَنَا قَدْ شِخْتُ؟) (تكوين ١٨ : ١٣).

٦ ـ الرب لا يعلم لماذا سقط يشوع على وجهه:

كما جاء في يشوع: فَقَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ: «قُمْ! لِمَاذَا أَنْتَ سَاقِطٌ عَلَى وَجْهِكَ؟) (يشوع٧: ١٠).

٧ ـ الرب لا يعلم لماذا شك تلاميذه:

كما جاء في إنجيل متى: (فَفِي الْحَالِ مَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ وَقَالَ لَهُ: «يَا قَلِيلَ الإِيمَانِ، لِمَاذَا شَكَكْتَ؟ ») (متى ١٤ : ٣١).

٨ ـ وهناك نصوص أخرى تنسب الجهل لله تعالى:

جاء في سفر التكوين: (وَقَالَ الرَّبُّ: « ٢٠إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ، وَخَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا. ٢١ أَنْزِلُ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالتَّمَامِ حَسَبَ صُرَاخِهَا الآتِي إِلَيَّ، وَإِلاَّ فَأَعْلَمُ». ٢٢ وَانْصَرَفَ الرِّجَالُ مِنْ هُنَاكَ وَذَهَبُوا نَحْوَ سَدُومَ، وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ قَائِمًا أَمَامَ الرَّبِّ. ٢٣ فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «أَفَتُهْلِكُ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ؟ ٢٤ عَسَى أَنْ يَكُونَ خَمْسُونَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ. أَفَتُهْلِكُ الْمَكَانَ وَلاَ تَصْفَحُ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ الْخَمْسِينَ بَارًّا الَّذِينَ فِيهِ؟ ٢٥ حَاشَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ، أَنْ تُمِيتَ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ، فَيَكُونُ الْبَارُّ كَالأَثِيمِ. حَاشَا لَكَ! أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ لاَ يَصْنَعُ عَدْلاً؟ » ٢٦ فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنْ وَجَدْتُ فِي سَدُومَ خَمْسِينَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ، فَإِنِّي أَصْفَحُ عَنِ الْمَكَانِ كُلِّهِ مِنْ أَجْلِهِمْ». ٢٧ فَأَجَابَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أُكَلِّمُ الْمَوْلَى وَأَنَا تُرَابٌ وَرَمَادٌ. ٢٨ رُبَّمَا نَقَصَ الْخَمْسُونَ بَارًّا خَمْسَةً. أَتُهْلِكُ كُلَّ الْمَدِينَةِ بِالْخَمْسَةِ؟ » فَقَالَ: «لاَ أُهْلِكُ إِنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ». ٢٩ فَعَادَ يُكَلِّمُهُ أَيضًا وَقَالَ: «عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ أَرْبَعُونَ». فَقَالَ: «لاَ أَفْعَلُ مِنْ أَجْلِ الأَرْبَعِينَ». سفر التكوين(١٨/ ٢٩: ٢٠)

* * *

٤ـ شبهة: حول القسم.

نص الشبهة:

ادعى هؤلاء أن الله تعالى له صفات بشرية، ومن هذه الصفات أنه يقسم كما يقسم البشر فقالوا: يقسم برب المشارق والمغارب.

كما في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠﴾ (المعارج: ٤٠).

وكما في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٩﴾ (الحاقة: ٣٨- ٣٩).

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: التساوي في الأسماء لا يقتضي التساوي في المسميات.

الوجه الثاني: ما الفائدة من قسم الله تعالى؟

الوجه الثالث: القسم في كتابهم المقدس.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: التساوي في الأسماء لا يقتضي التساوي في المسميات.

بمعنى أن الله تعالى يقسم، وأن المخلوق يقسم، فليس معنى ذلك أن الله كالمخلوق، كباقي الصفات.

فإن المخلوق يتفاوت في صفاته من إنسان لآخر، ومن إنسان لحيوان، ومن حيوان لآخر وهكذا. وقد تكون الأسماء واحدة؛ كالقدم والعين والوجه والمشي وغير ذلك.

الوجه الثاني: ما الفائدة من قسم الله تعالى؟

قال ابن القيم رحمه الله: هو سبحانه يقسم بأمور على أمور؛ وإنما يقسم بنفسه الموصوفة بصفاته وآياته المستلزمة لذاته وصفاته. وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته؛ فالقسم: إما على جملة خبرية وهو الغالب كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ (الذاريات: من الآية٢٣).

وإما على جملة طلبية كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (الحجر: ٩٢، ٩٣).

مع أن هذا قد يراد به تحقيق المقسم عليه، فيكون من باب الخبر، وقد يراد به تحقيق القسم.

والمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه، فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك؛ كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها، فأما الأمور الظاهرة المشهورة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها، وما أقسم عليه الرب فهو من آياته، فيجوز أن يكون مقسما به ولا ينعكس[1].

الوجه الثالث: القسم في كتابهم المقدس.

يوجد كثير من الفقرات في كتابهم المقدس فيه أن الرب يقسم، فإذا كانوا يعتبرون أن هذا صفة نقص في حق الإله فعليهم أن ينكروا كتبهم.

١ ـ الرب يقسم بذاته.

كما جاء في سفر التكوين: (وَقَالَ: «بِذَاتِي أَقْسَمْتُ يَقُولُ الرَّبُّ، أَنِّي مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَعَلْتَ هذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ). (تكوين ٢٢/ ١٦)

وكما ورد في أشعياء(بِذَاتِي أَقْسَمْتُ، خَرَجَ مِنْ فَمِي الصِّدْقُ كَلِمَةٌ لاَ تَرْجعُ: إِنَّهُ لِي تَجْثُو كُلُّ رُكْبَةٍ، يَحْلِفُ كُلُّ لِسَانٍ). (أشعياء ٤٥/ ٢٣).

وكما ورد في أرمياء: (أَنِّي بِذَاتِي حَلَفْتُ، يَقُولُ الرَّبُّ، إِنَّ بُصْرَةَ تَكُونُ دَهَشًا وَعَارًا وَخَرَابًا وَلَعْنَةً، وَكُلُّ مُدُنِهَا تَكُونُ خِرَبًا أَبَدِيَّةً) (أرمياء ٤٩/ ١٣).

٢ـ الرب يقسم.

كما جاء في سفر العدد (فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ وَأَقْسَمَ قَائِلا) (سفر العدد ٣٢: ١٠).

وكما جاء في سفر التثنية: (اُنْظُرْ قَدْ جَعَلْتُ أَمَامَكُمُ الأَرْضَ. ادْخُلُوا وَتَمَلَّكُوا الأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لآبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيَهَا لَهُمْ وَلِنَسْلِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ). (سفر التثنية ١/ ٨).

---

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن قيم الجوزية (ص٤، ٥).

وكما جاء في أعمال الرسل: (وَكَمَا كَانَ يَقْرُبُ وَقْتُ الْمَوْعِدِ الَّذِي أَقْسَمَ الله عَلَيْهِ لإِبْرَاهِيمَ، كَانَ يَنْمُو الشَّعْبُ وَيَكْثُرُ فِي مِصْرَ). (أعمال الرسل ٧/ ١٧)

٣ ـ المخلوق يقسم.

كما جاء في سفر العدد: (إِذَا نَذَرَ رَجُلٌ نَذْرًا لِلرَّبِّ، أَوْ أَقْسَمَ قَسَمًا أَنْ يُلْزِمَ نَفْسَهُ بِلاَزِمٍ، فَلاَ يَنْقُضْ كَلاَمَهُ حَسَبَ كُلِّ مَا خَرَجَ مِنْ فَمِهِ يَفْعَلُ)(سفر العدد ٣٠/ ٢).

وكما جاء أيضًا: (كُلُّ نَذْرٍ وَكُلُّ قَسَمِ الْتِزَامٍ لإِذْلاَلِ النَّفْسِ، زَوْجُهَا يُثْبِتُهُ وَزَوْجُهَا يَفْسَخُهُ)(سفر ا لعدد ٣٠/ ١٣).

وفي الواقع والحس أن المخلوق يقسم. فهل الله مخلوق وتعتبر هذه صفات نقص؟! !

٤ ـ الرب يحلف.

كما جاء في سفر الخروج: (وَيَكُونُ مَتَى أَدْخَلَكَ الرَّبُّ أَرْضَ الْكَنْعَانِيِّينَ كَمَا حَلَفَ لَكَ وَلآبَائِكَ، وَأَعْطَاكَ إِيَّاهَا)(خروج ١٣/ ١١).

وكما جاء في سفر التثنية: (وَإِنْ وَسَّعَ الرَّبُّ إِلهُكَ تُخُومَكَ كَمَا حَلَفَ لآبَائِكَ، وَأَعْطَاكَ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي قَالَ إِنَّهُ يُعْطِي لآبَائِكَ) (تثنية ١٩/ ٨).

وكما جاء في أعمال الرسل: (فَإِذْ كَانَ نَبِيًّا، وَعَلِمَ أَنَّ الله حَلَفَ لَهُ بِقَسَمٍ أَنَّهُ مِنْ ثَمَرَةِ صُلْبِهِ يُقِيمُ الْمَسِيحَ حَسَبَ الْجَسَدِ لِيَجْلِسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ) (أعمال الرسل ٢/ ٣٠).

٥ ـ المخلوق يحلف .

كما ورد في التكوين: (فَوَضَعَ الْعَبْدُ يَدَهُ تَحْتَ فَخْذِ إِبْرَاهِيمَ مَوْلاَهُ، وَحَلَفَ لَهُ عَلَى هذَا الأَمْرِ) (تكوين ٢٤/ ٩).

وكما ورد في اللاويين: (وَلاَ تَحْلِفُوا بِاسْمِي لِلْكَذِبِ، فَتُدَنِّسَ اسْمَ إِلهِكَ. أَنَا الرَّبُّ) (لاويين ١٩/ ١٢).

وكما جاء في متى: (وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتًا. فَأَجَابَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَسْتَحْلِفُكَ بِالله الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الله؟) (متى ٢٦/ ٦٣).

٦ ـ المخلوق يحلف بغير الله عندهم .

كما جاء في متى: (وَمَنْ حَلَفَ بِالْهَيْكَلِ فَقَدْ حَلَفَ بِهِ وَبِالسَّاكِنِ فِيه) (متى ٢٣/ ٢١).

وجاء أيضًا فيه: (وَمَنْ حَلَفَ بِالسَّمَاءِ فَقَدْ حَلَفَ بِعَرْشِ الله وَبِالْجَالِسِ عَلَيْهِ) (متى٢٣/ ٢٢).

جاء فيه أيضًا: (وَمَنْ حَلَفَ بِالْمُذْبَحِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَلكِنْ مَنْ حَلَفَ بِالْقُرْبَانِ الَّذِي عَلَيْهِ يَلْتَزِم) (متى ٢٣/ ١٨)

فَإِنَّ مَنْ حَلَفَ بِالْمُذْبَحِ فَقَدْ حَلَفَ بِهِ وَبِكُلِّ مَا عَلَيْهِ (متى ٢٣/ ٢٠)

٧ـ ونجد في كتبهم النهي عن الحلف بالسماء والرأس.

كما جاء في متى: (وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَحْلِفُوا الْبَتَّةَ، لاَ بِالسَّمَاءِ لأَنَّهَا كُرْسِيُّ الله) (متى٥/ ٣٤)

وجاء أيضًا فيه: (وَلاَ تَحْلِفْ بِرَأْسِكَ، لأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةً بَيْضَاءَ أَوْ سَوْدَاءَ)(متى ٥/ ٣٦)

ففي إنجيل واحد نجد التناقض بين الحلف والنهي عن الحلف. ! !

* * *

٥ـ شبهة أن الله يدعو إلى الفجور.

نص الشبهة:

يقولون:إن الله يدعو إلى الفجور وفهموا ذلك من قوله تعالى : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٨)

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: في بيان معنى الآية وتفسير العلماء لها.

الوجه الثاني: ماذا قالوا عن الله في كتابهم؟

واليك التفصيل

الوجه الأول: في بيان معنى الآية وتفسير العلماء لها.

الله تبارك وتعالى خلق الخير والشر، فكل فجور هو شر، وكل تقوى هي خير، فبين للإنسان طريق الخير وطريق الشر. وطلب منه فعل الخير والسير في طريقه، ورتب على ذلك الجنة ثوابًا لمن امتثل أمر الله تعالى.

ونهاه عن الشر والسير في طريقه، ورتب على من عصاه نارًا وقودها الناس والحجارة.

وجعل له حرية الاختيار حتى لا يظلمه. فإن دخل النار دخلها بعدل الله تعالى فيه.

وإن دخل الجنة جراء فعله للخير؛ دخلها برحمة الله تعالى؛ لأن الذي خلقه هو الله والذي رزقه العقل والطعام والشراب ووفقه للحق هو الله تعالى، فلو عبده آلاف السنين ما استطاع أن يوفي نعم الله تعالى عليه. ولو حاسبه الله على ذلك لأهلكه. فمن هنا كانت رحمة الله تعالى بخلقه، وأنها وسعت كل شيء.

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (الإنسان ١ : ٥).

وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ

نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف: ٢٩)

قال ابن جرير: وقوله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾يقول تعالى ذكره: فبين لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير، أو شرّ أو طاعة، أو معصية. [1]

ذكر من قال ذلك:

عن ابن عباس، قوله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾يقول: بَيَّنَ الخيرَ والشرَّ. [2]

عن مجاهد ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾ قال: عَرَّفَها. [3]

عن قتادة ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾: فبَيَّن لها فجورها وتقواها. [4]

عن الضحاك بن مزاحم ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾ قال: الطاعةَ والمعصيةَ. [5]

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن الله جعل فيها ذلك.

ذكر من قال ذلك:

قال ابن زيد، في قوله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ قال: **جعل** فيها فجورَها وتقواها. [6]

الوجه الثاني: الرب يضلل الناس في كتبهم المقدسة!

---

(١) تفسير الطبري (٣٠/ ٢١٠).

(٢) **إسناده ضعيف**. أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢١٠). فيه علي بن أبي طلحة صدوق يخطئ، ثم هو لم يسمع من ابن عباس التفسير فهو مرسل (جامع التحصيل ١/ ٢٤٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢١٠). من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد به.

(٤) **إسناده صحيح**. أخرجه عبد الرزاق في التفسير (٣٦٢٧) من طريق معمر، وأخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢١٠) من طريق سعيد. كلاهما عن قتادة به.

(٥) **حسن**. أخرجه عبد الرزاق في التفسير (٣٦٢٨) من طريق ابن أبي داود. وأخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢١٠) من طريق عبيد. كلاهما عن الضحاك به.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢١٠) حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد به.

إذا كانوا يفهمون خطأ بأن الله يدعو للفجور، فهم يزعمون أن الرب يضلل الناس.

كما جاء في أشعيا: (لِمَاذَا أَضْلَلْتَنَا يَا رَبُّ عَنْ طُرُقِكَ، قَسَّيْتَ قُلُوبَنَا عَنْ مَخَافَتِكَ؟ ارْجعْ مِنْ أَجْلِ عَبِيدِكَ، أَسْبَاطِ مِيرَاثِكَ)(اشعياء ٦٣/ ١٧)

وكما جاء في حزقيال: (فَإِذَا ضَلَّ النَّبِيُّ وَتَكَلَّمَ كَلاَمًا، فَأَنَا الرَّبُّ قَدْ أَضْلَلْتُ ذلِكَ النَّبِيَّ، وَسَأَمُدُّ يَدِي عَلَيْهِ وَأُبِيدُهُ مِنْ وَسْطِ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ) (حزقيال ١٤/ ٩)

* * *

٦ـ شبهة أن الله يميل إلى النساء.

نص الشبهة:

وقد استدل هؤلاء – بالفهم الخاطئ – لقول الله تعالى ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٧)

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: تفسير الآية.

الوجه الثاني: الله تبارك وتعالى منزه عن الزوجة والولد.

الوجه الثالث: ماذا في كتبهم عن الله؟

وإليك التفصيل

الوجه الأول: تفسير الآية.

هذه الآية جاءت ردًا على النصارى الذين ادعوا أن الله له زوجة، وأن له ابنًا، وأن الله تعالى لو شاء أن يتخذ زوجة وولدًا فهو القادر على كل شيء سبحانه وتعالى، ولذلك جاء سياق الآيات ردًا على المشركين فقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠) أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ (٢٣) أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٤) وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ (٢٥) وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ (٢٩) ﴾ (الأنبياء١٦ : ٢٩).

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: لو أردنا أن نتخذ زوجة وولدًا لاتخذنا ذلك من عندنا، ولكنا لا نفعل ذلك، ولا يصلح لنا فعله ولا ينبغي؛ لأنه لا ينبغي أن يكون لله ولد ولا صاحبة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.(١)

وقال ابن كثير: يخبر تعالى أنه خلق السماوات والأرض بالحق، أي: بالعدل والقسط، ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى (٣١)﴾ (النجم: ٣١)، وأنه لم يخلق ذلك عبثًا ولا لعبًا، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ (٢٧)﴾ (ص: ٢٧).

وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ (١٧)﴾ قال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ يعني: من عندنا، يقول: وما خلقنا جنة ولا نارًا، ولا موتًا، ولا بعثًا، ولا حسابًا.

وقال الحسن، وقتادة، وغيرهما: (لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا) اللهو: المرأة بلسان أهل اليمن.

وقال إبراهيم النَّخعِي: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ﴾ من الحور العين.

وقال عكرمة والسدي: المراد باللهو هاهنا: الولد.

وهذا والذي قبله متلازمان، وهو كقوله تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ (الزمر: ٤)، فنزه نفسه عن اتخاذ الولد مطلقًا، لا سيما عما يقولون من الإفك والباطل، من اتخاذ عيسى، أو العزير، أو الملائكة ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣)﴾ (الإسراء: ٤٣).

وقوله: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ قال قتادة، والسدي، وإبراهيم النخعي، ومغيرة بن مِقْسَم، أي: ما كنا فاعلين.

---

(١) تفسير الطبري (١٦ / ٢٣٨).

وقال مجاهد: كل شيء في القرآن "إن" فهو إنكار.

وقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ أي: نبين الحق فيدحض الباطل؛ ولهذا قال: (فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) أي: ذاهب مضمحل، ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ﴾ أي: أيها القائلون: لله ولد، (مِمَّا تَصِفُونَ) أي: تقولون وتفترون.[1]

الوجه الثاني: الله تبارك وتعالى منزه عن الزوجة والولد.

أولًا: من القرآن:

قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١)﴾ (الأنعام: ١٠١)

وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١)﴾ (المؤمنون: ٩١)

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣)﴾ (الجن: ٣)

وقال تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يونس: ٦٨).

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١)﴾ (الإسراء: ١١١).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٧٣).

قال ابن كثير: يقول تعالى حاكمًا بتكفير فرق النصارى، من الملكية، واليعقوبية، والنسطورية، ممن قال منهم بأن المسيح هو الله، تعالى الله عن قولهم وتنزه وتقدس علوًا كبيرًا.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٧٦).

هذا وقد تقدم إليهم المسيح بأنه عبد الله ورسوله، وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أن قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠)﴾ ولم يقل: أنا الله، ولا ابن الله. بل قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠)﴾ إلى أن قال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٦)﴾ (مريم: ٣٠-٣٦). وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته، آمرًا لهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك له؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ أي: فيعبد معه غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ أي: فقد أوجب له النار، وحرم عليه الجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء: ٤٨، ١١٦).[١]

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (١٧١)﴾ (النساء: ١٧١).

قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١)﴾ (الأنعام: ١٠١).

قال ابن كثير: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ أي: كيف يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة؟ أي: والولد إنما يكون متولدا عن شيئين متناسبين، والله لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه؛ لأنه خالق كل شيء، فلا صاحبة له ولا ولد، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١١١).

﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴾ (مريم: ٨٨ -٩٥).

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾﴾ فبين تعالى أنه الذي خلق كل شيء، وأنه بكل شيء عليم، فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه؟ وهو الذي لا نظير له فأنى يكون له ولد؟ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. [1]

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾(المائدة: ١١٦-١١٧).

هذا أيضًا مما يخاطب الله تعالى به عبده ورسوله عيسى ابن مريم، عليه السلام، قائلًا له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؟ وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد.

ثانيًا: من السنة.

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ نَاسًا في زَمَنِ رَسُولِ الله ﷺ قَالُوا يَا رَسُولَ الله هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ « نَعَمْ ». . . . وهو حديث الرؤية وفيه قَالَ «. . . . إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. فَلاَ يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ الله سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلاَّ يَتَسَاقَطُونَ في النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٦).

مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ. فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا. فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلاَ تَرِدُونَ! فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ. فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ. مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ. . . "(١).

الوجه الثالث: ماذا في كتبهم عن الله؟

١ ـ ادعوا أن الله له ولد وهو المسيح.

فجاء في إنجيل متى: (فأجاب سمعان بطرس و قال أنت هو المسيح ابن الله الحي) (متى ١٦: ١٦).

وجاء في إنجيل مرقص: (ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال حقا كان هذا الإنسان ابن الله) (مرقص ١٥: ٣٩)

وجاء في إنجيل لوقا: (فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضًا القدوس المولود منك يدعى ابن الله) (لوقا ١: ٣٥).

وجاء في إنجيل يوحنا: (الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد) (يوحنا ٣: ١٨).

وكما جاء في أعمال الرسل: (فقال فيلبس: إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز فأجاب وقال أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله) (أعمال الرسل ٨: ٣٧) والولد لا يكون إلا من زوجة فمن أمه؟

٢ ـ آدم ابن الله.

كما جاء في إنجيل لوقا في نسب يسوع (...بن أنوش بن شيت بن آدم ابن الله) (لوقا ٣: ٣٨)

* * *

---

(١) البخاري (٧٤٣٩)، مسلم (١٨٣).

٧ـ شبهة: ادعاؤهم أن الله سبحانه وتعالى قوّاد.

نص الشبهة:

واحتجوا على ذلك بقول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢٨).

وبقول عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: "إن ربك ليسارع في هواك".

والجواب على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: تفسير الآية وأنها على خلاف هذا الظن الفاسد.

الوجه الثاني: بيان المقصود بقولها رضي الله عنها (إن ربك يسارع في هواك).

الوجه الثالث: ماذا في كتبهم من القبائح!

وإليك التفصيل

الوجه الأول: تفسير الآية، وأنها على خلاف هذا الظن الفاسد.

قال ابن كثير: هذا أمر من الله لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه، بأن يُخَيِّر نساءه بين أن يفارقهن، فيذهبن إلى غيره ممن يَحصُل لهن عنده الحياةُ الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن ـ رضي الله عنهن وأرضاهن ـ الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة. (١)

وقال القرطبي: في المسالة الثالثة من الآية: قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ " إن " شرط، وجوابه " فتعالين "، فعلق التخيير على شرط.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَيۡنَ﴾ هو جواب الشرط، وهو فعل جماعة النساء، من قولك تعالى، وهو دعاء إلى الإقبال إليه، يقال: تعال بمعنى أقبل، وضع لمن له جلالة

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨١).

ورفعة، ثم صار في الاستعمال لكل داع إلى الإقبال، وأما في هذا الموضع فهو على أصله، فإن الداعي هو رسول الله ﷺ (أمتعكن). . . . . . ، وقرئ " أمتعكن " بضم العين.

وكذا (وأسرحكن) بضم الحاء على الاستئناف.

والسراح الجميل: هو أن يكون طلاقا للسنة من غير ضرار ولا منع واجب لها.

الخامسة : اختلف العلماء في كيفية تخيير النبي ﷺ أزواجه على قولين:

الأول : أنه خيرهن بإذن الله تعالى في البقاء على الزوجية أو الطلاق، فاخترن البقاء، قالته عائشة ومجاهد وعكرمة والشعبي وابن شهاب وربيعة.

الثاني : ومنهن من قال: إنما خيرهن بين الدنيا فيفارقهن، وبين الآخرة فيمسكهن، لتكون لهن المنزلة العليا كما كانت لزوجهن، ولم يخيرهن في الطلاق، ذكره الحسن وقتادة.

ومن الصحابة علي فيما رواه عنه أحمد بن حنبل أنه قال: لم يخير رسول الله ﷺ نساءه إلا بين الدنيا والآخرة.

قلت: القول الأول أصح، لقول عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن الرجل يخير امرأته فقالت: قد خيرنا رسول الله ﷺ أفكان طلاقًا! في رواية: فاخترناه فلم يعده طلاقا ولم يثبت عن رسول الله ﷺ إلا التخيير المأمور بين البقاء والطلاق، لذلك قال: (يا عائشة إني ذاكر لك أمرًا فلا عليك ألا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك) الحديث.

ومعلوم أنه لم يرد الاستئمار في اختيار الدنيا وزينتها على الآخرة.

فثبت أن الاستئمار إنما وقع في الفرقة، أو النكاح. والله أعلم. [1]

الوجه الثاني: بيان المقصود بقولها رضي الله عنها (إن ربك يسارع في هواك).

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ الله ﷺ وَأَقُولُ: أَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا فَلَمَّا أَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ١٧٠).

﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ قُلْتُ: مَا أُرَى رَبَّكَ إلا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ.[١]

أولًا: معنى الهوى:

والهَوَى ـ مقصور ـ: هَوَى النَّفْس، وإِذا أَضفته إِلـيك قلت هَوايَ.

الهَوى: العِشْق، يكون فـي مداخـل الـخير والشر.

وهَوى النفسِ: إِرادتها، والـجمع الأَهْواء.

قال اللغويون: الهَوَى: مـحبةُ الإِنسانِ الشيء وغَلَبَتُه علـى قلبه؛ قال الله ﷻ: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠﴾ معناه: نَهاها عن شَهَوَاتِها وما تدعو إِلـيه من معاصي الله ﷻ.

وقال اللـيث: الهَوى ـ مقصور ـ: هَوى الضَّمير، تقول: هَوِي، بالكسر، يَهْوى هوىً أَي أَحبّ.[٢]

ثانيًا: معنى الهوى في الحديث:

قول عائشة: مَا أَرَى رَبَّك إِلا يُسَارِع فِي هَوَاك.

قال ابن حجر: أَيْ: مَا أَرَى الله إِلا مُوجِدًا لِمَا تُرِيد بِلا تَأْخِير، مُنْزِلا لِمَا تُحِبّ وَتَخْتَار.[٣]

وقال: فِي رِوَايَة مُحَمَّد بْن بِشْر "إِنِّي لأَرَى رَبّك يُسَارِع لَك فِي هَوَاك" أَيْ فِي رِضَاك.

قَالَ الْقُرْطُبِيّ: هَذَا قَوْل أَبْرَزَهُ الدَّلال وَالْغَيْرَة، وَهُوَ مِنْ نَوْع قَوْلهَا: مَا أَحْمَدكُمَا وَلا أَحْمَد إِلا الله، وَإِلا فَإِضَافَة الْهَوَى إِلَى النَّبِيّ ﷺ لا تُحْمَل عَلَى ظَاهِره، لأَنَّهُ لا يَنْطِق عَنْ الْهَوَى وَلا يَفْعَل بِالْهَوَى، وَلَوْ قَالَتْ إِلَى مَرْضَاتك لَكَانَ أَلْيَق، وَلَكِنَّ الْغَيْرَة يُغْتَفَر لأَجْلِهَا إِطْلاق مِثْل ذَلِكَ[٤].

الوجه الثالث: ماذا في كتابهم من القبائح!

١ ـ الرب يأمر بالزنى.

كما جاء في هوشع: (أَوَّلَ مَا كَلَّمَ الرَّبُّ هُوشَعَ، قَالَ الرَّبُّ لِهُوشَعَ: «اذْهَبْ خُذْ لِنَفْسِكَ امْرَأَةَ زِنًى وَأَوْلاَدَ زِنًى، لأَنَّ الأَرْضَ قَدْ زَنَتْ زِنًى تَارِكَةً الرَّبَّ») (هوشع ١/ ٢)

---

(١) البخاري (٤٤١٤)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) لسان العرب لابن منظور (١٥/ ٣٧٤) باختصار.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٨/ ٥٢٦).

(٤) المصدر السابق (٩/ ١٦٥).

وجاء أيضًا فيه: (وَقَالَ الرَّبُّ لِي: «اذْهَبْ أيضًا أَحْبِبِ امْرَأَةً حَبِيبَةَ صَاحِبٍ وَزَانِيَةً، كَمَحَبَّةِ الرَّبِّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ مُلْتَفِتُونَ إِلَى آلِهَةٍ أُخْرَى وَمُحِبُّونَ لأَقْرَاصِ الزَّبِيبِ») (هوشع٣/ ١)

٢ ـ نشيد الإنشاد وكلام فاضح.

جاء في نشيد الإنشاد كلام يُنسب إلى الرب ويُدَّعى فيه العصمة، وهو كلام يستحي كل عاقل أن يذكره أمام امرأة.

جاء في نشيد الإنشاد:

لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ، لأَنَّ حُبَّكَ أَطْيَبُ مِنَ الْخَمْرِ. لِرَائِحَةِ أَدْهَانِكَ الطَّيِّبَةِ. اسْمُكَ دُهْنٌ مُهْرَاقٌ، لِذلِكَ أَحَبَّتْكَ الْعَذَارَى. اُجْذُبْنِي وَرَاءَكَ فَنَجْرِيَ. أَدْخَلَنِي الْمَلِكُ إِلَى حِجَالِهِ. نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ بِكَ. نَذْكُرُ حُبَّكَ أَكْثَرَ مِنَ الْخَمْرِ. بِالْحَقِّ يُحِبُّونَكَ. أَنَا سَوْدَاءُ وَجَمِيلَةٌ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ، كَخِيَامِ قِيدَارَ، كَشُقَقِ سُلَيْمَانَ. لاَ تَنْظُرْنَ إِلَيَّ لِكَوْنِي سَوْدَاءَ، لأَنَّ الشَّمْسَ قَدْ لَوَّحَتْنِي. بَنُو أُمِّي غَضِبُوا عَلَيَّ. جَعَلُونِي نَاطُورَةَ الْكُرُومِ. أَمَّا كَرْمِي فَلَمْ أَنْطُرْهُ. أَخْبِرْنِي يَا مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي، أَيْنَ تَرْعَى، أَيْنَ تُرْبِضُ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ. لِمَاذَا أَنَا أَكُونُ كَمُقَنَّعَةٍ عِنْدَ قُطْعَانِ أَصْحَابِكَ؟ إِنْ لَمْ تَعْرِفِي أَيَّتُهَا الْجَمِيلَةُ بَيْنَ النِّسَاءِ، فَاخْرُجِي عَلَى آثَارِ الْغَنَمِ، وَارْعَيْ جِدَاءَكِ عِنْدَ مَسَاكِنِ الرُّعَاةِ. لَقَدْ شَبَّهْتُكِ يَا حَبِيبَتِي بِفَرَسٍ فِي مَرْكَبَاتِ فِرْعَوْنَ. مَا أَجْمَلَ خَدَّيْكِ بِسُمُوطٍ، وَعُنُقَكِ بِقَلاَئِدَ! نَصْنَعُ لَكِ سَلاَسِلَ مِنْ ذَهَبٍ مَعَ جُمَانٍ مِنْ فِضَّةٍ. مَا دَامَ الْمَلِكُ فِي مَجْلِسِهِ أَفَاحَ نَارِدِينِي رَائِحَتَهُ. صُرَّةُ الْمُرِّ حَبِيبِي لِي. بَيْنَ ثَدْيَيَّ يَبِيتُ. طَاقَةُ فَاغِيَةٍ حَبِيبِي لِي فِي كُرُومِ عَيْنِ جَدْيٍ. هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِي، هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ. عَيْنَاكِ حَمَامَتَانِ. هَا أَنْتَ جَمِيلٌ يَا حَبِيبِي وَحُلْوٌ، وَسَرِيرُنَا أَخْضَرُ. جَوَائِزُ بَيْتِنَا أَرْزٌ، وَرَوَافِدُنَا سَرْوٌ) (نشيد الإنشاد ١ : ١٧)

* * *

٨ـ شبهة: أن الله سبحانه وتعالى يُضل الناس.

نص الشبهة:

وقد احتج هؤلاء - بالفهم الخاطيء - لقول الله تعالى: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ (النساء: ١١٩).

وبقول الله ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (يونس: ١٠٠).

وبقول الله ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: ١٢٥).

وبقول الله ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥٥).

وقال الله ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ (النساء: ٨٨).

وبقول الله ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (الأعراف: ١٨٦)، وغيرها من الآيات. وبقول الله ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (المدثر: ٣١).

وبقول الله ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (النحل: ٩٣).

وبقول الله ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ (الأنعام: ١٢٥).

الشيطان مضل:

قال تعالى ﴿ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (القصص: ١٥).

والجواب عن هذا من وجوه:

الوجه الأول: توضيح الآيات التي ذكروها وفق ما قال أهل التفسير.

الوجه الثاني: الآيات التي فيها أن الشيطان يضل.

الوجه الثالث: ماذا في كتبهم عن الرب؟

واليك التفصيل

الوجه الأول: توضيح الآيات التي ذكروها وفق ما قال أهل التفسير.

الآية الأولى:

قول الله تعالى ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ (النساء: ١١٩).

وهي خاصة بالشيطان كما في سياق الآيات حيث قال الله قبلها ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ ﴾ (النساء: ١١٧ - ١١٨).

قال ابن جرير: القول في تأويل قوله: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾

يعني بقوله جل ثناؤه: مخبرًا عن قيل الشيطان المريد الذي وصف صفته في هذه الآية: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾، ولأصدّن النصيب المفروض الذي أتخذه من عبادك عن محجة الهدى إلى الضلال، ومن الإسلام إلى الكفر. ﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾، يقول: لأزيغنَّهم -بما أجعل في نفوسهم من الأماني- عن طاعتك وتوحيدك، إلى طاعتي والشرك بك، ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾، يقول: ولآمرن النصيبَ المفروض لي من عبادك، بعبادة غيرك من الأوثان والأنداد حتى يَنْسُكوا له، ويحرِّموا ويحللوا له، ويشرعوا غيرَ الذي شرعته لهم، فيتبعوني ويخالفونك.

و"البتك"، القطع، وهو في هذا الموضع: قطع أذن البَحِيرة ليعلم أنها بَحِيرة.

وإنما أراد بذلك الخبيثُ أنه يدعوهم إلى البحيرة، فيستجيبون له، ويعملون بها طاعةً له.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.[١]

الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (الأنعام: ١٢٥).

الإرادة المقصودة في هذه الآية هي الإرادة الكونية القدرية. وهي التي سبقت في علم الله تعالى أن عبده فلان سوف يسلك طريق الهداية ويسلم لله تعالى فيسر الله تعالى له ذلك. ومن العباد من أراد الضلال والبعد عن الحق بمحض اختياره فيسر الله تعالى له الطريق الذي سلكه، ولا يظلم ربك أحدًا.

وهذا قد فاض الكتاب به، منها:

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ (الليل ١٠ : ٣).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾ (مريم: ٧٥-٧٦).

وقد أثبت الله تعالى للعبد اختيارًا في الضلال والهدى فقال تعالى في سورة الكهف:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (الكهف: ٢٩-٣٠).

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٢٨١).

الآية الثالثة: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥٥).

قال ابن جرير: وأما قوله: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾، فإنه يقول جل ثناؤه: ما هذه الفعلة التي فعلَها قومي، من عبادتهم ما عبَدُوا دونك، إلا فتنة منك أصَابتهم، ويعني (بالفتنة)، الابتلاء والاختبار، يقول: ابتليتهم بها، ليتبين الذي يضلّ عن الحق بعبادته إياه، والذي يهتدي بترك عبادته. وأضاف إضلالهم وهدايتهم إلى الله، إذ كان ما كان منهم من ذلك عن سببٍ منه جل ثناؤه. (١)

فالمقصود بالفتنة هي: الاختبار والامتحان لمن زعم أنه قد استقام على طريق الله تعالى وهو كاذب، فحتى لا ينخدع به الناس تأتي الفتنة لتكشف كذبه.

وأما إضلال الله تعالى له، فإنما هو أمر كوني قدري لما علم الله فيه الضلال والسير فيه سهل له الطريق.

ولذلك قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ (الرعد: من الآية١١)

وقد قال ابن كثير: وقوله: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي: ابتلاؤك واختبارك وامتحانك. قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وأبو العالية، وربيع بن أنس، وغير واحد من علماء السلف والخلف. ولا معنى له غير ذلك؛ يقول: إن الأمرُ إلا أمرُك، وإن الحكمُ إلا لك، فما شئت كان، تضل من تشاء، وتهدي من تشاء، ولا هادي لمن أضللت، ولا مُضِل لمن هَدَيت، ولا مُعطِي لما

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٧٧).

مَنَعت، ولا مانع لما أعطيت، فالملك كله لك، والحكم كله لك، لك الخلق والأمر.[1]

الآية الرابعة:

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (النحل: ٩٣).

فالله سبحانه وتعالى له الملك وله الحكم ولا معقب لحكمه ولا شريك له في أمره ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

فإن الإنسان إذا ملك بيتا أو قطعة أرض فهو يرى في نفسه أنه يعمل فيها ما يشاء سواء كان ببيعها أو هبتها أو إهدائها، أو بنيانها أو شيء يريد أن يعمله وهو يعتقد أنه لا شريك له فيها.

فكيف بخالق هذا الكون سبحانه ومالكه ولا شريك له فيه؛ أليس له الأمر كله في تصرفه في ملكه كيف يشاء سبحانه؟!

ولكنه سبحانه موصوف بالعدل والرحمة، فلا يحاسب عبده إلا بعدله، ولا يدخله في نعيمه إلا برحمته. وهو الحكيم الخبير بشؤون خلقه.

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربكم أيها الناس للطف بكم بتوفية من عنده، فصرتم جميعًا جماعة واحدة، وأهل ملة واحدة لا تختلفون ولا تفترقون، ولكنه تعالى ذكره خالف بينكم، فجعلكم أهل ملل شتى، بأن وفَّق هؤلاء للإيمان به، والعمل بطاعته، فكانوا مؤمنين، وخذل هؤلاء فحَرَمهم توفيقه فكانوا كافرين، وليسألنكم الله جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا فيما أمركم ونهاكم، ثم ليجازينكم جزاء المطيع منكم بطاعته، والعاصي له بمعصيته.[2]

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥١).

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ١٦٨).

وإذا نظرنا إلى أي حاكم وهو يحكم بالسجن على مجرمين، والإعدام على آخرين وغير ذلك من العقوبات، وأعطى أقواما وقربهم منه، لأنهم طائعين له ومنفذين لأوامره، فهل نقول عليه أنه ظالم؟ لأنه فرق بين الناس ! !.

بالبديهي: أن كل إنسان عاقل سوف يقول: إن هذا من العدل.

ولله المثل الأعلى سبحانه وتعالى. هو الملك، وهو بيده مقاليد السماوات والأرض. فلا يسوي بين طائع ومجرم كما قال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (القلم: ٣٥، ٣٦).

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾ (السجدة: ١٨).

وهذا ما كان منه سبحانه في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ (سبأ: ٥).

وقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ (الجاثية: ١١).

وغيرها من الآيات التي توعد الله تعالى بها المجرمين المنحرفين عن طريق الهدى أمثال اليهود والنصارى وغيرهم من ملل الكفر.

فهذا العذاب جزاء إجرامهم وكفرهم بالله تعالى الذي خلقهم وعبدوا غيره.

الوجه الثاني: الآيات التي فيه أن الشيطان يُضل.

فإذا كان الله تعالى له الملك وله الأمر وله الخلق سبحانه يفعل في ملكه ما يشاء، فيضل من يشاء عدلا منه سبحانه؛ لأن العبد اختار الضلال، ويهدي من يشاء رحمة منه سبحانه؛ لأن العبد اختار الهدى فوفقه للهدى.

فإن الشيطان سواء كان من الإنس أو من الجن يضل؛ بمعنى أنه يدعو إلى طريق الضلال، لا أنه يملك الضلال. ولا سلطان له على الخلق.

والدعوة إلى الخير أو الشر شيء جعله الله من اختيار العبد، وعلى ذلك رتب الثواب والعقاب.

ولذلك يخطب الشيطان يوم القيامة كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (إبراهيم: ٢٢).

أما الشيطان فليس له سلطان على المؤمن بأي حال من الأحوال كما قال الله تعالى له: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ (الإسراء: ٦٥).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (النحل: ٩٩).

وليس له سلطان على العاصي أن يجره بالقوة كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴾ (سبأ: ٢١).

وكذلك شياطين الإنس ليس لهم سلطان كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الصافات: ٣٠).

الوجه الثالث: ماذا في كتبهم عن الرب؟

١ ـ الرب ضلل عباده فيعطيهم فرائض غير صالحة.

كما جاء في حزقيال: (وَأَعْطَيْتُهُمْ أيضًا فَرَائِضَ غَيْرَ صَالِحَةٍ وَأَحْكَاماً لاَ يَحْيُونَ بِهَا) (حزقيال ٢٠: ٢٥).

٢ ـ الرب يأمر بالسُّكر.

كما جاء في نشيد الإنشاد: (الرب يأمر بالسُّكر: (كُلُوا أَيُّهَا الأَصْحَابُ. اشْرَبُوا وَاسْكَرُوا أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ.) (نشيد الإنشاد٥: ١).

٣ ـ الرب يأمر بالسرقة:

كما في جاء في الخروج: (وَأُعْطِي نِعْمَةً لِهذَا الشَّعْبِ فِي عُيُونِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ حِينَمَا تَمْضُونَ أَنَّكُمْ لاَ تَمْضُونَ فَارِغِينَ. بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَاباً وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلِبُونَ الْمِصْرِيِّينَ) (خروج ٣: ٢١-٢٢).

وكما جاء كذلك أيضًا في التكوين: (وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. طَلَبُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَاباً. وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عُيُونِ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى أَعَارُوهُمْ. فَسَلَبُوا الْمِصْرِيِّينَ.) (تكوين ١٢: ٣٥-٣٦).

ونقول لهم:

أليس هذا كله من تضليل الناس؟! هل هناك رب يأمر بما هو فاحش؟ ثم يعاقبهم على ذلك عندما يأمرهم؟!!

ولكن الله تعالى في عقيدة المسلمين منزه عن كل نقيصة، فهو سبحانه عادل، وحكيم، ورحيم، ولا يأمر عبده إلا بما فيه منفعته في الدنيا والآخرة، ولا ينهاه عن فعل إلا وفي فعله ضرر عليه في الدنيا والآخرة.

* * *

٩ـ شبهة: ما ينزل من السماء.

نص الشبهة:

قالوا: بأن الله له منيٌّ كمنيِّ الرجال وذلك بسبب الفهم الخاطئ للماء الذي ينزل من السماء فينبت به الناس. واحتجوا على ذلك من خلال ما روي عن النبيﷺ أنه قال: "ما بين النفختين أربعون سنه ثم ينزل الله ماء من السماء كمنيِّ الرجال فينبتون كما ينبت البقل".

والجواب عن ذلك من وجوه.

الوجه الأول: نص الحديث الصحيح.

الوجه الثاني: لفظة كمنيِّ الرجال لا تصح.

الوجه الثالث: على افتراض صحة الحديث.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: نص الحديث الصحيح.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهﷺ: " مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ. قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ: ثُمَّ يُنْزِلُ الله مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ لَيْسَ مِنْ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(١).

وليس في الحديث: كمنيِّ الرجال.

الوجه الثاني: لفظة كمنى الرجال لا تصح.

الحديث الذي ذُكر فيه أنه كمنيِّ الرجال من حديث ابن مسعود ولا يصح.

قال أبو الزعراء ذكر الدجال عند ابن مسعود فقال: ". . . . . فيرسل الله ماء من تحت العرش كمنيِّ الرجال، فتنبت لحمانهم وجثمانهم من ذلك الماء، كما ينبت الأرض من الثرى، ثم قرأ عبد الله: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ

(١) البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

﴿بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾ (فاطر: ٩). . . "[١]

الوجه الثالث: على افتراض صحة الحديث.

فنحن نؤمن به كما جاء، والحديث ليس فيه إثبات أن هذا السائل خرج من الله تعالى، وإنما هو خلق من خلق الله تعالى كما خلق مني الرجل في أصلابهم، قادرٌ سبحانه أن يجعل المني كالمطر وهو على شيء قدير.

وليس في الحديث أن هذا السائل يضاف إلى الله تعالى حتى نقول إنه صفة من صفاته أو هو إضافة خلق كما بينا. وقد وصف النبي ﷺ هذا الماء بالطل أو الظل.

عن عبد الله بن عمرو قال: قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ : " يَخْرُجُ الدَّجَّالُ في أمتي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ - لاَ أَدْرِى أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا - فَيَبْعَثُ اللهُّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُّ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشام؛ فَلاَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ في كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ ". قَالَ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِّ ﷺ قَالَ "فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ في خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلاَمِ السِّبَاعِ، لاَ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلاَ تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ. وَهُمْ فِى ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ

---

(١) منكر. أخرجه ابن أبى شيبة (١/ ٦٧٦)، ونعيم ابن حماد في الفتن (١٦٥٧) وحنبل بن إسحاق في الفتن (٤٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٩٨)، وابن أبي حاتم في التفسير (١٤٦٨)، والطبرانى (٩٧٦١)، والعقيلي في الضعفاء (١٠٣٠) كلهم من حديث سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن ابن مسعود به.

قال البخاري: عبد الله بن هانئ أبو الزعراء الكوفي سمع ابن مسعود ﷺ سمع منه سلمة بن كهيل، يقال عن أبي نعيم أنه الكندي، روى عن ابن مسعود ﷺ في الشفاعة" ثم يقوم نبيكم رابعهم" والمعروف عن النبي ﷺ أنا أول شافع. ولا يتابع في حديثه. التاريخ الكبير (٥/ ٢٢١). ولهذا فقد أنكر شعبة هذا حيث قال: لم أسمع هذا إلا في هذا الحديث فيقوم نبيكم ﷺ رابع أربعة. الطبراني في الكبير ٩/ ٣٥٤.

فالحديث منكر بهذ اللفظ. فلا تثبت به عقيدة بذلك. والله أعلم.

عَيْشُهُمْ. ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلاَ يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا - قَالَ - وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ - قَالَ - فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ - نُعْمَانُ الشَّاكُّ - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ. وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ - قَالَ - ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ فَيُقَالُ مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ - قَالَ - فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ". [١]

* * *

---

(١) مسلم (٢٩٤٧).

١٠ـ شبهة: ادعاؤهم أن الله يمرض ويجوع.

نص الشبهة:

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "إِنَّ الله ﷻ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تعدني، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عبدي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لوجدتني عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تطعمني، قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عبدي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عندي؟ يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تسقني، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عبدي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عندي". (١)

والاعتراض: كيف يمرض الإله ويُسقى ويُستطعم إلى غير ذلك كما هو في الحديث؟.

والرد على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن هذه طريقة معتادة في الخطاب، ويخبر السيد عن نفسه ويريد بها العبد.

الوجه الثاني: بيان أن نسبة المرض والجوع تعود على العبد، لا على الله ﷻ.

الوجه الثالث: فهم السلف لهذا الحديث.

الوجه الرابع: إن إضافة المرض والإطعام والاستسقاء لله ﷻ إنما هي على الترغيب.

الوجه الخامس: بطلان قول من قال بالحلول والاتحاد.

الوجه السادس: قد يُطلق الاتحاد ويُراد به معنًى آخر.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: أن هذه طريقة معتادة في الخطاب، ويخبر السيد عن نفسه ويريد بها العبد.

قال أبو يعلى: اعلم أن هذا الخبر قد اقترن به تفسير من النبي ﷺ في بعضه، فوجب الرجوع إلى تفسيره، وذلك تفسير قوله: مرضت واستطعمت واستسقيت على أنه إشارة إلى مرض وليه واستسقائه واستطعامه، وأضاف ذلك إلى نفسه إكرامًا لوليه ورفعةً لقدره،

---

(١) مسلم (٢٥٦٩).

وهذه طريقة معتادة في الخطاب، يخبر السيد عن نفسه ويريد عبده إكرامًا له وتعظيمًا. (١)

الوجه الثاني: بيان أن نسبة المرض والجوع تعود على العبد، لا على الله ﷻ.

قال ابن تيمية: فإنه لا يجوز لعاقل أن يقول: إن دلالة هذا الحديث مخالفة لعقلٍ ولا سمعٍ إلا من يظن أنه قد دل على جواز المرض والجوع على الخالق سبحانه وتعالى، ومن قال هذا فقد كذب على الحديث، ومن قال: إن هذا ظاهر الحديث أو مدلوله أو مفهومه فقد كذب؛ فإن الحديث قد فسره المتكلم به وبين مراده بيانًا زالت به كل شبهة، وبين فيه أن العبد هو الذي جاع، وأكل، ومرض، وعاده العواد، وأن الله ـ سبحانه ـ لم يأكل ولم يُعَدْ. (٢)

الوجه الثالث: فهم السلف لهذا الحديث.

قال ابن عثيمين: السلف أخذوا بهذا الحديث ولم يصرفوه عن ظاهره بتحريف يتخبطون فيه بأهوائهم، وإنما فسروه بما فسره به المتكلم به، فقوله – تعالى- في الحديث القدسي: " مرضت، واستطعمتك، واستسقيتك" بينه الله – تعالى- بنفسه حيث قال: " أما علمت أن عبدي فلانًا مرض، وأنه استطعمك عبدي فلان، واستسقاك عبدي فلان " وهو صريح في أن المراد به مرض عبد من عباد الله، واستطعام عبد من عباد الله، واستسقاء عبد من عباد الله، والذي فسره بذلك هو الله المتكلم به، وهو أعلم بمراده، فإذا فسرنا المرض المضاف إلى الله، والاستطعام المضاف إليه، والاستسقاء المضاف إليه، بمرض العبد، واستطعامه، واستسقائه – لم يكن في ذلك صرف للكلام عن ظاهره؛ لأن ذلك تفسير المتكلم به، فهو كما لو تكلم بهذا المعنى ابتداءً. (٣)

الوجه الرابع: إن إضافة المرض، والإطعام، والاستسقاء لله ﷻ؛ إنما هي على الترغيب.

وقد أضاف الله – تعالى- مرض عبده واستطعامه واستسقائه إلى نفسه للترغيب والحث كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ (البقرة: ٢٤٥).

---

(١) نقلاً من إبطال التأويلات ١/ ٢٢٤.

(٢) درء التعارض لابن تيمية ١/ ٨٦.

(٣) القواعد المثلى لابن عثيمين (٧٦).

قال ابن تيمية: وذلك لأن المحب يتفق هو محبوبه بحيث يرضى أحدهما بما يرضاه الآخر، ويأمر بما يأمر به، ويبغض ما يبغضه، ويكره ما يكرهه، وينهى عما ينهى عنه، وهؤلاء هم الذين يرضى الحق لرضاهم، ويغضب لغضبهم، والكامل المطلق في هؤلاء محمد ﷺ، ولهذا قال -تعالى- فيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ وقال: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾، وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾. [(١)]

قال ابن القيم: فتأمل قوله في الإطعام والإسقاء: " لوجدت ذلك عندي "، وقوله: في العيادة: " لوجدتني عنده " ولم يقل: لوجدت ذلك عندي إيذانًا بقربه من المريض، وأنه عنده لذله، وخضوعه، وانكسار قلبه، وافتقاره إلى ربه، فأوجب ذلك وجود الله عنده، هذا وهو فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، وهو عند عبده. [(٢)]

الوجه الخامس: بطلان قول من قال بالحلول والاتحاد.

قال ابن تيمية: وقوله: "لوجدتني عنده ووجدت ذلك عندي" نَفْيٌ لِلاتِّحَادِ الْعَيْنِيِّ بِنَفْيِ الْبَاطِلِ وَإِثْبَاتٌ لِتَمْيِيزِ الرَّبِّ عَنْ الْعَبْدِ.

وَقَوْلُهُ: {لَوَجَدْتنِي عِنْدَهُ} لَفْظُ ظَرْفٍ؛ وَبِكُلٍّ يَثْبُتُ الْمَعْنَى الْحَقُّ مِنْ الْحُلُولِ الْحَقِّ؛ الَّذِي هُوَ بِالْإِيمَانِ لَا بِالذَّاتِ. وَيُفَسِّرُ قَوْلُهُ: {مَرِضْت فَلَمْ تَعُدْنِي} فَلَوْ كَانَ الرَّبُّ عَيْنَ الْمَرِيضِ وَالْجَائِعِ لَكَانَ إذَا عَادَهُ وَإِذَا أَطْعَمَهُ يَكُونُ قَدْ وَجَدَهُ إيَّاهُ وَقَدْ وَجَدَهُ قَدْ أَكَلَهُ.

وقال: يُفَسِّرُ قَوْلُهُ: {مَرِضْت فَلَمْ تَعُدْنِي} فَلَوْ كَانَ الرَّبُّ عَيْنَ الْمَرِيضِ وَالْجَائِعِ لَكَانَ إذَا عَادَهُ وَإِذَا أَطْعَمَهُ يَكُونُ قَدْ وَجَدَهُ إيَّاهُ وَقَدْ وَجَدَهُ قَدْ أَكَلَهُ. [(٣)]

كما أن الحديث قد فرق وميز بين العابد والمعبود، والرب والمربوب، وهذا نقض صريح لعقيدة الحلول والاتحاد.

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٩١: ٣٩٢.

(٢) مدارج السالكين ٣/ ٤١١.

(٣) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٩١، ٣٩٢.

وقال أيضا: وأما أن يكون الخلق جزءا من الخالق تعالى، فهو كفر صريح يقوله أعداء الله النصارى ومن غلا من الرافضة، وجهال المتصوفة، ومن اعتقده فهو كافر، نعم للمؤمنين العارفين بالله المحبين له من مقامات القرب ومنازل اليقين ما لا تكاد تحيط به العبارة، ولا يعرفه حق المعرفة إلا من أدركه وناله، والرب رب، والعبد عبد، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، وليس أحد من أهل المعرفة بالله يعتقد حلول الرب تعالى به، أو بغيره من المخلوقات واتحاده به. (١)

الوجه السادس: قد يُطلق الاتحاد ويُراد به معنًى آخر.

قال ابن تيمية:فينبغي أن يعرف هذا النوع من الكلام؛ فإنه تنحل به إشكالات كثيرة، فإن هذا موجود في كلام الله ورسله، وكلام المخلوقين في عامة الطوائف مع ظهور المعنى، ومعرفة المتكلم والمخاطب أنه ليس المراد أن ذات أحدهما اتحدت بذات الآخر؛ بل أبلغ من ذلك يطلق لفظ الحلول والاتحاد ويراد به معنى صحيح كما يقال: فلان وفلان بينهما اتحاد إذا كانا متفقين فيما يحبان ويبغضان، ويواليان ويعاديان، فلما اتحد مرادهما ومقصودهما صار يقال: هما متحدان وبينهما اتحاد، ولا يعني بذلك أن ذات هذا اتحدت بذات الآخر كاتحاد النار والحديد، والماء واللبن، أو النفس والبدن، وأيضًا فلفظ الحلول يراد به حلول ذات الشيء تارة وحلول معرفته ومحبته ومثاله العلمي تارة. (٢)

* * *

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٧٤.

(٢) الجواب الصحيح ٣/ ٣٤٣.

٩ـ شبهات عن القبر

وفيها:

١- شبهة: ضغطة القبر.

٢- شبهة: صفة منكر ونكير.

٣- شبهة: عذاب القبر بسبب البول.

٤- شبهة: عذاب القبر تسمعه البهائم.

٥- شبهة: عذاب الكافر في القبر.

١ـ شبهة: ضغطة القبر.

نص الشبهة:

المسلمون مضغوطون في قبورهم.

عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه.

وعن عائشة عن النبيﷺ قال: إن للقبر ضغطة ولو كان أحد ناجيا منها نجا منها سعد بن معاذ.

والجواب عن ذلك نقول:

الوجه الأول: صحة الحديث

الحديث الأول: (هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه). [1]

الحديث الثاني: عن عائشة قال رسول الله ﷺ: "إن للقبر ضغطة، فلو نجا أو سلم أحد منها لنجا سعد بن معاذ". [2]

الوجه الثاني: في الباب أحاديث أخر، منها ما هو ضعيف مثل:

١- حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ يَوْمًا إِلَى سَعْدِ ابْنِ مُعَاذٍ حِينَ تُوُفِّيَ قَالَ: فَلَمَّا صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهَّ ﷺ وَوُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَسُوِّيَ عَلَيْهِ سَبَّحَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ فَسَبَّحْنَا طَوِيلا ثُمَّ كَبَّرَ فَكَبَّرْنَا فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهَّ لِمَ سَبَّحْتَ ثُمَّ كَبَّرْتَ؟ قَالَ: لَقَدْ تَضَايَقَ عَلَى هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ حَتَّى فَرَّجَهُ اللهَّ ﷻ عَنْهُ. [3]

---

(١) **صحيح**. أخرجه النسائي (٢٠٥٥)، والطبراني في الأوسط (١٧٠٧)، وفي الكبير (٥١٩٥) من حديث ابن عمر به، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١٣٦).

(٢) **صحيح**. رواه علي بن الجعد في الجعديات (١٥٦٦)، وابن حبان في صحيحه (٣١١٢)، وأخرجه أحمد (٦/ ٥٥ و ٩٨)، وفضائل الصحابة له (١٥٠١)، وصححه الألباني في " السلسلة الصحيحة "(١٦٩٥) ثم قال بعد جمع طرق هذا الحديث: وجملة القول أن الحديث بمجموع طرقه وشواهده صحيح بلا ريب، **فنسأل الله تعالى أن يهون علينا ضغطة القبر إنه نعم المجيب.**

(٣) **ضعيف**. رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣٦٠)، والطبراني في الكبير (٥٣٤٦)، وقد ضعفه الألباني في "إرواء الغليل"(٧١٢).

٢- حديث ابن عمر قال: اهتز العرش لحب لقاء الله سعدا، قال: إنما يعني السرير، قال: تفسخت أعواده، قال: دخل رسول الله ﷺقبره فاحتبس، فلما خرج، قيل: يا رسول الله! ما حبسك؟ قال: " ضم سعد في القبر ضمة فدعوت الله أن يكشف عنه". (١)

الوجه الثالث: ضمة القبر حق على كل الناس مسلمهم وكافرهم.

وهذا من اعتقاد المسلمين لما صح فيه عن رسول الله ﷺ الأحاديث.

ومن قال غير ذلك فليأتنا بدليل على نفي ما ذكرناه، وأما العقل فلا مجال لنفيه، فإن العقل لا يدرك إلا المحسوسات في الدنيا، أما القبر فهو عالم آخر وغيب لا يمكن لعقل الاطلاع عليه.

* * *

---

(١) ضعيف. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٦٨٠٠)، ورواه ابن حبان في صحيحه (٧٠٣٤)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٥٩٣).

قلت وهو كما قال: فيه محمد بن فضيل: مختلف في توثيقه، وهو شيعي محترق. قال الجوزجاني: زائغ عن الحق، وعطاء بن السائب: ثقة اختلط في آخره وساء حفظه.

٢ـ شبهة: صفة منكر ونكير.

نص الشبهة:

منكر ونكير هما ملكان أسودان أزرقان.

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: " إذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه. . . . . . "الحديث

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: نص الحديث والحكم عليه.

الوجه الثاني: الملائكة من خلق الله تعالى.

الوجه الثالث: القبر يفسح للمؤمن مد بصره.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: نص الحديث والحكم عليه.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ﷛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ، وَالآخَرُ النَّكِيرُ. فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ". فَيَقُولاَنِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا. ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ نَمْ. فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أهلي فَأُخْبِرُهُمْ. فَيَقُولاَنِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الذي لاَ يُوقِظُهُ إِلاَّ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ. حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ. وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لاَ أَدْرِى. فَيَقُولاَنِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ. فَيُقَالُ لِلأَرْضِ التئمي عَلَيْهِ. فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ. فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلاَعُهُ فَلاَ يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا

حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ ". (١)

الوجه الثاني: الملائكة من خلق الله تعالى.

كما خلق الله سبحانه وتعالى الجن والإنس خلق الملائكة، وهم خُلقوا من نور كما جاء عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "خُلِقَتْ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ". (٢)

والملائكة لهم صفات خِلْقية وخُلُقية.

فمن صفاتهم الخِلقية:

١ـ أنهم ذوو أجنحة: قال الله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ (فاطر: ١).

وعن بْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ النبي ﷺ: "رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ ". (٣)

٢ ـ عظم خَلقهم:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ". (٤)

٣ ـ أنهم أولو قوة:

قال تعالى واصفاً جبريل عليه السلام: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ (النجم: ٥: ٦).

٤ ـ أنهم قادرون على الهبوط والصعود من السماء إلى الأرض والعكس:

قال تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (المعارج: ٤).

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٧١) وقال: حديث حسن غريب، و ابن أبي عاصم في " السنة " (٨٦٤)، قال الألباني في " السلسلة الصحيحة (١٣٩١): إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، وفي ابن إسحاق وهو العامري القرشي مولاهم كلام لا يضر.

(٢) صحيح مسلم (٥٣١٤).

(٣) البخاري (٢٩٩٣).

(٤) أبو داود في سننه (٤٧٢٧)، والطبراني في الأوسط (١٧٠٩)، وصححه الألباني (١٥١).

٥ ـ أنهم يتشكلون في صور البشر:

قال تعالى عن مريم: ﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ ﴾ (مريم: ١٧).

والذين جاءوا إلى إبراهيم ﷺ وبشروه بإسحاق وذهبوا إلى قوم لوط، قال تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الذريات: ٢٤) وكان جبريل ﷺ يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي ويكلمه ويحادثه. .

وأما أعمالهم فكثيرة:

فمنهم:

١ ـ الموكل بسؤال الناس في قبورهم:

كما ورد في الحديث السابق، وهما ملكان وصفاتهم أسودان أزرقان.

٢ ـ ومنهم حملة العرش وهم ثـمانية:

قال تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ (الحاقة: من الآية١٧).

٣ ـ ومنهم الموكل بالوحي إلى الرسل وهو جبريل ﷺ:

قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ (الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥).

٤ ـ ومنهم الموكل بالنفخ في الصور وهو إسرافيل:

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الزمر: ٦٨).

٥ ـ ومنهم الموكلون بقبض الأرواح وهو ملك الموت ومعه أعوانه:

قال تعالى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ (السجدة: من الآية١١).

٦ ـ ومنهم الموكل بالمطر والنبات وهو ميكائيل ﷺ.

وغير ذلك من الأعمال.

الوجه الثالث: القبر يفسح للمؤمن مد بصره.

وكما قلنا إن حياة القبر حياة غيبية لا نعرف كيفيتها، ولذلك إيماننا بها عن طريق الخبروليس عن طريق الحس.

فليس من العجيب أن يفسح القبر للمؤمن مد بصره جزاء إيمانه في الدنيا.

وليس ببعيد على الله تعالى أن يفسحه له مد بصره دون أن نشعر نحن به من فوقه.

وهناك الرؤى والأحلام التي تأتي الإنسان في منامه، فيسافر بلادًا لا يعرفها، ويقفز من فوق أبراج عالية، ويفعل ما هو خارق للعادة حال يقظته، ومع ذلك لا ينكر أحد ذلك، فمن الذي فعل به ذلك؟ أليس هو الله تبارك وتعالى؟ القادر على كل شئ.

*　　*　　*

٣ـ شبهة: عذاب القبر بسبب البول.

نص الشبهة:

أكثر عذاب القبر من البول

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :أكثر عذاب القبر من البول.

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: الأحاديث الواردة في ذلك.

الوجه الثاني: الفهم الصحيح للحديث.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: الأحاديث الواردة في ذلك.

وردت أحاديث في هذا الشأن منها:

١ ـ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ، ثُمَّ قَالَ: بَلَى أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ عُودًا رَطْبًا فَكَسَرَهُ بِاثْنَتَيْنِ ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرٍ، ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا.[(١)]

٢ ـ الحديث الذي ذكره: (أَكْثَرُ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْ الْبَوْلِ).[(٢)]

الوجه الثاني: الفهم الصحيح للحديث.

نؤمن بما جاءت به هذه الأحاديث، وقد دخل في عقل صاحب الشبهة عموم كلمة البول وإجمالها من غير تفصيل.

فالمقصود بالبول كما جاء مفسرًا في الأحاديث الأُخر: هو عدم الاحتراز من البول أن يقع على جسده وثوبه.

---

(١) البخاري (١٢٨٩).

(٢) **صحيح**. رواه أحمد (٢/ ٣٢٦، ٣٨٨، ٣٨٩)، ابن ماجه (٣٤٨)، والآجري في " الشريعة " (٨٥٢)، الحاكم (١/ ١٨٣)، والدار قطني في السنن (٤٥٩) وقال: صحيح، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١/ ٣١١، ٣١٢).

والاستتار أنه لا يجعل بينه وبين بوله سترة يعني لا يتحفظ منه.

وسياق الحديث يدل على أن للبول بالنسبة إلى عذاب القبر خصوصية ويؤيده ما أخرجه بن خزيمة من حديث أبي هريرة مرفوعًا: أكثر عذاب القبر من البول أي بسبب ترك التحرز منه. (١)

وهكذا نرى أن الإسلام يدعو إلى التنزه من النجاسات والطهارة منها. وهذا ما لم يوجد في شعائر النصارى؛ لذلك يتهكمون من المسلمين! !. (٢)

قال الذهبي: عدم التنزه من البول وهو شعار النصارى. قال الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (المدثر: ٤). (٣)

* * *

---

(١) عون المعبود (١/ ٢٧).

(٢) وقد مر تفصيل ذلك فليراجع في بابه.

(٣) الكبائر للذهبي (صـ ١٤١).

٤ـ شبهة: عذاب القبر تسمعه البهائم

نص الشبهة:

قالوا: يعذبون في قبورهم عذابًا تسمعه البهائم.

عن عائشة قالت: دخلت عليَّ عجوزان من عُجُز يهود المدينة فقالتا: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم. قالت: فكذبتهما ولم أُنعم أن أصدقهما، فخرجتا، ودخل عليَّ رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا عليَّ فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم! فقال: صدقتا إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم. قالت: فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر.

وللجواب عن ذلك نقول:

الوجه الأول: عقيدة أهل السنة في عذاب القبر.

الوجه الثاني: الأدلة على إثبات عذاب القبر.

الوجه الثالث: هل العذاب على الروح والبدن؟ أم على البدن فقط؟ أم على الروح فقط؟

الوجه الرابع: غير الجن والإنس يسمعون عذاب القبر.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: عقيدة أهل السنة في عذاب القبر.

يعتقد أهل السنة والجماعة أن القبر هو البداية للحياة الآخرة، وهو الذي يعرف فيها الإنسان مصيره، إما إلى جنة وإما إلى نار.

وأن الحياة البرزخية (حياة القبر) هي غيب نعلم معناه ووصفه لكن لا نعلم كيفيته، فلأجل ذلك يؤمن أهل السنة بما ورد ولا يسعون إلى معرفة الكيفية.

وأن العذاب والنعيم في القبر يقع على الروح والجسد معا.

مثال على ذلك: حياة الأنبياء في القبور.

الوجه الثاني: الأدلة على إثبات عذاب القبر.

وردت أدلة كثيرة على عذاب القبر ونعيمه منها:

قوله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ (٤٥) ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾(غافر: ٤٥: ٤٦).

قال البخاري في صحيحه: بَاب مَا جَاءَ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ ﴾.

قَالَ أَبُو عَبْد الله: الْهُونُ هُوَ الْهَوَانُ وَالْهَوْنُ الرِّفْقُ وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ (٤٥) ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ (٤٦)﴾.

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا: عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ. (١)

ومن أجمع الأحاديث في هذا الباب:

حديث البراء بن عازب وقد جمع طرقه ورواياته الشيخ الألباني رحمه الله في كتابه " أحكام الجنائز" فنذكره بطوله وبتخريجه إن شاء الله تعالى.

عن البراء بن عازب قال: " خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ (مستقبل القبلة)، وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عوده ينكت في الأرض، (فجعل ينظر إلى السماء، وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه، ثلاثا)، فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر، مرتين، أو ثلاثا، (ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر) (ثلاثا)، ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من

---

(١) البخاري (١٢٨٠).

الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة (وفي رواية: المطمئنة)، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، وفي رواية: حتى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم، فإذا أخذها لم يدَعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، فذلك قوله تعالى: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ (الأنعام: ٦١)، ويخرج منها كأطيب نفحة مسلك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون - يعني - بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان - بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾، فيكتب كتابه في عليين، ثم يقال: أعيدوه إلى الأرض، فإني (وعدتهم أني) منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: ف (يرد إلى الأرض، و) تعاد روحه في جسده، (قال: فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه) (مدبرين).

فيأتيه ملكان (شديدا الانتهار) ف (ينتهرانه، و) يجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به، وصدقت، (فينتهره فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله ﷻ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ

ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (إبراهيم: من الآية٢٧)، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه (وفي رواية: يمثل له) رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، (أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم)، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: (وأنت فبشرك الله بخير) من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح (فوالله ما علمتك إلا كنت سريعا في إطاعة الله، بطيئا في معصية الله، فجزاك الله خيرا)، ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت، الله، أبدلك الله به هذا فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجل قيام الساعة، كيما أرجع إلى أهلي ومالي، (فيقال له: اسكن)، قال: وإن العبد الكافر (وفي رواية: الفاجر) إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة (غلاظ شداد)، سود الوجوه، معهم المسوح (من النار)، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود (الكثير الشعب) من الصوف المبلول، (فتقطع معها العروق والعصب)، (فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم)، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان - بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة، حتى يلج الجمل في سم الخياط) فيقول الله عزوجل: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، (ثم يقال:

أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى)، فتطرح روحه (من السماء) طرحًا (حتى تقع في جسده) ثم قرأ (ومن يشرك بالله، فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق)، فتعاد روحه في جسده، (قال: فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولو عنه).

ويأتيه ملكان (شديدا الانتهار، فينتهرانه، و) يجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ (فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقول له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى)، فيقولان له: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟) فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد! فيقول) هاه هاه لا أدري (سمعت الناس يقولون ذاك! قال: فيقال: لا دريت)، (ولا تلوت)، فينادي مناد من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه (وفي رواية: ويمثل له) رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول (وأنت فبشرك الله بالشر) من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث؟ (فو الله ما علمت إلا كنت بطيئا عن طاعة الله، سريعا إلى معصية الله)، (فجزاك الله شرا، ، ثم يقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة! لو ضرب بها جبل كان ترابا، فيضربه ضربة حتى يصير بها ترابا، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شئ إلا الثقلين، ثم يفتح له باب من النار، يمهد من فرش النار). فيقول: رب لا تقم الساعة ".[1]

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، والحاكم (١/ ٣٧ - ٤٠)، والطيالسي (٧٥٣)، وأحمد (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨ و ٢٩٥ و ٢٩٦)، والآجري في " الشريعة " (٨٦٤). وصححه الألباني في أحكام الجنائز مسألة رقم (١٠٥)، وقد ذكرنا النص الذي جمعه الشيخ الألباني بالزيادات على ترتيبه، وذلك للفائدة. وانظر: تفصيل ذلك في أحكام الجنائز.

وهذا الحديث أصل من أصول أهل السنة في إثبات عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكان للإنسان.

٢ ـ اليهود يؤمنون بعذاب القبر:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ الله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللهَّ ﷺعَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. فَقَالَ: نَعَمْ عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ. قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺبَعْدُ صَلَّى صَلاةً إِلا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.(١)

٣ ـ التعوذ من عذاب القبر:

١-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَدْعُو وَيَقُولُ: اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ.(٢)

٢ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ وَلَمْ أَشْهَدْهُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ وَلَكِنْ حَدَّثَنِيهِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ، فَقَالَ: مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الأَقْبُرِ؟ فَقَالَ: رَجُلٌ أَنَا، قَالَ: فَمَتَى مَاتَ هَؤُلاءِ؟ ، قَالَ: مَاتُوا فِي الإِشْرَاكِ. فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَلَوْلا أَنْ لا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ الله أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللهَّ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهَّ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللهَّ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهَّ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللهَّ مِنْ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهَّ مِنْ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللهَّ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهَّ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ.(٣)

الوجه الثالث: هل العذاب على الروح والبدن أم على البدن فقط أم على الروح فقط

(١) البخاري (١٢٨٣).

(٢) البخاري (١٢٨٨).

(٣) مسلم (٥١١٢).

قال ابن القيم: قول السائل: هل عذاب القبر على النفس والبدن؟ أو على النفس دون البدن؟ أو على البدن دون النفس؟ وهل يشارك البدن النفس في النعيم والعذاب أم لا؟

وقد سئل شيخ الإسلام عن هذه المسألة، فقال:

بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتنعم وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليها في هذه الحال مجتمعين، كما تكون على الروح منفردة عن البدن، وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟

هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة وأهل الكلام.

وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث: قول من يقول: إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح، وإن البدن لا ينعم ولا يعذب.

وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين.

ويقوله كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الأبدان؛ لكن يقولون لا يكون ذلك في البرزخ، وإنما يكون عند القيام من القبور؛ لكن هؤلاء ينكرون عذاب البدن في البرزخ فقط، ويقولون: إن الأرواح هي المنعمة أو المعذبة في البرزخ، فإذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معًا.

وهذا القول قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم، وهو اختيار ابن حزم وابن مرة، فهذا القول ليس من الأقوال الثلاثة الشاذة؛ بل هو مضاف إلى قول من يقول بعذاب القبر، ويقر بالقيامة ويثبت معاد الأبدان والأرواح ولكن هؤلاء لهم في عذاب القبر ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه على الروح فقط.

الثاني: أنه عليها وعلى البدن بواسطتها.

الثالث: أنه على البدن فقط وقد يضم إلى ذلك القول الثاني، وهو قول من يثبت عذاب القبر ويجعل الروح هي الحياة ويجعل الشاذ قول منكر عذاب الأبدان مطلقا وقول من ينكر عذاب الروح مطلقا. فإذا جعلت الأقوال الشاذة ثلاثة.

فالقول الثاني الشاذ: قول من يقول إن الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب؛ وإنما الروح هي الحياة وهذا يقوله طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والأشعرية كالقاضي أبى بكر وغيره، وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن، وهذا قول باطل وقد خالف أصحابه أبو المعالي الجويني وغيره؛ بل قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الأمة: أن الروح تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة والفلاسفة الإلهيون يقرون بذلك؛ لكن ينكرون معاد الأبدان وهؤلاء يقرون بمعاد الأبدان لكن ينكرون معاد الأرواح ونعيمها وعذابها بدون الأبدان، وكلا القولين خطأ وضلال؛ لكن قول الفلاسفة أبعد عن أقوال أهل الإسلام، وإن كان قد يوافقهم عليه من يعتقد أنه متمسك بدين الإسلام؛ بل من يظن أنه من أهل المعرفة والتصوف والتحقيق والكلام.

والقول الثالث الشاذ: قول من يقول إن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب؛ بل لا يكون ذلك حتى تقوم الساعة الكبرى كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة ونحوهم ممن ينكر عذاب القبر ونعيمه بناء على أن الروح لا تبقى بعد فراق البدن، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب، فجميع هؤلاء الطوائف ضلال في أمر البرزخ لكنهم خير من الفلاسفة فإنهم مقرون بالقيامة الكبرى.

فإذا عرفت هذه الأقوال الباطلة، فلتعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانا ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العالمين ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى.

ونحن نثبت ما ذكرناه فأما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي ﷺ. (١)

الوجه الرابع: غير الجن والإنس يسمعون عذاب القبر.

وهذا حق نؤمن به. وقد يقول قائلهم: وكيف يسمعه كل شئ إلا الجن والإنس والأسماع تتشابه؟

ونقول: إن الذي خلق الجن والإنس قادر على أن لا يسمعهم ما لا يسمع غيرهم.

* * *

(١) الروح لابن قيم الجوزية (صـ ٥١، ٥٢).

٥ـ شبهة: عذاب الكافر في القبر.

نص الشبهة:

قالوا: عذاب الكافر في القبر تسْعَة وَتسْعُون تنينًا، وكل تنين عبارة عن تسْعَة وَتسْعِينَ حية، وكل حية لها سبعة رؤوس، وأنه حينما يسأل يقول: هاه هاه هاه لا أدري. فكيف يعقل هذا؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ رَسُول اللهَّ ﷺأَنَّهُ قَالَ: " أَتَدْرُونَ فيمَ أُنْزِلَتْ هَذه الْآيَة: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ أَتَدْرُونَ مَا الْمعيشَة الضَّنْك؟ " قَالُوا: اللهَّ وَرَسُوله أَعْلَم، قَالَ: وَعَذَاب الْكَافر في قَبْره، وَالَّذي نَفْسي بيَده أَنَّهُ لَيُسَلَّط عَلَيْه تسْعَة وَتسْعُونَ تنِّينًا، أَتَدْرُونَ مَا التّنّين: تسْعَة وَتسْعُونَ حَيَّة، لكُلّ حَيَّة سَبْعَة رُءُوس، يَنْفُخُونَ في جسْمه وَيَلْسَعُونَهُ وَيَخْدشُونَهُ إلَى يَوْم الْقيَامة.

والجواب عن ذلك نقول:

الوجه الأول: الحديث ضعيف فلا يحتج به.

الوجه الثاني: المستفاد من الحديث.

الوجه الثالث: إثبات عذاب القبر للكافر.

واليك التفصيل

الوجه الأول: الحديث ضعيف فلا يحتج به.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ رَسُول اللهَّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " أَتَدْرُونَ فيمَ أُنْزِلَتْ هَذه الْآيَة: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ أَتَدْرُونَ مَا الْمعيشَة الضَّنْك؟ " قَالُوا: اللهَّ وَرَسُوله أَعْلَم، قَالَ: وَعَذَاب الْكَافر في قَبْره، وَالَّذي نَفْسي بيَده أَنَّهُ لَيُسَلَّط عَلَيْه تسْعَة وَتسْعُونَ تنِّينًا، أَتَدْرُونَ مَا التّنّين: تسْعَة وَتسْعُونَ حَيَّة، لكُلّ حَيَّة سَبْعَة رُءُوس، يَنْفُخُونَ في جسْمه وَيَلْسَعُونَهُ وَيَخْدشُونَهُ إلَى يَوْم الْقيَامة.

الحديث منكر فلا يحتج به: [(١)]

---

(١) منكر. أخرجه ابن حبان (٣١٢٢)، وأبو يعلى في مسنده (٦٦٤٤) من طريق دراج بن أبي السمح، عن أبي حجيرة، عن أبي هريرة به. تفرد به دراج بن أبي السمح .

قال الذهبي عنه في المغني (١/ ٢٢٢): قال أحمد وغيره: أحاديثه مناكير، ووثقه ابن معين، وتركه الدارقطني.
وقال أبو حاتم الرازي: ضعيف، وقال النسائي: ليس بالقوي.
وقد أخرجه أحمد (١١٣٥٢)، والدارمي (٢٨١٥)، وعبد بن حميد (٩٢٩) من طريق سَعِيد بْنِ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا السَّمْحِ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا الْهَيْثَمِ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: يُسَلَّطُ عَلَى الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّينًا تَلْدَغُهُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ فَلَوْ أَنَّ تِنِّينًا مِنْهَا نَفَخَ فِي الْأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ خَضْرَاءَ.
ولفظه يختلف عن سابقه. وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (٢٠٧٩).
وللحديث رواية أخرى مختلفة: أخرجها الترمذي (٢٤٦٠) من طريق الْقَاسِم بن الْحَكَمِ الْعُرَنِيِّ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهَّ بْنُ الْوَلِيدِ الْوَصَّافِيُّ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللهَّ ﷺمُصَلَّاهُ فَرَأَى نَاسًا كَأَنَّهُمْ يَكْتَشِرُونَ، قَالَ: أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ أَكْثَرْتُمْ ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ لَشَغَلَكُمْ عَمَّا أَرَى فَأَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ الْمَوْتِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى الْقَبْرِ يَوْمٌ إِلَّا تَكَلَّمَ فِيهِ فَيَقُولُ: أَنَا بَيْتُ الْغُرْبَةِ وَأَنَا بَيْتُ الْوَحْدَةِ وَأَنَا بَيْتُ التُّرَابِ، وَأَنَا بَيْتُ الدُّودِ، فَإِذَا دُفِنَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ قَالَ لَهُ الْقَبْرُ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا أَمَا إِنْ كُنْتَ لَأَحَبَّ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ فَإِذ وُلِّيتُكَ الْيَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ فَسَتَرَى صَنِيعِيَ بِكَ، قَالَ: فَيَتَّسِعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ وَإِذَا دُفِنَ الْعَبْدُ الْفَاجِرُ أَوْ الْكَافِرُ قَالَ لَهُ الْقَبْرُ: لَا مَرْحَبًا وَلَا أَهْلًا أَمَا إِنْ كُنْتَ لَأَبْغَضَ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ فَإِذْ وُلِّيتُكَ الْيَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ فَسَتَرَى صَنِيعِيَ بِكَ قَالَ: فَيَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّى يَلْتَقِيَ عَلَيْهِ وَتَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ بِأَصَابِعِهِ فَأَدْخَلَ بَعْضَهَا فِي جَوْفِ بَعْضٍ قَالَ: وَيُقَيِّضُ الله لَهُ سَبْعِينَ تِنِّينًا لَوْ أَنْ وَاحِدًا مِنْهَا نَفَخَ فِي الْأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ شَيْئًا مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا فَيَنْهَشْنَهُ وَيَخْدِشْنَهُ حَتَّى يُفْضَى بِهِ إِلَى الْحِسَابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: " إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ".
قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.
قلت: فيه علل:
١- القاسم بن الحكم العرني: قال عنه أبو حاتم: لا يحتج به. وقال الحافظ في التقريب: صدوق فيه لين.
٢- عبيد الله بن الوليد الوصافي: قال عنه ابن الجوزي في الضعفاء والمتروكين (٢/ ١٦٤): يروي عن عطاء، وعطية العوفي.
قال أحمد: ليس محكم الحديث يكتب حديثه للمعرفة. وقال يحيى: ليس بشيء، وقال مرة: ضعيف. وكذلك قال أبو زرعة، والدارقطني. وقال عمرو بن علي والنسائي: متروك الحديث.
وقال ابن حبان: يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات حتى يسبق إلى القلب أنه المتعمد لها فاستحق الترك.
٣- عطية العوفي: ضعفه النسائي وغيره.

الوجه الثاني: المستفاد من الحديث:

المستفاد من الحديث أنه لا تؤخذ منه عقيدة ولا يعتبر بما فيه على أنه من عقيدة الإسلام.

ولكن لو صح الحديث لآمنا به كما جاء؛ لأن عقيدتنا قائمة على الخبر الصحيح.

الوجه الثالث: إثبات عذاب القبر للكافر.

أثبت القرآن عذاب القبر للكافر:

قال تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (غافر: ٤٦).

قال ابن كثير: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾. [(١)]

وكذلك السنة وقد ثبت ذلك في أحاديث صحيحة كثيرة كما في حديث البراء الطويل، وغيره وقد مر ذلك كثيرًا.

والحديث فيه فوائد مهمة: منها:

١ ـ إعلام النبي ﷺ أمته بما يحدث لهم في قبورهم. وفي هذا رادع عن الباطل وترغيبا للحق والسير فيه.

٢ ـ أن الروح ترد إلى الميت عند ذهاب آخر قدم من عنده. ولكن على كيفية غير كيفية الدنيا.

٣ ـ أن الكافر لا يوفق في الإجابة عن الأسئلة الثلاثة.

وذلك بأن أعرضوا عن الله تعالى في الدنيا، فأعماهم الله وأضلهم عن الإجابة في القبر.

٤ ـ أن الكافر في القبر يذوق من عذاب الآخرة كما قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ (غافر: ٤٦).

٥ ـ أن المؤمن يبشر بأن يفتح له من الجنة بابا ينعم به إلى يوم القيامة.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٠٣).

٦ ـ أن فترة البرزخ إلى يوم القيامة تمر على المؤمن كأنها صلاة ظهر أو صلاة عصر. فيتمنى إقامة الساعة.

أما الكافر فيقول: ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (يس: ٥٢) ولا يتمنى إقامة الساعة.

٧ ـ أن القبر يضيق على الكافر حتى تختلف أضلاعه، ولكن بكيفية لا ندركها لأنها غيب. والمؤمن يفسح له قبره سبعون ذراعا وبكيفية لا ندركها.

٨ ـ أن عذاب القبر ونعيمه علمناه عن طريق الخبر فلا مجال للعقل فيه، ولا مخالفة له للعقل. فالعقل يقبل أشياء أغرب من هذه.

* * *

٩ـ شبهات عن الجنة

وفيها:

مقدمة في وصف الجنة من القرآن والسنة

١- هل للمسلمين جنة واحدة أم جنات؟.

٢- شبهة: في وصف الجنة.

٣- شبهة: عن درجات الجنة.

٤- شبهة: فيمن يستحق دخول الجنة.

٥- شبهة: عن جنة الفردوس.

٦- شبهة: عن عرق أهل الجنة.

٧- شبهة: ادعاؤهم بيع الجنة بالمال.

٨- شبهة: ادعاؤهم أن في الجنة لواط.

٩- شبهة: الرجال لهم الحور فماذا للنساء؟

١٠- شبهة: عن النكاح في الجنة، واعتراضهم على ذكر الجماع والنساء في الجنة.

مقدمة في وصف الجنة من القرآن والسنة

الجنة دار غرسها الله بيده، وجعلها مقرًا لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص. لذا رغب الشرع فيها ووصف لنا ما فيها، فإليك ذكر بعض ما جاء فيها.

الترغيب في الجنة ونعيمها.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ النَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ، وَالله، يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ، وَالله، يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤُسٌ قَطُّ، وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ. (١)

وعَنْ عَبْدِ الله، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ. (٢)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ الله غَالِيَةٌ أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ الله الْجَنَّةُ ". (٣)

ليس للجنة إلا طريق واحد.

هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم، وأما طرق الجحيم فأكثر من أن تحصى ،ولهذا يوحد سبحانه سبيله ويجمع سبل النار كقوله تعالى﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (الأنعام: ١٥٣) وقال﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾ (النحل: ٩) أي ومن السبيل

(١) مسلم (٢٨٠٧).

(٢) البخاري (٦٤٨٨).

(٣) سنن الترمذي (٢٦٣٨). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٤)

جائر عن القصد وهي سبيل الغي وقال﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ (الحجر: ٤١).

وقال ابن مسعود: خط لنا رسول الله خطا وقال: هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره ثم قال: هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ الآية.

فإن قيل: قد قال الله تعالى:﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ (المائدة :١٥ ، ١٦) قيل: هي سبل تجمع في سبيل واحد، وهي بمنزلة الجواد والطرق في الطريق الأعظم فهذه هي شعب الإيمان يجمعها الإيمان وهو شعبة، كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها، وهذه السبل هي إجابة داعي الله بتصديق خبره وطاعة أمره وطريق الجنة هي إجابة الداعي إليها ليس إلا.

وعن جابر قال: "جَاءَتْ مَلاَئِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهْوَ نَائِمٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ نَائِمٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ. فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلاً فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلاً. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ. فَقَالُوا مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ. فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ. فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ"[1].

بيان وجود الجنة وأنها مخلوقة.

قال الطحاوي: والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلًا، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلًا منه، ومن شاء

---

(١) البخاري (٧٢٨١).

منهم إلى النار عدلًا منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له، والخير والشر مقدران على العباد.

قال ابن أبي العز: قوله: "إن الجنة والنار مخلوقتان" اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل على ذلك أهل السنة، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة! ! وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا! ! وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة! وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث! لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة! ! فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم. (1)

والأدلة على ذلك منها:

قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾﴾.

وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى، ورأى عندها جنة المأوى. كما في الصحيحين، من حديث أنس ﷺ، في قصة الإسراء، وفي آخره "ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ. . . "(2)

عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٤٢٠.

(٢) البخاري (٣٤٩)، مسلم (١٦٣).

ﷺ ؟فيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ. فيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبْدَلَكَ الله بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ – قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فيَرَاهُمَا جَمِيعًا. . . . ". [١] والأدلة على ذلك كثيرة. [٢]

دخول عصاة المؤمنين الجنة بالشفاعة.

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : " أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لاَ يَمُوتُونَ فِيهَا وَلاَ يَحْيَوْنَ وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ – أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ – فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ. فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ". [٣]

عن أنس بن مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا مَسَّهُمْ مِنْهَا سَفْعٌ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَهَنَّمِيِّينَ". [٤]

وفي حديث أبي هريرة الطويل " حَتَّى إِذَا أَرَادَ الله رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الله الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ الله عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلاَّ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ الله مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ. . . ". [٥]

أبواب الجنة سعتها وصفتها.

قال تعالى﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ (الزمر: ٧٣).

---

(١) البخاري (١٣٣٨)، مسلم (٢٨٧٠).

(٢) راجع صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق ، باب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ. وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. وأيضا حادي الأرواح لابن القيم صـ ١٤: ٢٤.

(٣) مسلم (١٨٥).

(٤) البخاري (٦٥٥٩).

(٥) البخاري (٨٠٦). مسلم (١٨٢).

قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠ ﴾ (ص: ٥٠).

قال ابن القيم: وتأمل قوله سبحانه ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١ ﴾ (ص: ٥٠ -٥١) كيف تجد تحته معنى بديعا، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم؛ بل تبقى مفتحة كما هي، وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها كما قال تعالى إنها عليهم مؤصدة أي مطبقة. (١)

قال مقاتل: يعني أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح آخر الأبد.

وأيضًا فإن في تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم في الجنة حيث شاؤوا ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت.

وأيضًا إشارة إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا. (٢)

وللجنة ثمانية أبواب، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "في الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ لاَ يَدْخُلُهُ إِلاَّ الصَّائِمُونَ". (٣)

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺأَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: "مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ في سَبِيلِ الله نُودِىَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ الله، هَذَا خَيْرٌ. فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِىَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِىَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِىَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِىَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ ". فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى يَا

---

(١) حادي الأرواح صـ٥٢.

(٢) المصدر السابق .

(٣) البخاري (٣٢٥٧).

رَسُولَ الله، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا قَالَ " نَعَمْ. وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ ".[(١)]

عَنْ عُبَادَةَ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : "مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ الله، وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ الله مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ ".[(٢)]

وعن عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ قال: " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ ".[(٣)]

سعة أبواب الجنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: أُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، كَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً ثُمَّ قَالَ " أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يُجْمَعُ النَّاسُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ. "فذكر حديث الشفاعة الطويل وقال في آخره " فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ الله عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شيئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى ".[(٤)]

---

(١) البخاري (١٨٩٧)، مسلم (١٠٢٧).

(٢) البخاري (٣٤٣٥)، مسلم (٢٨).

(٣) مسلم (٢٣٤).

(٤) البخاري (٤٧١٢)، مسلم (١٩٤).

وفي لفظ" وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى ".

وفي لفظ " وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ إِلَى عِضَادَتَي الْبَابِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ أَوْ هَجَرٍ وَمَكَّةَ ".

عَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ الْعَدَوِيِّ قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لاَ زَوَالَ لَهَا فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِى فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا لاَ يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا وَوَالله لَتُمْلأَنَّ أَفَعَجِبْتُمْ! وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ. . ."[1]

قال ابن القيم: ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذلك وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها، وكلما علت الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه، وسعة الباب بحسب وسع الجنة، ولعل هذا وجه الاختلاف الذي جاء في مسافة ما بين مصراعي الباب فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض.[2]

درجات الجنة.

الجنة درجات بعضها فوق بعض، وأهلها متفاضلون فيها بحسب منازلهم فيها قال تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ (طه: ٧٥).

قال ابن تيمية: والجنة درجات متفاضلة تفاضلًا عظيمًا وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم قال تبارك وتعالى﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ

---

(١) مسلم (٢٩٦٧).

(٢) حادي الأرواح صـ٥٩.

وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾(الإسراء: ١٨ - ٢١).

فبين الله سبحانه وتعالى أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه، وأن عطاءه ما كان محظورًا من بر ولا فاجر، ثم قال تعالى﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ فبين الله سبحانه أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا، وأن درجاتها أكبر من درجات الدنيا، وقد بين تفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين فقال تعالى﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ (البقرة: ٢٥٣) وقال تعالى﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ (الإسراء: ٥٥). [1]

قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ (النساء: ٩٥، ٩٦).

قال ابن القيم: وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولاً بدرجة ثم أوقعه ثانيًا بدرجات. فقيل: الأول بين القاعد المعذور والمجاهد. والثاني بين القاعد بلا عذر والمجاهد. [2]

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ١٨٨).

(٢) حادي الأرواح صـ٧٢.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٢ – ٤).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : "مَنْ آمَنَ بِالله وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ الله، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا". فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ؟. قَالَ: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ الله فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ ". (١)

وبيّن رسول الله ﷺ أن أهل الجنة متفاضلون فيها.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَيُونَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَيُونَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ ". قَالُوا يَا رَسُولَ الله: تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ " بَلَى وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِالله وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ". (٢)

أعلى درجات الجنة.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا الله لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ ". (٣)

---

(١) البخاري (٢٧٩٠).

(٢) البخاري (٣٢٥٦)، مسلم (٢٨٣١).

(٣) مسلم (٣٨٤).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللهمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِى وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". (١)

عَنْ مُوسَى بْنِ وَرْدَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "الْوَسِيلَةُ دَرَجَةٌ عِنْدَ اللهِ لَيْسَ فَوْقَهَا دَرَجَةٌ فَسَلُوا اللهَ أَنْ يُؤْتِيَنِي الْوَسِيلَةَ". (٢)

عدد الجنات.

الجنة: اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور وهي جنات كثيرة جدًا. جنتان من ذهب وجنتان من فضة.

عن أنس بن مالك أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهْىَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَلاَ تُحَدِّثُنِى عَنْ حَارِثَةَ، وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ، صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ. قَالَ " يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الأَعْلَى ". (٣)

وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ ". (٤)

---

(١) البخاري (٦١٤).

(٢) أحمد ٣/ ٨٣، الطبراني في "المعجم الأوسط " (١/ ٨٩/ ٢٦٣)، وأيضًا (٢/ ١٢٦/ ١٤٦٦). والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٥٧١).

(٣) البخاري (٢٨٠٩).

(٤) البخاري (٤٨٧٨)، مسلم (١٨٠).

وقد قال تعالى﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الرحمن: ٤٦) فذكرهما ثم قال: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ ﴾ (الرحمن: ٦٢) فهذه أربعٌ، وقد اختلف في قوله "ومن دونهما" هل المراد به أنهما فوقهما أو تحتهما، على قولين:

فقالت طائفة: من دونهما أي: أقرب منهما إلى العرش فيكونان فوقهما.

وقالت طائفة: بل معنى من دونهما: تحتهما، قالوا: وهذا المنقول في لغة العرب، إذا قالوا: هذا دون هذا أي: دونه في المنزلة، كما قال بعضهم لمن بالغ في مدحه: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك، وفي الصحاح: دون نقيض فوق، وهو تقصير عن الغاية ثم قال: ويقال: هذا دون هذا أي أقرب منه، والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأولين من عشرة أوجه.

أحدها: قوله ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الرحمن: ٤٨) وفيه قولان: أحدهما: أنه جمع فنن وهو الغصن، والثاني: أنه جمع فن وهو الصنف أي ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما.

الثاني: قوله ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الرحمن: ٥٠) وفي الأخريين ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الرحمن: ٦٦) والنضاخة هي الفوارة والجارية السارحة وهي أحسن من الفوارة فإنها تتضمن الفوران والجريان.

الثالث: أنه قال: ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الرحمن: ٥٢) وفي الأخريين ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الرحمن: ٦٨) ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل.

الرابع: أنه قال: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ (الرحمن: ٥٤) وهذا تنبية على فضل الظهائر وخطرها وفي الأخريين قال﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ (الرحمن: ٧٦) وفسر الرفرف بالمحابس والبسط وفسر بالفرش وفسر بالمحابس فوقها وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأوليين.

الخامس: أنه قال﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ (الرحمن: ٥٤) أي قريب وسهل يتناولونه كيف شاؤوا ولم يذكر ذلك في الأخريين.

السادس: أنه قال ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ (الرحمن: ٥٦) أي قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم، ومحبتهن لهم وذلك يتضمن قصر أطراف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن، وقال في الأخريين ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ (الرحمن: ٧٢) ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها.

السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون وإشراقه وحسنه ولم يذكر ذلك في التي بعدها.

الثامن: أنه قال سبحانه وتعالى في الجنتين الأوليين ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ (الرحمن: ٦٠) وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

التاسع: أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزءًا لمن خاف مقامه، وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه، ولما كان الخائفون على نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر جنتي المقربين ثم ذكر جنتي أصحاب اليمين.

العاشر: أنه قال ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ (الرحمن: ٦٢) والسياق يدل على أنه نقيض فوق كما قال الجوهري. [1]

أبواب الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم.

قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا

---

(١) حادي الأرواح صـ٩٦: ٩٨.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ (الزمر: ٧٣).

والخزنة جمع خازن ومثل حفظة وحافظ وهو المؤتمن على الشيء الذي قد استحفظه.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :" آتِى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ ". (١)

قال ابن القيم: قد سمى الله سبحانه وتعالى كبير هذه الخزنة رضوان وهو اسم مشتق من الرضا، وسمى خازن النار مالكا وهو اسم مشتق من الملك وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه. (٢)

أول من يقرع باب الجنة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :" أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ ". (٣)

وقد تقدم في حديث أنس السابق وفيه قوله ﷺ : " فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ".

أول الأمم دخولاً الجنة.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: " نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ فَاخْتَلَفُوا فَهَدَانَا الله لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ". (٤)

فهذه الأمة أسبق الأمم خروجًا من الأرض، وأسبقهم إلى أعلي مكان في الموقف، وأسبقهم إلى ظل العرش، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلى الجواز على الصراط، وأسبقهم إلى دخول الجنة؛ فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد ﷺ،

---

(١) مسلم (١٩٧).

(٢) حادي الأرواح صـ١٠٣.

(٣) مسلم (١٩٦).

(٤) البخاري (٨٧٦)، مسلم (٨٥٥).

ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته. [١]

تربة الجنة وطينتها وحصبائها وبنائها.

عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث: أن رسول الله ﷺ قال: فذكر حديث المعراج وفيه " ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ ". [٢]

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لاِبْنِ صَائِدٍ " مَا تُرْبَةُ الْجَنَّةِ ". قَالَ دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ مِسْكٌ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. قَالَ " صَدَقْتَ ". [٣]

قَالَ الْعُلَمَاء: مَعْنَاهُ أَنَّهَا فِي الْبَيَاض دَرْمَكَة، وَفِي الطِّيب مِسْك، وَالدَّرْمَك هُوَ الدَّقِيق الْحَوَارِيّ الْخَالِص الْبَيَاض. [٤]

وفي حديث أبي هريرة قال: قُلْنَا: الْجَنَّةُ مَا بِنَاؤُهَا؟ قَالَ ﷺ : " لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَمِلاَطُهَا الْمِسْكُ الأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلْهَا يَنْعَمْ وَلاَ يَبْأَسْ، وَيُخَلَّدْ وَلاَ يَمُوتْ، لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُمْ وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُمْ ". [٥]

قال ابن القيم: فهذه ثلاث صفات في تربتها ولا تعارض بينها.

فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين المسك والزعفران.

ويحتمل معنيين آخرين.

أحدهما: أن يكون التراب من زعفران فإذا عجن بالماء صار مسكا والطين ترابا ويدل على هذا قوله في اللفظ الآخر ملاطها المسك.

---

(١) حادي الأرواح صـ١٠٧.

(٢) البخاري (٣٤٩)، مسلم (١٦٣).

(٣) مسلم (٢٩٢٨).

(٤) شرح النووي على مسلم (٩/ ٣١٧).

(٥) الترمذي (٢٥٢٦)، أحمد ٢/ ٣٠٤، مسند الطيالسي (٢٥٨٣)، وقال الألباني: حسن لغيره. صحيح الترغيب والترهيب (٣٧١١).

والملاط: الطين ويدل عليه أن في حديث العلاء بن زياد: ترابها الزعفران وطينها المسك، فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيبا فانضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصار مسكًا.

المعنى الثاني: أن يكون زعفرانا باعتبار اللون، مسكا باعتبار الرائحة، وهذا من أحسن شيء يكون البهجة والإشراق لون الزعفران والرائحة رائحة المسك، وكذلك تشبيهها بالدرمك وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها، وهذا معنى ما ذكره سفيان بن عيينة عن أبي نجيح عن مجاهد:" أرض الجنة من فضة، وترابها مسك" فاللون في البياض لون الفضة، والرائحة رائحة المسك.(١)

غرف الجنة وقصورها وخيمها.

قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠﴾ (الزمر: ٢٠). وقال تعالى: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾ (الصف: ١٢).

عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الْآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمْ الْمُؤْمِنُونَ. وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ كَذَا آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ".(٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ.(٣)

معرفة منازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة وإن لم يروها قبل ذلك.

---

(١) حادي الأرواح صـ١٣٢

(٢) البخاري (٤٨٧٩)، مسلم (٢٨٣٨).

(٣) البخاري (٣٨٢٠)، مسلم (٢٤٣٢).

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦)﴾ (محمد: ٤ – ٦).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: " إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا". [١]

أعلى أهل الجنة وأدناهم منزلة.

أعلاهم منزلة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه.

وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شيبة عن النبي ﷺ قَالَ: " سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَىْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ.

فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. قَالَ: رَبِّ فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِى، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ". قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ الآيَةَ. [٢]

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ " إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ صَرَفَ الله وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الْجَنَّةِ، وَمَثَّلَ لَهُ شَجَرَةً ذَاتَ ظِلٍّ فَقَالَ: أي رَبِّ قَدِّمْنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا ". وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَلَمْ يُذْكَرْ " فَيَقُولُ يَا

---

(١) البخاري (٢٤٤٠).

(٢) مسلم (١٨٩).

ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ ". إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ وَزَادَ فِيهِ " وَيُذَكِّرُهُ الله سَلْ كَذَا وَكَذَا فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ قَالَ الله: هُوَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ - قَالَ - ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ فَتَقُولاَنِ: الْحَمْدُ للهِ الذي أَحْيَاكَ لَنَا وَأَحْيَانَا لَكَ - قَالَ - فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ"[1].

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ كَبْوًا فيَقُولُ الله: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ فيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ وَكَانَ يَقُولُ ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً[2].

تحفة أهل الجنة إذا دخلوها.

عن ثوبان قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَجَاءَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ. فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلاَ تَقُولُ يَا رَسُولَ الله. فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِى سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ " إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِى سَمَّانِى بِهِ أَهْلِي ". فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : " أَيَنْفَعُكَ شَىْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ ". قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَىَّ. فَنَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ. فَقَالَ: " سَلْ ". فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : "هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ". قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قَالَ: "

---

(١) مسلم (١٨٨).

(٢) البخاري (٦٥٧١)، مسلم (١٨٦).

فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ ". قَالَ الْيَهُودِىُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: " زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ " قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: " يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِى كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا ".

قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: " مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً ". قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ: وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَىْءٍ لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ إِلاَّ نَبِىٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلاَنِ. قَالَ: "يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ"؟. قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَىَّ.

قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ. قَالَ: "مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلاَ مَنِىُّ الرَّجُلِ مَنِىَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللهِ، وَإِذَا عَلاَ مَنِىُّ الْمَرْأَةِ مَنِىَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللهِ". قَالَ الْيَهُودِىُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِىٌّ ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ " لَقَدْ سَأَلَنِى هَذَا عَنِ الَّذِى سَأَلَنِى عَنْهُ وَمَا لِى عِلْمٌ بِشَىْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَانِىَ اللهُ بِهِ"[(١)].

وعن أنس أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلاَمٍ بَلَغَهُ مَقْدَمُ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَأَتَاهُ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ، فَقَالَ: إِنِّى سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ نَبِىٌّ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟ قَالَ: " أَخْبَرَنِى بِهِ جِبْرِيلُ آنِفًا ". قَالَ ابْنُ سَلاَمٍ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ. قَالَ " أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، فَزِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ، وَأَمَّا الْوَلَدُ، فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الْوَلَدَ ". قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، فَاسْأَلْهُمْ عَنِّى قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلاَمِى، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ " أَىُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ فِيكُمْ؟ ". قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا وَأَفْضَلُنَا وَابْنُ أَفْضَلِنَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ؟ ". قَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ. فَأَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِم عَبْدُ اللهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. قَالُوا: شَرُّنَا

---

(١) مسلم (٥١٣).

وَابْنُ شَرِّنَا. وَتَنَقَّصُوهُ. قَالَ: هَذَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ[١].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ " تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلاً لأَهْلِ الْجَنَّةِ ". فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَلاَ أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: " بَلَى ". قَالَ: تَكُونُ الأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا، ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: إِدَامُهُمْ بَالاَمٌ وَنُونٌ. قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: ثَوْرٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا.[٢]

ريح الجنة ومن مسيرة كم يُنشَق

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: " مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا ". [٣]

أشجار الجنة وبساتينها وظلالها

قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ (الواقعة: ٢٧-٣٣)

والمخضود الذي قد خضد شوكه أي نزع وقطع فلا شوك فيه.

وأما الطلح فأكثر المفسرين قالوا: إنه شجرة الموز.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لاَ يَقْطَعُهَا، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ ". [٤]

---

(١) البخاري (٣٩٣٨).

(٢) البخاري (٦٥٢٠)، مسلم (٢٧٩٢).

(٣) البخاري (٣١٦٦).

(٤) البخاري (٤٨٨١)، مسلم (٢٨٢٦).

وعن أبي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادَ الْمُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ، مَا يَقْطَعُهَا ". (١)

أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها.

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ (البقرة: ٢٥). وقال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ (محمد: ١٥).

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها، كما في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قَالَ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ الله فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ"(٢).

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: "وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلاَلُ هَجَرٍ، وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفُيُولِ، فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِى الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النِّيلُ وَالْفُرَاتُ"(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ. قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِى أَعْطَاكَ رَبُّكَ. فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طِيبُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ"(٤).

طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه.

---

(١) البخاري (٦٥٥٣)، مسلم (٢٨٢٨).

(٢) البخاري (٢٧٩٠).

(٣) البخاري (٣٢٠٧).

(٤) البخاري (٦٥٨١)

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)﴾ (المرسلات: ٤١ - ٤٣).

قال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣)﴾ (الطور: ٢٢، ٢٣).

قال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين: ٢٥، ٢٦).

وعَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلاَ يَتْفُلُونَ، وَلاَ يَبُولُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ ". قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: " جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ ".[1]

السابقون من هذه الأمة إلى الجنة وصفتهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لاَ يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلاَ يَمْتَخِطُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا".[2]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ

---

(١) مسلم (٢٨٣٥).

(٢) البخاري (٣٢٤٥)، مسلم (٢٨٣٤).

الأَلُوَّةُ الأَنْجُوجُ عُودُ الطِّيبِ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ". (١)

الفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنة.

عن عبد الله بن عمرو قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا ". (٢)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : " يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَهُوَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ ". (٣)

قال ابن القيم: والذي في الصحيح أن سبقهم لهم بأربعين خريفًا فإما أن يكون هو المحفوظ، وإما أن يكون كلاهما محفوظًا وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بأربعين، ومنهم من يسبق بخمسمائة، كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب أحوالهم والله أعلم.

ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم؛ بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وإن سبقه غيره في الدخول، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفا، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم. والغني إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول ولم يكن له تلك الأعمال ولا سيما إذا شاركه الغني في أعماله وزاد عليه فيها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، فالمزية مزيتان: مزية سبق ومزية رفعة، وقد يجتمعان وينفردان فيحصل الواحد السبق والرفعة ويعدمهما آخر ويحصل لآخر السبق دون الرفعة

---

(١) البخاري (٣٣٢٧)، مسلم (٢٨٣٤).

(٢) مسلم (٢٩٧٩).

(٣) أحمد ٢/ ٣٤٣، والترمذي (٢٥٠٨)، وابن ماجه (٤١٢٢). وقال الألباني: حسن صحيح.

ولآخر الرفعة دون السبق، وهذا بحسب المقتضى للأمرين أو لأحدهما وعدمه.[١]

قال الألباني: المحفوظ أن هذه المدة: أربعين خريفًا إنما قالها ﷺ في فقراء المهاجرين، وأما فقراء المسلمين - عامة - فيدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة سنة.[٢]

أكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ.

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، إِنِّى أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ". فَكَبَّرْنَا. فَقَالَ " أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ". فَكَبَّرْنَا.

فَقَالَ: " أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ". فَكَبَّرْنَا. فَقَالَ: " مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلاَّ كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ ".[٣]

وعن عبد الله بن مسعود قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُبَّةٍ فَقَالَ: " أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ ". قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: " تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ ". قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: " أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ ". قُلْنَا نَعَمْ. قَالَ " والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِني لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا إِلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلاَّ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَحْمَرِ ".[٤]

وعن بريدة بن الحصيب قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : " أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ ".[٥]

فيمن يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب.

---

(١) حادي الأرواح صـ١١٢.

(٢) السلسلة الضعيفة (٤/ ٤٢٥).

(٣) البخاري (٣٣٤٨).

(٤) البخاري (٦٥٢٨)، مسلم (٢٢١).

(٥) أحمد ٥/ ٣٤٧، الترمذي (٢٥٤٦)، ابن ماجة (٤٢٨٩). وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٦٢).

وعن ابن عَبَّاسٍ قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ: " عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا، أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ. فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلأَ الأُفُقَ قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِالله، وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ". فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ " نَعَمْ ". فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا قَالَ: " سَبَقَكَ عُكَّاشَةُ ". (١)

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِى الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ". فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِى مِنْهُمْ. قَالَ: " اللهمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ ". ثُمَّ قَامَ آخَرُ فَقَالَ يَا رَسُولَ الله: ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِى مِنْهُمْ. قَالَ: " سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ ". (٢)

وعَنْ أَبِى أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " وَعَدَنِى رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى سَبْعِينَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفاً وَثَلاَثَ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ ". (٣)

النساء في الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم في النار.

عَنْ مُحَمَّدٍ قَالَ: إِمَّا تَفَاخَرُوا وَإِمَّا تَذَاكَرُوا الرِّجَالُ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ أَمِ النِّسَاءُ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَوَلَمْ يَقُلْ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ " إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّتِى تَلِيهَا عَلَى أَضْوَإِ كَوْكَبٍ دُرِّىٍّ فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ يُرَى مُخُّ

---

(١) البخاري (٥٧٠٥).

(٢) البخاري (٥٨١١)، مسلم (٢١٦).

(٣) أحمد ٤/ ٦٢٦، ابن ماجه (٤٢٨٦)، الترمذي (٢٤٣٧). وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٥٩).

سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعْزَبُ ". [١]

فقد اخْتَصَمَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ أَيُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ؟ فَسَأَلُوا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ فذكره.

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِى أَضْحًى - أَوْ فِطْرٍ - إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: " يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّى أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ". فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ ". قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ " أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ ". قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: " فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ ". قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: " فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا ". [٢]

وبما جاء عَنْ أَبِى التَّيَّاحِ قَالَ: كَانَ لِمُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ امْرَأَتَانِ فَجَاءَ مِنْ عِنْدِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتِ الأُخْرَى: جِئْتَ مِنْ عِنْدِ فُلاَنَةَ؟ فَقَالَ: جِئْتُ مِنْ عِنْدِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فَحَدَّثَنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِى الْجَنَّةِ النِّسَاءُ ". [٣]

قال ابن حجر: ويجاب بأنه لا يلزم من أكثريتهن في النار نفى أكثريتهن في الجنة، لكن يشكل على ذلك قوله ﷺ في الحديث الآخر: اطلعت في الجنة فرأيت أقل ساكنها النساء، ويحتمل أن يكون الراوي رواه بالمعنى الذي فهمه من أن كونهن أكثر ساكني النار يلزم منه أن يكن أقل ساكني الجنة، وليس ذلك بلازم لما قدمته، ويحتمل أن يكون ذلك في أول الأمر قبل خروج العصاة من النار بالشفاعة. [٤]

---

(١) مسلم (٢٨٣٤).

(٢) البخاري (٣٠٤).

(٣) مسلم (٢٧٣٨).

(٤) فتح الباري ٦/ ٣٢٥.

وقال ابن القيم: قيل: هذا يدل على أنهن إنما كن في الجنة أكثر بالحور العين التي خلقن في الجنة وأقل ساكنيها نساء الدنيا فنساء الدنيا أقل أهل الجنة وأكثر أهل النار. (١)

نساء أهل الجنة وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (البقرة: ٢٥)، قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الدخان: ٥٤)، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الواقعة: ٣٥ - ٣٨)

عن أنس بْنِ مَالِكٍ عَنِ النبيِّ ﷺ " لَرَوْحَةٌ في سَبِيلِ الله أَوْ غَدْوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ مَوْضِعُ قِيدٍ - يَعْنِى سَوْطَهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا". (٢)

وفي حديث أبي هريرة أن النبيَّ ﷺ قال: " لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ الْعَظْمِ وَاللَّحْمِ ". (٣)

سوق الجنة و ما أعد الله تعالى فيه لأهلها

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ " إِنَّ في الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو في وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالاً، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالاً، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَالله لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً. فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَالله لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً". (١)

---

(١) حادي الأرواح صـ١٢٠.

(٢) البخاري (٢٧٩٦).

(٣) البخاري (٣٢٥٤)، مسلم (٢٨٣٤).

في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة كما يرى القمر ليلة البدر

قال ابن القيم: هذا الباب أشرف أبواب الكتاب[٢]، وأجلها قدرًا، وأعلاها خطرًا، وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة، وأشدها على أهل البدعة والضلالة، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، و تنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون، إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم، اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وجميع الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون، وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون، وللسنة وأهلها محاربون، ولكل عدو لله ورسوله و دينه مسالمون، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون.[٣]

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ (القيامة: ٢٢، ٢٣)

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦)﴾ (يونس: ٢٦)

فالحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجهه الكريم، كذلك فسرها رسول الله الذي أنزل عليه القران فالصحابة من بعده.

عَنْ صُهَيْبٍ عَنِ النبي ﷺ قَالَ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شيئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شيئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ".

(١) مسلم (٢٨٣٣).

(٢) يقصد كتابه " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" .

(٣) حادي الأرواح صـ٢٦٦.

ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾. [١]

وفي حديث أبي هريرة أن نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ الله ﷺ: يَا رَسُولَ الله، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: " هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ". قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: " هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ ". قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ الله. قَالَ " فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ. . فذكر حديث الشفاعة الطويل. [٢]

أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد.

هذا مما يعلم بالاضطرار أن الرسول أخبر به قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)﴾ (هود: ١٠٨).

وفي حديث أبي هريرةأنه ﷺ قال: مَنْ يَدْخُلْهَا يَنْعَمْ وَلاَ يَبْأَسْ، وَيُخَلَّدْ وَلاَ يَمُوتْ، لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُمْ، وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُمْ ". [٣]

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: " يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِى مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِى يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ وَهَؤُلاَءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾. [٤]

وإليك ذكر الشبهات والرد عليها.

---

(١) مسلم (١٨١).

(٢) البخاري (٦٥٧٣)، مسلم (١٨٢).

(٣) الترمذي (٢٥٢٦)، أحمد ٢/ ٣٠٤، مسند الطيالسي (٢٥٨٣)، وقال الألباني: حسن لغيره. صحيح الترغيب والترهيب (٣٧١١).

(٤) البخاري (٤٧٣٠)، مسلم (٢٨٤٩).

١- هل للمسلمين جنة واحدة أم جنات؟.

الرد من وجوه:

الوجه الأول: تعريف الجنة.

الوجه الثاني: الفرق بين جنة وجنات.

الوجه الثالث: الجنات والجنة في الكتاب المقدس.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: تعريف الجنة.

١ ـ في اللغة: من الستر والتغطية.

جن الشيء يجنه جنا ستره، وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك، وسمي الجن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن أمه، وجن الليل وجنونه وجنانه: شدة ظلمته وادلهامه وقيل: اختلاط ظلامه؛ لأن ذلك كله ساتر،والجُنة: الوقاية، والجنة: البستان، ومنه الجنات، والعرب تسمي النخيل جنة، قال زهير:

كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقًا

والجنة: حديقة ذات الشجر والنخل، جمعها: جنان وفيها تخصيص، ويقال للنخل وغيرها وقال أبو علي في التذكرة: لا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب، فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست بجنة، وقد ورد ذكر الجنة في القرآن العزيز والحديث الكريم في غير موضع. [1]

٢ ـ أما حقيقتها فهي:

دار النعيم في الدار الآخرة، أعدها الله تبارك وتعالى لعباده المتقين.

من الاجتنان: وهو الستر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها

قال: وسميت بالجنة وهي المرة الواحدة من مصدر جنه جنا إذا ستره فكأنها سترة واحدة لشدة التفافها وإظلالها. [2]

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٣/ ٩٣-٩٦) باختصار.

(٢) المصدر السابق.

الوجه الثاني: الفرق بين جنة وجنات.

وقد جاء في القرآن ذكر الجنة مفردة ومجموعة، فإذا كانت مفردة فالمراد الجنس. (١)

المقصود بجنة مفردة: هي الجنة التي خلقها الله تعالى لعباده المتقين.

والمقصود بجنات: هي عدد النعيم في الجنة كلٌّ على حسب إيمانه وعمله، وهذا من عدل الله تعالى ورحمته بعباده.

وتثنية جنتين باعتبار أن ما على يمين السائر كجنة، وما على يساره كجنة. وقيل: كان لكل رجل في مسكنه، أي داره جنتان جنة عن يمين المسكن وجنة عن شماله فكانوا يتفؤون ظلالهما في الصباح والمساء ويجتنون ثمارها من نخيل وأعناب وغيرها، فيكون معنى التركيب على التوزيع، أي: لكل مسكن جنتان، كقولهم: ركب القوم دوابهم، وهذا مناسب لقوله: ﴿فِي مَسَٰكِنِهِمۡ﴾ دون أن يقول في بلادهم، أو ديارهم، ويجوز أن يكون المراد أن مدينتهم وهي مأرب كانت محفوفة على يمينها وشمالها بغابة من الجنات يصطافون فيها ويستثمرونها مثل غوطة دمشق، وهذا يناسب قوله بعد ﴿وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ﴾ [سبأ: ١٦]؛ لأن ظاهره أن المبدل به جنتان اثنتان، إلا أن تجعله على التوزيع من مقابلة المتعدد بالمتعدد. (٢)

الوجه الثالث: الجنات والجنة في الكتاب المقدس.

ورد في كتبهم كلمة جنة والجنة مفردة ٣٠ مرة.

مثال: في سفر (التكوين٢/ ١٠: ٩): وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. ١٠وَكَانَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ، وَمِنْ هُنَاكَ يَنْقَسِمُ فَيَصِيرُ أَرْبَعَةَ رُؤُوسٍ.

وكلمة جنة كما جاء في سفر (حزقيال٣١/ ٩: ٨): اَلأَرْزُ فِي جَنَّةِ اللهِ لَمْ يَفُقْهُ، السَّرْوُ لَمْ

(١) البحر المحيط (١/ ١٤٥).

(٢) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٤- ٣٥)

يُشْبِهْ أَغْصَانَهُ، وَالدُّلْبُ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ فُرُوعِهِ. كُلُّ الأَشْجَارِ فِي جَنَّةِ الله لَمْ تُشْبِهْهُ فِي حُسْنِهِ.
٩ جَعَلْتُهُ جَمِيلًا بِكَثْرَةِ قُضْبَانِهِ، حَتَّى حَسَدَتْهُ كُلُّ أَشْجَارِ عَدْنٍ الَّتِي فِي جَنَّةِ الله.

وكلمة جنات وردت بالتعريف والتنكير ٨ مرات.

مثال على ذلك كما ورد في (أشعياء ٦٦/ ١٧): الَّذِينَ يُقَدِّسُونَ وَيُطَهِّرُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْجَنَّاتِ

فهل في ذكر الجنات والجنة غضاضة أو سوء؟.

* * *

٢ـ شبهة في وصف الجنة.

نص الشبهة:

ادعوا التناقض بين القرآن والسنة؛ فقالوا: إن القرآن وصف الكثير من الجنة وفي حديث قُدُسِيٍّ رواه أبو هريرة عن النبيِّ محمد قال فيه: قال الله: أعددتُ لعابدي الصّالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، فاقْرَأوا إن شئتُم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾. ويفيد هذا الحديث أن ما أعده الله لعباده الصّالحين لا يمكن وصفه، حيث لم تَرَهُ عيونهم، ولم تسمع عنه آذانهم ولا خطر على قلوبهم.

وقالوا: إن هذا الحديث النبوي مأخوذٌ من الإنجيل المقدس، فقد ورد في رسالة كورنثوس الأولى(٢/ ٩)قول الوحي المقدس: "ما لم تَرَ عينٌ، ولم تَسْمَعْ أذنٌ، ولم يخطر على بال إنسانٍ: ما أَعَدَّهُ الله للَّذين يحبّونَهُ".

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: الجنة من الأمور الغيبية، (فليس السامع كالشاهد).

الوجه الثاني: الرسول يصف لنا بعضًا من نعيم الجنة.

الوجه الثالث: لايوجد تناقض بين القرآن والسنة.

الوجه الرابع: قوله (إن الحديث القدسي موافق لما في كتابهم) دلالة على صدق القرآن.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: الجنة من الأمور الغيبية، (فليس السامع كالشاهد).

فالجنة من عالم الغيب الذي لم ندركه بحواسنا فلم نسمعها ولم نرها ولم نلمسها ولم نتذوقها، فهي بالنسبة لنا وصف مجهول الكيفية الحقيقية التي نستطيع أن نحكم عليها.

ولنضرب مثالاً على ذلك من الدنيا: والأشياء فيها متشابهة.

لو سمع منا إنسان عن جزيرة ما مثل جزر مثلث برمودة الذي يحكى عنه مثلث الرعب، هناك أوصاف كثيرة لهذا المثلث، لكن لا يستطيع أحد أن يدرك حقيقته كما هي؛ لأن الذي يفعل ذلك هو الذي شاهد هذه الجزيرة ولم يستطع أحد أن يذهب إليها ويرجع سالما.

هذا في أمر الدنيا الذي تتشابه فيه الأشياء فما بالك بأمر الآخرة.

ومثال آخر: الروح التي في الجسد كل البشر يؤمنون بذلك؛ ولكنهم لا يستطيعون أن يدركوا حقيقة الروح ولا كيفيتها. وهذا من أمر الدنيا؛ فكيف بالآخرة؟!!

الوجه الثاني: الرسول يصف لنا بعضًا من نعيم الجنة.

وصف النبي ﷺ بعضًا من نعيم الجنة؛ لأنه شاهده ورآه، ولذلك عندما وصفه كان وصفا فوق عقلية الإنسان البشري الدنيوي فمما وصفه النبي ﷺ:

١ ـ الحور العين:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: "أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلا تَحَاسُدَ، لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ الْعَظْمِ وَاللَّحْمِ".(١)

فعندما يتخيل العقل البشري امرأة يرى مخ عظام ساقها من وراء العظم لا يستطيع أن يدرك هذه الكيفية؛ لأنه لا يوجد كيفية في الواقع الدنيوي مثل هذه الكيفية. وهذا شئ لم تره العيون قبل ذلك ولا خطر في خيال إنسان.

٢ ـ سدرة المنتهى:

في حديث الإسراء فيه: "وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلالُ هَجَرَ وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الفيل. . . . .".(٢)

فهذه شجرة نبق في عظم أوراقها، اسمها مطابق لاسم النبق في الدنيا، ولكن الكيفية تختلف، وهذا شئ لم تره العيون قبل ذلك ولا خطر على قلب إنسان.

فهذان مثالان عن ما في الآخرة يدل على أن ما يدور في خلد الإنسان فهو بخلافه.

---

(١) البخاري (٣٠١٤).

(٢) البخاري (٢٩٦٨).

الوجه الثالث: لايوجد تناقض بين القرآن والسنة.

من خلال ما سبق يتبين أنه لا تناقض، ففي الحديث ما لم تره الأعين وهذا حق: فإن الأعين لم تر الجنة وما فيها، وسوف ترى ما لم تره في الدنيا من النعيم.

وأيضًا كل ما خطر على قلب إنسان ودار في خياله من معرفة كيفية هذا النعيم فما أعده الله أعلى وأسمى مما نتصور؛ لأنه ينظر بنظرة أشياء الدنيا، والآخرة أعظم من الدنيا بكثير. فلا يستطيع مهما أوتي من خيال أن يأتي بالصورة الحقيقية لنعيم الجنة.

والوصف غير المشاهدة، فوصف الجنة ونعيمها لا يستطيع الإنسان أن يدركها إدراكًا كاملًا.

الوجه الرابع: قوله (إن الحديث القدسي موافق لما في كتابهم)دلالة على صدق القرآن.

وإذا دل فإنما يدل على صدق النبي ﷺ وأنه جاء بالحق المبين؛ لأنه بشهادة الأعداء أن النبي ﷺ كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب فكيف عرف بهذا النعيم الذي أعده الله تعالى للمؤمنين في الآخرة؟!!

* * *

٣ـ شبهة عن درجات الجنة.

نص الشبهة:

قالوا: إن للجنة مائة درجة، بحيث تبعد كل درجة عن الأخرى كبعد السماء عن الأرض، وبين الدرجتين مائة عام. فهل نفهم أن المسافة بين السماء والأرض هي مائة عام؟ علمًا أن عبارة مائة عام تدل على زمنٍ وليست على مسافة؟ ثم هل سيقضي المجاهدون من المسلمين الأبدية منعزلين بعضهم عن بعض، بحيث تفصل بينهم المسافات الشاسعة جدًا؟ وما الحكمة من هذا الفصل؟.

والجواب عن ذلك من وجوه

الوجه الأول: ثبوت أحاديث درجات الجنة.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها ". فقالوا: يا رسول الله، أفلا نبشر الناس؟ قال: " إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة - أراه - فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة ". قال محمد بن فليح عن أبيه، وفوقه عرش الرحمن.[1]

الوجه الثاني: أقيسة المسافات متعددة وأن المسافة قيست بشيء من خلق الله تعالى وذلك:

١ ـ المسافات البعيدة تقاس بالزمن بسرعة الراكب أو الماشي.

وهذا هو المشاهد: فيقال:

المسافة بين القاهرة وعمان ساعة بالطائرة، وما بين السعودية ومصر ساعتان مثلًا.

---

(١) البخاري (٢٦٣٧).

وما بين القاهرة وأمريكا ١٢ ساعة. يقال المسافة بين كوكب كذا وكوكب كذا مائة سنة ضوئية.

فليس خلق البشر وهو الراكب المسرع، كخلق الله تعالى؛ لأن ما صنعه البشر قد لا يصلح في زمن من الأزمان.

الوجه الثالث: الرد على قولهم.

هل سيقضي المجاهدون من المسلمين الأبدية منعزلين بعضهم عن بعض، بحيث تفصل بينهم المسافات الشاسعة جدًّا؟

ونقول له:

١ ـ ليس في الجنة عزلة وما يتمناه المرء يدركه بمجرد التمني لا يكلف نفسه عناء الطلب وأهل الجنة يتزاورون. قال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ (الصافات: ٥٠-٥٧).

فأخبر سبحانه وتعالى أن أهل الجنة يقبل بعضهم على بعض ويتذاكرون أمر الدنيا، ومن كان له صاحب يسأل عن صاحبه فيريه الله تعالى حاله في الآخرة.

٢ ـ أن في الجنة سوقًا يذهب إليه الناس يوم الجمعة، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَالله لَقَدْ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالا فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَالله لَقَدْ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا.(١)

فأين العزلة التي يتكلمون عنها؟!

---

(١) مسلم (٥٠٦١).

٣ ـ أن هذه المسافات الشاسعة عند الله تعالى ليست بشيء؛ فإنه سبحانه وتعالى كما قال: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (البقرة: ١١٧)

والدليل على ذلك أن جبريل كان ينزل من فوق سبع سماوات بالخبر إلى رسول الله ﷺ في لمح من البصر.

وقد أسري برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السماء السابعة ثم ما بعد السماوات في جزء من الليل.

الوجه الرابع: الرد على قولهم.

ما الحكمة من هذا الفصل؟ بل هي حكمة الله، كما يقول القرآن، الذي يفاضل بين المؤمنين بحسب أعمالهم.

ونقول له:

١ ـ ما الحكمة في الشركات الكبرى أن يفاضل فيها بين الناس؟ فهذا مدير وهذا ساعي، وهذا عامل وهذا موظف وهذا رئيس؟ أليس هذا من العدل؟ كل على حسب عمله؟ هل يجوز أن يعين الساعي مكان المدير العام في الشركة؟ برغم أنهم جميعا في شركة واحدة.

والجواب بالبديهي: لا؛ لأنه لم يعمل عملا يؤهله أن يكون في هذه المكانة. فكل على حسب جهده وعمله.

٢ ـ ولله المثل الأعلى؛ فإذا كان هذا شأن الدنيا والبشر بعضهم مع بعض، فما بالك بشأن الآخرة وحكمهم إلى رب البشر ! !

٣ـ فمن العدل أن لا يكونوا جميعا في مكانة واحدة؛ بل كل على حسب عمله يكون في درجته.

٤ ـ وهذا ما قرره القرآن والسنة.

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: من الآية١١). وقال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٣).

وقال أيضًا: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ (الأحقاف: ١٩).

ومن السنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَنْ آمَنَ بِالله وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ الله أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله أَفَلا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟، قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ الله فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ"[(١)].

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلا رَفَعَهُ الله بِهَا دَرَجَةً أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً"[(٢)].

وعن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: " يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرأ بها"[(٣)].

فهذه المنازل والدرجات على حسب الأعمال؛ أما كيف يلتقون؟ فهذا ما لا ندركه بحسنا نحن في الدنيا.

* * *

---

(١) روى البخاري (٢٥٨١).

(٢) روى مسلم (٤٦٦٥).

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٥)، وابن حبان (١٧٩٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٤٠).

٤ـ شبهة: فيمن يستحق دخول الجنة.

نص الشبهة:

هل دخول الجنة بالعمل أم فضل من الله؟

والجواب على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: الأصل أن دخول الجنة فضل من الله، والعمل سبب موصل إليها.

الوجه الثاني: الأعمال الصالحة فضل من الله وهي سبب لدخول الجنة ثم الدخول يكون فضلًا من الله.

الوجه الثالث: اعتقاد المسلمين في دخول الجنة لاتعلق له بعقيدة الفداء الباطلة عند النصارى.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: الأصل أن دخول الجنة فضل من الله والعمل سبب موصل إليها.

إن الله تعالى قد خلق الإنسان، وجعل له السمع والبصر، وخلق له العقل يميز به بين الحق والباطل، وأعطاه الرزق والقدرة على العبادة، وعلى التفكير في آلاء الله تعالى، فمن صاحب الفضل عليه؟

الله تعالى هو صاحب الفضل أولًا وآخرًا، فلو جازى الله تعالى العبد على عبادته مقابل نعمة من هذه النعم مثل نعمة البصر، فهل يستطيع الإنسان أن يكافئ ربه بهذه النعمة ولو ظل ساجدا العمر كله؟! ! بالبديهي: الجواب لا يستطيع. فكيف بسائر النعم الأخرى؟! !

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ (ق: ٣٧).

إذًا فالعبد يحتاج إلى أعمار فوق عمره حتى يكافئ الله تعالى على نعمه ويبلغ شكره، فلو فرضنا أن عبادته مقابل نعمة البصر، فأين مقابل النعم الأخرى؟.

وفي هذه الحالة ليس له رصيد يدخل به الجنة. فعندما يَعِدُ الله تعالى من آمن وعمل صالحا بدخول الجنة؛ إنما هذا من رحمته سبحانه وتعالى وكرمه ومنه. وليس مقابل عمله.

وبذلك يكون قد فسر حديث النبي ﷺ : "لا يدخل أحد الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت

يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ". [١]

فهذا حق؛ لأن من الذي اصطفى الرسل وفضلهم على عباده؟ أليس هو الخالق سبحانه وتعالى؟ من الذي جعلهم رسله، ومنحهم رسالته؟ أليس هو الله.

ولا يستطيع الإنسان مهما بلغ من عبادته أن يوفى ربه ولو عشر ما أعطاه. فعندما يدخل النبي ﷺ الجنة؛ إنما يدخل أيضًا برحمة الله تعالى.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: "أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ الله وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا، فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ ". [٢]

الوجه الثاني: الأعمال الصالحة فضل من الله، وهي سبب لدخول الجنة، ثم الدخول يكون فضلًا من الله.

قال البغوي في تفسيره: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ أي: بثواب الآخرة، وقيل: بمن أطاع رسول الله وأحبَّه، وفيه بيان أنهم لن ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم، وإنّما نالوُها بفضل الله ﷻ. [٣]

وقال الآلوسي في تفسيره: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ في الدنيا من الأعمال الصالحة، والباء للسببية وتُجُوِّز بذلك عن الإعطاء؛ إشارة إلى أن السبب فيه ليس موجبًا، وإن كان سببًا بحسب الظاهر كما أن الإرث ملك بدون كسب، وإن كان النسب مثلًا سببًا له، والباء في قوله ﷺ على ما في بعض الكتب: " لن يدخل أحدكم الجنة بعمله " وكذا في قوله ﷺ على ما في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة وجابر " لن ينجو أحد منكم بعمله " للسبب التام فلا تعارض، وجوز أن تكون الباء فيما نحن فيه للعوض أي بمقابلة أعمالكم، وقيل:

---

(١) البخاري (٥٣٤٩)، مسلم (٢٨١٦).

(٢) البخاري (٤٥٥٧).

(٣) تفسير البغوي (٢/ ٢٤٨).

تلك الإشارة إلى منازل في الجنة هي لأهل النار لو كانوا أطاعوا جعلها الله تعالى إرثًا للمؤمنين، فقد أخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن السدي قال: "ما من مؤمن ولا كافر إلا وله في الجنة والنار منزل مبين، فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ودخلوا منازلهم رفعت الجنة لأهل النار، فنظروا إلى منازلهم فيها فقيل لهم: هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله تعالى، ثم يقال: يا أهل الجنة رثوهم بما كنتم تعملون، فيقتسم أهل الجنة منازلهم"، وأنت تعلم أن القول بهذا الإرث الغريب لا يدفع الحاجة إلى المجاز.

وزعم المعتزلة أن دخول الجنة بسبب الأعمال لا بالتفضل لهذه الآية، ولا يخفى أنه لا محيص لمؤمن عن فضل الله تعالى؛ لأن اقتضاء الأعمال لذاتها دخول الجنة أو إدخال الله تعالى ذويها فيها مما لا يكاد يعقل، وقصارى ما يعقل أن الله تعالى تفضل فرتب عليها دخول الجنة فلولا فضله لم يكن ذلك، وأنا لا أرى أكثر جرأة من المعتزلة في هذا الباب ككثير من الأبواب؛ فإنَّ مآل كلامهم فيه أن الجنة ونعيمها الذي لا يتناهى إقطاعهم بحق مستحق على الله تعالى الذي لا ينتفع بشيء، ولا يتضرر بشيء لا تفضل له عليهم في ذلك؛ بل هو بمثابة دين أُدِّيَ إلى صاحبه، سبحانك هذا بهتان عظيم، وتكذيب لغير ما خبر صحيح!. [1]

قال الشوكاني: قوله: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾أي: في جنته ودار كرامته، عبر عن ذلك بالرحمة إشارة إلى أن العمل لا يستقل بدخول صاحبه الجنة، بل لا بد من الرحمة. [2]

الوجه الثالث: اعتقاد المسلمين في دخول الجنة لاتعلق له بعقيدة الفداء الباطلة عند النصارى.

إن عقيدة الفداء الباطلة من أفسد عقائد النصارى ويظهر هذا في عدة نقاط:

١ـ عقيدة الفداء راجعة إلى توريث الخطيئة التي فعلها أبو البشر آدم لذريته، وليس دخول الجنة في الإسلام كذلك كما وضحنا.

٢ ـ عقيدة الفداء تثبت تلوث كل الأنبياء بالخطيئة حتى مريم والمسيح، والإسلام برأ

---

(١) تفسير الآلوسي (٨/ ٢٢).

(٢) فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٧٠).

الأنبياء من الكبائر.

٣ـ عقيدة الفداء فيها أن كل من يفعل خطيئة فقد غفرت له ولو كانت شركًا وكفرًا ولو لم يتب؛ لأن المسيح قد محى هذه الذنوب، وفي الإسلام الشرك لا يغفره الله للعبد إن مات عليه من غير توبة.

٤ ـ عقيدة الفداء فيها الظلم؛ لأن البشر قد ورثوا خطيئة لا ذنب لهم فيها، وفي الإسلام كل إنسان يحاسب على عمله.

٥ ـ عقيدة الفداء فيها عجز الله تعالى عن أن يمحو ذنوب البشر إلا بفداء ابنه (كما يزعمون) تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا! وفي الإسلام الله تعالى على كل شئ قدير، وأنه لا يعجزه شئ.

٦ ـ عقيدة الفداء قد اختلف فيها النصارى أنفسهم. فمن الذي كان على الصليب؟ أهو الله وقد تجسد، أم هو ابن الله نزل من السماء، أم هو ابن الإنسان. وكتبهم مليئة بالتناقضات في هذا الشأن كما في الرد على هذه العقيدة الفاسدة.

أما في الإسلام فإن الله تعالى لا يعاقب عبدًا على فعل غيره، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ (الأنعام: ١٦٤)، وقال سبحانه: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ (الإسراء: ١٥) وقال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ (فاطر: ١٨)، وهذا منتهى العدل والإحسان.[1]

* * *

(١) راجع مبحث عقيدة الفداء والصلب عند النصارى؛ فقد ثبت بطلانها بالأدلة النقلية والعقلية مفصلة في محلها.

٥ـ شبهة: عن جنة الفردوس.

نص الشبهة:

قالوا: اختلف علماء الإسلام في معنى الفردوس وأصل الفردوس، مع العلم أن الكلمة ليست عربية كما قال ابن منظور.

بناء على هذا يحق لنا أن نطرح الأسئلة التّالية:

هل الفردوس هي الجنّة نفسها؟ أم مكان في الجنّة؟ أم جنّة قائمة بذاتها؟

هل الفردوس سُرّةَ الجنة أم ربوة الجنة أم حديقة في الجنة؟

هل كلمة الفردوس عربية أم روميّة أم فارسية أم حبشية؟

هل تُفَجَّرُ أنهار الجنة من الفردوس؟

أم أن هذه الأنهار تنبع من البحار الموجودة في الجنة؟!

وعليه: هل يحق للمسلم، أو لغير المسلم، أن يبحث عن معنى الفردوس في مصادر غير إسلامية، مادام المسلمون مختلفين في تحديد معنى الكلمة، وخصوصًا البحث في الكتاب المقدس؟!

والجواب على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: تعريف كلمة الفردوس.

الوجه الثاني: الفردوس أعلى درجات الجنان وأعظمها نعيما.

الوجه الثالث: ثبت بالدليل المعصوم عندنا أن الأنهار تتفجر من جنة الفردوس.

الوجه الرابع: كلمة الفردوس في كتبهم المقدسة.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: تعريف كلمة الفردوس.

قال ابن منظور: الفردوس: البستان، قال الفراء: هو عربي، وقال ابن سيده: الفردوس: الوادي الخصيب عند العرب كالبستان، وهو بلسان الروم: البستان، والفردوس: الروضة عند السيرافي، والفردوس: خضرة الأعناب.

قال الزجاج: وحقيقته: أنه البستان الذي يجمع ما يكون في البساتين، وكذلك هو عند أهل كل لغة، والفردوس: حديقة في الجنة، والفردوس: أصله رومي عُرِّبَ، وهو البستان كذلك جاء في التفسير، والعرب تسمي الموضع الذي فيه كرم: فردوسًا.

وقال أهل اللغة: الفردوس مذكر، وإنما أنث في قوله تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا﴾؛ لأنه عنى به الجنة، وفي الحديث: نسألك الفردوس الأعلى. وأهل الشام يقولون: للبساتين والكروم: الفراديس، وقال الليث: كرم مفردس؛ أي معرش.(١)

فمن خلال ما ذكرنا يتبين أن الفردوس كلمة تستعمل في العربية والرومية على حد سواء، وقد ذكرت في القرآن فهي عربية.

الوجه الثاني: هل الفردوس هو الجنة نفسها؟ أم مكان في الجنة؟ أم جنة قائمة بذاتها؟!

ونقول: الفردوس هو مكان في الجنة، ودرجة من درجاتها، وليس الجنة ذاتها، ولا جنة قائمة بذاتها.

وما ذكره هذه المعترض كله حق ولكنه لا يفهمه، فهو أعلى درجة في الجنة باعتبار النعيم، وهو أوسط الجنة باعتباره تحت العرش، وأرفعها باعتبار منزلتها فهي أفضل الجنان؛ ولذلك جاء في حديث أبي هريرة قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : "فَإِذَا سَأَلْتُمُ الله فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ" .(٢)

فالفردوس: هو أعلى درجات الجنة، وفي هذا حث للمسلمين على الاجتهاد في العبادة، وأن الله تعالى يجازي كلا بحسب عمله، ولا يظلم ربك أحدًا.

وأيضًا: الفردوس هو ربوة الجنة باعتباره أعلاها، فالربوة هي المكان المرتفع، وهي سرة الجنة باعتباره أوسطها كما قدمنا، وسرة الشيء أوسطه، فلا فرق بين هذه الثلاثة، فلا تناقض بينها والله أعلم.

---

(١) لسان العرب (٦/ ١٦٣).

(٢) البخاري (٢٥٨١).

الوجه الثالث: ثبت بالدليل المعصوم عندنا أن الأنهار تتفجر من جنة الفردوس.

ونقول: منه تفجر أنهار الجنة كما ذكرنا من حديث النبي ﷺ ، ولم يرد غير ذلك في كتب السنة ولا في القرآن.

أما كون الجنة فيها عدة أنهار، فكلها تفجر من الفردوس. ومنها ما يفجر من سدرة المنتهى كما سنذكره في مكانه، وكلها في الجنة كما قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ (محمد: ١٥).

وعلى هذا فليس هناك اختلاف بين المسلمين في هذه المعاني كما ادعى الكاتب، وأما كون المسلم يبحث عن المعاني في غير المصادر الإسلامية، فحرية الفكر والبحث والتحري في الإسلام أوسع من غيرها. ولكن البحث يكون بمعرفة ما عند الآخر من المعرفة، فإن كانت توافق ما في الإسلام فهي صحيحة، وإن كانت تخالفه فهي باطلة، ومعرفتها واجب على الكفاية من باب: عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

الوجه الرابع: كلمة الفردوس في كتبهم المقدسة.

وردت كلمة الفردوس معرفة ثلاثة مرات:

ففي رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس(٤: ٣): وَأَعْرِفُ هذَا الإِنْسَانَ: أَفِي الْجَسَدِ أَمْ خَارِجَ الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. الله يَعْلَمُ. ٤ أَنَّهُ اخْتُطِفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ، وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا، وَلاَ يَسُوغُ لإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا.

وفي سفر سيراخ (٢٤/ ٤٢: ٤٠): (٤٠ أنا الحكمة مفيضة الأنهار ٤١ أنا كساقية من النهر وكقناة خرجت إلى الفردوس ٤٢ قلت اسقي جنتي واروي روضتي)

وفي إنجيل لوقا (٢٣/ ٤٢: ٤٤): ثُمَّ قَالَ لِيَسُوعَ: «اذْكُرْنِي يَارَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ». ٤٣ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ ٤٤ وَكَانَ نَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ، فَكَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ.

وجاءت بصفة النكرة ثلاثة مرات:

ففي رؤيا يوحنا ٢ (٧مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ. مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسَطِ فِرْدَوْسِ اللهِ».

وفي نحميا ٢: ٨ "وَرِسَالَةٌ إِلَى آسَافَ حَارِسِ فِرْدَوْسِ الْمَلِكِ لِكَيْ يُعْطِيَنِي أَخْشَابًا لِسَقْفِ أَبْوَابِ الْقَصْرِ الَّذِي لِلْبَيْتِ، وَلِسُورِ الْمَدِينَةِ، وَلِلْبَيْتِ الَّذِي أَدْخُلُ إِلَيْهِ. فَأَعْطَانِي الْمَلِكُ حَسَبَ يَدِ إِلهِي الصَّالِحَةِ عَلَيَّ".

وفي نشيد الإنشاد (٤: ١٢-١٣): أُخْتِي الْعَرُوسُ جَنَّةٌ مُغْلَقَةٌ، عَيْنٌ مُقْفَلَةٌ، يَنْبُوعٌ مَخْتُومٌ. غَرَاسُكِ فِرْدَوْسُ رُمَّانٍ مَعَ أَثْمَارٍ نَفِيسَةٍ، فَاغِيَةٍ وَنَارِدِينٍ.

فإذا نظرنا إلى هذه الكلمة على حسب ورودها عند النصارى لا نجد توحدا في المعني؛ وإنما هي على معاني مختلفة عندهم، ومع ذلك يرموننا نحن بالتعارض في المعني على قول القائل: رمتني بدائها وانسلت!

* * *

٦- شبهة: عن عرق أهل الجنة.

نص الشبهة:

عن عمر بن الخطاب قال: "جاء أناس إلى رسول الله، فقالوا: يا محمد، أفي الجنة فاكهة؟ قال: "نعم، فاكهة ونخل ورمان" قالوا: أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا؟ قال: "نعم، وأضعاف" قالوا: فيقضون الحوائج؟ قال: "لا، ولكنهم يعرقون ويرشحون (يسيل عرقهم) فيذهب ما في بطونهم من أذى".

قالوا: فهذا الحديث يدل على قذارة الجنة، فكيف تكون رائحة الجنة من عرقهم ورشحهم هذا؟. **والرد على ذلك من وجوه:**

الوجه الأول: الحديث المذكور في الشبهة مكذوب على النبي ﷺ.

الوجه الثاني: رشح أهل الجنة المسك.

الوجه الثالث: العرق في الجنة هو رشح من الجبين.

الوجه الرابع: ليس جميع الفضلات التي يخرجها الكائن الحي تكون مضرة كريهة.

الوجه الخامس: نعيم الجنة ليس به آلام جسمانية.

الوجه السادس: الله ينشئ من يدخل الجنة إنشاءً آخر.

الوجه السابع: كما أن مسألة الجماع والنوم في الجنة تختلف عنها في الدنيا؛ فكذلك نقول في مسألة العرق.

الوجه الثامن: إذا تذكرنا أن أكل الجنة يختلف عن أكل الدنيا زال الإشكال.

الوجه التاسع: شراب الجنة يقوم بتحويل الطعام إلى سائل يسهل امتصاصه.

الوجه العاشر: كلما يزيد المؤمن إيمانا؛ فإن عرقه يزيد طيبًا في الدنيا.

الوجه الثاني عشر: عرق أهل النار هو الذي له رائحة كريهة.

الوجه الخامس عشر: المسيح يشرب الخمر في ملكوت الله.

الوجه السادس عشر: العرق المدمم في الكتاب المقدس.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: الحديث المذكور في الشبهة مكذوب على النبي ﷺ.

عن عمر بن الخطاب، قال: "جاء أناس من اليهود إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا محمد، أفي الجنة فاكهة؟ قال: « نعم، فيها فاكهة ونخل ورمان »، قال: أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا؟ قال: « نعم، وأضعاف »، قال: أفيقضون الحوائج؟ قال: « لا، ولكنهم يعرقون ويرشحون؛ فيذهب الله بما في بطونهم من أذى".

فالحديث موضوع فلا تثبت به عقيدة ولا يعتد به، وضاع ما عول عليه المعترضون من القول في هذه الشبهة. (١)

الوجه الثاني: رشح أهل الجنة المسك.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمْ الْأَلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنْ الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ يُسَبِّحُونَ الله بُكْرَةً وَعَشِيًّا. (٢)

---

(١) موضوع. أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٣٦)، وابن أبي الدنيا (في صفة الجنة٩٩)، والحارث بن أبي أسامة كما في (المطالب العالية ٤٧٢٦): جميعا من طريق يحيى بن عبد الحميد قال: ثنا حصين بن عمر، ثنا مخارق، عن طارق بن شهاب به.

وإسناده واه فيه: حصين بن عمر الفرات أبو عمر الأحمسي الكوفي كذبه: أحمد بن حنبل، وابن خراش.

-ومن قال عنه إنه متروك: أبو حاتم، ومسلم، وابن حجر.

-وقال أبو أحمد بن عدى: عامة أحاديثه معاضيل، ينفرد عن كل من روى عنه.

وقال ابن حبان: روى الموضوعات عن الأثبات. انظر: تهذيب الكمال (١٣٦٣)، وتهذيب التهذيب (٦٦٨).

وفيه: يحيى بن عبد الحميد الحماني، قال أحمد: ما زلنا نعرفه أنه يسرق الأحاديث أو يتلقطها أو يتلقفها. وقال: قد طلب وسمع، ولو اقتصر على ما سمع لكان له فيه كفاية. انظر: تهذيب الكمال (٦٨٦٨)، وتهذيب التهذيب (٣٩٩).

(٢) البخاري (٣٠٠٦).

فليس كما يُدعى أن في الجنة فضلات .

وإنما حياة الجنة تختلف عن حياة الدنيا تماما. فليس فيها رائحة يكرهها المؤمن مطلقا.

الوجه الثالث: العرق في الجنة هو رشح من الجبين.

عن إبراهيم التيمي في قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ قال: عرق يفيض من أعراضهم مثل ريح المسك.[1]

فدل ذلك على أنه لا يخرج من الأماكن المنتنة كريهة الرائحة.

الوجه الرابع: ليس جميع الفضلات التي يخرجها الكائن الحي تكون مضرة كريهة.

لا يلزم في كل طعام أن يكون له فضلة، ولو سلمنا أنه تكون له فضلة لما لزم أن يكون فضلة مستقذرة؛ بل قد يكون فضلات كثيرة طِيبا يُتطيب به، وشرابا يشرب مثل المسك فإنه بعض دم الحيوان، أو العسل فإنه فضل حيوان معروف، وليس شيء من ذلك مستقذرا؛ بل هو مستطاب مستلذ، ولا يبعد أن تكون فضلات الجنة هكذا؛ بل هو هكذا فعلًا فقد جاءنا على لسان الصادق: أن أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون إنما هو عرق يجري من أجسادهم مثل المسك، وهذه أمور لا ينكرها إلا كل غبي جاهل ليس له معقول حاصل فإذا دل العقل على جوازه فينبغي أن يستدل على وقوع ذلك. ومن المعلوم أن آدم عليه السلام كان يأكل في الجنة ويشرب وينكح[2].

الوجه الخامس: نعيم الجنة ليس به آلام جسمانية.

قال الإمام شهاب الدين القرافي: إن النعيم الجسماني الذي يثبته المسلمون ليس مفسرًا على ما ذكرتموه من التشنيع؛ بل على وفق الكرامة الربانية والسعادة الأبدية، وتقريره: أننا نجد في هذه الدار الملاذ الجسمانية تترتب على أسباب عادية.

فالملاذ: إما علوم خاصة حسية كإدراك الحلاوة وأنواع الطعوم الملائمة، وإدراك الأرايح المناسبة لجواهر النفس البشرية، وإدراك الملامسة للأجسام الموافقة لجواهر الطباع،

---

(١) رواه الطبري (١١٣/ ٢٤).

(٢) الإعلام للقرطبي صـ (٤٣٤) بتصرف.

وإدراك المبصرات من الألوان والأضواء وتفاصيل أنواع الحس والجمال وغيرها من المبصرات السارة للنفس، وكذلك القول في بقية الحواس.

وإما إدراك الأحوال النفسية كاستشعار النفس حصول الشراب والغذاء عند حاجتها للاغتذاء والإرواء، ونحو ذلك، فهذه هي الملاذ الجسمانية ولذلك حد الفضلاء اللذة بقولهم: " هي إدراك الملائم "، فجمعوا الجميع في هذا الحد الشامل.

وأما أسبابها العادية فهي المباشرةلأنواع المآكل والمشارب والمناكح ونحو ذلك، ثم هذه المباشرة تقترن بها في العادات حاجات للمتناولات وقاذورات تقترن بالمباشرات، فالمسلمون يدعون من هذه الأقسام الثلاثة الأولين فقط دون الثالث، فيثبتون اللذات وأسبابها مجردة عن القاذورات وأنواع الحاجات، فيقولون: الأكل والشرب والنكاح في الجنة من غير ألم جوع ولا عطش ولا بصاق ولامخاط، ولا دمع ولابول ولا غائط، ولا ريح منتن ولا حيض ولا مني ولا رطوبات مستقذرة، ولا إبداء عورة منقصة، ولا زوال أبهة معتبرة، ولا شيء مما يعاب بنوع من النقيصة؛ بل يجد المؤمن غاية ما يكون من لذة الأكل بمباشرة أنفس المآكل من غير بصاق ولا تلويث، ولا ألم جوع سابق ولا شيء لاحق، وكذلك يحصل أعظم ما يكون من لذة الشرب عند مباشرة أشرف المشروبات، من غير عطش ولا حاجة سابقة ولا تلويث لاحق ولا شيء يعاب، وكذلك يحصل الجماع بمباشرة أجمل الموطوآت من الحوريات والآدميات، التي كل واحدة منهن لو ظهرت لأهل الأرض لهاموا أجمعين بجمالها وتحيرت عقولهم بكمالها، وبديع حسنها وفائق محاسنها، ورائق تركيبها في جملتها وتفصيلها، مكسوة من الحلي ما أقله خير من ملك الدنيا وما فيها، قد نشأت من السعادة الأبدية، وهيئت للكرامة الإلهية، وأبدعت بمتسع شمول القدرة الربانية، ومع ذلك فقد تناسب خلقها وخلقها وطبعت على الميل من غير نفار، وعلى المحبة من غير ازورار، قد وصلت في محبة المؤمن وتعظيمه والأدب معه وإظهار المسرة به، والتشرف بقربه إلى أفضل الغايات، وتجاوزت في الحسن والإحسان إلى أقصى

النهايات، وللحسن والإحسان معنى ورونق إذا أمكن الإنسان الجمع بينهما. فنظرة إليها خير من جميع ممالك الأرض، وزورة منها وإليها تنسي مؤلمات يوم العرض، فيحصل من لذة جماع هذه ما هو لائق بهذا الطور العجيب والرونق الغريب، من غير إنزال فضلات، ولا رطوبات مستقذرات، منزه عن جميع النداءات؛ بل كل حالة منها في غاية الرتب العليات، وكل جزء من أجزاء حسنها في غاية الشرف والجلالة فلا عورة لها ولا للمؤمن، ولا سوءة فيها ولا فيه، لأن العورة إنما تبدت في هذه الدار؛ لكونها مخرج النجاسات والشعر والنتن والرطوبات، فإذا ذهبت هذه المعيبات المنقصات ذهبت بذهابها العورات، وبقيت المحال شريفة علية، لا ينسب إليها خصلة دنية، وإذا كان هذا هو الذي يعتقده المسلمون من الجمع بين النعيم الروحاني المتعلق بالأرواح من إدراك معنى جلال الله تعالى وجماله وتفاصيل صفاته وآلائه المتجددة على ممر الأبد والنعيم الجسماني الذي تقدم تحقيقه؛ كان هو اللائق بالكرم الإلهي والإحسان الرباني، فإن الاقتصار على النعيم الروحاني تقصير من قائله في سعة النعمة وتمام الكرامة، وأن ما يقوله المسلمون يجزم العقل الشريف بأن مثله لا تعرى عنه دار أريدت لغاية الإكرام، وأن يكون على غاية التمام؛ بل لو فرض عدم هذه الملاذ البديعة منها لقال العقل الوافر لو كان فيها هذه الملاذ لكانت أتم وأكمل، وهي أولى بقول الشاعر: ليس فيها ما يقال لـه كملت لو أن ذا كمـلا

فظهر إصابة المسلمين للصواب ببيان الحق واندفع السؤال. [1]

الوجه السادس: الله ينشئ من يدخل الجنة إنشاءً آخر.

وذلك لإعدادهم لرؤية الله، فالجسد في الدنيا لا يتحمل رؤية الله، فعندما طلب موسى من ربه أن يراه، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ . . . ﴾.

ففي قصور الجنة ينظرون إلى الرحمن تبارك وتعالى ويُمَتِّعون أنظارهم. ويلتقون بصفوة البشر سيدنا محمد ﷺ، في نعيم لا يوصف لا هم ولا كدر؛ لا عرق ولا أذى ولا قذر ولا

---

(١) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة. ٢٢٨ : ٢٣١ .

حيض ولا نفاس ولا نصب ولا تعب ولا نوم لكي لا ينقطع النعيم بنوم؛ و لا عبادة تنشأ إلا لمن أراد أن يتلذذ بها فهي دار جزاء لا دار عمل.

الوجه السابع: كما أن مسألة الجماع والنوم في الجنة تختلف عنها في الدنيا؛ فكذلك نقول في مسألة العرق.

إنَّ شَرَابَ الْجَنَّةِ وَكَذَا أَكْلُهَا إِنَّمَا هُوَ تَلَذُّذٌ صِرْفٌ وَشَهْوَةٌ لَا عَنْ جُوعٍ وَعَطَشٍ وَلَا نَوْمَ فِيهَا، وَلَا بَوْلَ وَلَا غَائِطَ وَإِنَّمَا رَشْحُهُمْ الْمِسْكُ. [1]

عن أبي الدرداء قال: ليس في الجنة مني ولا منية، إنما يدحمونهن دحمًا. [2]

عن طاوس قال: أهل الجنة ينكحون النساء ولا يلدن، ليس فيها مني ولا منية. [3]

كما قال ﷺ لما سئل: أفي الجنة نوم؟ قال: النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون. [4]

الوجه الثامن: إذا تذكرنا أن أكل الجنة يختلف عن أكل الدنيا زال الإشكال.

فطعام الجنة يختلف عن طعام الدنيا.

وكما قال ابن عباس رضى الله عنهما: أنه ليس بين أشياء الجنة وأشياء الدنيا إلا الأسماء، أما الكيفيات فتختلف.

طعام أهل الجنة، وطعام أهل الدنيا:

فطعام أهل الجنة ليس به هرمونات تسبب لهم فشل كلوي، ولا سرطان، ولا تلبك معوي: فانظر إلى جودة طعامهم (ألين من الزبد، وأحلى من العسل).

فالطب يقرر أنه كلما طاب الطعام وكان ذا جودة صحيًا، فإن العمليات الهضمية تسير في أحسن أحوالها؛ بل إن نوعية ما يأكله الإنسان يؤثر في لون ورائحة بوله وغائطه : (فلقد أكل الصحابة ورق الشجر حتى إن غائطهم كالبعر).

---

(١) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني (١/ ٢٩٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، والأصبهاني في الترغيب. انظر : الدر المنثور (١/ ٥٥).

(٣) أخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد. انظر : الدر المنثور (١/ ٥٥).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٩١٩). وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٨٧).

فأهل الجنة: طعامهم أفضل طعام فهو صحي ١٠٠٪.

ولنتساءل: لماذا يخرج الإنسان الفضلات إلا إذا كانت هذه الفضلات ناتجة عن بعض السموم الذي يطردها الجسم، أو زيادة الجسم لا يقبلها؟

أما طعام أهل الجنة فإن الجسم في الجنة مهيأ بأن يمتص كل محتويات الطعام، فليس به سموم كما في طعامنا اليوم.

الوجه التاسع: شراب الجنة يقوم بتحويل الطعام إلى سائل يسهل امتصاصه.

فهناك شراب في الجنة يهضم سائر الأشربة والأطعمة، ثم له مع هذا الهضم تأثير عجيب، وهو أنه يجعل سائر الأطعمة والأشربة عرقًا يفوح منه ريح كريح المسك.

فالشراب ليس مثل شراب الدنيا يزيد في حجم المعدة، أو يسبب مشكلة في الجهاز الهضمي بسبب كثرة الشرب مع كثرة الأكل.

قال الرازي: قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ الطهور فيه قولان:

الأول: المبالغة في كونه طاهرًا، ثم فيه على هذا التفسير احتمالات:

أحدها: أنه لا يكون نجسًا كخمر الدنيا.

وثانيها: المبالغة في البعد عن الأمور المستقذرة يعني ما مسته الأيدي الوضرة، وما داسته الأقدام الدنسة.

وثالثها: أنها لا تؤول إلى النجاسة؛ لأنها ترشح عرقًا من أبدانهم له ريح كريح المسك.

القول الثاني: في الطهور أنه المطهر، وعلى هذا التفسير أيضًا في الآية احتمالان:

أحدهما: قال مقاتل: هو عين ماء على باب الجنة، تنبع من ساق شجرة، من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد، وما كان في جوفه من قذر وأذى.

وثانيهما: قال أبو قلابة: يؤتون الطعام والشراب فإذا كان في آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور، فيشربون فتطهر بذلك بطونهم، ويفيض عرق من جلودهم مثل ريح المسك، وعلى هذين الوجهين يكون الطهور مطهرًا؛ لأنه يطهر باطنهم عن الأخلاق الذميمة، والأشياء المؤذية.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿وَسَقَنٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ هو عين ما ذكر تعالى قبل ذلك من أنهم يشربون من عين الكافور، والزنجبيل، والسلسبيل أو هذا نوع آخر؟ قلنا: بل هذا نوع آخر، ويدل عليه وجوه: أحدها: دفع التكرار، وثانيها: أنه تعالى أضاف هذا الشراب إلى نفسه، فقال: ﴿وَسَقَنٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ وذلك يدل على فضل في هذا دون غيره، وثالثها: ما روينا أنه تقدم إليهم الأطعمة والأشربة، فإذا فرغوا منها أتوا بالشراب الطهور فيشربون، فيطهر ذلك بطونهم، ويفيض عرقًا من جلودهم مثل ريح المسك، وهذا يدل على أن هذا الشراب مغاير لتلك الأشربة، ولأن هذا الشراب يهضم سائر الأشربة، ثم له مع هذا الهضم تأثير عجيب، وهو أنه يجعل سائر الأطعمة والأشربة عرقًا يفوح منه ريح كريح المسك، وكل ذلك يدل على المغايرة[١].

الوجه الثاني عشر: عرق أهل النار هو الذي له رائحة كريهة (بغض النظر هل يخرجون فضلاتهم أم لا ؟)

عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: "كل مسكر حرام، وإن على الله عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال، قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: عرق أهل النار أوعصارة أهل النار". [٢]

الوجه الخامس عشر: المسيح يشرب الخمر في ملكوت الله.

أضف إلى ذلك ماورد على لسان المسيح عليه السلام أنه بشرب الخمر في ملكوت الله أي في الجنة كما في سفر مرقس(١٤ : ٢٥): اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لاَ أَشْرَبُ بَعْدُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ الله.

وفي إنجيل لوقا (٢٢: ٣٠) قول المسيح لتلاميذه: وَأَنَا أَجْعَلُ لَكُمْ كَمَا جَعَلَ لِي أَبِي مَلَكُوتًا، ٣٠لِتَأْكُلُوا وَتَشْرَبُوا عَلَى مَائِدَتِي فِي مَلَكُوتِي، وَتَجْلِسُوا عَلَى كَرَاسِيَّ تَدِينُونَ أَسْبَاطَ

---

(١) مفاتيح الغيب١٦/ ٢٣٦.

(٢) مسلم (٢٠٠٢).

إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ.

الوجه السادس عشر: العرق المدمم في الكتاب المقدس.

ففي المعارف الكتابية للكتاب المقدس:

نقرأ هذه العبارة فيما ذكره لوقا البشير عن الرب وصلاته في بستان جثسيماني: " وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ. " (لوقا٢٢: ٤٤).

وقد ثار جدل عما إذا كان لوقا يقصد بهذه العبارة أن العرق اصطبغ بالدم، أو أن قطرات العرق كانت كبيرة وتنساب غزيرة كقطرات الدم. والأرجح أنه يقصد المعنى الأول. وهناك ظاهرة علمية معروفة باسم "العرق المدمم " ولكنها نادرة، وهي تحدث كما يصفها "د. لي بيك" في أحوال خاصة جدًا، من شدة الوهن الجسماني المصحوب بجهاد نفسي عنيف، على أثر انفعال عميق أو خوف شديد. فعندما يقع إنسان تحت ضغط نفسي شديد، فإن العمليات الكيميائية في الجسم تجري بأسرع من معدلاتها الطبيعية، فينتج المزيد من فائض الحرارة الذي يُفقد عن طريق العرق. ويمر العرق كسائل في الغدد العرقية منتقلا إليها من مجرى تيار الدم، وهكذا تبدأ الأوعية الدموية الملاصقة للجلد والمحيطة بالغدد العرقية، في الانتفاخ بصورة ملحوظة. وفي حالة ظاهرة"العرق المدمم" يزداد هذا الانتفاخ جدًا وترق جدران الشعيرات الدموية، فيخترق الدم جدران الشعيرات إلى الغدد العرقية، فيسيل العرق ممتزجًا بالدم.

ولم يكن قطعًا الخوف الشديد هو السبب في حالة الرب يسوع المسيح، وهكذا يعطينا هذا التفسير لمحة عن الآلام النفسية المبرحة التي عاناها المسيح في جهاده في الصلاة في بستان جثسيماني.[١]

* * *

(١) دائرة المعارف الكتابية: مادة: دم ـــ عرق كالدم.

٧ـ شبهة: ادعاؤهم أن في الجنة لواط.

نص الشبهة:

ادعى هؤلاء بالفهم الخاطئ لما ذكره الله في كتابه من وصف الحور العين بصفات حسنة، وبما ذكره عن طبيعة أعمالهم بطوافهم على أهل الجنة كما قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ (الطور: ٢٤)، وقوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ (الإنسان: ١٩)، وقوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ (الواقعة: ١٧-١٩). فقالوا: بأن ذلك مما يبين أنهم كانوا يمارسون اللواط ومما يؤكد ذلك- بزعمهم- التركيز في وصفهم على حسن المنظر والهيئة.

والجواب على هذه الشبهة من وجوه:

الوجه الأول: كل ما يخالف الفطرة السوية فهو محرم في الدنيا؛ ممنوع وقوعه في الآخرة؛ لأنه شيءٌ خبيث.

الوجه الثاني: الولدان المخلدون من أجل الخدمة لا من أجل الاستمتاع الجنسي.

الوجه الثالث: الإسلام يعتبر الشذوذ جريمة.

الوجه الرابع: قوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ هو وصف للأبرار المنعمين في الجنة وليس وصفًا لخدمهم.

الوجه الخامس: اللواط لم ينتشر في مشركي العرب حتى يغريهم القرآن به، واللواط يعافه الصحابة؛ لأنهم ليسوا بقابعين على الشهوات حتى يغريهم بها.

الوجه السادس: كثرة الولدان المخلدين كرامة من الله ﷻ.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: كل ما يخالف الفطرة السوية فهو محرم في الدنيا؛ ممنوع وقوعه في الآخرة؛ لأنه شيءٌ خبيث.

١ -إن الفطرة السوية تكره الشرك واللواط.

فاللواط يعارض الأخلاق السوية؛ فالأخلاق في الأصل هي فطرية، وما دور الأديان فيها إلا التهذيب والتنمية، والعمل على تفعيلها وتقويتها، كي تكون مستقرة مستمرة.

٢-هذا الشذوذ لا يليق بقدسية الله.

٣-اللواط يعد من الأمراض النفسية، فكل ما فيه انحرافٌ في السلوك يؤثر بطريقة مباشرة في تغيير الحالة النفسية المعتدلة، فإدمان المخدرات ـ بغض النظر عن أنه مضر بالصحة ـ إلا أنه يؤثر في السلوك النفسي، لذلك قد يحتاج من يمارس اللواط إلى طبيبٍ نفسيٍّ ليساعده للخروج من الانحراف النفسي الذي مر به، ليصبح إنسانًا سويًا.

٤-لا يقارن الخمر باللواط، فخمر الآخرة يختلف تمامًا عن خمر الدنيا، فليس لمعترض أن يقول: بأن الخمر عند المسلمين محرمة في الدنيا محللة في الآخرة فكذلك اللواط، فنقول له: هذا قياس مع الفارق كما هو موضح في قواعد القياس.

٥-كره المستقذرات في الدنيا وامتناع تحققها في جنة الآخرة، كأكل القاذورات والنجاسات، فاللواط أقذر من ذلك في الإسلام، فكيف يليق بالجنة أن يوجد بها شيء مستقذر؟

الوجه الثاني: الولدان المخلدون من أجل الخدمة لا من أجل الاستمتاع الجنسي.

قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ (الواقعة: ١٧)، وهم في ذلك تصوروا أن معنى هذه الآية هي معاشرة الولدان، وهذا لا يقوله عاقل يفهم الكلام العربي، لأنهم لو ذكروا كل الآيات لاستقام المعنى.

قال تعالى في سورة الواقعة ذاكرًا ما أعده لعباده الموحدين، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ

﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ (الواقعة: ١٠-٤٠).

فقد وضح المعنى أن الولدان المخلدين ليسوا للمعاشرة الجنسية كما يقولون؛ وإنما هم خدم لأهل الجنة يحملون لهم الأسقية التي خلقها الله تعالى لهم.

وفي سورة الإنسان نفس المعنى، قال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ (الإنسان: ١٥-٢٢).

فقد وضح المعنى أن الولدان يطوفون على أهل الجنة يحملون الأكواب والأباريق لسقي أهل الجنة.

قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ أي: يطوف على أهل الجنة للخدْمَة ولدانٌ من ولدان الجنة ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: على حالة واحدة مخلدون عليها، لا يتغيرون عنها، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن. ومن فسرهم بأنهم مُخَرَّصُونَ في آذانهم الأقرطة، فإنما عبر عن المعنى بذلك؛ لأن الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير.

وقوله: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لؤلؤا منثورا. ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن.

قال قتادة، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو: ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى

عليه ألف خادم، كل خادم على عمل ما عليه صاحبه.[١][٢]

فسياق الآيات تدل على أنهم يطوفون بالأكواب فهذا هو عملهم، ولم يجمع القرآن بين الحور العين والولدان في آية واحدة؛ فلو كان حدث ذلك لأمكن لصاحب الشبهة أن يتقول على القرآن بأنه ما جمع بينهما إلا من أجل الإغراء الجنسي بأن الحور العين هي لمن يحب التلذذ بالنساء، والولدان المخلدين لمن يحب التلذذ باللواط.

الوجه الثالث: الإسلام يعتبر الشذوذ جريمة.[٣]

إن الإسلام يعتبر الشذوذ جريمة لا تضاهيها جريمة؛ لأنها تخالف الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وكل ما يخالف الفطرة هو يخالف الإسلام؛ لأن الإسلام دين الفطرة، ولنقرأ هذه الآيات: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦)﴾ (الشعراء: ١٦٥-١٦٦)، وقوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥)﴾ (النمل: ٥٤-٥٥)، وقوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩)﴾ (العنكبوت: ٢٨-٢٩).

وقال سبحانه: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١١/ ٢١٠. وفيه عنعنة قتادة وهو مدلس.

(٢) تفسير ابن كثير ٨/ ٢٩٢.

(٣) راجع شبهة اللواط في هذه الموسوعة.

قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ (النمل: ٥٤-٥٨).

هذا قول الله تعالى، فمن أين أتوا بهذه الأقوال الباطلة؟! !

وقال الذهبي في كتاب الكبائر: وأجمع المسلمون على أن التلوط من الكبائر التي حرم الله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾. أي: مجاوزون من الحلال إلى الحرام.[1]

وعن جَابِر قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ".[2]

الوجه الرابع: قوله تعالى: ﴿عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ . . .﴾ **هو وصف للأبرار المنعمين في الجنة وليس وصفًا لخدمهم.**

وبهذا نرد على من يقول بأن الله يغري من يريد الدخول للجنة بالولدان ذوي الملابس الحريرية وما ذاك إلا بسبب الفهم الخاطئ لقوله تعالى: ﴿عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾.

فنقول: الأبرار الذين تستطرد الآيات في وصف نعيمهم بدءًا من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾ إلى أن قال: ﴿عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ لاحظ التقرير بأن هذا المذكور هو جزاء لهؤلاء الأبرار.

ويتضح المعنى أكثر حينما نعود إلى الآيات القرآنية التي تناولت نفس الموضوع لنرى لمن يكون هذا اللباس؟

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن

---

(١) كتاب الكبائر للحافظ الذهبي الكبيرة الحادية عشر.

(٢) رواه الترمذي (١٤٥٧)، وابن ماجه (٢٥٦٣)، وأحمد في مسنده ٣/ ٣٨٢.

سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ (الكهف ٣٠: ٣١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ (الدخان: ٥١-٥٣).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (الحج: ٢٣).

وقال تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ (فاطر: ٣٢-٣٣).

وفي سورة الإنسان نفسها قال عن الأبرار: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ (الإنسان: ١٢).

الوجه الخامس: اللواط لم ينتشر في مشركي العرب حتى يغريهم القرآن به، واللواط يعافه الصحابة؛ لأنهم ليسوا بقابعين على الشهوات حتى يغريهم بها.

ولنسأل سؤالًا: هل كان العرب وقت نزول القرآن مشتهرين باللواط؟

لقد فات هؤلاء المفترين أن يدعموا كلامهم ببيان حال العرب وقت نزول القرآن، وهل كانت هذه الفعلة منتشرة بينهم، وأنهم كانوا يستحلونها ويميلون إليها.

قال نمير بن عبد الله الشعناني عن أبيه قال: قال الوليد بن عبد الملك: لولا أن الله ذكر قوم لوط في القرآن ما ظننت أن ذكرًا يفعل هذا بذكر.[١]

قال ابن كثير: والمقصود أن مفسدة "اللواط" من أعظم المفاسد وكانت لا تعرف بين العرب قديمًا كما قد ذكر ذلك غير واحد منهم، فلهذا قال الوليد بن عبد الملك: لولا أن الله ﷻ قصَّ علينا قصة قوم لوط في القرآن ما ظننت أن ذكرًا يعلو ذكرًا[٢].

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ١٦٢.

(٢) المصدر السابق ٩ / ١٦٣ .

الوجه السادس: كثرة الولدان المخلدين كرامة من الله ﷻ.

قال أبو زيد الشافعي: وروي أن أطفال المشركين الذين يموتون دون سن البلوغ يكونون خدمًا لأهل الجنة، و هؤلاء الغلمان ليس لهم وظيفة إلا خدمة أهل الجنة، ولكن قائلًا قد يقول: أو ليس كل ما في الجنة قريبًا مني، و القطوف دانية، و الأكواب موضوعة، و النمارق مصفوفة، فما فائدة الخدم؟ فنقول: إن من إكرام الله لأهل الجنة أن خلق لهم خدمًا، فأغلب ملوك الدنيا قد لا يحتاجون لهذه الأعداد الكبيرة من الخدم؛ و لكنه مظهر من مظاهر الترف و التكريم للملك، و هكذا حال خدم أهل الجنة.[1].

* * *

(١) وصف الجنة في القرآن والسنة (١/ ٦).

٨ـ شبهة: الرجال لهم الحور فماذا للنساء؟

نص الشبهة:

يقولون: للرجال في الجنة حور العين فماذا للنساء؟

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن من طبيعة النساء الحياء ولهذا فإن الله ﷻ لا يشوقهن للجنة بما يستحيين منه.

الوجه الثاني: إنما ذكر الله الزوجات للأزواج؛ لأن الزوج هو الطالب.

الوجه الثالث: حالات المرأة في الدنيا بين الزواج وعدمه.

الوجه الرابع: أن الجنة ونعيمها ليست خاصة بالرجال دون النساء.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: أن من طبيعة النساء الحياء ولهذا فإن الله ﷻ لا يشوقهن للجنة بما يستحين منه.

فعن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري، عن جدته أم سليم قالت: كانت مجاورة أم سلمة زوج النبي ﷺ فكانت تدخل عليها، فدخل النبي ﷺ فقالت أم سليم: يا رسول الله أرأيت إذا رأت المرأة أن زوجها يجامعها في المنام أتغتسل؟ فقالت أم سلمة: تربت يداك يا أم سليم فضحت النساء عند رسول الله ﷺ ! فقالت أم سليم: إن الله لا يستحي من الحق، وأنا أن نسأل النبي ﷺ عما أشكل علينا خير من أن نكون منه على عمياء. فقال النبي ﷺ لأم سلمة: " بل أنت تربت يداك! نعم يا أم سليم، عليها الغسل إذا وجدت الماء" فقالت أم سلمة: يا رسول الله وهل للمرأة ماء؟ فقال النبي ﷺ :" فأنى يشبهها ولدها؟ هن شقائق الرجال". [1]

فهذا دليل على استحياء النساء حتى أنهن لا يردن معرفة الرجال بأنهن يرغبن فيهم، حتى تجرأت أم سليم فأنكرت عليها أم سلمة، لعلم أم سلمة بحياء النساء بألا تسأل مثل ذلك.

الوجه الثاني: إنما ذكر الله الزوجات للأزواج لأن الزوج هو الطالب.

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٣٧٧)، والحديث حسن لغيره.

قال ابن عثيمين: إنما ذكر الله الزوجات للأزواج؛ لأن الزوج هو الطالب وهو الراغب في المرأة فلذلك ذكرت الزوجات للرجال في الجنة، وسكت عن الأزواج للنساء ولكن ليس مقتضى ذلك أنه ليس لهن أزواج؛ بل لهن أزواج من بني آدم. [١]

فإنَّ شوق المرأة للرجال ليس كشوق الرجال للمرأة – كما هو معلوم – ولهذا فإن الله شوّق الرجال بذكر نساء الجنة مصداقا لقوله ﷺ : (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء). [٢]

أما المرأة فشوقها إلى الزينة من اللباس والحلي يفوق شوقها إلى الرجال؛ لأنه مما جبلت عليه كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾ (الزخرف: ١٨).

الوجه الثالث: حالات المرأة في الدنيا بين الزواج وعدمه

المرأة لا تخرج عن هذه الحالات في الدنيا فهي:

١- إما أن تموت قبل أن تتزوج.

٢- إما أن تموت بعد طلاقها قبل أن تتزوج من آخر.

٣- إما أن تكون متزوجة ولكن لا يدخل زوجها معها الجنة.

٤- إما أن تموت بعد زواجها.

٥- إما أن يموت زوجها وتبقى بعده بلا زوج حتى تموت.

٦- إما أن يموت زوجها فتتزوج بعده غيره.

هذه حالات المرأة في الدنيا ولكل حالة ما يقابلها في الجنة.

١ ـ فأما المرأة التي ماتت قبل أن تتزوج فهذه يزوجها الله ﷻ في الجنة من رجل من أهل الدنيا لقوله ﷺ : "ما في الجنة أعزب". [٣]

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم ٢/ ٥٣

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٠٨)، ومسلم (٢٧٤١).

(٣) مسلم (٢٨٣٤) من حديث أبي هريرة.

قال ابن عثيمين: إذا لم تتزوج – أي المرأة – في الدنيا فإن الله تعالى يزوجها ما تقر بها عينها في الجنة. . فالنعيم في الجنة ليس مقصورا على الذكور، وإنما هو للذكور والإناث ومن جملة النعيم: الزواج. (١)

٢- ومثلها المرأة التي ماتت وهي مطلقة.

٣ـ ومثلها المرأة التي لم يدخل زوجها الجنة.

قال ابن عثيمين: فالمرأة إذا كانت من أهل الجنة ولم تتزوج، أو كان زوجها ليس من أهل الجنة فإنها إذا دخلت الجنة فهناك من أهل الجنة من لم يتزوجوا من الرجال. أي فيتزوجها أحدهم. (٢)

فإن كان أحد الزوجين من أهل النار فإمّا أن يكون كافرًا، فهذا يُخلَّد فيها، ولا ينفعه كون قرينه من أهل الجنّة؛ لأنّ الله تعالى قضى على الكافرين أنّهم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾ (البقرة: ١٦٢).

وقضى تعالى بالتفريق بين الأنبياء وزوجاتهم إن كنّ كافرات يوم القيامة، فقال سبحانه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾ (التحريم: ١٠)، فكان التفريق بين سائر الناس لاختلاف الدين أولى.

قال ابن كثير: قال تعالى ﴿كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ﴾ أي: نبيين رسولين عندهما في صحبتهما ليلًا ونهارًا، يؤاكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط، ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾أي: في الإيمان لم يوافقاهما على الإيمان، ولا صَدَّقاهما في

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم ٢/ ٥٣.

(٢) المصدر السابق.

الرسالة، فلم يُجدِ ذلك كله شيئًا، ولا دفع عنهما محذورًا، ولهذا قال تعالى ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: لكُفرهما، وقيل للمرأتين﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾.(١)

٤ -وأما المرأة التي ماتت بعد زواجها فهي – في الجنة – لزوجها الذي ماتت عنه.

فإذا كان الزوجان من أهل الجنّة فإنّ الله تعالى يجمعُ بينهما فيها؛ بل يزيدهُم من فضلِه فيُلحِقُ بهم أبناءهم، و يرفع دَرجات الأدنى منهم فيُلحقه بمن فاقه في الدرجة، بدلالة إخباره تعالى عن حملة العرش من الملائكة أنّهم يقولون في دُعائهم للمؤمنين: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾(غافر: ٨). وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ (الطور: ٢١).

٥- وأما المرأة التي مات عنها زوجها فبقيت بعده لم تتزوج حتى ماتت فهي زوجة له في الجنة.

٦ ـ أما إن كان للمرأة في الدنيا أكثر من زوجٍ، فإنّ من فارقَها بطلاق حُلّ زواجه بطلاقه، فتعيّن افتراقهما في الآخرة كما افترقا في الدنيا.

وأمّا إن مات عنها و هي في عصمته، ثم تزوّجت غيره بعده، فلأهل العلم ثلاثة أقوال في من تكون معه في الجنّة:

القول الأول: أنّها مع من كان أحسنَهُم خُلقًا و عشرةً معها في الدنيا.

القول الثاني: أنها تُخيَّر فتختار من بينهم من تشاء، ولا أعرف دليلًا لمن قال به.

وهذان القولان ذكرهما الإمام القرطبي في كتابه الشهير (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة) واختار الثاني منهما الشيخ ابن العثيمين -رحمه الله- وبعض المعاصرين.

والقول الثالث: أنها تكون في الجنّة مع آخر زوجٍ لها في الدنيا، أي مع من ماتت وهي في عصمته، أو مات عنها ولم تنكح بعده، ويدلّ على هذا القول حديث أبي الدرداء ﷺ أنّ رسول

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٤).

الله ﷺ قال: "أيما امرأة توفي عنها زوجها، فتزوجت بعده، فهي لآخر أزواجها". (١)

فلذلك كان القول الثالث أولى الأقوال بالاعتبار، وأرجَحَها.

قال ابن عثيمين: وأما إذا كانت متزوجة فإن الله يبدلها خيرًا من زوجها أي خيرًا منه في الصفات في الدنيا؛ لأن التبديل يكون بتبديل الأعيان كما لو بعت شاة ببعير مثلا ويكون بتبديل الأوصاف كما لو قلت بدل الله كفر هذا الرجل بإيمان وكما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ (إبراهيم: ٤٨)، والأرض هي الأرض ولكنها مدت والسماء هي السماء لكنها انشقت. (٢)

الوجه الرابع: أن الجنة ونعيمها ليست خاصة بالرجال دون النساء.

إنما هي قد ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٣) من الجنسين كما أخبرنا بذلك تعالى قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ (النساء: ١٢٤).

عند ذكر الله للمغريات الموجودة في الجنة من أنواع المأكولات والمناظر الجميلة والمساكن والملابس فإنه يعمم ذلك للجنسين (الذكر والأنثى) فالجميع يستمتع بما سبق. ويتبقى: أن الله قد أغرى الرجال وشوقهم للجنة بذكر ما فيها من (الحور العين) و(النساء الجميلات) ولم يرد مثل هذا للنساء. وعلى كل حال فينبغي للمسلم أن يشتغل بسؤال الله تعالى الجنّة ونعيمها على وجه الإجمال، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ ومن دخَلها فحق على الله أن يُرضيه.

فالجنّة دار النعيم المقيم، ومن دَخَلها فقد استحقَّ من نعيمها ما يُناسب منزلته فيها، وهذا للرجال والنساء كلٌّ بحسبه، لأنّ النِّسَاء شَقَائِقُ الرِّجَالِ كما أخبر بذلك النبيّ ﷺ .

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٣١٣٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٨١).

(٢) أحوال النساء في الجنة، سليمان الخراشي؛ ضمن موسوعة البحوث والمقالات العلمية١/ ١٥٨.

وقد جمَع الله تعالى في الذكر، والوعد بالأجر والثواب بين الرجال و النساء في آياتٍ تُتلى من كتابه العزيز؛ منها قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ (آل عمران: ١٩٥).

قال ابن كثير: أي قال لهم مخبرًا أنه لا يضيع عمل عامل منكم لديه؛ بل يوفي كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أنثى، وقوله: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ (أي: جميعكم في ثوابي سواء.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ (النساء: ١٢٤).

قال ابن كثير: في هذه الآية بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال الصالحة من عباده ذكرانهم وإناثهم بشرط الإيمان. اهـ.

* * *

٩ـ شبهة النكاح في الجنة، واعتراضهم على ذكر الجماع والنساء في الجنة.

نص الشبهة:

ادعى هؤلاء أن الجنة ما لاهي إلا مجرد شهوات بالتلذذ بالنساء فيها، وكانت شبهتهم قائمة حول كثرة أزواج أهل الجنة، وقالوا بأن السبب في ذلك هو أن النبي ﷺ قال: لكل رجل من أهل الجنة ذَكَرٌ لَا يَنْثَنِي. وغيرها من الأحاديث.

كذلك اهتم القرآن بذكر المسائل الجنسية.

والجواب على ذلك من وجوه :

الوجه الأول: الشهوة الجنسية من اللذات الطبيعية.

الوجه الثاني: الجنة دار جزاء ونعيم.

الوجه الثالث: الأحاديث التي يستدلون بها وبيان صحيحها من سقيمها.

الوجه الرابع : ماذا قال الكتاب المقدس حول الحديث عن الجنس؟

وإليك التفصيل

الوجه الأول: الشهوة الجنسية من اللذات الطبيعية.

ورغم أن هذا من اللذات التي يستمتع بها الإنسان في الدنيا، وقد حرم الله تبارك وتعالى على العبد أن يأتي غير أهله، وحدد له العدد الذي يكون تحت عصمته وهن أربع نساء، والإنسان في هذا يطمح دائمًا إلى المزيد، ولأجل ذلك خلقه الله تبارك وتعالى في الآخرة لعباده المؤمنين، وزادهم من الشهوة لزيادة الاستمتاع.

الوجه الثاني: الجنة دار جزاء ونعيم.

فعلى حسب العمل والتضحية يكون التفاوت بين أهل الجنة في قيمة النعيم الذي يسعد به الإنسان.

لذلك قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: ١١). وقال سبحانه: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ (الأحقاف: ١٩). وقال أيضًا: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ (الإسراء: ٢١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : "أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسُدَ، لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ الْعَظْمِ وَاللَّحْمِ". (١)

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: "إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ صَرَفَ الله وَجْهَهُ عَنْ النَّارِ قِبَلَ الْجَنَّةِ وَمَثَّلَ لَهُ شَجَرَةً ذَاتَ ظِلٍّ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ قَدِّمْنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا. . . وَسَاقَ الْحَدِيثَ وفيه. . وَيُذَكِّرُهُ الله سَلْ كَذَا وَكَذَا فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ الله: هُوَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ فَتَقُولَانِ: الْحَمْدُ لله الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا وَأَحْيَانَا لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ"(٢).

وعن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله ﷺ : "لِلشَّهِيدِ عِنْدَ الله سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنْ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ". (٣)

قال ابن القيم بعد أن ذكر جملة من الأحاديث تبين أن للرجل أكثر من زوجة في الجنة:

والأحاديث الصحيحة إنما فيها أن لكل منهم زوجتين و ليس في الصحيح زيادة على ذلك، فإن كانت هذه الأحاديث - يعني التي ذكرها - محفوظة فإما أن يراد بها ما لكل واحد من السراري زيادة على الزوجتين، و يكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة

(١) البخاري (٣٢٥٤).

(٢) مسلم (٢٧٥).

(٣) **صحيح**. أخرجه الترمذي (١٦٦٢)، وابن ماجه (١٧٩٩)، وصححه الألباني كما في الصحيحة (٣٢١٣).

والكثرة كالخدم و الولدان، و إما أن يراد أنه يعطي قوة من يجامع هذا العدد و يكون هذا هو المحفوظ، فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال له كذا وكذا زوجة.

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال: " يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا و كذا من الجماع" قيل: يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال: "يعطى قوة مائة" هذا حديث صحيح. فلعل من رواه يفضي إلى مائة عذراء رواه بالمعنى، أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات و الله اعلم.

ولا ريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين، لما في الصحيحين من حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر، عن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ " إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلاً، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ فَلاَ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا". [1]اهـ[2]

ولذا قال ابن حجر بعد أن ذكر جملة من الأحاديث تبين أن للرجل أكثر من زوجة في الجنة: والذي يظهر أن المراد أن أقل ما لكل واحد منهم زوجتان. [3]

هذا وقد قال الله تعالى ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ (الزخرف: ٧١).

وعن سهل بن سعد قال: شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى ثُمَّ قَالَ ﷺ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ثُمَّ اقْتَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾. [4]

(١) البخاري (٤٨٧٩)، مسلم (٢٨٣٨) واللفظ له.

(٢) حادي الأرواح (٢٢٠: ٢٢١).

(٣) فتح الباري ٦/ ٣٧٤ : ٣٧٥.

(٤) مسلم (٢٨٢٥).

فالجنة دار جزاء وليست دار عمل وتعب ونصب. فما المانع من أن ينعم العبد بأكثر من زوجة في الجنة.

الوجه الثالث: الأحاديث التي يستدلون بها وبيان صحيحها من سقيمها.

لقد اعتمدوا في شبهتهم على بعض الأحاديث منه ما هو صحيح، ومنها ما لا يصح، وبيانها كالتالي:

الحديث الأول: عن دراج عن ابن حجيرة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قيل له: أنطأ في الجنة؟ قال: "نعم والذي نفسي بيده دحمًا دحمًا، [1] فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرًا". [2]

الحديث الثاني: وعن أبي أمامة قال: سئل رسول الله ﷺ هل يتناكح أهل الجنة؛ فقال: " نعم بذكر لا يمل وشهوة لا تنقطع دحما دحما ". [3]

الحديث الثالث: عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ : "مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ الله الْجَنَّةَ

---

(١) دحمًا دحمًا : هُو النِّكاحُ والْوَطءُ بدَفْع وإزْعاج. وانْتِصَابُه بفعل مُضْمَرٍ: أي يَدْحَمُون دَحْماً. والتَّكرير للتأكيد وهو بِمنْزلة قَوْلك: لَقيتُهم رَجُلاً رَجُلاً: أي دَحْماً بَعْد دَحْم. النهاية في غريب الأثر٢/ ٢٣٢

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحة (٧٤٠٢، ٧٤٠٣) من طريق عمرو بن الحارث عن درّاج عن ابن حُجَيرة عن أبي هريرة به بهذا اللفظ. وأخرجه البزار (٣٥٢٤ كشف)، وأبو نعيم في صفة الجنة (٣٩٠)، وابن راهويه في مسنده (٣٤٦)، وهناد في الزهد (٨٧)، وابن أبي عمر في مسنده كما في المطالب العالية (٤٧٢٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٣/ ٣١٢ من طريق عبد الرحمن بن زياد، عن عمارة بن راشد الكناني، عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ: هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟ قال: "نعم، بذكر لا يمل، وفرج لا يحفى، وشهوة لا تنقطع". والحديث صححه بطرقه وشواهده الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٥١).

ومن شواهده عن أبي أمامة قال: سئل رسول الله ﷺ هل يتناكح أهل الجنة؛ فقال: " نعم، بذكر لا يمل، وشهوة لا تنقطع دحما دحما" وتخريجه في الحديث التالي.

(٣) ضعيف. أخرجه الطبراني في معجمه ٨/ ١٧٢، وأبو نعيم في صفة الجنة (٣٩٢) من طريق هاشم بن زيد، عن سليم أبي يحيى، عن أبي أمامة به. وهاشم بن زيد: ضعيف. الجرح والتعديل٩/ ١٠٣، لسان الميزان ٦/ ١٨٤. وفيه صدقة بن عبد الله أبو معاوية السمين: ضعيف.

إِلَّا زَوَّجَهُ اللهُ ﷻ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً: ثِنْتَيْنِ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ، وَسَبْعِينَ مِنْ مِيرَاثِهِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، مَا مِنْهُنَّ وَاحِدَةٌ إِلَّا وَلَهَا قُبُلٌ شَهِيٌّ وَلَهُ ذَكَرٌ لَا يَنْثَنِي". [1]

الحديث الرابع:

عن أبي أمامة قال: سئل رسول الله ﷺ: هل يجامع أهل الجنة؟ قال: " نعم، دحمًا دحمًا، ولكن لا مني ولا منية". [2]

فهذه الأحاديث التي اعتمدوا عليها ليست فيها شبهة؛ إذ أن الجنة هي دار نعيم ومتاع وجزاء فما المانع أن يمتعهم الله بالأزواج والملذات التي قد منعوا منها في الدنيا طاعة لله ﷻ؟

الوجه الرابع: ماذا قال الكتاب المقدس حول الحديث عن الجنس.

جاء في سفر نشيد الإنشاد

الإصحاح الأول:

١نَشِيدُ الأَنْشَادِ الَّذِي لِسُلَيْمَانَ: ٢لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ، لأَنَّ حُبَّكَ أَطْيَبُ مِنَ الْخَمْرِ. ٣لِرَائِحَةِ أَدْهَانِكَ الطَّيِّبَةِ. اسْمُكَ دُهْنٌ مُهْرَاقٌ، لِذلِكَ أَحَبَّتْكَ الْعَذَارَى. ٤اُجْذُبْنِي وَرَاءَكَ فَنَجْرِيَ. أَدْخَلَنِي الْمَلِكُ إِلَى حِجَالِهِ. نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ بِكَ. نَذْكُرُ حُبَّكَ أَكْثَرَ مِنَ الْخَمْرِ. بِالْحَقِّ يُحِبُّونَكَ. ٥أَنَا سَوْدَاءُ وَجَمِيلَةٌ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ، كَخِيَامِ قِيدَارَ، كَشُقَقِ سُلَيْمَانَ. ٦لاَ تَنْظُرْنَ

---

(١) **ضعيف جدًّا**. أخرجه ابن ماجه في سننه (٤٣٣٧)، وابن عدي في الكامل ٣/ ١١ ومن طريقه البيهقي في البعث والنشور (٣٥٧) من طريق أبي مروان الدمشقي. وأخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٩٤) من طريق سليمان بن عبد الرحمن. كلاهما (أبو مروان، سليمان) عن خالد بن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة به. وإسناده ضعيف جدًّا.

فيه: خالد بن يزيد بن أبي مالك: ضعيف، و قد اتهمه ابن معين.

قال ابن حجر: هذا الحديث سنده ضعيف جدًّا. فتح الباري٦/ ٣٧٤

وقال الألباني عن الحديث في الضعيفة (٤٤٧٣): ضعيف جدًّا.

(٢) **ضعيف جدًّا**. أخرجه أبو يعلى (٤٧٢٩) كما في المطالب العالية، والطبراني في معجمه١/ ٤٦٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق١٦/ ٢٩٥من طريق سويد بن سعيد ثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد ابن معدان عن أبي أمامة به. وإسناده ضعيف جدًّا. فيه: خالد بن يزيد بن أبي مالك: ضعيف، وقد اتهمه ابن معين.

إِلَيَّ لِكَوْنِي سَوْدَاءَ، لأَنَّ الشَّمْسَ قَدْ لَوَّحَتْنِي. بَنُو أُمِّي غَضِبُوا عَلَيَّ. جَعَلُونِي نَاطُورَةَ الْكُرُومِ. أَمَّا كَرْمِي فَلَمْ أَنْطُرْهُ. ٧أَخْبِرْنِي يَا مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي، أَيْنَ تَرْعَى، أَيْنَ تُرْبِضُ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ. لِمَاذَا أَنَا أَكُونُ كَمُقَنَّعَةٍ عِنْدَ قُطْعَانِ أَصْحَابِكَ؟ ٨إِنْ لَمْ تَعْرِفِي أَيَّتُهَا الْجَمِيلَةُ بَيْنَ النِّسَاءِ، فَاخْرُجِي عَلَى آثَارِ الْغَنَمِ، وَارْعَيْ جِدَاءَكِ عِنْدَ مَسَاكِنِ الرُّعَاةِ. ٩لَقَدْ شَبَّهْتُكِ يَا حَبِيبَتِي بِفَرَسٍ فِي مَرْكَبَاتِ فِرْعَوْنَ. ١٠مَا أَجْمَلَ خَدَّيْكِ بِسُمُوطٍ، وَعُنُقَكِ بِقَلاَئِدَ! ١١نَصْنَعُ لَكِ سَلاَسِلَ مِنْ ذَهَبٍ مَعَ جُمَانٍ مِنْ فِضَّةٍ. ١٢مَا دَامَ الْمَلِكُ فِي مَجْلِسِهِ أَفَاحَ نَارِدِينِي رَائِحَتَهُ. ١٣صُرَّةُ الْمُرِّ حَبِيبِي لِي. بَيْنَ ثَدْيَيَّ يَبِيتُ. ١٤طَاقَةُ فَاغِيَةٍ حَبِيبِي لِي فِي كُرُومِ عَيْنِ جَدْيٍ. ١٥هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِي، هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ. عَيْنَاكِ حَمَامَتَانِ. ١٦هَا أَنْتَ جَمِيلٌ يَا حَبِيبِي وَحُلْوٌ، وَسَرِيرُنَا أَخْضَرُ. ١٧جَوَائِزُ بَيْتِنَا أَرْزٌ، وَرَوَافِدُنَا سَرْوٌ".

وانظر مزيدا على ذلك تحت مبحث تحريف الكتاب عندهم ففيه غنية عن إعادته هنا.

* * *

١٠- شبهة: ادعاؤهم أن المسلم يخلد في النار

نص الشبهة:

يقولون: إن المسلم يخلد في النار بارتكابه كبيرة من الكبائر، وذلك بنص القرآن في قول الله ﷻ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾، ونص سنة النبي ﷺ في قوله ﷺ: " مَنَ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا "[1].

الرد علي ذلك من وجوه:

الوجه الأول: اعتقاد أهل السنة والجماعة في المسألة.

الوجه الثاني: أقوال المفسرين والعلماء حول الآية.

الوجه الثالث: الجمع بين الآثار التي ظاهرها التعارض.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: اعتقاد أهل السنة والجماعة في المسألة.

وهو أن من مات على الشرك دخل النار وإن عمل صالحًا جوزي به في الدنيا، ومن مات مؤمنًا دخل الجنة وإن عذب قبل ذلك.

وإليك بيان ذلك من كلام العلماء:

قال النووي: وأما حكمه ﷺ على من مات يشرك بدخول النار، ومن مات غير مشرك بدخوله الجنة فقد أجمع عليه المسلمون، فأما دخول المشرك النار فهو على عمومه فيدخلها ويخلد فيها ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره، ولا بين من خالف ملة الإسلام، وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده ما يكفر بجحده وغير ذلك، وأما دخول من مات

---

(١) البخاري (٥٧٧٨)، مسلم (١٠٩) واللفظ له.

غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرًا عليها دخل الجنة أولا، وإن كان صاحب كبيرة مات مصرًا عليها فهو تحت المشيئة فإن عفي عنه دخل أولًا، وإلا عُذب ثم أخرج من النار وخلد في الجنة. (١)

وقال أيضًا: اعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحدًا دخل الجنة قطعًا على كل حال، فإن كان سالمًا من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلًا فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلًا لكنهم يردونها على الخلاف المعروف في الورود، والصحيح أن المراد به المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم أعاذنا الله منها ومن سائر المكروه.

وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولًا وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذَّبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة، فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل. هذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق في هذه المسألة، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به من الأمة على هذه القاعدة، وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعي. (٢)

وفي حديث أبي ذر ﷺ قال: قال النبي ﷺ : مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلاَّ دَخَلَ الجَنَّةَ ». قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: « وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ». قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: « وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ». ثَلاثًا ثُمَّ قَالَ في الرَّابِعَةِ: « عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ »(٣).

---

(١) شرح مسلم للنووي ١/ ٣٧٤.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٥٥-٢٥٦.

(٣) البخاري (٥٨٢٧)، مسلم (٩٤).

قال النووي: وأما قوله ﷺ : وإن زنى وإن سرق فهو حجة لمذهب أهل السنة أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار، وأنهم إن دخلوها أخرجوا منها وختم لهم بالخلود في الجنة. (١)

وقال البخاري تعليقًا علي الحديث: هذا عند الموت أو قبله إذا تاب، وندم، وقال: لا إله إلا الله غفر له. (٢)

وقال ابن حجر تعليقًا علي كلام البخاري: قوله: هذا عند الموت أو قبله إذا تاب أي من الكفر وندم. يريد شرح قوله: ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، وحاصل ما أشار إليه أن الحديث محمول على من وحد ربه، ومات على ذلك تائبًا من الذنوب التي أشير إليها في الحديث؛ فإنه موعود بهذا الحديث بدخول الجنة ابتداء، وهذا في حقوق الله باتفاق أهل السنة، وأما حقوق العباد فيشترط ردها عند الأكثر، وقيل: بل هو كالأول ويثيب الله صاحب الحق بما شاء، وأما من تلبس بالذنوب المذكورة ومات من غير توبة فظاهر الحديث أنه أيضًا داخل في ذلك لكن مذهب أهل السنة أنه في مشيئة الله تعالى. (٣)

وقال الإمام أحمد بن حنبل: ومن لقي الله بذنب يجب له به النار تائبًا غير مصر عليه؛ فإن الله ﷻ يتوب عليه ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. ومن لقيه وقد أقيم عليه حد ذلك الذنب في الدنيا فهو كفارته كما جاء الخبر عن رسول الله ﷺ ، ومن لقيه مصرًا غير تائب من الذنوب التي قد استوجب بها العقوبة، فأمره إلى الله ﷻ، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، ومن لقيه كافرًا عذبه ولم يغفر له. (٤)

قال الطحاوي: وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي النَّارِ لَا يُخَلَّدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين. وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ إِنْ شَاءَ

---

(١) شرح مسلم للنووي ١/ ٣٧٤- ٣٧٥.

(٢) البخاري مع الفتح ١٠/ ٢٩٥.

(٣) فتح الباري لابن حجر ١٠/ ٢٩٥.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/ ١٨٢ للالكائي، وهو معتقد علي بن المديني أيضًا.

غَفَرَ لَهُمْ، وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، كَمَا ذَكَرَ ﷻ فِي كِتَابِهِ: (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (النساء: ٤٨، ١١٦)، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِه. وَذَلِكَ بِأَنَّ الله تَعَالَى تَوَلَّى أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وَلَايَتِه.[1]

قال ابن تيمية: ومذهب الصحابة، والتابعين، وأئمة المسلمين، وسائر أهل السنة والجماعة أنه ﷺ يشفع في أهل الكبائر، وأنه لا يخلد في النار من أهل الإيمان أحد؛ بل يخرج من النار من في قلبه مثقال حبة من إيمان أو مثقال ذرة من إيمان.[2]

ووافقه تلميذه ابن القيم في مدارجه.[3]

أدلة أهل السنة والجماعة على معتقدهم في مرتكب الكبيرة:

١ـ من الكتاب:

الله ينادي المسرفين في المعاصي بأن لا يقنطوا من رحمته:

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ (الزمر: ٥٣).

قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه الآية على غير توبة؛ لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه[4].

الله ﷻ يغفر ما دون الشرك:

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٥٢٤.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٣١٨.

(٣) مدارج السالكين ١/ ٢٨٢.

(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ٧٥.

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ (النساء: ٤٨).

قال الطبري: إن الله لا يغفر الشرك به والكفر، ويغفر ما دون ذلك الشرك لمن يشاء من أهل الذنوب والآثام.[(١)]

وقال ابن كثير في قوله (لا يغفر أن يشرك به): أي: لايغفر لعبد لقيه وهو مشرك به ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: من الذنوب ﴿لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ أي: من عباده.[(٢)]

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ (النساء: ١٧).

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: إن ربك للذين عصوا الله فجهلوا بركوبهم ما ركبوا من معصية الله، وسَفُهوا بذلك ثم راجعوا طاعة الله والندم عليها، والاستغفار والتوبة منها، من بعد ما سلف منهم ما سلف من ركوب المعصية، وأصلح فعمل بما يحبّ الله ويرضاه(إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا) يقول: إن ربك يا محمد من بعد توبتهم له﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[(٣)]

كتب الله رب العالمين على نفسه الرحمة:

قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الأنعام: ٥٤).

قال ابن كثير: وقوله: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾أي: فأكرمهم برد السلام عليهم، وبَشِّرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم؛ ولهذا قال: ﴿كَتَبَ

(١) تفسير الطبري ٤/ ١٢٨.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٧٠١.

(٣) تفسير الطبري٧/ ٦٥٩.

رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ أي: أوجبها على نفسه الكريمة، تفضلا منه وإحسانًا وامتنانًا ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾، ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: رجع عما كان عليه من المعاصي، وأقلع وعزم على ألا يعود وأصلح العمل في المستقبل، ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[1]

الله رب العالمين يقبل التوبة عن عباده:

قال الله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الشوري: ٢٥)، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ (النساء: ١١٠).

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن كرمه وجوده: أن كل من تاب إليه تاب عليه من أيّ ذنب كان.[2]

فظهر من خلال هذه الآيات السابقة أن مرتكب الكبيرة إذا تاب وأناب ورجع إلي الله ﷻ وعمل صالحًا يقبل الله رب العالمين منه توبته ورجوعه إليه.

٢ـ من السنة:

فهذه بعض الأدلة من السنة تبين أن مرتكب الكبيرة غير مخلد في النار.

من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة:

١ـ عن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله دَخَلَ الْجَنَّةَ".[3]

٢ـ عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ الله وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ الله مِنْ أي أَبْوَابِ الْجَنَّةِ

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٨٧ بتصرف.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٧٥٩.

(٣) مسلم (٢٦).

الثَّمَانِيَةِ شَاءَ ". (١)

٣ ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنِّى رَسُولُ الله لاَ يَلْقَى الله بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّة. (٢)

٤ ـ عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ ». قَالَ يَا رَسُولَ الله أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا قَالَ: « إِذًا يَتَّكِلُوا » فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا". (٣)

٥ـ عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِالله شيئًا دَخَلَ النَّارَ». وَقُلْتُ أَنَا: مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِالله شيئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ". (٤)

٦ـ عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لاَ يَمُوتُونَ فِيهَا وَلاَ يَحْيَوْنَ وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ فَجِىءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ثُمَّ قِيلَ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ. فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ". (٥)

٧ ـ عن أبي هريرة ﷺ؛ حديث معرفة الرؤية وفيه قول النبي ﷺ: "حَتَّى إِذَا فَرَغَ الله مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِالله شيئًا مِمَّنْ أَرَادَ الله تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله. فَيَعْرِفُونَهُمْ فِى النَّارِ يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ تَأْكُلُ النَّارُ مِنِ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ أَثَرَ السُّجُودِ حَرَّمَ الله عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ. فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِوَقَدِ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ

---

(١) البخاري (٣٤٣٥)، مسلم (٢٨) واللفظ له.

(٢) مسلم (٢٧).

(٣) البخاري (١٢٨)، مسلم (٣٢) واللفظ له.

(٤) البخاري (١٢٣٨)، مسلم (٩٢).

(٥) مسلم (١٨٥)، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار.

فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ"(١).

٨ ـ عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: " يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً". (٢)

قبول توبة القاتل وإن كثر قتله:

١ ـ حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لاَ. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ الله فَاعْبُدِ الله مَعَهُمْ وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى الله. وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ". (٣)

قال النووي: قوله ﷺ: "إن رجلا قتل تسعا وتسعين نفسا، ثم قتل تمام المائة، ثم أفتاه العالم بأن له توبة"، هذا مذهب أهل العلم، وإجماعهم على صحة توبة القاتل عمدًا، ولم يخالف أحد منهم إلا ابن عباس. وأما ما نقل عن بعض السلف من خلاف هذا، فمراد قائله الزجر عن سبب التوبة، لا أنه يعتقد بطلان توبته. وهذا الحديث ظاهر فيه، وهو إن

---

(١) البخاري (٧٤٣٧)، مسلم (١٨٢) واللفظ له.

(٢) مسلم (١٩٣).

(٣) البخاري (٣٤٧٠)، مسلم (٢٧٦٦) باب (قبول توبة القاتل وإن كثر قتله) واللفظ له.

كان شرعا لمن قبلنا، وفي الاحتجاج به خلاف فليس موضع الخلاف، وإنما موضعه إذا لم يرد شرعنا بموافقته وتقريره، فإن ورد كان شرعا لنا بلا شك، وهذا قد ورد شرعنا به وهو قول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ الآية وأما قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا﴾ فالصواب في معناه: أن جزاءه جهنم، وقد يجازي به، وقد يجازي بغيره وقد لا يجازى بل يعفى عنه، فإن قتل عمدا مستحلا له بغير حق، ولا تأويل، فهو كافر مرتد، يخلد به في جهنم بالإجماع، وإن كان غير مستحل بل معتقدا تحريمه فهو فاسق عاص مرتكب كبيرة، جزاؤه جهنم خالدا فيها، لكن بفضل الله تعالى ثم أخبر أنه لا يخلد من مات موحدا فيها، فلا يخلد هذا، ولكن قد يعفى عنه، فلا يدخل النار أصلا، وقد لا يعفى عنه، بل يعذب كسائر العصاة الموحدين، ثم يخرج معهم إلى الجنة، ولا يخلد في النار، هذا هو الصواب في معنى الآية، ولا يلزم من كونه يستحق أن يجازى بعقوبة مخصوصة أن يتحتم ذلك الجزاء، وليس في الآية إخبار بأنه يخلد في جهنم، وإنما فيها أنها جزاؤه أي: يستحق أن يجازى بذلك، وقيل: إن المراد من قتل مستحلا، قيل: وردت الآية في رجل بعينه، وقيل: المراد بالخلود طول المدة لا الدوام، وقيل: معناها هذا جزاؤه إن جازاه، وهذه الأقوال كلها ضعيفة أو فاسدة لمخالفتها حقيقة لفظ الآية، وأما هذا القول فهو شائع على ألسنة كثير من الناس، وهو فاسد؛ لأنه يقتضي أنه إذا عفي عنه خرج عن كونها كانت جزاء، وهي جزاء له، لكن ترك الله مجازاته عفوا عنه وكرما، فالصواب ما قدمناه. والله أعلم. [1]

الوجه الثاني: أقوال المفسرين والعلماء حول الآية.

قال الرازي: في تفسير الآية ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾: هذه الآية مخصوصة في موضعين:

---

(١) شرح مسلم للنووي ٩/ ٩٦-٩٧.

أحدهما: أن يكون القتل العمد غير عدوان كما في القصاص؛ فإنه لا يحصل فيه هذا الوعيد ألبتة.

والثاني: القتل العمد العدوان إذا تاب عنه فإنه لا يحصل فيه الوعيد، وإذا ثبت دخول التخصيص فيه في هاتين الصورتين فنحن نخصص هذا العموم فيما إذا حصل العفو بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء: ٤٨) وأيضًا فهذه الآية إحدى عمومات الوعيد، وعمومات الوعد أكثر من عمومات الوعيد.

نُقل عن ابن عباس أنه قال: توبة من أقدم على القتل العمد العدوان غير مقبولة، وقال جمهور العلماء: إنها مقبولة، ويدل عليه وجوه:

الحجة الأولى: أن الكفر أعظم من هذا القتل فإذا قبلت التوبة عن الكفر فالتوبة من هذا القتل أولى بالقبول.

الحجة الثانية: قوله تعالى في آخر الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ (الفرقان: ٦٨-٧٠)، وإذا كانت توبة الآتي بالقتل العمد مع سائر الكبائر المذكورة في هذه الآية مقبولة: فبأن تكون توبة الآتي بالقتل العمد وحده مقبولة كان أولى.

الحجة الثالثة: قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وعد بالعفو عن كل ما سوى الكفر، فبأن يعفو عنه بعد التوبة أولى، والله أعلم.[1]

قال ابن كثير: والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها: أن القاتل له توبة فيما بينه وبين ربه ﷻ، فإن تاب وأناب وخشع وخضع، وعمل عملًا صالحًا، بدَّل الله سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن طلابته.

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١٠/ ٢٤٠ بتصرف.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان: ٦٨، ٧٠)، وهذا خبر لا يجوز نسخه. وحمله على المشركين، وحمل هذه الآية على المؤمنين خلاف الظاهر، ويحتاج حمله إلى دليل، والله أعلم. (١)

وقال أيضًا: قال أبو هريرة رضي الله عنه وجماعة من السلف: هذا جزاؤه إن جازاه، ومعنى هذه الصيغة: أن هذا جزاؤه إن جوزي عليه، وكذا كل وعيد على ذنب، لكن قد يكون كذلك مُعَارض من أعمال صالحة تمنع وصول ذلك الجزاء إليه، على قولي أصحاب الموازنة أو الإحباط، وهذا أحسن ما يسلك في باب الوعيد، والله أعلم بالصواب. وبتقدير دخول القاتل إلى النار، أما على قول ابن عباس ومن وافقه أنه لا توبة له(٢)، أو على قول الجمهور حيث لا عمل له صالحًا ينجو به، فليس يخلد فيها أبدًا، بل الخلود هو المكث الطويل. وقد تواردت الأحاديث عن رسول الله ﷺ: أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى ذرة من إيمان(٣). وأما حديث معاوية رضي الله عنه: "كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا"(٤): "عسى" للترجي، فإذا انتفى الترجي في هاتين الصورتين لا ينتفي وقوع ذلك في أحدهما، وهو القتل؛ لما ذكرنا من الأدلة. (٥)

قال السندي في تعليقه علي حديث (كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا): و قوله: (إلا الرجل): أي ذنب الرجل وكان المراد

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٧٣٨.

(٢) صحيح البخاري (٤٧٦٤)، مسلم (٣٠٢٣).

(٣) البخاري (٧٤٣٩)، مسلم (١٨٣).

(٤) أبو داوود (٤٢٧٠)، النسائي ٧/ ٨١. و صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥١١).

(٥) تفسير ابن كثير ١/ ٧٣٩ بتصرف.

كل ذنب ترجى مغفرته ابتداء إلا قتل المؤمن فإنه لا يغفر بلا سبق عقوبة وإلا الكفر فإنه لا يغفر أصلًا، ولو حمل على القتل مستحلًا لا يبقى المقابلة بينه وبين الكفر، ثم لا بد من حمله على ما إذا لم يتب وإلا فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له كيف، وقد يدخل القاتل والمقتول الجنة معًا كما إذا قتله وهو كافر ثم آمن وقتل؟ ولعل هذا بعد ذكره على وجه التغليظ والله تعالى أعلم.[١]

قال أبو حيان الأندلسي: في قول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾: وقيل: هو لفظ يقع كثيرًا للخصوص كقوله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وليس من حكم من المؤمنين بغير ما أنزل الله بكافر.

الآية للوعيد وليست للوعد:

قال الفخر الرازي: القتل العمد العدوان إذا تاب عنه فإنه لا يحصل فيه الوعيد. . . و عمومات الوعد أكثر من عمومات الوعيد.[٢]

و قال البغوي: حكي أن عمرو بن عبيد جاء إلى أبي عمرو بن العلاء فقال له: هل يُخلفُ الله وعدَه؟ فقال: لا فقال: أليس قد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾؟ فقال له أبو عمرو بن العلاء: من العجمة أُتِيْتَ يا أبا عثمان! إن العرب لا تعد الإخلاف في الوعيد خلفًا وذمًا، وإنما تعد إخلاف الوعد خلفًا وذمًا، وأنشد:

وإنِّي وإنْ أوْعَدْتُه أو وَعَدْتُه ... لَمُخْلِفُ إيعادَي ومُنْجِزُ مَوْعِدِي.[٣]

---

(١) حاشية السندي علي النسائي ٧/ ٨١.

(٢) تفسير الرازي ١٠/ ٢٤٠ بتصرف.

(٣) تفسير البغوي ١/ ٤٦٥.

الوجه الثالث: الجمع بين الآثار التي ظاهرها التعارض.

قال الشاطبي: لا تضاد بين آيات القرآن ولا بين الأخبار النبوية ولا بين أحدهما مع الآخر؛ بل الجميع جار على مهيع واحد ومنتظم إلى معنى واحد، فإذا أداه باديء الرأي إلى ظاهر اختلاف فواجب عليه أن يعتقد انتفاء الاختلاف؛ لأن الله قد شهد له أن لا اختلاف فيه، فليقف وقوف المضطر السائل عن وجه الجمع، أو المسلِّم من غير اعتراق، فإن كان الموضع مما يتعلق به حكم عملي فليلتمس المخرج حتى يقف على الحق اليقين أو ليبق باحثًا إلى الموت ولا عليه من ذلك، فإذا اتضح له المغزى وتبينت له الواضحة فلا بد له من أن يجعلها حاكمة في كل ما يعرض له من النظر فيها، ويضعها نصب عينيه في كل مطلب ديني كما فعل من تقدمنا ممن أثنى الله عليهم.(١)

قال العلامة الشنقيطي: وللجمع بين ذلك أوجه:

أن قوله: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾، أي إذا كان مستحلًا لقتل المؤمن عمدًا؛ لأن مستحل ذلك كافر قاله عكرمة وغيره، ويدل له ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن جبير، وابن جرير عن ابن جريج من أنها نزلت في مقيس بن صبابة فإنه أسلم هو وأخوه هشام وكانا بالمدينة، فوجد مقيس أخاه قتيلًا في بني النجار ولم يعرف قاتله، فأمر له النبي ﷺ بالدية فأعطتها له الأنصار مائة من الإبل، وقد أرسل معه النبي ﷺ رجلًا من قريش من بني فهر فعمد مقيس إلى الفهري رسول رسول الله ﷺ فقتله وارتد عن الإسلام، وركب جملًا من الدية، وساق معه البقية ولحق بمكة مرتدًا وهو يقول في شعر له:

قتلت به فهرًا وحملت عقله سراة بني النجار أرباب فارع
وأدركت ثأري وأضجعت موسدًا وكنت إلى الأوثان أول راجع

(١) الاعتصام للشاطبي ٤٨١.

ومقيس هذا هو الذي قال فيه النبي ﷺ: "لا أؤمنه في حل ولا في حرم"[١]، وقتل متعلقًا بأستار الكعبة يوم الفتح. فالقاتل الذي هو كمقيس بن صبابة المستحل للقتل، المرتد عن الإسلام لا إشكال في خلوده في النار، وعلى هذا فالآية مختصة بها يماثل سبب نزولها بدليل النصوص المصرحة بأن جميع المؤمنين لا يخلد أحد منهم في النار.

الوجه الثاني: أن المعنى فجزاؤه إن جوزي مع إمكان ألا يجازى إذا تاب، أو كان له عمل صالح يرجح بعمله السيئ. . . وهذا قول أبي هريرة رضي الله عنه وأبي مجلز وأبي صالح وجماعة من السلف.

الوجه الثالث: أن الآية للتغليظ في الزجر، ذكر هذا الوجه الخطيب والآلوسي في تفسيريها وعزاه الآلوسي لبعض المحققين، واستدلا عليه بقوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، على القول بأن معناه: ومن لم يحج، وبقوله ﷺ الثابت في الصحيحين للمقداد حين سأله عن قتل من أسلم من الكفار بعد أن قطع يده في الحرب: "لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن يقول الكلمة التي قال"، وهذا الوجه من قبيل كفر دون كفر، وخلود دون خلود، فالظاهر أن المراد به عند القائل به أن معنى الخلود المكث الطويل، والعرب ربما تطلق اسم الخلود على المكث الطويل، ومنه وقول لبيد:

فوقفت أسألها وكيف سؤالنا صمًا خوالد ما يبين كلامها.

إلا أن الصحيح في معنى الآية الوجه الثاني والأول، وعلى التغليظ في الزجر حمل بعض العلماء كلام ابن عباس أن هذه الآية ناسخة لكل ما سواها، والعلم عند الله تعالى.

قال الشنقيطي: الذي يظهر أن القاتل عمدًا مؤمن عاص له توبة كما عليه جمهور علماء الأمة وهو صريح قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ الآية، وادعاء تخصيصها بالكفار لا دليل عليه، ويدل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، وقد توافرت الأحاديث عن النبي ﷺ أنه يخرج من النار من

(١) انظر سنن النسائي ٧/ ١٠٥. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٧٩١).

كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان، وصرح تعالى بأن القاتل أخو المقتول في قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾، وليس أخو المؤمن إلا المؤمن، وقد قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾، فسماهم مؤمنين مع أن بعضهم يقتل بعضًا. ومما يدل على ذلك ما ثبت في الصحيحين في قصة الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس[1]، لأن هذه الأمة أولى بالتخفيف من بني إسرائيل؛ لأن الله رفع عنها الآصار والأغلال التي كانت عليهم.[2]

* * *

(١) البخاري (٣٤٧٠)، مسلم (٢٧٦٦).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي (٦٨: ٦٩).

١١ـ أكذوبة انتشار الإسلام بالسيف

١١- أكذوبة انتشار الإسلام بالسيف

ما زال أعداء الإسلام قديمًا وحديثًا يرددون شبهتهم العارية عن الدليل بأن الإسلام دين إرهابي، وأنه انتشر بالسيف دون غيره، وفرض نفسه على الشعوب بالقهر والغلبة.

لذا كان الرد على هذه الشبهة من خلال مايلي:

المقدمة، وفيها:

تعريف الإرهاب. أنواع الإرهاب. ما يحمد من الإرهاب وما يذم. مفاهيم خاطئة حول الإرهاب.

الفصل الأول: أسباب انتشار الإسلام

المبحث الأول: انتشار الإسلام لم يكن بالقهر والغلبة.

المبحث الثاني: منهج الإسلام في دعوة الآخرين بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحسنة.

المبحث الثالث: سماحة النبي ﷺ مع غير المسلمين.

المبحث الرابع: صور من سماحة الصحابة والتابعين مع غير المسلمين.

المبحث الخامس: المفهوم الإسلامي في العلاقات بين الأمم.

المبحث السادس: شهادات منصفة من غير المسلمين على سماحة الإسلام.

المبحث السابع: الإسلام يدعو إلى احترام العهود والمواثيق.

الفصل الثاني: رد شبهة انتشار الإسلام بالسيف.

الرد عليها من وجوه:

الوجه الأول: السلام خصوصية إسلامية.

الوجه الثاني: إن من يقرأ سيرة النبي ﷺ يتضح له بجلاء كذب هذه الشبهة وبيان زيفها.

الوجه الثالث: نبذ الإسلام للعنف واستخدامه الحوار.

الوجه الرابع: إن من يقرأ مفهوم الجهاد في الإسلام ويعرف غاياته وأهدافه يتضح له بجلاء زيف هذه الشبهة.

الوجه الخامس: موقف الإسلام من أهل الذمة داخل الدولة الإسلامية.

الوجه السادس: معاملة المستأمن في الدولة الإسلامية.

الفصل الثالث: نقد المشككين في الإسلام من وجوه:

الوجه الأول: الفتح الإسلامي والاستعمار الغربي.

الوجه الثاني: رمتني بدائها وانسلَّت (كيف انتشرت المسيحية وغيرها من الديانات؟).

الوجه الثالث: وضوح العنف والعدوان في بعض الديانات غير الإسلامية.

الوجه الرابع: شهادات غير المسلمين على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف.

الوجه الخامس: علاقة الدول الإسلامية بالدول المحاربة.

الوجه السادس: لم يذكر السيف في القرآن صراحة، وذكر في الكتاب المقدس حوالي ٣٩٠ مرة.

وإليك التفصيل

المقدمة

فإن الدين الإسلامي هو آخر الأديان السماوية، فبه ختم الله الأديان وبه نسخ ما قبله ورضيه للعالمين بعد كماله.

وقد أثبت الدين الإسلامي نجاحه في الحياة على مر العصور مع تغير الزمان والمكان، فلم تنعم البشرية بالعدل والمساواة والحرية والإخاء كما كانت في ظله.

إن هذه الحقيقة واقعة وليست من نسج الخيال، ولكن كثيرا من الناس يغفل عنها أو يتغافل عنها إما جهلا وإما حسدًا.

لذا توجهت الأنظار في هذا العصر إلى الإسلام لتبث فيه سمومها، فتلبس الحق بالباطل أو تكتم الحق، فحالُهم كحال من يريدون أن يطفئوا نور الشمس بأفواههم.

فانطلقت جحافل الأجهزة السياسية والإعلامية والفكرية في الغرب نحو المسلمين وحدهم بتهمة الإرهاب من دون كل البشر، والإسلام من دون كل الملل والنحل، ليس هذا فحسب وإنما وُجد من يحاول تأصيل التهمة، بجعل عقيدة الإسلام وشريعته مصدرًا للإرهاب، لكي يثبتوا أن الإسلام يربي كائنات بشرية إرهابية، وأن المسلم الحق هو مشروع إرهابي جاهز للقتل، وبهذا يتحقق ترهيب الناس من الإسلام وإبعادهم عنه.

إن الغرب يكيل بمكيالين، فحين تُرتكب جريمة نفذها يهودي أو نصراني أو أي ديانةٍ أخرى لا يقال: نفذها يهودي أو نصراني، أما حين يكون المنفذ مسلمًا فوصف الإرهاب قرينًا له فيقال: "إرهابي مسلم".

لقد وضعوا الإسلام في قفص الاتهام، وحكموا عليه من غير شهود ولا بينة، وحقًا إن العين لتدمع وإن القلب لينفطر غيظًا وحزنًا حين يرى هذا الظلم العالمي والإرهاب العدواني على الإسلام[1].

أصبح مصطلح الإرهاب يحتل حيزًا كبيرًا في القاموس السياسي المعاصر، وأصبحت له هالة رهيبة؛ بل لقد أصبح هذا المصطلح نفسه من أخطر وسائل الإرهاب، فتهمة الإرهاب صارت تشكل مسوغًا لا نقاش فيه للانقضاض على الشعوب والحركات والأفراد، وحتى على بعض الحكومات بقصد إذلالها والتنكيل بها أو ربما تصفيتها والقضاء عليها، وفي أحيان كثيرة نجد أن مجرد التلويح بتهمة الإرهاب يشكل تهديدًا صريحًا للجهة المراد ضربها، ومقدمة للانقضاض عليها إلا أن ترضخ وتستسلم أمام هذا النوع من الإرهاب.

لذا أصبح من الضروري العمل على توضيح هذا الأمر والسعي إلى رفع ما يكتنفه من تلبيس وتضليل، وما يصاحبه من استغلال وتهويل فهذا واجب كل الشرفاء والنزهاء من الباحثين والمفكرين والعلماء[2].

تعريف الإرهاب لغةً

تشتق كلمة "إرهاب" من الفعل المزيد (أرهب)؛ ويقال أرهب فلانًا: أي خوَّفه وفزَّعه، وهو نفس المعنى الذي يدل عليه الفعل المضعف (رَهَّبَ). أما الفعل المجرد من

---

(١) انظر : أثر الانحراف الاعتقادي على الإرهاب العالمي د/ سعد الشهراني. اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب. ١٤٢٥هـ.

(٢) انظر مجلة كلية أصـول الدين والدعوة- جامعة الأزهر- فرع أسيوط- العدد ٢١- الجزء الثاني (٩٠٦).

نفس المادة وهو (رَهِبَ)، يَرْهبُ رَهْبَةً ورَهْبًا ورَهَبًا فيعني خاف، فيقال: رَهِبَ الشيء رهبًا ورهبة أي خافه. أما الفعل المزيد بالتاء وهو (ترَهَّبَ) فيعني انقطع للعبادة في صومعته، ويشتق منه الراهب والراهبة والرهبنة والرهبانية ... إلخ، وكذلك يستعمل الفعل ترهب بمعنى توعد إذا كان متعديا فيقال: ترهب فلانا: أي توعده. وكذلك تستعمل اللغة العربية صيغة استفعل من نفس المادة فتقول (استرهب) فلانا أي رَهَّبَه.

ويلاحظ أن القرآن الكريم لم يستعمل مصطلح "الإرهاب" بهذه الصيغة، وإنما اقتصر على استعمال صيغ مختلفة الاشتقاق من نفس المادة اللغوية، بعضها يدل على الإرهاب والخوف والفزع، والبعض الآخر يدل على الرهبنة والتعبد، حيث وردت مشتقات المادة (رهب) سبع مرات في مواضع مختلفة في الذكر الحكيم لتدل على معنى الخوف والفزع كالتالي:

(يَرْهبُون): ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾. (الأعراف: ١٥٤)

(فارْهبُون): ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (البقرة: ٤٠).

﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (النحل: ٥١)

(تُرهِبُونَ): ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ (الأنفال: ٦٠)

(اسَتْرهَبُوهُم): ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾. (الأعراف: ١١٦).

(رَهْبَةً): ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ (الحشر: ١٣).

(رَهَبًا): ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠).

بينما وردت مشتقات نفس المادة (رهب) خمس مرات في مواضع مختلفة لتدل على الرهبنة والتعبد كالتالي:

ورد لفظ (الرهبان) في سورة (التوبة: ٣٤)، كما ورد لفظ (رهبانًا) في (المائدة: ٨٢)، ولفظ (رهبانهم) في (التوبة: ٣١) وأخيرا (رهبانية) في (الحديد: ٢٧).

بينما لم ترد مشتقات مادة (رهب) كثيرًا في الحديث النبوي ولعل أشهر ما ورد هو لفظ (رهبة) في حديث الدعاء: "رغبة ورهبة إليك". [١] ويلاحظ أيضًا أن القرآن والحديث قد اشتملا على بعض الكلمات التي تتضمن الإرهاب والعنف، بمعنى استخدام القوة أو التهديد لتحقيق أهداف معينة، ومن هذه المفاهيم: العقاب والقتل والبغي والعدوان والجهاد... إلخ.

وقال ابن فارس في "معجم مقاييس اللغة"[٢] مادة (رهب): الراء والهاء والباء أصلان أحدهما يدل على الخوف، والآخر على دقة وخفة.

فالأول الرَّهبة: تقول رهِبت الشيء رُهبًا ورهبة. والترهيب التعبد. ومن الباب الإرهاب وهو قَدْع الإبل من الحوض وذيادُها.

قال ابن منظور: رهب بالكسر يرهب رهبة ورهبًا بالضم ورهبًا بالتحريك أي: خاف، ورهب الشيء رهبًا ورهبًا ورهبة أي: خافه، وترهب غيره إذا توعده، وأرهبه ورهبه واسترهبه أي: أخافه وفزعه، وترهب الرجل إذا صار راهبًا يخشى الله.

وأصل الرهبانية من الرهبة، قال ابن الأثير: وأصلها أي الرهبانية من الرهبة الخوف.

تعريف الإرهاب اصطلاحًا:

وقد عرَّف علماء المسلمين المعاصرين عند اجتماعهم في الدورة السادسة عشر للمجمع الفقهي الإسلامي التي عقدتها رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في شهر يناير ٢٠٠٢م ونشر في رسالة الرابطة إلى الشعب الأمريكي قائلين: "الإرهاب هو العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول، بغيًا على الإنسان ودينه، ودمه، وعقله، وماله بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذًا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس

---

(١) البخاري (٢٤٤)، مسلم (٢٧١٠).

(٢) لسان العرب مادة (رهب).

أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أموالهم للخطر. ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر".

تعريف الإرهاب في الثقافة الغربية:

تتكون كلمة "إرهاب" في اللغة الإنجليزية بإضافة اللاحقة ism إلى الاسمTerror بمعنى فزع ورعب وهول، كما يستعمل منها الفعل Terrorize بمعنى يرهب ويفزع.

ويرجع استخدام مصطلح Terrorism في الثقافة الغربية تاريخيًّا للدلالة على نوع الحكم الذي لجأت إليه الثورة الفرنسية إبان الجمهورية الجاكوبية في عامي (١٧٩٣ – ١٧٩٤) ضد تحالف الملكيين والبرجوازيين المناهضين للثورة. وقد نتج عن إرهاب هذه المرحلة التي يطلق عليها Reign of Terror اعتقال ما يزيد عن ٣٠٠ ألف مشتبه وإعدام حوالي ١٧ ألفًا، بالإضافة إلى موت الآلاف في السجون بلا محاكمة.

وإن كان هناك من يرجع بالمصطلح والمفهوم إلى أقدم من هذا التاريخ كثيرًا، حيث يفترض أن الإرهاب حدث ويحدث على مدار التاريخ الإنساني وفى جميع أنحاء العالم، وقد كتب المؤرخ الإغريقي زينوفون Xenophon (٤٣٠– ٣٤٩ ق. م ـ في سياق الثقافة الغربية ـ عن المؤثرات النفسية للحرب والإرهاب على الشعوب.

وقد استخدم حكام رومان من أمثال (Tiberius١٤-٣٧م)، Caligula(٣٧-٤١م) العنف ومصادرة الممتلكات والإعدام كوسائل لإخضاع المعارضين لحكمهما. ولعل محاكم التفتيش التي قام بها الأسبان ضد الأقليات الدينية (المسلمين أساسًا) أهم محطات الإرهاب الرئيسية في تاريخ الثقافة الغربية.

وقد تبنت بعض الدول الإرهاب وجعلته جزءًا من الخطة السياسية للدولة مثل دولة هتلر النازية في ألمانيا، وحكم ستالين في الاتحاد السوفيتي آنذاك، حيث تمت ممارسة إرهاب الدولة تحت غطاء أيديولوجي لتحقيق مآرب سياسية واقتصادية وثقافية.

واعتبرت منظمات وجماعات مثل جماعة "بادر ماينهوف" الألمانية، ومنظمة "الألوية الحمراء" الإيطالية، والجيش الأحمر الياباني، والجيش الجمهوري الأيرلندي، والدرب المضيء البيروية، ومنظمة "إيتا" الباسكية، ومنظمات فلسطينية في مقدمتها فتح. . اعتُبرت من أشهر المنظمات الإرهابية في تاريخ القرن العشرين من منظور غربي. ويضاف إليها في السنوات الأخيرة العديد من المنظمات الإسلامية، على رأسها بالطبع تنظيم القاعدة.

تعريف الإرهاب في اصطلاح السياسيين.

والإرهاب في اصطلاح السياسيين والإعلاميين يقصد به أعمال العنف التي يقوم بها الأفراد أو الجماعات أو الدول والحكومات بشكل مبيت ضد خصومهم السياسيين.

معنى الإرهاب عند الأمم المتحدة، ليس هناك تعريف محدد متفق عليه حول معنى الإرهاب؛ بل إن مؤتمر الأمم المتحدة المنعقد في نيويورك في سبتمبر ٢٠٠٥ لم يحاول التوصل لمعنى محدد لهذا المصطلح برغم طلب بعض الأعضاء ذلك. لكن هناك تعريف عام معمول به في الأمم المتحدة وهو أن الإرهاب:

"أعمال العنف الخطيرة التي تصدر من فرد أو جماعة بقصد تهديد الأشخاص أو التسبب في إصابتهم أو موتهم، وسواء كان يعمل بمفرده أو بالاشتراك مع أفراد آخرين ويوجه ضد الأشخاص أو المنظمات أو المواقع السكنية أو الحكومية أو الدبلوماسية أو وسائل النقل والمواصلات وضد أفراد الجمهور العام دون تمييز أو الممتلكات أو تدمير وسائل النقل والمواصلات بهدف إفساد علاقات الود والصداقة بين الدول أو بين مواطني الدول المختلفة أو ابتزاز أو تنازلات معينة من الدول في أي صورة كانت. لذلك فإن التآمر على ارتكاب أو محاولة ارتكاب أو الاشتراك في الارتكاب أو التحريض على ارتكاب الجرائم يشكل جريمة من جرائم الإرهاب الدولي".

تعريف الإرهاب عند الأمريكان

بينما عرف الغربيون الإرهاب بتعاريف مختلفة؛ منها ما ورد في التقرير الصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية في أكتوبر سنة ٢٠٠١ م أن الإرهاب يعني: "العنف المتعمد ذا

الدوافع السياسية، والذي يرتكب ضد غير المقاتلين وعادة بغية التأثير في الجمهور، حيث إن غير المقاتلين هم المدنيون، إلى جانب العسكريين غير المسلحين، أو الذين هم في غير مهماتهم وقت تعرضهم للحادثة الإرهابية أو في الأوقات التي لا توجد فيها حالة حرب أو عداء. . . "، وتعرف وكالة التحقيقات العدلية الأمريكية (FBI) للإرهاب بأنه: استعمال- أو التهديد باستعمال- غير مشروع للعنف ضد أشخاص أو ممتلكات لتخويف أو إجبار حكومة أو المدنيين كلهم أو بعضهم لتحقيق أهداف سياسية أو اجتماعية. وفي قاموس أكسفورد نجد كلمة إرهاب (Terrorism) تعني سياسة، أو أسلوبًا يعد لإرهاب وإفزاع المناوئين أو المعارضين لحكومة ما. فالإرهابي (Terrorist) هو الشخص الذين يحاول أن يدعم آراءه بالإكراه أو التهديد أو الترويع.

وباستعراض هذا التعريف الأمريكي يتبين أن القاسم المشترك فيها هو استخدام العنف والقوة والغدر حيث إن الجميع يتفق على أن الإرهاب هو الاستعمال المطلق للعنف والقوة تجاه المدنيين أو الأهداف المدنية، أو العسكريين، أو الأهداف العسكرية في غير حال الحرب المعلنة بين طرفين بهدف بث الرعب بدون إنذار سابق.

أنواع الإرهاب

للإرهاب صور وأنواع متعددة ومن هذه الأنواع ما يلي:

١- إرهاب الأفراد:

ويتبدى في السطو المسلح، وقطع الطريق وأعمال الثأر والانتقام للشرف، والاختطاف من أجل الفدية أو التهديد به والابتزاز، وما إلى ذلك من الأعمال التي تقوم بها أفراد معينون منحرفون، سواء كانوا منضوين تحت مظلة عصابات صغيرة أو كبيرة أو أفراد.

٢- الإرهاب المؤسسي:

ويتمثل في غيبة القوانين والأنظمة التي تقوم بحماية العاملين من العقاب غير المبرر.

كالفصل التعسفي، أو النقل إلى مكان بعيد، أو الحرمان من الترقية، أو الزيادة السنوية أو حقوق نهاية الخدمة، من تقاعد ومكافأة، فيتحول الموظفون العاملون إلى عبيد، وتسود سطوة

صاحب المؤسسة أو مديرها، سواء كان على صواب أو خطأ. ولا يكون للعاملين فيها رأى، وإنما يكونون أدوات تنفيذية جسدية فقط، ويصير التزلف والنفاق وسائل مشروعة؛ بل مستحبة، ويحل الخوف والقلق على المصير ويعيش العاملون في رعب مستمر وتوتر دائم.

٣ـ إرهاب الجماعات المنظمة:

كما هو الحال في جماعات المافيا، فلا تدخل أعمال الجريمة المنظمة التي تقوم بها (المافيا) ضمن دائرة الأفراد؛ لأن (المافيا) تعمل وفق تخطيط مبرمج هادف، ويقوم على تسييرها مجموعات من المتطرفين فكريًّا تدعمهم مؤسسات رأسمالية وعسكرية وقانونية واقتصادية، وينتشر خطرها ليشمل مناحي الحياة كافة، ولهذا عدت المافيا دولة داخل الدولة، وبسبب قوة تأثيرها، واستغلالها للعالم السري (تحت الأرض) مجالًا لتنفيذ مخططاتها، مستعملة المخدرات بأنواعها والجنس، والإغراء والتهديد والقتل وكل الوسائل المرزولة سبيلًا للوصول إلى غايتها الهادفة إلى السيطرة والتحكم.

إن أعمال المافيا كلها تدخل في دائرة الإرهاب والعنف؛ لأنها تعد الإنسان سلعة، وكما لا قيمة له مطلقًا إلا بقدر الفائدة المادية التي تجني من ورائه.

ولهذا كان ضمن أعمالها "الإرهابية" اختطاف أشخاص بغية استعمال أعضائهم طبيًّا حيث يجري اقتلاع أعين المخطوفين أو أكبادهم، أو كلاهم، كي يستفيد منها ثرى هنا أو هناك، مما يفقد المواطن إحساسه الكامل بالأمن، ويجعله دائم القلق على مصيره ومصير أبنائه إضافة إلى الخطف واستعمال المخدرات من أجل الوصول إلى الهدف.

ومن هذا النوع بعض الجماعات التي تتخذ أغراضًا دينية أو سياسية لتبرير أعمالها الإرهابية، ولا يدخل ضمن ذلك بالطبع الجماعات التي تقاتل للحصول على حق مشروع لشعوبها.

٤ـ الإرهاب الدولي:

وهو أفدح أنواع الإرهاب وأعمه خطرًا؛ لأنه يشمل الكون بأسره شعوبًا وحكومات، ويتمثل هذا الإرهاب في محاولة فرض الذات على الآخرين بالإكراه أو الإغراء، وكان من نتيجة هذه الفلسفة بروز قطبين متناحرين بعد الحرب العالمية، أدى سباق التسلح بينهما إلى

قيام ما سمى بالحرب الباردة، التي عاشها العالم مرعوبًا من الأسلحة الذرية والبكتيرية وسواها عشرات السنين، والتي نشبت خلالها عشرات الحروب الساخنة وبخاصة في قارات العالم الثالث: آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، دفع الناس خلالها ملايين القتلى والجرحى والمشوهين والمعاقين، وجرى تدمير اقتصاديات تلك البلدان لعقود طويلة قادمة، وما فيتنام، وغانا، وغينيا، والصومال، ولاوس، وكوريا، والأرجنتين إلا أمثلة قليلة لما جرى من محاولات السيطرة على العالم واقتسامه بين الغرب الرأسمالي والشرقي الشيوعي أو الاشتراكي.

أما الأعمال الإرهابية التي يمكن إدراجها تحت مظلة العنف الدولي فيمكن إجمالها في الآتي:

أ- المؤامرات الانقلابية: بقصد تغيير أنظمة الحكم غير الموالية، حيث تلجأ بعض الدول إلى نشر عملائها وجواسيسها وبثهم في مؤسسات الدولة للإطاحة بنظام الحكم فيها عبر سلسلة من الدعايات المغرضة الهادفة إلى خلق بلبة في الرأي العام وتهيئته لقبول التغيير القادم، وما حدث في الأرجنتين من قتل للمواشي وإتلاف لمزروعات الفلاحين يعد مثالًا من هذه المؤامرات والدسائس التي تبتغي قلب الحكم ووضع نظام بديل ينفذ سياسة الدولة الكبرى.

ويدخل ضمن هذه الوسائل الضاغطة على الحكومات ما تجريه الدول الكبرى من مناورات عسكرية واسعة وتحريك للأساطيل والقطع البحرية الكبيرة أو المناورات المشتركة مع الدول الحليفة، حيث تجرى هذه الأعمال قريبًا من حدود الدولة المقصودة.

كما يندرج تحتها خلق أجسام ومؤسسات عسكرية غرضها إرهاب الآخرين مثل إنشاء وحدات التدخل السريع، وهي تحمل اسمًا دالًا على طبيعة عملها وهو التدخل في شئون الآخرين، رغم أن ميثاق الأمم المتحدة ينص على عدم التدخل في هذه الشئون ولكنه المنطق الإرهابي المسنود بنظرية البقاء للأصلح، بمعنى الأقوى.

ب- الإرهاب الاقتصادي:

ويتمثل هذا النوع من الإرهاب في فرض الحصار الاقتصادي على بلد ما بغية إجباره على الإذعان للدولة القوية وقبول شروطها أو إملاءاتها، أو اللعب بميزان المدفوعات أو دفع الحكومات لطلب قرض مالي مشروط يجبر الموقعين على مثل هذه القروض على اتخاذ مواقف سياسية تتماشى ومصالح رأس المالي[1] حتى تتكرس التبعية الاقتصادية والمالية للبلد الموقع، ويصبح رهينة للدول المانحة، ومع الزمن تتحول المرافق الحيوية الموجودة في البلد ملكًا خالصًا لتلك الدولة الغريبة عن طريق الأسهم كما كانت عليه حال قناة السويس قبل التأميم، وكثير من الشركات البترولية والمعدنية والغذائية والكسائية في العالم، حيث إن الشركات (صاحبة الامتيازات) تستولى على خيرات البلاد تحت طائلة التطوير أو الاستثمار، وهي في الحقيقة تمارس أقصى أنواع النهب، الذي لا يترك خلفه سوى التبعية والتخلف، ويجر إلى إلحاق البلد اقتصاديًّا بالدولة المانحة، لتصير سوقًا استهلاكيًّا لمنتجاتها، ومصدرًا للحصول على الخامات والأيدي العاملة الرخيصة.

ج- الإرهاب الفكري:

ويتمثل الإرهاب الفكري في مصادرة حريات الآخرين في قول آرائهم أو التعبير عنها، سواء من خلال الإعلام، صحافة وإذاعة وتلفازًا أو منعهم من نشر كتبهم وأبحاثهم، أو مشاركاتهم في المؤتمرات والندوات أو تأسيس الأحزاب أو الجمعيات، وكل ما له شأن من قريب أو بعيد بموضوعات الفكر أو الثقافة.

ولا يكتفي الإرهاب الفكري بمحاولة تجميد فكر الآخرين من خلال الإجراءات السابقة، بل إنه يكرس كل وسائل الإعلام المتاحة لديه، وكل العقول والأدمغة ووسائل البحث الحديثة: كي يهاجم الأفكار الأخرى واضعًا فيها كل المفاسد، فالمهم أن يهدمها ويهزمها، بأية وسيلة كانت، ومن هنا كان التزوير وتلفيق المعلومات أسلوبًا مباحًا عند

---

(١) الإرهاب الدولي بين الواقع والتشويه.

صانعي هذا النوع من الإرهاب.

ويهدف الإرهاب الفكري الذي تمارسه دولة ما ضد أخرى إلى طمس شخصية الأمة وحضارتها وثقافتها عن طريق ما يسمى بمراكز الأبحاث العلمية، حيث تلجأ هذه المراكز (المأجورة) إلى إخراج أية نتائج تريدها الدولة لسلب الخصم كل ما يفخر به من لغة وتراث، وإنجازات، وتاريخ مشرف، وتحويل كل ذلك إلى عمليات سالبة وبهذا تفقد الأمة شخصيتها وتصبح هامشية بدون جذور[1].

د- إرهاب العزل والمقاطعة والحرمان:

وهو أسلوب قديم عرفته الأمم السابقة ومنه عزل وحصار ومقاطعة الرسول ﷺ والمسلمين الأوائل في شعب بنى هاشم من قبل قريش وأشياعها، وهو أشد من الحصار الاقتصادي؛ لأنه يشمل حركة السفن والمطارات والمواصلات البرية، والتعاملات التجارية بأنواعها والنواحي الطبية والعلاجية، وتعيش الدولة تحت طائلة العقوبات والتهديدات بالاجتياح أو التقسيم أو من استعمال المرافق الحيوية التابعة لها كالموانئ والمطارات، مما يعطل كل نبضات الحياة في شرايين المجتمع عن العمل فيهلك آلاف؛ بل مئات الآلاف من الضحايا.

نخلص من هذا الموضوع إلى القول أن الإرهاب ظاهرة فاشية في العالم كله، وليس حصرًا بشعب دون آخر أو أمة دون أخرى، وأنه يتمثل في الممارسة التي قد تتسبب عن شعور جنس ما بالتفوق، أو عقيدة ما بذلك، لكن دمغ شعب أو جنس بالإرهاب لا يستقيم مع الفهم السليم[2].

---

(١) انظر: الشخصية العربية لإبراهيم يحيى شهابي صـ ٤١ وما بعدها.

(٢) الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري- أبحاث المؤتمر العام الثامن للشئون الإسلامية المنعقد بالقاهرة في الفترة من بين ٢٤- ٢٧ يوليو سنة ١٩٩٦م. وانظر مجلة كلية أصول الدين- جامعة الأزهر- فرع أسيوط- العدد ٢١ الجزء الثاني- صـ ٩١٥ وما بعدها.

ما يُحمد من الإرهاب وما يُذم[١]

تتهم العديد من الأوساط الغربية المسلمين بالإرهاب والعنف والتطرف؛ بل أصبح عند كثير منهم صفة لازمة للإسلام زعمًا منهم أن تعاليم الإسلام تحض على ذلك، وتوجه المسلمين إلى سلوك هذا الطريق، وهذا بعيد تمامًا عن حقائق الإسلام وتعاليمه.

والمتأمل في أقوال علماء المسلمين يجد أن الإرهاب في الشريعة الإسلامية ينقسم إلى نوعين:

الأول: الإرهاب المحمود أو الإرهاب بحق للخير.

الثاني: الإرهاب المذموم أو الإرهاب الظالم المتجاوز للحدود.

الأول: الإرهاب المحمود:

الإرهاب المحمود هو الشرعي لدى الإسلام. وبهذا المعنى المحمود المشروع استعملت الكلمة في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ ، فالمراد بهذه القوة السلاح، كما قال عقبة بن عامر: سمعت رسول الله ﷺ يقول، وهو على المنبر،: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي ".

تفسير العلماء:

وقد قام العلماء المفسرون، من القدامى والمحدثين، بتفسير هذه الآية بما يأتي:

قال الطبري: وأعدوا لهؤلاء الذين كفروا الذين بينكم وبينهم عهد إذا خفتم خيانتهم وغدرهم أيها المؤمنون بالله ورسوله ما استطعتم من قوة تخيفون بذلك عدو الله وعدوكم من المشركين[٢].

قال الجصاص: أمر الله المؤمنين في هذه الآية بإعداد السلاح والكراع قبل وقت القتال إرهابا للعدو[١].

---

(١) انظر: الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب. د. علي الشبل.

(٢) تفسير الطبري ٦/ ٢٧٤.

قال الفخر الرازي: اعلم أنه تعالى لما أوجب على رسوله أن يشرد من صدر منه نقض العهد، وأن ينبذ العهد إلى من خاف منه النقض أمره في هذه الآية بالإعداد لهؤلاء الكفار.

. . ثم قال: فقال تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ وذلك لأن الكفار إذا علموا كون المسلمين متأهبين للجهاد ومستعدين له ومستكملين لجميع الأسلحة والآلات خافوهم. وذلك الخوف يفيد أمورًا؛ منها: أنهم لا يقصدون دخول دار الإسلام عدوانًا، ولا يعينون سائر الكفار للتعدي على دار الإسلام، وربما صار ذلك داعيًا لهم إلى الإيمان[٢].

قال الشيخ محمد رشيد رضا: أن يكون القصد الأول من إعداد هذه القوى والمرابطة إرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة التعدي على بلاد الأمة أو مصالحها، أو على أفراد منها، أو متاع لها حتى في غير بلادها لأجل أن تكون آمنة في عقر دارها، مطمئنة على أهلها ومصالحها وأموالها. وهذا ما يسمى في عرف هذا العصر بالسلم المسلح وتدعيه الدول العسكرية فيه زورًا وخداعًا[٣].

من خلال ما سبق من أقوال المفسرين يتبين لنا ما يأتي:

أولًا: أن تكليف إعداد القوة بقدر الاستطاعة واجب على الحكومة الإسلامية خاصة، وعلى الأمة الإسلامية عامة. وذلك لنزول هذه الآية في عهد المدينة المنورة، والأمة كلها واحدة تحت قيادة رسول الله ﷺ . فهي مكلفة للمشاركة في هذا الإعداد؛ كما يقول أبو السعود الحنفي بأن توجيه الخطاب يعني: " وأعدوا " إلى جميع المؤمنين؛ لأن المأمور به من وظائف الجميع. والله أعلم.

---

(١) أحكام القرآن ٤/ ٢٥٢.

(٢) تفسير الرازي ١/ ٢١٥٧.

(٣) تفسير المنار (الآية).

ثانيًا: أن القوة المطلوب إعدادها هي قوة الرمي، وهو كل ما يوجد في كل عصر ومكان من سلاح يرمى به الأعداء في حالة الحرب. فإذا استطاع أن يعد أفضل وأحدث ما يكون في ذلك العصر فبها ونعمت وإلا فاتقوا الله ما استطعتم.

ثالثًا: أن الدلالة اللفظية في الآية تشير إلى أن الغرض الأساس من إعداد القوة هو الإرهاب والتخويف، وليس القتل والقتال. يقول تعالى: ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ ، ولا يقول: "تقاتلون به أو تقتلون به عدو الله وعدوكم". وبذلك تبين أن اختيار الله هذه الكلمة (الإرهاب) هو نوع من رحمته تعالى لخلقه، تجنبًا عن القتل أو القتال الذي هو سفك الدماء وهو الغرض الغالب من أي قوة. وحتى مع الأعداء لا يريد أن يعاملهم الإسلام بالقتل والقتال، فما بالك مع عامة الناس ولو كانوا غير مسلمين. فإذا اكتفى هؤلاء الأعداء المجرمون أو الكفار بمجرد هذا الإرهاب والتخويف الذي يمنعهم من التعدي والظلم والصد عن سبيل الله فقد تحقق الغرض الأساس من إعداد القوة في الإسلام.

رابعًا: المرهبون به هم أعداء الله: ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ لأن طبيعة دعوة الإسلام التي جاء بها الرسل أنها تواجه المجرمين المعتدين من أعداء الله طول الطريق، ولاسيما الرسول الخاتم محمدﷺ. وقد صرح بذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾. أي: كما جعلنا لك، يا محمد، أعداء يخالفونك ويعادونك ويعاندونك؛ جعلنا لكل نبي من قبلك أيضًا أعداء.

خامسًا: إن الإرهاب الشرعي على ضوء هذه الآية الكريمة هو أحد الأساسيات الفطرية للتعامل مع العالم. فأمم العالم جميعًا تعد ما تستطيع من قوة كي تدخل الرهبة في قلوب أعدائها. وهي تستعرض قوتها في المناورات كي يعرف خصومها درجة مناعتها

فيحترمونها ولا يعادونها. وهذا أمر مشروع وحق معمول لدى الأمم ومسموح لدى القوانين كلها منذ قديم الزمان وحتى الآن. فلا ينكر عليه إلا مجرم. ويعد ذلك من حق كل دولة، وكل سلطان، وكل قوم. فمن حق المسلمين أن يفعلوا ذلك كغيرهم في إعداد القوة المانعة للعدوان الذي قد يقع عليهم. ومع ذلك فإن الشريعة الإسلامية قامت بتحديد مواضع استخدام هذه القوة المعدة للدفاع عن النفس وعن حرمة الدعوة وسلامة الحقوق والأعراض وتحرير الإنسان والأوطان من الضبط والكبت والظلم والطغيان. لذا كان الإرهاب مع أعداء الله وأعداء الفطرة، ويكون الغرض منه الدفاع عن النفس أو تخويفهم من الاعتداء على الإسلام والوقوف أمام سير الدعوة الإسلامية التي تنشر الرحمة للعالم؛ فهو مشروع، وليس ذلك بالإرهاب المحظور. والله أعلم.

ومن أمثلة الإرهاب العدواني المحرم في الإسلام:

١-تخويف أحد ابني آدم لأخيه، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٢- المحاربون الذين يفككون أمن الناس بالنهب والسلب والإفساد في الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ .

٣- محاولة الاعتداء على النفس، كما في قوله ﷺ : إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار.

ثانيًا: الإرهاب المذموم:

لا شك أن كلًّا من العنف والتطرف والظلم مذموم في الإسلام. فهذا الثالوث المذموم هو أهم صفات الإرهاب المذموم. فالإرهاب لا يكون مذمومًا إلا إذا دخل فيه العنف والتطرف والظلم. فالعنف عبارة عن استخدام القوة المادية في غير موضعها، حيث يمكن

فيه أن تستخدم الحجة أو الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة أو المجادلة بالتي هي أحسن، وبغير ضابط من خلق أو شرع أو قانون؛ هل يجوز قتلهم أو الاعتداء عليهم أو لا؟

فمن الإرهاب المذموم استخدام العنف مع الأبرياء، أو فيمن ليس بينك وبينه قضية، وإنما هو وسيلة لإرهاب الآخرين، وإجبارهم على أن يخضعوا لمطالبك أو لسياستك، وإن كانت عادلة أو صحيحة في رأيك.

مفاهيم خاطئة حول الإرهاب

لقد أصبحت تهمة الإرهاب سلاحًا خطيرًا يسلط على كثير من الشعوب والجماعات والمنظمات وأحيانًا حتى على الدول والحكومات، وأصبح ترويج هذه التهمة وإلصاقها بجهة من الجهات كافية لإدانتها وتجريمها وشن الحرب عليها بل يمكن القول أن تهم الإرهاب قد أصبحت من أخطر وسائل الإرهاب.

غير أن من أخطر ما في استعمال مصطلح الإرهاب اليوم هو التسوية والخلط المعتمد بين الظالمين والمظلومين، بين المعتدين والمقهورين وقد يتجاوز الأمر مجرد الخلط والتسوية إلى قلب الحقائق بإضفاء صفة المشروعية على الظالم المعتدي وإلصاق تهمة الإرهاب على المظلوم والمعتدى عليه.

إن النظر السليم والحكم الصحيح على الأعمال التي توصف اليوم بالإرهاب لابد فيها من التمييز والتفريق ووضع كل شيء في موضعه اللائق به، فهذا من البدهيات التي يقتضيها العدل والإنصاف، أما الخلط والتعميم والتسوية بين المختلفات فليس سوى أسلوب من أساليب المغالطة والتضليل والخداع.

لابد في هذا الموضوع من التمييز مثلًا بين الحالات الآتية:

الحالة الأولى: كون الفاعل ظالمًا والمفعول ضده مظلومًا لا ذنب له.

الحالة الثانية: كون الفاعل مظلومًا والمفعول ضده هو ظالمه المصر على ظلمه.

الحالة الثالثة: كونهما معًا معتدين ظالمين.

الحالة الرابعة: حالة من ترك الوسائل السلمية وسلك من أول الأمر أعمال العنف والإرهاب لنيل حقه أو لم يستنفد كل الفرص السليمة المتاحة له.

الحالة الخامسة: من سلك كل السبل السلمية واستنفد كل فرص المطالبة والإقناع لنيل حقه ورفع الظلم والعدوان عن نفسه، فلم تجده شيئًا ولم يأبه له خصمه؛ بل أمعن في ظلمه وهضم حقه.

الحالة السادسة: من يلجأ إلى العنف دفاعًا عن النفس أو معاملة بالمثل حيث جاءت البداية من خصمه.

الحالة السابعة: حالة من كان حقه مقررًا ومسلمًا ومعترفًا به.

الحالة الثامنة: من كان حقه مجرد ادعاء ومطلب لم يثبت أحقيته ولم يعترف بمشروعيته.
فهذه الحالات كلها موجودة الآن فيمن يتهمون بالإرهاب ويدانون به ويجرمون وليس فيما عرفته البشرية وآمنت به من تعاليم دينية أو قيم أخلاقية أو قواعد قانونية أو أعراف قضائية ليس فيها ما يسوغ التسوية بين كل هذه الحالات وإدانتها وتجريمها جميعًا واعتبارها شيئًا واحد والحكم عليها بحكم واحد. ولكن الأغلبية الساحقة نعم ساحقة من السياسيين وأتباعهم من الإعلاميين وغيرهم يفعلون هذا تلبيسًا على الشعوب وتضليلًا لها ويفعلونه على سبيل الإرهاب والإذلال لذوى الحقوق المشروعة حتى لا ينهضوا لنيل حقوقهم ورفع الظلم عن أنفسهم، ويفعلونه على سبيل التشويه والتنفير من كل فكرة أو حركة ينشد أصحابها الحق والعدل والكرامة.

وإذا كان المنطق يقتضي أن ندين كل إرهابي ظالم وأن ندين كل مسارع إلى تفجير أعمال العنف والقتل حتى ولو كان ذلك في طلب الحق ما دام لم يستنفد جميع الوسائل السلمية في طلب حقه فإن هذا المنطق نفسه يقتضي تأييد من قام يدافع عن نفسه وعن حقه بعد أن صبر واحتمل، وبعد أن استنفد كل السبل والوسائل السلمية.

وإذا كنا ندين المبادئ بالعنف والإرهاب، فلا شك أن من يفعل ذلك ردًا ودفاعًا عن النفس يختلف عنه، وحتى حينها ندين من يرد العنف بمثله، فيجب على الأقل أن ندين أكثر البادئ بالعدوان.

وإذا كنا نقف موقف التحفظ أو التردد أو حتى الإدانة تجاه من دافع عن حق مختلف في أحقيته، أو ما زال بحاجة إلى إثبات واعتراف، فليس من العدل في شيء أن نستنكر على من يسعى إلى حق لا غبار عليه، ولا نزاع في مشروعيته، وهكذا. .

والأدهى والأمر هو أن يدان المظلوم المعتدى عليه ويسمى إرهابيًّا، ويسكت تمامًا عن ظالمه وعن الظلم الذي ألحق به؛ بل قد يحظى ظالمه بالتأييد والدعم والمساندة[1].

(١) مجلة كلية أصول الدين والدعوة- العدد ٢١/ الجزء الثاني صـ ٩١٢- ٩١٤.

الفصل الأول: أسباب انتشار الإسلام

يقول الشيخ إبراهيم فاديقا الأمين العام للرابطة الإسلامية كوناكري- غينيا[1]:

إن قول بعض المستشرقين إن الإسلام قد انتشر بالسيف، ولم يكن للناس آنذاك بد إلا الاختيار بين الإسلام والقتل، وأن الفتوحات الإسلامية دليل على انتشار هذا الدين الحنيف بالسيف، هذا القول مناف للحقيقة، وفيه عداوة للإسلام، إننا نلاحظ في انتشار الإسلام ما يلي:

أولًا: إن وجود غير المسلمين في الدول الإسلامية من يهود ونصارى وغيرهما بكامل الحرية والعبادات مع أمن الحياة لَدليل على تكذيب ذلك القول.

ثانيًا: إن تاريخ البشرية يقرر بأن كل نظام أنشأه السيف يزول بزوال السيف.

ثالثًا: رغم ما أصاب المسلمين في يومنا هذا من ضعف في الإيمان والجهاد ما زال الإسلام ينتشر ويزدهر يومًا بعد يوم في دول لم يطأ المسلمون الأوائل أراضيها.

ومن هنا فإن القول بأن الإسلام قد انتشر بالسيف قول باطل، والإسلام منذ الفجر الأول دين تسامح وتعايش بين بني البشر، ولم يستخدم السيف إلا عند لزوم الأمر للدفاع عن حرية الاعتقاد والفكر للبشرية جمعاء، فقد كان دعاة الإسلام الأوائل يعرضون الإسلام على الأمم من منطلق قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥)، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، فكم من دعاة قُتلوا ظلمًا وطغيانًا في سبيل الدعوة في عهد الرسولﷺ عندما يعلن بعض القبائل إسلامهم فيرسل الرسول معهم من يعلمهم دين الله فيقتلون.

وما الفتوحات إلا نتاج عمل بعض القبائل والملوك لما صادروا حرية الناس في الاعتقاد وقتل بعض الدعاة.

إن قضية انتشار الإسلام بالسيف قضية قديمة أحدثت جدالًا طويلًا عبر التاريخ

---

(١) حقيقة الإسلام المؤتمر العام الرابع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٤٢٣هـ صـ٦٦-٦٨.

الإسلامي، ولكن الحقيقة التي نؤمن بها كمسلمين هو أن انتشار الإسلام كان كما يأتي:

١- الصبر وتحمل الأذى: فقد أوذي المسلمون في مكة مع رسول الله ﷺ أذى شديدًا، حتى توجه الرسول ﷺ إلى الطائف، وما كان من أهلها إلا أن قاموا في وجهه ورموه بالحجارة كما جاء في الحديث أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثت أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: "لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: " إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا". [(١)]

٢- التأني وعدم التسرع: إن الذين جاهدوا في غزوة بدر الكبرى هم الذين كانوا في مكة، فكانوا يطالبون الرسول بالرد بالمثل، إلا أن الرسول ﷺ كان يأمرهم بكف الأيدي حتى أذن لهم بالقتال، والقرآن يصدق ذلك الموقف بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (الحج: ٣٩، ٤٠).

٣- الحكمة في الدعوة وحسن الجوار مع غير المسلمين دون لجوء إلى السيف: فنرى الرسول ﷺ يقبل في صلح الحديبية من الشروط في المعايشة مع الكفار ما لم يقبله أحد سواه، وكذلك المسلمون عند فتح بيت المقدس، مما يؤكد سمة الإسلام وسبب انتشاره.

---

(١) البخاري (٣٠٩٥)، مسلم (١٧٩٥).

٤- العفو عند المقدرة: إن في قضية أسرى بدر التي لام القرآن المسلمين عليها، ورد الرسول ﷺ على أهل مكة يوم الفتح لدليلًا على اقتناع الخصوم بسماحة الإسلام.

٥- المعاملة الحسنة: إن الدول التي دخلها الفاتحون لم يفرضوا الإسلام على أهلها قهرًا؛ بل خيروهم بعد إعلانهم لمبدئهم ألا وهو إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، أو الجزية، أو القتال لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ (الأنفال: ٦١)، وقال أيضًا: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ (البقرة: ١٩٠).

٦- قوة الإسلام نفسه: إن الله تعالى قد تكفل بحفظ القرآن وشريعته ونصر الرسول والصديق إذ هما في الغار، ونصر جنده يوم الأحزاب وحده.

٧- اعتراف أعداء الإسلام بقوة ومبادئ الإسلام وصراحته في معالجة الأمور وموقفه الواضح تجاه أمر القتال أو الاستعداد له، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠).

٨- معالجة الأمور بالمثل، قال تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١٩٤).

٩- وفي إفريقيا فيما وراء الصحراء لم يسجل في التاريخ قتال ولا معارك إسلامية استعان بها التابعون في حمل الرسالة إلى إفريقيا، ومع ذلك فنسبة المسلمين في هذه القارة تنوف اليوم على ٦٢٪.

المبحث الأول: (كيف انتشر الإسلام؟)

إن الإسلام لم ينتشر بالقهر والغلبة فهناك بلاد كثيرة دخلها الإسلام عن طريق التجار كإندونسيا وحتى البلاد التي تم فتحها لم يجبر المسلمون أحدًا فيها على اعتناق الإسلام.

وقد جاءت هذه الشهادة المنصفة في كتاب "الدعوة إلى الإسلام" الذي ألفه توماس أرنولد، وبحث فيه تاريخ نشر العقيدة الإسلامية في أقطار الأرض، وإليك بعض الفقرات منه الدالة على ذلك.

١- بلاد الشام: "تحول البدو المسيحيون إلى الإسلام بالتسامح". دخل الناس في الإسلام عن اقتناع فلماذا؟ لأن الخليفة عمر عيَّن في كل بلد معلمين مهنتهم أن يعلموا الناس القرآن ويفقهوهم في الدين[١].

"إن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام، إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة، وإن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح"[٢].

ودليل آخر أن السكان قد رضوا بالإسلام عن قناعة ورضا، تلك الكتب التي ألفها القديس "يوحنا الدمشقي"، "وقد عاش في عصر الفتوحات، وكلها تدور حول مناقشات بين المسيحية والإسلام، فهذه المناقشات والمجادلات تعطينا فكرة عن عدم الإكراه وفرض الإسلام بالسيف. وكانت صياغة هذه الكتب على شكل حوار: "وإذا سألك العربيُّ"، "إذا قال لك العربيُّ. . . فأجبه.". وكذلك كتب تلميذ القديس يوحنا: "الأسقف تيودور أبو قرة" الذي كتب بعض المحاورات بين العقيدتين. واستمرت هذه المناظرات حتى أيام الرشيد الذي كان يحضر هذه المناظرات التي كان فيها "طيماثاوس"و"يوسف مطران مرو".[٣]

فبعد هذا كله، هل دخل الإسلام إلى بلاد الشام عنوة وبالسيف؟

---

(١) الدعوة إلى الإسلام صـ٦٩- ٧٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق صـ١٠٣.

أم بعد نقاش ومناظرة سادهما جو من التسامح الكامل، انتهى إلى القناعة والإيمان والرضى بالإسلام؟.

٢- إفريقيا:

يذكر توماس أرنولد حالة القبط قبل الفتح الإسلامي فيقول: كان القبط في مصر يعذَّب أحدهم ثم يلقى به إلى اليم.

وقد كتب في الباب الرابع من كتابه فصلًا عن انتشار الإسلام بين مسيحي أفريقيا جعل عنوانه "فتح مصر على أيدي العرب، وترحيب القبط بهم لإنقاذهم من الحكم البيزنطي" ومما جاء تحت هذا العنوان: "ويرجع النجاح السريع الذي أحرزه غزاة العرب، قبل كل شيء إلى ما لقوه من ترحيب الأهالي المسيحيين الذين كرهوا الحكم البيزنطي، لما عرف به من الإدارة الظالمة، ولما أضمروه من حقد مرير على علماء اللاهوت".

فماذا قدم الفتح الإسلامي لهم لتغيير حالتهم تلك؟.

١- لقد خلَّصهم من الضرائب العالية المرهقة، ولم يأخذ منهم إلا العشر مما كان يأخذه الروم.

٢- وضمن لهم الحرية الدينية المطلقة، وقد اعترف "أرنولد" بأن الفتح الإسلامي قد جلب للقبط: (حياة تقوم على الحرية الدينية التي لم ينعموا بها قبل ذلك)[(١)].

ومن اعترافه أيضًا قوله: كفل- عمرو بن العاص- الحرية في إقامة الشعائر الدينية، وخلَّصهم بذلك من هذا التدخل المستمر الذي أنّوا من عبئه الثقيل في ظل الحكم الروماني، ولم يضع عمرو يده على شيء من ممتلكات الكنائس، ولم يرتكب عملًا من أعمال السلب والنهب.

"وليس هنالك شاهد من الشواهد يدل على أن ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم في الإسلام على نطاق واسع كان راجعًا إلى الاضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم الحديثين"[(٢)] "بل لقد تحول كثير من هؤلاء القبط إلى الإسلام قبل أن يتم الفتح". [(١)]

---

(١) الدعوة إلى الإسلام صـ ١٢٣.

(٢) الدعوة إلى الإسلام صـ ٢٤.

٣- أسبانيا:

"أما عن حمل الناس على الدخول في الإسلام أو اضطهادهم بأية وسيلة من وسائل الاضطهاد في الأيام الأولى التي أعقبت الفتح العربي الإسلامي، فإننا لا نسمع عن ذلك شيئًا، وفي الحق أن سياسة التسامح الديني التي أظهرها هؤلاء الفاتحون نحو الديانة المسيحية، كان لها أكبر الأثر في تسهيل استيلائهم على هذه البلاد". كما ذكر "دوزي Dozy" تسامح العرب في أسبانيا مظهرًا رحمة الفاتحين، ويسر الضرائب التي فرضت والتي كانوا يدفعون أضعافها مضاعفة.[٢]

وفي معرض الحديث عن حكم العرب لأسبانية ورد في "المعرفة": "إن حكمهم لأسبانيا اتسم بالحكمة، ولم يكرهوا الناس على الدخول في دينهم، اكتفاء بدفع الجزية، وغدت أسبانيا في عهود حكمهم تنعم بأوفى قسط من الرخاء والرفاهية".[٣]

"وقد بلغ تأثير الإسلام في نفوس معظم الذين تحولوا إليه من مسيحيي أسبانيا مبلغًا كبيرًا، حتى سحرهم بهذه المدنية الباهرة، واستهوى أفئدتهم بشعره وفلسفته وفنه الذي استولى على عقولهم وبهر خيالهم"[٤].

هذا. . ولما خرج العرب المسلمون من أسبانية في ٢ كانون الثاني سنة ١٤٩٢م "كان الأهالي المساكين لا يزالون يتمسكون بدين آبائهم، مع أنهم أرغموا على إظهار تدينهم بالمسيحية أكثر من قرن"[٥]، ثم خرج هؤلاء إلى الطرف الآخر من البحر، إلى المغرب، فارِّين بدينهم.

فهل دخلت أسبانيا في الإسلام بالإكراه وحد السيف؟

٤- أوربا الشرقية:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق صـ ١٥٧.

(٣) موسوعة المعرفة: جـ ٤٣ صـ ٦٨٤ الطبعة العربية.

(٤) الدعوة إلى الإسلام صـ ١٦٤.

(٥) الدعوة إلى الإسلام صـ ١٦٨، عن Lea، the Moriscos، p. ٢٥٩.

بعد فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م: انطلق العثمانيون في أوربا الشرقية، فهل دخلت مناطق البلقان ويوغسلافيا وألبانيا. . . في الإسلام بقوة السيف؟

لنرى ماذا عمل فاتح القسطنطينية بعد سقوطها بيده مباشرة، مكتفين بما جاء في كتاب توماس أرنولد.

"ومن أولى الخطوات التي اتخذها محمد الثاني- الفاتح- بعد سقوط القسطنطينية وإعادة إقرار النظام فيها، أن يضمن ولاء المسيحيين بأن أعلن نفسه حامي الكنيسة الإغريقية. فحرَّم اضطهاد المسيحيين تحريمًا قاطعًا، ومنح البطريق الجديد مرسومًا يضمن له ولأتباعه ولمرؤوسيه من الأساقفة حق التمتع بالامتيازات القديمة، والموارد والهبات التي كانوا يتمتعون بها في العهد السابق، وقد تسلَّم جناديوس، أوَّل بطريق بعد الفتح التركي، من يد السلطان نفسه، عصا الأسقفية التي كانت رمز هذا المنصب، ومعها كيس يحتوي على ألف دوكة ذهبية"[1].

لم يتدخل الفاتحون في أمور الكنيسة "بعكس السلطة المدنية التي كانت مخولة للدولة البيزنطية"[2]. سمح لهم بالاحتفال بطقوسهم الدينية تبعًا لعاداتهم القومية[3].

٥- في بلاد فارس وما وراء النهر:

وحول انتشار الإسلام في بلاد فارس وما وراء النهر، فقد وضح توماس أرنولد ظروف انتشاره في المنطقة، وذلك في مقدمة الباب السابع في كتابه "الدعوة إلى الإسلام"، ولكنه سبق ذلك بوصف لمظالم الدولة الساسانية في شعبها، واستبدادها الذي امتاز بضروب الفوضى والعنت، فصار الشعب يكره ويمقت حكامه، وخاصة عندما تبنت الدولة الديانة الزرادشتية، وسمحت لكهنة هذه الديانة بالسيطرة حتى على بعض الأمور المدنية، وظهر الفتح الإسلامي كمخلص للشعب من حكم الساسانيين وذلك باعتراف "غيتاني"[1].

---

(١) الدعوة إلى الإسلام صـ ١٧٠- ١٧١: Phrantzes، ٣٠٥-٦ .p.

(٢) الدعوة إلى الإسلام صـ ١٧١.

(٣) الدعوة إلى الإسلام صـ ١٧١، عن: Finaly، vol. iii. P. ٥٢٢

لذلك لا غرابة أن يعترف أكثر من مستشرق: (أن سكان المدن وخاصة الصناع وأصحاب الحرف وأهل الطبقة العاملة قد رحبوا بالدين الإسلامي، واعتنقه عدد عظيم منهم في حماسة كبيرة)[٢].

فهل دخلت بلاد فارس وما وراء النهر في الإسلام بالسيف أم عن اقتناع وإعجاب ومسالمة وأمن ومحبة فأخلصوا لهذا الدين عن صدق ومحبة خارقة جادة؟

ومما هو جدير بالذكر، أن هذه المنطقة قدمت للدين الجديد والحضارة العربية الإسلامية خدمة لا تقدر، فلقد أخلص أبناء هذه المنطقة لدين الفاتحين ولغتهم وأحاديث رسول الله ﷺ ولعلوم الحضارة الجديدة، فهل نقبل أن من يقوم بمثل هذه الخدمة قد دخل مكرهًا في الإسلام؟ لو دخل مكرهًا لاستعمل عقله وفكره وقلمه ودواته لتخريب عقيدة الفاتحين ومحاربتها، ولكنهم كرَّسوا أنفسهم مخلصين لخدمة الحضارة الإسلامية فأفنوا حياتهم وهم في كل لحظة حريصون على أن يخدموا علوم الإسلام في كل مجالاتهم، فبرز من الأسماء الكثير، أسماء تحمل أسماء المدن في هذه المنطقة مثل: الطبري "المؤرخ والمفسر المشهور"، ابن خرداذبة "الجغرافي المعروف". الشهرستاني "صاحب الملل والنحل"، البخاري "المحدِّث الكبير"، وعشرات غيرهم من العلماء في كل الميادين العلمية مثل: أبو علي الحسين بن سينا، أبو بكر الرازي، أبو حنيفة الدينوري، أبو الريحان البيروني، محمد بن موسى الخوارزمي، أبو الوفاء البوزنجاني. . .

فهل خدم هؤلاء الحضارة العربية الإسلامية عن إكراه أم عن قناعة وإعجاب، ثم عن تعلق وافتداء؟.

٦- المغول والتتر:

---

(١) Caitani، vol. ii، ٩١١ -٩١٠ pp.

(٢) الدعوة إلى الإسلام صـ ٢٣٧.

جاءت موجات هؤلاء من الشرق فاندحرت جيوش المسلمين أمام أمواج مدهم الكبير، ولم ينزل من الخطوب والويلات مثل ما نزل من جراء وحشية المغول الذين اكتسحوا كل مدنية وثقافة وداسوها، تاركينها وراءهم صحراء خالية وأطلالًا دارسة، "ففي بخارى اتخذ المغول من مساجدها المقدسة اصطبلات لخيولهم[1] ومزَّقوا المصاحف ووطئوها بدوابهم" وكذلك في سمرقند وبلخ وغيرها من مدن آسيا الوسطى التي كانت من قبل فخر الحضارة الإسلامية، ومواطن الأولياء وكعبة العلوم، كما كان ذلك أيضًا مصير بغداد".

وابن الأثير أخذته القشعريرة حين أراد وصف غارات المغول، حيث يقول: "لقد بقيت عدة سنين معرضًا عن ذكر هذه الحادثة استعظامًا لها كارهًا لذكرها، فأنا أقدم إليه "رجلًا" وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا "ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا""[2].

وتكفينا هذه الفكرة عن المصيبة التي حلت بالحضارة الإنسانية، وخاصة بإغراق كتب مكتبة "دار الحكمة" التي أسسها هارون الرشيد، وآتت أكلها أيام المأمون في نهر دجلة، فبقي أيامًا يجري ومياهه سوداء من لون الحبر الأسود.

وهكذا إن الحضارة قد تأخرت قرونًا بسبب ضياع علوم هذه المكتبة الإسلامية الفريدة من نوعها.

أمام هذا الانكسار العسكري أمام المغول الذين اكتسحوا العالم من الصين حتى فلسطين، كان لابدّ من إثبات أن الإسلام ليس كغيره من المبادئ التي ظهرت في هذا العالم، فأمام عظمته الذاتية، وبتحرك غريب، لا ندري كيف كان الله ﷻ يكتب له النصر!

لقد كان لابدّ للإسلام أن ينهض من تحت أنقاض عظمته الأولى، وأطلال مجده التالد، في كل مرة وبطريقة جديدة. فاستطاع بدعاته أن يغزو قلوب أولئك الفاتحين المتبربرين،

---

(١) الدعوة إلى الإسلام صـ ٢٤٩.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ١٢/ ٢٤٣- ٢٤٤ وذلك في حوادث سنة ٦١٧ هـ.

وقام صراع غريب وتنافس كبير بين الأديان لاجتذاب هؤلاء الوثنيين البرابرة (على حد قول أرنولد)، "تلك المعركة الحامية التي قامت بين البوذية والمسيحية والإسلام، كل ديانة تنافس الأخرى لتكسب قلوب أولئك الفاتحين القساة"[١].

فبالدعاة، وبالدعاة فقط، تراجع القوم، ورجعوا إلى بلادهم يحملون الإسلام إلى أبناء جلدتهم، جاؤوا ببربرية وقسوة وحصاد للشعوب بلا رحمة، وآبوا بإنسانية ورحمة ومحبة للعالم أجمع، حوَّلهم الإسلام بدون سيف أو جيش، إلاَّ سيف الكلمة الطيبة والحكمة والموعظة الحسنة، التي حمل الدعاة لواءها ....، فخرقوا القلوب بنور توجهاتهم، فما أن فتح المغول بلادنا حتى فتح العلماء العاملون قلوبهم، فملكناهم وملكنا أرضنا التي عادت إلينا.

وهكذا. . . انتصر وانتشر الإسلام في وجه السيف. . ولم ينتصر أو ينتشر بحده. .

لقد حول الدعاة المسلمون المغول إلى دعاة مسلمين، فعادوا بعد أن صار في جيش "بركة خان" كل فارس وسجادة صلاته معه[٢] أينما حل الأذان قام للصلاة مجيبًا نداء: "حيَّ على الصلاة. حيَّ على الفلاح. . . ".

وتبع هذا النصر نصر آخر، ألا وهو دخول الإسلام إلى روسيا ليس بالسيف، ولكن بفضل ما يسميه المؤرخون "القوة المعنوية التي تميز بها المسلمون أنفسهم"[٣] وهذه القوة هي قوة الإيمان، قوة الإيمان بالمبدأ الذي خالط اللحم والعظم والدم. إنها قوة الإسلام الكامنة في ثناياه، قوة البقاء والبقاء للأفضل، ويقول "أرنولد" بصراحة: "بدأ الإسلام يتخلَّص تدريجيًّا من أطلال مجده السالف، ويتخذ مكانه من جديد باعتباره دينًا ذا سيادة"[٤]. بدأ هذا الإسلام رغم "نكبة المغول" في عملية مد عنيفة بين التتر في أواسط آسيا وفي روسيا.

---

(١) الدعوة إلى الإسلام صـ ٢٦٩.

(٢) الدعوة إلى الإسلام صـ ٢٦٩- ٢٧٠.

(٣) المصدر السابق صـ ٢٧٦.

(٤) المصدر السابق صـ ٢٦٩.

ودليل قوة الإسلام المتجددة التي تعتمد على القناعة والفكر: أن "نشطت الدعوة إلى الإسلام بيد تتار القرم بعد أن صدر مرسوم حرية الدين في سنة ١٩٠٥ "[١].

والآن نتساءل مع من يرى أن الإسلام انتشر بالسيف، كيف وصل الإسلام إلى: جنوب الهند وسيلان وجزر لكديف ومالاديف[٢] في المحيط الهندي، وإلى التيبت وإلى سواحل الصين وإلى الفلبين وجزر أندونسيا وشبه جزيرة الملايو؟ كيف انتشر الإسلام في أواسط أفريقيا في السنغال ونيجريا والصومال وتنزانيا ومدغشقر وزنجبار. . . كيف وصل الإسلام إلى هناك؟ أبالسيف؟ وما وصلت إلى هناك جيوش تحمل سيوفًا؟.

إنه وصل بواسطة تجار اتقد الإيمان في قلوبهم، فكانوا مع تجارتهم دعاة إلى الإسلام، دعاة بالكلمة الطيبة وبالعمل الذي هو دعوة ناطقة، فالصدق والأمانة والوفاء والمحبة. . . كلها دعوات بطريقة عملية إلى دين الإسلام.

المبحث الثاني: منهج الإسلام في دعوة الآخرين بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

رسم القرآن الكريم منهج الإسلام في الدعوة إلى الله[٣] بقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥).

والدعوة بالحكمة تعني: الخطاب الذي يقنع العقول بالحجة والبرهان.

الموعظة الحسنة تعني: الخطاب الذي يستميل العواطف ويؤثر في القلوب رغبًا ورهبًا.

والجدال بالتي هي أحسن يعني: الحوار مع المخالفين بأحسن الطرق، وأرق الأساليب التي تقربهم ولا تبعدهم.

---

(١) المصدر السابق صـ ٢٧٦، عن: Islam and Missions، ٢٥٧ .p.

(٢) أهل مالاديف: دخلوا في الإسلام عن طريق التجار العرب والفرس الذين استوطنوا هذه البلاد، الدعوة إلى الإسلام، صـ ٣٠٢.

(٣) استفدنا هذا المبحث من الإرهاب والعنف والتطرف في ميزان الشرع إعداد: د. محمد على إبراهيم. اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب.

ولنا عبر كثيرة في أنبياء الله في دعوة قومهم كما جاء ذلك في قصصهم في القرآن الكريم، فكانوا يبدؤون خطابهم ودعوتهم مع قومهم بـ(يا قوم) إشعارًا منهم بأنهم آحاد وأفراد منهم، مع رقة الأسلوب ولين الجانب.

فانظر مثلًا دعوة نوح لقومه في سورة الشعراء وغيرها: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩)﴾ (الشعراء: ١٠٥-١٠٩).

وفي سورة الأعراف: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٥٩).

وفي سورة نوح: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢)﴾ (نوح: ١، ٢).

وقال تعالى عن هود عليه السلام ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٦٥).

وعن صالح: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٧٣). وعن شعيب: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٨٥).

وانظر خطاب أبي الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام لأبيه في دعوته إلى توحيد الله تعالى والابتعاد عن عبادة الأوثان، فإنه في قمة الرقة والرأفة واللين والرحمة.

يقول الله- تعالى- على لسانه عليه السلام في سورة مريم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥)﴾ (مريم: ٤٢-٤٥).

وعندما ردّه أبوه ردًا سيئًا بقوله: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ قال له ﷺ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (مريم: ٤٦-٤٧). وهذه أيضًا من صفات المؤمنين، يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره: فعندها قال إبراهيم لأبيه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ كما قال- تعالى- في صفة المؤمنين: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ (الفرقان: ٦٣)، وقال- تعالى- عنهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ (القصص: ٥٥).

ومعنى قول إبراهيم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾: أما أنا فلا ينالك مني مكروه ولا أذى، وذلك لحرمة الأبوة[1].

ونموذج آخر من رسل الله- عليهم السلام- هو نبي الله موسى ﷺ مع الطاغية فرعون الذي ادعى الربوبية والألوهية: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ (النازعات: ٢٤). وقال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ (القصص: ٣٨)، حيث أمره- سبحانه وتعالى- هو وأخاه هارون بتليين القول لفرعون: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه: ٤٢-٤٤)، ولذا وجدنا موسى ﷺ حين ذهب إلى فرعون الطاغية قال له: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ (النازعات: ١٨، ١٩).

ويذكر في هذا المقام قصة الرجل الذي دخل على المأمون الخليفة العباسي رحمه الله، فأغلظ له القول في الدعوة والموعظة، فقال له المأمون وكان على علم وفقه: يا هذا، إن الله بعث من هو خير منك إلى من هو شر مني، وأمره بالرفق، بعث نبي الله موسى وهارون- عليهما السلام- وهما خير منك إلى فرعون وهو شر منى، وقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ فخصمه وحجه فأفحمه!!!

---

(١) انظر تفسير ابن كثير، مريم: ٤٦.

ب- في السنة:

ونبي الرحمة المهداة الرؤوف الرحيم، الذي بعثه الله رحمة للعالمين، يدعو إلى الرفق وينكر العنف في أحاديثه وسيرته ومنهجه في الحياة كلها، فهو صاحب الخلق العظيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ المتمم لمكارم الأخلاق.

فها هي جملة مختصرة من توجيهاته وأحاديثه في الدعوة إلى الرفق والبعد عن العنف، وأن من حرم الرفق حرم الخير.

١- قال ﷺ: "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله"[(١)].

وسبب ورود هذا الحديث يدل على عظم خلق النبي ﷺ، كما يدل على خبث نفوس اليهود وسوء طويتهم وفساد أخلاقهم وآدابهم، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: "استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ فقالوا: السام عليك، فقلت- أي عائشة- بل عليكم السّام واللعنة، فقال ﷺ: "يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله"، قلت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: قلت: وعليكم.

٢- ومن الأحاديث في هذا الباب عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "يا عائشة: إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على غيره".[(٢)]

٣- وعن عائشة رضي الله عنها أيضًا عن النبي ﷺ قال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"[(٣)].

٤- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق، فقد حرم حظه من الخير"[(٤)].

---

(١) البخاري (٦٩٢٧).

(٢) مسلم (٢٥٩٣).

(٣) مسلم (٢٥٩٤).

(٤) رواه الترمذي في سننه (٢٠١٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٧٤).

٥- ومن التربية النبوية الفريدة لأصحابه في معاملة الجاهل وعدم تعنيفه ما جاء في حديث راوية الإسلام أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ : دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ؛ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ [١].

وكان النبي ﷺ يحب التخفيف والتيسير على الناس.

قال الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث السابق: وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عنادًا، ولا سيما إن كان يحتاج إلى استئلافه، وفيه رأفة النبّي ﷺ وحسن خلقه.

٦- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبّي ﷺ ، قال: "يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا"[٢].

٧- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلاّ اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان ثَمَّ إثم كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط إلاّ أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله تعالى[٣].

المبحث الثالث: سماحة النبي ﷺ مع غير المسلمين

إن سماحة النبي ﷺ مع غير المسلمين دليل على زيف هذه الشبهة؛ فقد بعث الله تعالى نبيه ﷺ رحمة للعالمين، وهو ﷺ مثال للكمال البشري في حياته كلها، مثال للكمال في علاقته بربه وفي علاقته بالناس كلهم بمختلف أجناسهم وأعمارهم وألوانهم، مسلمين وغير مسلمين، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ رجلًا سهلًا[٤]، قال النووي: " أي سهل الخلق كريم الشمائل لطيفًا ميسرًا في الخلق. "[٥].

---

(١) البخاري (٢٢٠).

(٢) البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤).

(٣) البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

(٤) مسلم (١٢١٣).

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي ٤/ ٤١٠.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها"(١).

بمثل هذه القيم كانت دعوة النبي ﷺ ، وهي يسر في كل شيء، وذود عن حرمات الله لا عن عرض الدنيا أو أهواء النفوس.

وتعدد صور السماحة في هدي النبي ﷺ مع غير المسلمين وشواهد ذلك من سيرته لا تحصر ونذكر منها ما يلي:

١- رحمته ﷺ بالخلق عامة وهو الذي قال الله ﷻ عنه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، فكان ﷺ الرحمة المهداة إلى الخلق كلهم، وحث على العطف على الناس ورحمتهم فقد قال ﷺ : " لَا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ "(٢)، وكلمة الناس هنا تشمل كل أحد من الناس، دون اعتبار لجنسهم أو دينهم وجاءت النصوص في باب الرحمة مطلقة، وقد ساق البخاري في باب رحمة الناس والبهائم حديث النبي ﷺ : مَا مِنْ مُسْلِمٍ غَرَسَ غَرْسًا فَأَكَلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ(٣)، فدين الإسلام دين السماحة والرحمة، يسع الناس كلهم ويغمرهم بالرحمة والإحسان.

٢- تجاوزه عن مخالفيه ممن ناصبوا له العداء فقد كانت سماحته يوم الفتح غاية ما يمكن أن يصل إليه صفح البشر وعفوهم، فكان موقفه ممن كانوا حربًا على الدعوة ولم يضعوا سيوفهم بعد عن حربها أن قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء(٤).

٣- دعاؤه ﷺ لمخالفيه من غير المسلمين فقد قدم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه فقالوا:

---

(١) رواه البخاري (٣٥٦٠).

(٢) رواه البخاري (٧٣٧٦).

(٣) رواه البخاري (٦٠١٢).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٦١.

يَا رَسُولَ اللهِّ إِنَّ دَوْسًا قَدْ كَفَرَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللهَ عَلَيْهَا. فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ فَقَالَ « اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ ».[1].

ودعا ﷺ لأم أبي هريرة قبل إسلامها فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليَّ فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله ﷺ : " اللهم اهد أم أبي هريرة"، فخرجت مستبشرًا بدعوة نبي الله ﷺ فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء قال: فاغتسلت، ولبست درعها، وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح. . الحديث[2].

وجاء الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ادع الله على ثقيف فقال رسول الله ﷺ : "اللهم اهد ثقيفًا"، قالوا يا رسول الله ادع عليهم فقال: "اللهم اهد ثقيفًا"، فعادوا فأسلموا فوجدوا من صالحي الناس إسلامًا ووجد منهم أئمة وقادة[3].

ومن صور الدعاء ما كان من اليهود حيث كانوا يتعاطسون عند النبي ﷺ رجاء أن يقول لهم يرحمكم الله فلم يحرمهم من الدعوة بالهداية والصلاح، فكان يقول: "يَهْدِيكُمُ اللهُّ وَيُصْلِحُ بالكم" [4].

٤- وكان ﷺ يقبل هدايا مخالفيه من غير المسلمين[1].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٢٤).

(٢) رواه مسلم (٢٤٩١).

(٣) انظر : تاريخ المدينة لابن شبة ٢ / ٩٨.

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب: إذا عطس اليهودي، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٧١٩).

وقد قرر الفقهاء قبول الهدايا من الكفار بجميع أصنافهم حتى أهل الحرب قال في المغني: "ويجوز قبول هدية الكفار من أهل الحرب؛ لأن النبي ﷺ قبل هدية المقوقس صاحب مصر "[٢].

٥- وكان من سماحة النبي ﷺ أن يخاطب مخالفيه باللين من القول تأليفًا لهم، كما تظهر سماحة النبي ﷺ مع غير المسلمين في كتبه إليهم حيث تضمنت هذه الكتب دعوتهم إلى الإسلام بألطف أسلوب وأبلغ عبارة.

٦- وكان ﷺ يغشى مخالفيه في دورهم فعن أبي هريرة ﵁قال: بينا نحن في المسجد إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: انطلقوا إلى يهود فخرجنا معه حتى جئناهم فقام رسول الله ﷺ فناداهم فقال: "يا معشر يهود أسلموا تسلموا" فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم ... الحديث[٣]. وعاد ﷺ يهوديًا، كما في البخاري عن أنس ﵁:أَنَّ غُلَامًا لِيَهُودَ كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَالَ أَسْلِمْ فَأَسْلَمَ [٤].

٧- وكان ﷺ يعامل مخالفيه من غير المسلمين في البيع والشراء والأخذ والعطاء، فعن عائشة ﵂ قالت: تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ [٥].

٨- وكان ﷺ يأمر بصلة القريب وإن كان غير مسلم فقال لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: "صِلي أمك"[٦].

وفي المدينة حيث تأسس المجتمع الإسلامي الأول وعاش في كنفه اليهود بعهد مع المسلمين، وكان ﷺ غاية في الحلم معهم، والسماحة في معاملتهم حتى نقضوا العهد وخانوا رسول الله ﷺ ، أما من يعيشون بين المسلمين يحترمون قيمهم ومجتمعهم فلهم الضمان النبوي،

---

(١) البخاري (٢٦١٧).

(٢) المغني لابن قدامة ١٣/ ٢٠٠.

(٣) رواه مسلم (١٧٦٥).

(٤) رواه البخاري (٥٦٥٧).

(٥) رواه البخاري (٤٤٦٧).

(٦) رواه البخاري (٢٦٢٠).

فقد ضمن ﷺ لمن عاش بين ظهراني المسلمين بعهد وبقي على عهده أن يحظى بمحاجة النبي ﷺ لمن ظلمه فقال ﷺ : ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة. وشدد الوعيد على من هتك حرمة دمائهم فقال ﷺ : مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا [١].

٩- وقد أوصى ﷺ بالقبط خيرًا وثبت عنه أنه قال: إذا افتتحتم مصرا فاستوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحما [٢].

وفي صحيح مسلم : إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا [٣].

قال النووي: وفي رواية: ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، وفيها: فإن لهم ذمة ورحمًا . . . " قال العلماء: القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به، وأما الذمة فهي الحرمة والحق وهي هنا بمعنى الذمام، وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم"[٤].

١٠- عندما قتل أحد الصحابة في أحد أحياء اليهود في خيبر فقد رضي وقبل ﷺ يمين اليهود إذ أقسموا أنهم لم يقتلوه ولم يعلموا قاتله فقد أخرج البخاري بسنده عن بُشير بن يسار زَعَمَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ سَهْلُ بْنُ أَبِي حَثْمَةَ أَخْبَرَهُ: أَنَّ نَفَرًا مِنْ قَوْمِهِ انْطَلَقُوا إِلَى خَيْبَرَ فَتَفَرَّقُوا فِيهَا وَوَجَدُوا أَحَدَهُمْ قَتِيلًا وَقَالُوا لِلَّذِي وُجِدَ فِيهِمْ: قَدْ قَتَلْتُمْ صَاحِبَنَا قَالُوا: مَا قَتَلْنَا وَلَا عَلِمْنَا قَاتِلًا فَانْطَلَقُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ انْطَلَقْنَا إِلَى خَيْبَرَ فَوَجَدْنَا أَحَدَنَا قَتِيلًا فَقَالَ: الْكُبْرَ الْكُبْرَ فَقَالَ لَهُمْ: تَأْتُونَ بِالْبَيِّنَةِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ قَالُوا:

---

(١) رواه البخاري (٣١٦٦). وانظر سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين د/ عبد الله اللحيدان.

(٢) رواه الحاكم ٢/ ٥٥٣، وصححه الألباني الصحيحة (١٣٧٤).

(٣) مسلم (٢٥٤٣).

(٤) شرح مسلم ١٦/ ٩٧.

مَا لَنَا بَيِّنَةٌ قَالَ: فَيَحْلِفُونَ قَالُوا: لَا نَرْضَى بِأَيْمَانِ الْيَهُودِ فَكَرِهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُبْطِلَ دَمَهُ فَوَدَاهُ مِائَةً مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ [(١)].

قال القرطبي في المفهم: فعل ﷺ ذلك على مقتضى كرمه وحسن سياسته وجلبًا للمصلحة ودرءًا للمفسدة على سبيل التأليف، ولاسيما عند تعذر الوصول إلى استيفاء الحق.

وقال القاضي عياض: هذا الحديث أصل من أصول الشرع وقاعدة من قواعد الأحكام وركن من أركان مصالح العباد، وبه أخذ جميع الأئمة والسلف من الصحابة والتابعين وعلماء الأمة وفقهاء الأمصار من الحجازيين والشاميين والكوفيين وإن اختلفوا في صور الأخذ به [(٢)].

قال النووي عند شرحه لهذا الحديث: وفي هذا دليل لصحة يمين الكافر والفاسق واليهودي [(٣)].

١١- ولو تتبعنا المعاهدات التي صدرت عن النبي ﷺ لوجدنا فيها ضروبًا من التسامح والموادعة والمساواة، ومن هذه المعاهدات " إعلان دستور المدينة الذي اشتمل على سبع وأربعين فقرة منها ما يخص موادعة اليهود كما يأتي:

بند ٢٤ من المعاهدة- إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

بند٣١ من المعاهدة- وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يُوتِغُ إلا نفسه وأهل بيته.

بند ٣٧- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

بند ٤٥- وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصلحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.

---

(١) صحيح البخاري (٦٨٩٨).

(٢) فتح الباري ١٢/ ٢٣١- ٢٥٣.

(٣) شرح مسلم ١١/ ١٤٧.

بند ٤٦- وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وإن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.

بند ٤٧- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ)[1].

قال ابن زنجويه: وقوله: " إن اليهود يُنفِقون مع المؤمنين ما داموا محاربين " فهو النفقة في الحرب خاصة، شرط عليهم المعاونة له على عدوه، ونرى أنه إنما كان يسهم لليهود إذا غزوا مع المسلمين لهذا الشرط الذي شرط عليهم من النفقة، ولولا هذا لم يكن لهم في غنائم المسلمين سهم.

وقوله: " إن يهود بني عوف أمة من المؤمنين " إنما أراد نصرهم المؤمنين، ومعاونتهم إياهم على عدوهم، بالنفقة التي شرطها عليهم، فأما الدّين فليسوا منه بشيء، ألا تراه قد بين ذلك فقال: لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم، وقوله " لا يوتغ إلا نفسه " يقول: لا يهلك غيرها[2].

وقد قام بتحليل هذه المعاهدة د. أكرم بن ضياء العمري، وأنقل ما ذكره بخصوص اليهود فقال: قد تناولت البنود من ٢٥ إلى ٣٥ تحديد العلاقة مع المتهودين من الأوس والخزرج، وقد نسبتهم البنود إلى عشائرهم من العربية، وأقرت حلفهم مع المسلمين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين" وقد وردت العبارة في كتاب الأموال " أمة من المؤمنين " مما جعل أبا عبيد يقول: "فإنما أراد نصرهم المؤمنين ومعاونتهم إياهم على عدوهم بالنفقة التي شرطها عليهم، فأما الدين فليسوا منه في شيء، ألا تراه قد بين ذلك فقال لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم "[3] أما

---

(١) هذه المعاهدة ورد ذكرها في كتاب الأموال لأبي عبيد صـ ٢٩٢- ٢٩٥، والأموال لابن زنجويه ٢/ ٤٦٦-٤٧٠، وسيره ابن هشام ٢/ ٩٢، والروض الأنف ٤/ ٢٩٣.

(٢) الأموال لابن زنجويه ٢/ ٤٧٢.

(٣) الأموال لأبي عبيد صـ٢٩٦.

ابن إسحاق فقد قال: " مع المؤمنين " وهو أجود، ولعل ما في كتاب الأموال مصحّف، وقد كفلت المادة (أو البند) رقم ٢٥ لليهود حريتهم الدينية، كما حددت مسئولية الجرائم وحصرتها في مرتكبها (إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ- أي لا يهلك- إلا نفسه وأهل بيته) فالمجرم ينال عقابه وإن كان من المتعاهدين (لا يحول الكتاب دون ظالم ولا آثم). . . كما أن المعاهدة امتدت بموجب البند رقم ٤٥ لتشمل حلفاء المسلمين وحلفاء اليهود من القبائل الأخرى، إذ شرطت المادة على كل طرف مصالحة حلفاء الطرف الآخر لكن المسلمين استثنوا قريشًا " إلا من حارب في الدين " لأنهم كانوا في حالة حرب معهم[1].

١٢- (من صور السماحة)- كما نرى تسامحه مع أهل الكتاب من الذين يعادون ويخالفون فيما يفتي؛ إذ يتكلمون فيه ويبلغه ذلك أخرج مسلم بسنده عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم، لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبيِّ ﷺ النبيَّ ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ إلى آخر الآية فقال رسول الله ﷺ : " "اصنعوا كل شيء إلا النكاح"، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله! إن اليهود تقول: كذا وكذا، فلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ ، فأرسل في آثارهما، فسقاهما، فعرفا أن لم يجد عليهما[2].

١٣- بل نجد سماحته مع لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي ﷺ في مشط ومشاطة وجف طلع نخل ذكر في بئر روان، وحينما أخبر عائشة بذلك قالت له: أفلا استخرجته؟ قال: قد عافاني، فكرهت أن أثير على الناس فيه شرًّا، فأمر بها فدفنت .

المشاطة وما يخرج من الشعر إذا مشط، والمشاط من مشاطة الكتان[3].

---

(١) المجتمع المدني في عهد النبوة صـ١٢٧، ١٢٨ .

(٢) مسلم (٣٠٢).

(٣) البخاري (٥٧٦٣).

وهكذا كان تسامحه مع بعض المنافقين فقد تحمل المنافق عبد الله بن أُبي ابن سلول قصة الإفك ومع ذلك فقد عفا عنه ﷺ [١] بل حينما مات عبد الله بن أُبي غطّاه بقميصه واستغفر له حتى نزل قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ (التوبة: ٨٠).

كما عفا النبي ﷺ عن عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي بينما كان النبي ﷺ يقسم فقال له: اعدل يا رسول الله، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه، قال: "دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر نضيّه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل إحدى يديه- أو قال ثدييه- مثل ثدي المرأة، أو قال مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس"، قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ ، وأشهد أن عليًّا قتلهم وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ ، قال: فنزلت فيه [٢].

إنها غاية السماحة إذ لم ينتصر رسول الله ﷺ لنفسه بل عفا عنه.

١٦- كما له مواقف أخرى مع المشركين فعن عبد الله بن مغفل المزني، قال: كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله، وكأني بغصن من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله ﷺ ، فرفعته عن ظهره، وعلي بن أبي طالب وسهيل بن عمرو بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: " اكتب بسم الله الرحمن الرحيم " فأخذ سهيل يده فقال: ما نعرف الرحمن الرحيم، اكتب في قضيتنا ما نعرف، فقال: " اكتب باسمك اللهم، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة "، فأمسك بيده فقال: لقد ظلمناك إن كنت رسولًا، اكتب في قضيتنا ما

(١) البخاري (٤٥٦٦).
(٢) البخاري (٦٩٣٣).

نعرف، فقال: " اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب، وأنا رسول الله "، قال فكتب، فبينما نحن كذلك، إذ خرج علينا ثلاثون شابًّا عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم النبي ﷺ فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: " هل جئتم في عهد أحد، أو هل جعل لكم أحد أمانًا؟ "، فقالوا: لا، فخلى سبيلهم، فأنزل الله ﷻ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم ﴾ إلى قوله ﴿ بَصِيرًا ﴾ [1].

لقد كان بإمكانه أن يأسرهم أو أن يقتلهم ولكن سماحته تأبى ذلك؛ بل قال لهم ولغيرهم من أهل مكة حينما فتحها: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

١٧- فقد تجلّت روح التسامح عند النبي ﷺ حتى في الحرب فقد قال لهم أيضًا: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن[2].

١٨- ومن تسامحه مع المشركين أيضًا أنه كان لا يمنع صلة المسلمين بأهلهم المشركين فقد أخرج البخاري بسنده عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: أتتني أمي راغبة في عهد النبي ﷺ فسألت النبي ﷺ أصلها؟ قال: " نعم " [3].

إن هذا المنهج العملي والقولي في التسامح والارتقاء فوق حظوظ النفس يؤتي أكله كل حين بإذن الله تعالى، فقد أثّر في نفوس الصحابة ﷺ والتابعين رحمهم الله ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا نرى صورًا ونماذج من التسامح التي ازدانت بها صفحات التاريخ كالخليفة

---

(١) أخرجه النسائي (٥٣١)، وأحمد في المسند ٤/ ٨٦- ٨٧، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٦٠-٤٦١ من طريق الحسين ابن واقد عن ثابت به.

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ٦/ ١٤٥، وقال ابن حجر: أخرجه أحمد، والنسائي من حديث عبد الله بن مغفل بسند صحيح الفتح ٥/ ٣١٥، والحديث أخرجه مسلم من حديث ثابت عن أنس الصحيح (١٧٨٤) بنحوه مختصرًا.

(٢) مسلم (١٧٨).

(٣) البخاري (٥٩٧٨، ٥٩٧٩).

الراشد عمر بن الخطاب ﷺ في لون آخر من التسامح مع المشركين فقد أخرج البخاري بسنده عن عبد الله بن دينار قال: " سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: رأى عمر حلة سيراء [١] تباع، فقال: يا رسول الله، ابتع هذه والبسها يوم الجمعة وإذا جاءك الوفود، قال: إنما يلبس هذه من لا خلاق له، فأُتِيَ النبي ﷺ منها بحلل فأرسل إلى عمر بحلة فقال: كيف ألبسها وقد قلت فيها ما قلت؟ قال: إني لم أعطكها لتلبسها، ولكن لتبعها أو تكسوها، فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم [٢].

وهذا أنموذج آخر في زمن معاوية ﷺ فإن الكفار لمَّا نقضوا عهدهم امتنع المسلمون من قتالهم وقالوا: وفاء بغدر خيرٌ من غدر بغدر [٣].

إنه ذروة التسامح الذي نهجه النبي ﷺ وأمر به. [٤]

المبحث الرابع: صور من سماحة الصحابة والتابعين في معاملة غير المسلمين.

إن تاريخ الإسلام شاهد على أن المسلمين لم يكرهوا أحدًا في أي فترة من فترات التاريخ على ترك دينه، فالإسلام دين العقل والفطرة ولا يقبل من أحد أن يدخله مكرهًا، تحدى الأولين والآخرين بمعجزته الخالدة، ولم يعرف في تاريخ المسلمين الطويل أنهم ضيقوا على اليهود والنصارى أو غيرهم أو أنهم أجبروا أحدًا من أي طائفة من الطوائف اليهودية أو النصرانية على اعتناق الإسلام [٥]. يقول توماس آرنولد: "لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام غير المسلمين على قبول الإسلام أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه

---

(١) السيراء بكسر السين وفتح الياء والمد نوع من البرود يخالطه حرير كالسُّيُور وقيل: الحلة من الحرير وقيل فيها خطوط من إبريسم كالسيور. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٤٣٣- ٤٣٤.

(٢) انظر تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام للإمام بد الدين بن جماعة صـ٢٣٤.

(٣) صحيح مسلم (٥٩٨١).

(٤) انظر: سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين للدكتور حكمت بن بشير في المؤتمر العالمي، موقف الإسلام من الإرهاب.

(٥) انظر عقد الذمة في التشريع الإسلامي، محمد المطردي صـ ١٧.

استئصال الدين المسيحي "[١].

لقد كان عهد الخلفاء الراشدين امتدادًا لعهد النبيﷺ وشهد صورًا من سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين من إعانتهم بالمال أو النفس عند الحاجة، ومن كفالة العاجز منهم عن العمل أو كبير السن، وغير ذلك. وهذا هو ما سار عليه الخلفاء الراشدونرضي الله عنهمفي صدر الإسلام في معاملتهم لأهل الذمة، وأسوق هنا بعض الشواهد والأمثلة التي تبين سماحة الصحابةرضي الله عنهمفي معاملة غير المسلمين.

١- في خلافة أبي بكر رضي الله عنهكتب خالد بن الوليد رضي الله عنهفي عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق- وكانوا من النصارى -: " وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيًّا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله"[٢].

إن الذين يسعون إلى تقرير التكافل الاجتماعي وبيان صوره لن يجدوا أعظم من هذه الصورة في الإسلام مع مخالفيه، فهو يتسامى بمن يعيشون في كنفه ويحوطهم برحمته وإحسانه عندما يحتاجون إلى مواساة، لأي سبب من الأسباب بل يجعلهم عيالا على بيت مال المسلمين ويرضخ له منه أيا كانت ديانتهم.

إن التكافل الاجتماعي في الإسلام لا يرضى أن يذل رجل من أهل الذمة وهو يحيا في كنف الإسلام، فيعيش على الصدقة يتكفف الناس ولكن الإسلام يحميه ويكرمه ويوجب على الدولة أن تعوله وتعول عياله[٣].

٢- وكان أبو بكر رضي الله عنهيوصي الجيوش الإسلامية بقوله: " وستمرون على قوم في الصوامع رهبانًا يزعمون أنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم "[١].

---

(١) الدعوة إلى الإسلام لتوماس آرنولدصـ ٩٩.

(٢) كتاب الخراج لأبي يوسف صـ ٣٠٦.

(٣) انظر الموسوعة في سماحة الإسلام١/ ٤٤٦.

٣- وأوصى عمر ﷺ الخليفة من بعده بأهل الذمة أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم[٢].

٤- ومر عمر بن الخطاب ﷺ بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه[٣].

٥- إن السماحة في المعاملة يجب أن تكون في ضوء ضوابط الشرع ومقاصده ومثل ذلك يتطلب أن يكون المسلم على بصيرة بهدي النبي ﷺ وسلف الأمة من الصحابة والتابعين في هذا الشأن، فمن صور السماحة في المعاملة ما روي عن عمر ﷺ أنه لما قدم الجابية من أرض الشام استعار ثوبًا من نصراني فلبسه حتى خاطوا قميصه وغسلوه، وتوضأ من جرة نصرانية. وصنع له أهل الكتاب طعامًا فدعوه فقال أين هو؟ قالوا: في الكنيسة فكره دخولها وقال لعلي ﷺ: اذهب بالناس فذهب علي ﷺ بالمسلمين فدخلوا فأكلوا وجعل علي ﷺ ينظر إلى الصور وقال: ما على أمير المؤمنين لو دخل فأكل[٤].

٦- ومن السماحة أن يراعى في معاملتهم كل مصلحة وقصد صحيح، فعن عبد الله بن قيس قال: كنت فيمن تلقى عمر بن الخطاب مع أبي عبيدة مقدمه من الشام فبينما عمر يسير إذ لقيه (المقلسون) وهم قوم يلعبون بلعبة لهم بين أيدي الأمراء إذا قدموا عليهم

---

(١) فتوح الشام للواقدي ١/ ٨.

(٢) رواه البخاري (١٣٩٢).

(٣) الخراج لأبي يوسف صـ ١٢٦.

(٤) انظر إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم ١/ ١٥٣، ١٥٧.

بالسيوف والريحان فقال عمر ﷺ: مه ردوهم وامنعوهم، فقال أبو عبيدة يا أمير المؤمنين هذه سنة العجم أو كلمة نحوها وإنك إن تمنعهم منها سروا أن في نفسك نقضًا لعهدهم فقال: دعوهم، عمر وآل عمر في طاعة أبي عبيدة[١].

٧- وصلى سلمان وأبو الدرداء رضي الله عنهما في بيت نصرانية فقال لها أبو الدرداء ﷺ: هل في بيتك مكان طاهر فنصلي فيه؟ فقالت: طهرا قلوبكما ثم صليا أين أحببتما فقال له سلمان ﷺ: خذها من غير فقيه[٢].

٨- وجاء في صفة الصفوة أن عمر بعث عميرًا عاملًا على حمص فمكث حولًا لا يأتيه خبره ولم يبعث له شيئًا لبيت مال المسلمين، فقال عمر لكاتبه: اكتب إلى عمير فوالله ما أراه إلا قد خاننا إذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل بما جبيت من فيء المسلمين حين تنظر في كتابي هذا. فأخذ عمير- لما وصله كتاب عمر- جرابه فوضع فيه زاده وقصعته وعلق إداوته وأخذ عنزته ثم أقبل يمشي من حمص حتى قدم المدينة، فقدم وقد شحب لونه، واغبر وجهه فدخل على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله! قال عمر: ما شأنك؟ قال: ما تراني صحيح البدن ظاهر الدم، معي الدنيا أجرها بقرونها؟ قال عمر: وما معك؟ وظن عمر أنه جاءه بمال. قال: معي جرابي أجعل فيه زادي، وقصعتي آكل فيها، وأغسل فيها رأسي وثيابي، وإداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي، ومعي عنزتي أتوكأ عليها وأجاهد بها عدوًّا إن عرض لي، فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي. وسأله عمر عن سيرته في قومه وعن الفيء فأخبره، فحمد فعله فيهم ثم قال: جددوا لعمير عهدًا.

قال عمير: إن ذلك شيء لا أعمله لك ولا لأحد بعدك، والله ما سلمت؛ بل لم أسلم، لقد قلت لنصراني: أخزاك الله، فهذا ما عرضتني له يا عمر، وإن أشقى أيامي يوم خلفت معك.[٣]

(١) كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام صـ ١٨٠.

(٢) انظر إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ١٥٣.

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي ١/ ٣٥٤.

لقد عظم على عمير قوله لرجل من غير المسلمين: أخزاك الله، وهو دعاء، وما ذكر خطأ اقترفه في ولايته على حمص أعظم من هذا، وفي ذلك دليل على أن هذا الدين ما جاء إلا بالرحمة والهداية وإنقاذ البشر من الضلال إلى الهدى ومن ظلمات الكفر إلى نور الطاعة، ولا عجب فمن مدرسة النبوة تخرج هذا الصحابي وغيره، ممن لا يؤذون الناس؛ بل يغمرونهم بعطفهم ورحمتهم وسماحتهم وإحسانهم، ولذا قال عنه عمر: إنه نسيج وحده، وقال: وددت أن لي رجلًا مثل عمير بن سعد استعين به على أعمال المسلمين(١).

إن الدعاء لغير المسلمين وفق ضوابط الشرع من أعظم صور التسامح في الإسلام ومن محاسنه الكبرى التي تنظر إلى الإنسان نظرة تكريم وعناية، وفي الدعاء استمالة ظاهرة لقلب المدعو فكل أحد يتمنى من الناس الدعاء له بالخير، ومن هنا قال ابن عباس رضى الله عنه لو قال لي فرعون: بارك الله فيك، قلت: وفيك، وفرعون قد مات(٢).

٩- وعن مجاهد قال: كنت عند عبد الله بن عمرو ﷺوغلامه يسلخ شاة "يا غلام إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي" فقال رجل من القوم: اليهودي أصلحك الله؟ قال: سمعت النبي ﷺ يوصي بالجار حتى خشينا أو روينا أنه سيورثه (٣).

١٠- وفي خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله كتب إلى عدي بن أرطأة: وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه(٤).

---

(١) المرجع السابق١/ ٣٥٦.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد باب: كيف يدعو للذمي؟ وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد للألباني (٨٤٧).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب: جار اليهودي، وصححه الألباني، انظر: صحيح الأدب المفرد الألباني (٩٥).

(٤) كتاب الأموال لأبي عبيد صـ ٥٧.

وهذا لون من السماحة في المعاملة والعدل الذي لا يعرف له وجود إلا في الإسلام؛ لأنه قائم على احترام الإنسانية ومعرفة حقوقها[(١)].

١١- وعندما أمر عمر بن عبد العزيز رحمه الله مناديه ينادى: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، قام إليه رجل ذمي من أهل حمص فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله قال: وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي. والعباس جالس، فقال له عمر: يا عباس ما تقول؟ قال: نعم أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد وكتب لي بها سجلًا، فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى، فقال عمر: نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد قم فاردد عليه ضيعته فردها عليه[(٢)].

١٢- وفي عهد الرشيد كانت وصية القاضي أبي يوسف له بأن يرفق بأهل الذمة حيث يخاطبه بقوله: "ينبغي يا أمير المؤمنين أيدك الله أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ ،والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا، ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ من أموالهم إلا بحق يجب عليهم"[(٣)].

بمثل هذه المعاملة ساد المسلمون الأوائل وكانت معاملتهم محط إعجاب مخالفيهم فشهدوا لهم بالسمو في أخلاقهم والتسامح في معاملتهم.[(٤)]

المبحث الخامس: المفهوم الإسلامي في العلاقات بين الأمم.

إن الأصل في العلاقة البشرية عند الإسلام، فرديًّا كان أو جماعيًّا أو دوليًّا، علاقة التعارف والتعاون والدعوة والخير، لا علاقة التصادم والاعتداء والإرهاب والشر. فالإسلام يدعو البشرية إلى التعارف والتعاون على البر والتقوى ويرفض التجاهل

---

(١) انظر الموسوعة في سماحة الإسلام، محمد الصادق عرجون١/ ٢١١.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير٩/ ٢١٣.

(٣) الخراج لأبي يوسف صـ ١٢٥.

(٤) انظر: سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين للدكتور عبد الله اللحيدان.

والتعاون على الإثم والعدوان. فقد حدد القرآن أساس العلاقة بين البشرية في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾، والتعارف الذي هو محور العلاقات بين البشر على اختلاف شعوبهم وقبائلهم، له مدلول أبعد من مجرد معرفة شخص اسم آخر؛ بل التعارف الذي يؤدي إلى أعلى تبادل المنافع وإيجاد التعاون فيما بينهم. ومن أجل هذا التعارف يتطلب طبيعة العلاقة السلمية الإيجابية. وبذلك كان السلم هو الحالة الأصلية التي تهيئ للتعارف والتعاون وإشاعة الخير بين الناس على مختلف الشعوب والقبائل. فالتعارف الهادف بين الشعوب من أكبر أسباب السلام في المجتمع الإنساني، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ .

فنظرة التعارف تؤدي إلى التعاون بين الأطراف المتعارفة، والإسلام يقيد التعاون المطلوب على أساس البر والتقوى. وهما جماع الخير والسلام للإنسانية في الدارين. أما التعاون على الإثم والعدوان الذي كثيرًا ما وقع بين أهل الدنيا فهو ممنوع في الإسلام؛ إذ هما من جماع الشرور والأضرار التي تفضي إلى الحروب والنزاعات وتؤجج نيران الصراع المدمر لمشروع السلام ولسعادة البشرية.

ومما تقدم تبين بوضوح أن الأصل في العلاقات الخارجية للأمة الإسلامية هو السلم، وأن الحرب والاعتداء أمر طارئ يحدث بسبب طارئ من اعتداء الكفار على المسلمين ودينهم. فالسلم مقرر لكل الناس ليس نتيجة الإيمان أو الأمان، وإنما من حيث الأصل وعدم الاعتداء، أما الحرب فإنما شرعت من أجل حماية الدعوة الإسلامية ودفع الضرر عن معتنقيه، وضمان سير الدعوة الإسلامية التي تحمل راية الرحمة والسلام. كما أثبتت تاريخيًّا الحروب التي خاضها رسول الله ﷺ مع الكفار عن طريق الغزوات والسرايا، فإنها لا تخرج عن الأسباب المشروعة لها. وأغلب هذه الحروب تكون في موقف الدفاع برد العدوان الواقع فعلًا. والله أعلم.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: تفضيل السلم على الحرب إذا جنح العدو لها، إيثارًا لها على الحرب التي لا تقصد لذاتها؛ بل هي ضرورة من ضرورات الاجتماع، فتقدر بقدرها، وذلك قوله تعالى عقب الأمر بإعداد كل ما تستطيع الأمة من قوة ومرابطة لإرهاب عدوه وعدوها: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾، ولما كان جنوح العدو للسلم قد يكون خديعة لنا لنكف عن القتال ريثما يستعدون هم له أو لغيره، وكان من المصلحة في هذه الحال أن لا نقبل الصلح منهم ما لم نستفد كل ما يمكننا منه تفوقنا عليهم، لم يعد الشارع احتمال ذلك مانعًا من ترجيح السلم؛ بل قال ﷻ: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾. وهو برهان على أن الإسلام دين السلام، لكن عن قدرة وعزة، لا عن ضعف وذلة.

فالإسلام دين يرفض العنف ويمنع العدوان وينشر السلام، ويوطد معاني العدالة والتسامح وسمو الحوار الهادف والتواصل الإيجابي بين الناس. فهو يضع أفضل الأسس للعلاقات بين الدول وهو العدل ولا يجعل الأساس لهذه العلاقات المصلحة القومية والقوة المادية كما هو السائد في الجاهلية ثم في الحضارة المعاصرة. وقد جرب العالم دوما أن إقامة العلاقات بين الدول على أساس المصلحة القومية والقوة المادية كان سبب الحروب الطاحنة، كما وقع في الحروب العالمية المشهودة بشراستها في القرن الماضي ومطالع هذا القرن، والإسلام بريء منها، ولا عجب؛ فهذا المبدأ لا يختلف عن مبدأ أي قطاع طريق أو عصابة إجرام؛ بل أي تجمع من تجمعات الحيوانات المفترسة في الغابة.

وأكبر دليل على أن الإسلام دين السلام أنه لا يشجع الحرب والعنف؛ بل يأتي لوقف الحروب الجاهلية الكثيرة وحماية الحقوق الإنسانية خاصة بين الأوس والخزرج فجاء الإسلام وأصلح بينهما صلحًا يوصلها إلى شاطئ العزة والوئام تبين ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

يقول ابن كثير: وهذا السياق في شأن الأوس والخزرج، فإنه كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية وعداوة شديدة وضغائن، طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم، فلمّا جاء الله بالإسلام فدخل فيه من دخل منهم صاروا إخوانًا متحابين بجلال الله متواصلين في ذات الله، متعاونين على البر والتقوى"، ويقول ﷺ : يا أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، وإذا لقيتموه فاصبروا" .

بل قد حرم الإسلام قتل الكافر المعاهد أو الذمي الذي يعيش تحت نفوذ الحكومة الإسلامية، ومن ارتكبه فقد ارتكب جرمًا عظيمًا حتى حرم الله عليه الجنة، حفاظًا على أمن المجتمع. يقول ﷺ : من قتل معاهدًا- وفي اللفظ: من قتل قتيلًا من أهل الذمة- لم يرح رائحة الجنة . . . ". وقال ﷺ : من قتل معاهدًا في غير كنهه حرم الله عليه الجنة .

ومن هذا المنطلق حدد الإسلام علاقات الأمة الإسلامية بالآخرين، كما في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

فالإسلام دين الرحمة وشريعة السلام، وهو دين يدعو إلى التعايش السلمي، وإلى صون الحق الإنساني، وحسن العلاقات مع الآخرين من دون ربط لهذا الحق بدين أو اعتقاد أو عرق أو لون. . . ، فهم في الوقت نفسه مدعوون إلى الإسلام والسلام. ولا يأتي الإسلام بالحرب إلا للضرورة القصوى وقمع الاعتداء ورد الظلم والانتصار للمظلومين ولضمان انتشار دعوة دين الرحمة والسلام. ويمنع الظلم والعدوان والعنف والطغيان على الخلق جميعًا. قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ . إنه دين الرحمة والعدالة ورسالة الشمول والتوازن التي لا يمكن للعالم أن يشفى من أدوائه إلا بها.

على أية حال فإن الإسلام لا يدعو إلى الحرب، ولا يسمح بقيامها إلا إذا كانت في سبيل الله بأحكامها وشروطها وآدابها السامية، ولا يتخذ القرار بهذا الشأن إلا إمام المسلمين العام، لا أي فرد ولا أيّة طائفة. بل لا يجوز أن تؤجج نار الحرب إلاّ عقب مقدّمات من الدعوة الصحيحة إلى الإسلام. وذلك لتحقيق أحد هذه الأغراض السامية وهي:

١- رد الظلم والعدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والدين والوطن.

٢- تأمين حرية الاعتقاد والتدين للمؤمنين الذين يحاول المعتدون من الكفار أن يفتنوهم عن دينهم، ويسدوا أمامهم طريق الحرية في التفكير والاعتناق.

٣- حماية الدعوة الإسلامية التي تحمل الرحمة والأمن والسلام حتى تبلغ إلى الخلق جميعًا.

٤- تأديب ناكثي العهد من المعاهدين أو الفئة الباغية على جماعة المؤمنين التي تتمرد على أمر الله وتأبى حكم العدل والإصلاح.

٥- إغاثة المظلومين من المؤمنين أينما كانوا والانتصار لهم من الظالمين والمعتدين.

فلابد من أن نفرق بين الإرهاب الممنوع المؤدي إلى الضرر والهلاك وبين الجهاد المشروع المؤدي إلى تحقيق العدل والأمن وقمع أسباب الإرهاب والدمار[١]. والإرهاب في المصطلح الغربي المعاصر: لا يفرق بين المحق والمبطل فمقاومة المحتل والرد عليه تسمى إرهابًا عندهم والاستسلام له يسمى سلامًا وتعاونًا؛ بل ولو طال بهم زمان لسموا كل مسلم إرهابيًّا[٢].

المبحث السادس: شهادات منصفة من غير المسلمين.

شهادة من نصارى الشام: منذ بداية ظهور الإسلام في القرن السابع كتب النصارى في الشام سنة ١٣هـ أي في القرن السابع الميلادي إلى أبي عبيدة بن الجراح ﷺيقولون: "يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا"[٣].

---

(١) انظر: الإرهاب والعنف والتطرف في ميزان الشرع د/ إسماعيل لطفي- اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي من موقف الإسلام من الإرهاب ١٤٢٥هـ.

(٢) انظر الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف د/ على الشبل- اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

(٣) فتوح البدان، البلاذري صـ ١٣٩. وانظر: الدعوة إلى الإسلام، توماس آرنولد، صـ ٧٣، وكتاب الخراج، أبو يوسف، صـ ١٣٩.

واستمر هذا النهج في معاملة غير المسلمين عبر تاريخ الإسلام.

شهادة توماس آرنولد: وهو أبرز من أرخ لانتشار الإسلام في كتابه "الدعوة إلى الإسلام" فإنه يؤكد على حقيقة السماحة الإسلامية فيقول: (إنه من الحق أن نقول: إن غير المسلمين قد نعموا بوجه الإجمال في ظل الحكم الإسلامي بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلًا في أوروبا قبل الأزمنة الحديثة، وإن دوام الطوائف المسيحية في وسط إسلامي يدل على أن الاضطهادات التي قاست منها بين الحين والآخر على أيدي المتزمتين والمتعصبين كانت من صنع الظروف المحلية أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح)[1].

ويضيف: كان المسيحيون يعيشون في مجتمعهم آمنين على حياتهم وممتلكاتهم ناعمين بمثل هذا التسامح الذي منحهم حرية التفكير الديني. تمتعوا وخاصة في المدن بحالة من الرفاهية والرخاء في الأيام الأولى من الخلافة"[2].

وقال: اجتذبت الدعوة المحمدية إلى أحضانها من الصليبيين عددًا مذكورًا حتى في العهد الأول، أي في القرن الثاني عشر، ولم يقتصر ذلك على عامة النصارى؛ بل إن بعض أمرائهم وقاداتهم انضموا أيضًا إلى المسلمين في ساعات انتصارات المسيحيين، فهل يمكن أن نقول: إن الإسلام انتشر بين الصليبيين بالقوة؟

شهادة يوحنا النقيوسي: وفي أقدم كتب التاريخ النصرانية حديث عن سماحة عمرو بن العاص مع نصارى مصر. وكيف أن تحرير الإسلام لهم من قهر الرومان وهزيمة الاستعمار الروماني بمصر على يد الجيش الإسلامي الفاتح إنما كان انتقامًا إلهيًّا من ظلم الرومان لمصر، واضطهادهم لنصارى مصر. ففي تاريخ "يوحنا النقيوسي" وهو معاصر للفتح وشاهد عليه.

---

(١) الدعوة إلى الإسلام توماس أرنولد صـ٧٢٩-٧٠٣، ترجمة د/ حسن إبراهيم حسن. د/ عبد المجيد عابدين إسماعيل النحراوي.

(٢) انظر الدعوة إلى الإسلام توماس آرنولد صـ ٨١.

إن الله الذي يصون الحق لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين ولم يرحمهم لتجرئهم عليه، وردهم إلى يد الإسماعيليين -(العرب المسلمين)- ثم نهض المسلمون وحازوا كل مدينة في مصر. وكان هرقل حزينًا. وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا في مدينة مصر وبأمر الله الذي يأخذ أرواح حكامهم. مرض هرقل ومات. وكان عمرو بن العاص يقوى كل يوم في عمله، ويأخذ الضرائب التي حددها، ولم يأخذ شيئًا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئًا ما سلبًا أو نهبًا وحافظ على -الكنائس- طوال الأيام[1].

إنها شهادة شاهد عيان نصراني على هذه السماحة الإسلامية التي تجسدت على أرض الواقع ومتى؟ قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان! وهي سماحة نابعة من الدين الإسلامي. وليست كحقوق المواطنة التي لم تعرفها المجتمعات العلمانية إلا على أنقاض الدين، وبعد ما استقبل عمرو بن العاص البطريرك القبطي "بنيامين" وأمنه على نفسه، وكنائسه، ورعيته، وحرية عقيدته؛ بل وطلب منه أن يدعو له: أخذ "بنيامين" في زيارة كنائسه، وفي إعادة افتتاحها، وكان الناس يستقبلونه فرحين مرددين العبارات التي تشهد على أن هذا الفتح الإسلامي إنما هو عقاب إلهي للرومان جزاء الظلم الذي أوقعوه بالنصارى المصريين.

وعن هذه الحقيقة من حقائق سماحة التحرير الإسلامي لشعوب الشرق يقول الأسقف "يوحنا النقيوسي" في أقدم تأريخ للفتح الإسلامي لمصر كتبه شاهد عيان:

ويدخل الأنبا بنيامين بطريرك المصريين مدينة الإسكندرية بعد هروبه من الروم في العام ١٣ (أي العام الثالث عشر من تاريخ هروبه)، وسار إلى كنائسه، وزارها كلها، وكان الناس يقولون: هذا النفي، وانتصار الإسلام كان بسبب ظلم هرقل الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين على يد البابا كيرس البطريرك المعين من قبل الدولة الرومانية في

(١) تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي؛ رؤية قبطية للفتح الإسلامي صـ٢٠١-٢٢٠، ترجمة ودراسة د/ عمر صابر عبد الجليل.

مصر وهلك الروم لهذا السبب وساد المسلمون مصر[١].

ولقد عبر الأنبا بنيامين عن الأمان الذي أحلته سماحة الإسلام بمصر على أنقاض القهر والاضطهاد اللذين مارسهما الرومان – النصارى- ضد نصارى مصر! فقال وهو يخطب في دير "مقاريوس": لقد وجدت في الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون[٢].

أما رجل الدين المسيحي – القبطي- ميخائيل السرياني فإنه يقول عن تحرير الفتح الإسلامي للنصرانية المصرية وعن سماحة الإسلام مع نصارى مصر:

لم يسمح الإمبراطور الروماني لكنيستنا المونوفيزيقية – (القائلة بالطبيعة الواحدة للمسيح)- بالظهور، ولم يصغ إلى شكاوى الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التي نهبت، ولهذا قد انتقم الرب منه، لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدي الرومان، وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية وعشنا في الإسلام[٣].

شهادة المستر وينتروب كيهمبال الإنجليزي، فيما صرح به بشأن تعاليم الإسلام ووصفها ما نصه:

"ولم ينتشر الإسلام في العالم أجمع هذا الانتشار العجيب من أقصى شواطئ المحيط الهادي، إلى أقصى شواطئ المحيط الأطلانتيكي، في مدة قصيرة، إلا إنه قد امتاز بالمساواة والعدالة. وفي المدة الأخيرة ترى الدين الإسلامي يكتسح بلاد الملايو والصين واليابان والهند وأوروبا، لا بالسيف! ولكن بالعدالة والمساواة، وحرية الفكر ونشر روح الإخاء الحقيقي العملية، ومما يجدر بنا أن نلاحظ أن الإسلام ينتشر الآن في بلاد لم يصلها الحكم

---

(١) المصدر السابق صـ٢٢٠.

(٢) المصدر السابق صـ٢٢٠.

(٣) تاريخ مصر في العصر البيزنطي د/ صبري أبو الخير سليم صـ٦٢.

الإسلامي، ولم تعرف فتوحات الإسلام، ولكن الإسلام كما هو معروف عنه، إنما ينتشر كانتشار النور لا يشد تياره شيء".

شهادة السير سي بي راي الإنجليزي في ضمن ما صرح به في وصف الإسلام ما نصه:

". . . وإن الإسلام بطريقته المثلى استطاع التقدم من حدود الباسفيكي إلى حدود المحيط الأطلانتيكي، وبعد هذا سار الإسلام بخطوات واسعة في شبه جزيرة ملايو، وليس بسبب وجود السيف ولكن بسبب سياسته الطيبة الحرة".

شهادة توماس كارليل: في كتابه (الأبطال وعبادة البطولة) اتخذ فيه محمدًا ﷺ مثلًا لبطولة النبوة، فقال ما معناه: "إن اتهام محمد بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم، إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه، ليقتل به الناس أو يستجيبوا لدعوته، فإذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم فقد آمنوا طائعين مصدقين، وتعرضوا للحرب من أعدائهم قبل أن يقدروا عليها".

شهادة مسيو أوجين يوغ الفرنسي في كتابه "يقظة الإسلام والعرب": "إن الإسلام عدا أنه دين ونهج سياسي حكيم، فإنه زبدة مختارة من البساطة والعدل، وهو كذلك النهج الاشتراكي الذي لا يمكن للعالم أن يتوفق إلى إيجاد نهج مثله من حيث سعة انتشاره، ومطابقته لمقتضيات العالم، وهو كذلك العدو الألد للاستعمار والشيوعية، ويلائم جميع الظروف، ويسير مع جميع المدنيات، وهذا هو السبب (لا غيره) الذي جعله يصادف انتشارًا واسعًا وسريعًا، وأن هذا الانتشار لدليل على أن الإسلام يوافق أمزجة البشر على اختلاف الجنسيات والنزعات والمشارب".

شهادة مسيو هنري دي كاسبري: في كتابه "الإسلام تأثرات ومباحث": "وهذه المحاسنة العظيمة من جهة المنتصر (المسلمين) للمقهور هي التي ضعضعت الديانة النصرانية جدًّا، حتى زالت بالمرة من شمال أفريقيا، على أن الإسلام لم يكن له دعاة يقومون بنشره (كما أن للنصرانية دعاة) ولم يكره على الأخذ (بالدين الإسلامي) أحدًا، بالسيف،

ولا باللسان، بل دخل القلوب عن حب واختيار، وكان هذا من آثار ما أودع في القرآن من صفات التأثير والأخذ بالألباب"[١].

تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: لعل من أهم عوامل انتصارات العرب ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم، فما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب والوحشية إن هو إلا مجرد أسطورة من نسج الخيال، تكذبها آلاف من الأدلة القاطعة عن تسامحهم وإنسانيتهم في معاملاتهم مع الشعوب المغلوبة. والتاريخ لا يقدم لنا في صفحاته الطوال إلا عددًا ضئيلًا من الشعوب التي عاملت خصومها والمخالفين لها في العقيدة بمثل ما فعل العرب. وكان لمسلكهم هذا أطيب الأثر مما أتاح للحضارة العربية أن تتغلغل بين تلك الشعوب بنجاح لم تحظ به الحضارة الإغريقية ببريقها الزائف ولا الحضارة الرومانية بعنفها في فرض إرادتها بالقوة)[٢].

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ هذا ما أمر به القرآن الكريم، وبناء على ذلك فإن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام. فالمسيحيون والزرادشتيون واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها، سمح لهم جميعًا دون أي عائق يمنعهم، بممارسة شعائر دينهم. وترك لهم المسلمون بيوت عباداتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى. أَوَ ليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال ومتى؟ ومن ذا الذي لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ وبعد فظائع الأسبان واضطهادات اليهود؟ إن السادة والحكام المسلمين الجدد لم يزجوا بأنفسهم في شئون تلك الشعوب الداخلية. فبطريرك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع الميلادي لأخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب: إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البتة، وهم لا يستخدمون معنا أي عنف)[٣].

---

(١) نقلًا من كتاب الإسلام الدين الفطري للطرازي صـ٩٦ وما بعدها.

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب صـ٣٥٧-٣٥٨.

(٣) شمس العرب تسطع على الغرب صـ٣٦٤.

(إن الإنسانية والتسامح العربي هما اللذان دفعا الشعوب ذات الديانة المختلفة إلى أن تعيش في انسجام مدهش، وأن تبدأ نموها وتوسعها وازدهارها، ولأول مرة يتحرر أصحاب المذاهب المسيحية من اضطهاد كنيسة الدولة فتنتشر مذاهبهم بحرية ويسر، واستطاع العربي بإيمانه العميق أن يكون أبلغ سفير وداعية لديانته، لا بالتبشير وإيفاد البعثات وإنما بخلقه الكريم وسلوكه الحميد. فكسب بذلك لدينه عددًا وفيرًا لم تكن أية دعاوى مهما بلغ شأوها لتستطيع أن تكسب مثله)[١].

(إن الأديرة المسيحية في سورية، التي كادت أن تنمحي في عصر الحكم المسيحي وصلت إلى ذروة عظمتها في الدولة الإسلامية، أوليس هذا بغريب؟)[٢].

أوليس من العجيب أن نتساءل لماذا نفسر كما يحلو لنا، والعرب المسلمون قد فتحوا فعلًا جزءًا من أوربة هو الأندلس، فلم يقضوا على المسيحية التي يزعمون أن شارل مارتل قد حماها، ولم يقضوا على المدينة الغريبة التي لم يكن لها وجود؟)[٣].

شهادة غوستاف لوبون: فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم[٤]. ويتحدث عن صور من معاملة المسلمين لغير المسلمين فيقول: وكان عرب أسبانيا خلال تسامحهم العظيم يتصفون بالفروسية المثالية، فيرحمون الضعفاء، ويرفقون بالمغلوبين، ويقفون عند شروطهم، وما إلى ذلك من الخلال التي اقتبسها الأمم النصرانية بأوربا منهم مؤخرًا. [٥]

---

(١) المرجع نفسه صـ٣٦٦-٣٦٧.

(٢) المرجع نفسه صـ٣٦٨.

(٣) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، دار صادر، بيروت، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي صـ٥٤٠-٥٤١.

(٤) انظر: حضارة العرب، غوستاف لوبون، صـ ٧٢٠.

(٥) حضارة العرب، غوستاف لوبون، صـ ٣٤٤، وانظر: السلوك أثره في الدعوة إلى الله، فضل إلهي، إدارة ترجمان الإسلام صـ ١٦٤.

شهادة هنري دي شامبون: مدير مجلة "ريفي بارلمنتير" الفرنسية: لولا انتصار جيش شارل مارتل الهمجي على العرب المسلمين في فرنسا لما وقعت بلادنا في ظلمات القرون الوسطى، ولما أصيبت بفظائعها، ولا كابدت المذابح الأهلية التي دفع إليها التعصب الديني المذهبي، لولا ذلك الانتصار الوحشي على المسلمين في بواتييه لظلت أسبانيا تنعم بسماحة الإسلام، ولنجت من وصمة محاكم التفتيش، ولما تأخر سير المدنية ثمانية قرون، ومهما اختلفت المشاعر والآراء حول انتصارنا ذاك فنحن مدينون للمسلمين بكل محامد حضارتنا في العلم والفن والصناعة، مدعوون لأن نعترف بأنهم كانوا مثال الكمال البشري في الوقت الذي كنا فيه مثال الهمجية(١).

شهادة المستشرق دوزي: "إن تسامح ومعاملة المسلمين الطيبة لأهل الذمة أدى إلى إقبالهم على الإسلام، وأنهم رأوا فيه اليسر والبساطة مما لم يألفوه في دياناتهم السابقة"(٢).

شهادة بارتولد(٣): كانت في بلاد الخلافة الممتدة من رأس سان فنسنت الواقعة جنوبي البرتغال إلى سمرقند مؤسسات مسيحية غنية، قد حافظت على أملاكها غير المنقولة الموقوفة عليها. وكان نصارى بلاد الخلافة يتعاملون مع عالم النصرانية بدون مشقة، ويتمكنون من أن يتلقوا منهم إعانات لمؤسساتهم الدينية، وكان في المؤتمر الديني الذي

---

(١) نقلًا عن: صـور من حياة التابعين، عبد الرحمن الباشاصـ ٤٢٠.

(٢) انظر: تاريخ أهل الذمة في العراق صـ ٧٠ نقلًا عن: نظرات في تاريخ الإسلام، دوزي، صـ٤١١.

(٣) ق بارتولد ١٨٧٩-١٩٣٠- V. Barghold. تخرج من جامعة بطرسبرغ ١٨٩١، وعين أستاذًا لتاريخ الشرق الإسلامي فيها ١٩٠١، فكان أول من درس تاريخ آسيا الوسطى. وعني بالشرق الإسلامي وحقق المصـادر العربية المتعلقة به، وتخرج عليه عدد من المستشرقين. وقد انتخب عضوًا في مجمع العلوم الروسي ١٩١٢ ورئيسًا دائمًا للجنة المستشرقين فيه بعد الثورة البلشفية حتى وفاته.

تربو آثاره على الأربعمائة، أشهرها: تركستان عند غزو المغول لها- في مجلدين ١٨٩٨-١٩٠٩-، تاريخ دراسة الشرق في أوروبا وآسيا- ١٩١١، حضارة الإسلام- ١٩١٨، تاريخ تركستان- ١٩٢٢، مغول الهند- ١٩٢٨، تاريخ أتراك آسيا الوسطى- ١٩٣٤ وغيرها.

انعقد في القسطنطينية سنة ٦٨٠-٦٨١م مندوب من القدس أيضًا. ثم إن المسيحيين المقيمين ببلاد الخلافة كانوا مرتبطين بعضهم ببعض ارتباطًا وثيقًا)[١].

انتشر الدين الإسلامي في القرن الرابع للهجرة في قبائل الترك الرحل وفي بعض مدن التركستان الصينية بواسطة التجارة، وبدون استخدام أي سلاح فكان الأتراك الذين استولوا على البلاد الإسلامية في القرن الرابع الهجري مسلمين)[٢].

"إن النصارى كانوا أحسن حالًا تحت حكم المسلمين؛ إذ إن المسلمين اتبعوا في معاملاتهم الدينية والاقتصادية لأهل الذمة مبدأ الرعاية والتساهل"[٣].

يقول يعقوب نخلة (١٨٤٧-١٩٠٥م) صاحب كتاب "تاريخ الأمة القبطية":

(ولما ثبت قدم العرب في مصر شرع عمرو بن العاص في تطمين خواطر الأهليين، واستمالة قلوبهم إليه، واكتساب ثقتهم به، وتقريب سراة القوم وعقلائهم منه، وإجابة طلباتهم).

وأول شيء فعله من هذا القبيل: استدعاؤه بنيامين البطريرك للحضور، والذي اختفى من أيام هرقل ملك الروم فكتب أمانًا وأرسله إلى جميع الجهات يدعو فيها البطريرك للحضور؛ ولا خوف عليه ولا تثريب، ولما حضر وذهب لمقابلته؛ ليشكره على هذا الصنيع أكرمه وأظهر له الولاء، وأقسم له بالأمان على نفسه وعلى رعيته، وعزل البطريرك الذي كان أقامه هرقل، ورد بنيامين إلى مركزه الأصلي معززًا مكرمًا، وكان بنيامين موصوفًا بالعقل والمعرفة والحكمة حتى سماه بعضهم الحكيم، وقيل: إن عمرًا لما تحقق ذلك منه قربه إليه، وصار يدعوه في بعض الأوقات يستشيره في الأحوال المهمة المتعلقة بالبلاد وخيرها، وقد حسب الأقباط هذا الالتفات منه عظيمة وفضلًا جزيلًا لعمرو، واستعان عمرو في تنظيم البلاد بفضلاء القبط وعقلائهم على تنظيم حكومة عادلة تضمن راحة

---

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية صـ٥٤.

(٢) المرجع نفسه صـ١٢٢.

(٣) تاريخ أهل الذمة في العراق لتوفيق سلطان، صـ ١٢٤، نقلًا عن الحضارة الإسلامية، بارتولد، صـ ١٩.

الأهالي، فقسم البلاد إلى أقسام يرأس كلا منها حاكم قبطي ينظر في قضايا الناس، ويحكم بينهم، ورتب مجالس ابتدائية واستئنافية مؤلفة من أعضاء ذوي نزاهة واستقامة، وعين نوابًا من القبط، ومنحهم حق التدخل في القضايا المختصة بالأقباط، والحكم فيها بمقتضى شرائعهم الدينية والأهلية، وكانوا بذلك في نوع من الحرية والاستقلال المدني وهي ميزة كانوا قد جردوا منها في أيام الدولة الرومانية.

وضرب عمرو بن العاص الخراج على البلاد بطريقة عادلة، وجعله على أقسام في آجال معينة حتى لا يتضايق أهل البلاد، وبالجملة فإن القبط نالوا في أيام عمرو بن العاص راحة لم يروها من أزمان[1].

هكذا تعلن هذه الشهادة القبطية التي نشرتها في طبعتها الثانية مؤسسة مارمرقس لدراسة التاريخ أن الفتح الإسلامي والسماحة الإسلامية قد حررا الأرض، والضمير، والإنسان. فأصبحت حكومة مصر لنصارى مصر لأول مرة في تاريخ النصرانية المصرية، كما شملت السماحة الإسلامية العدل في الاقتصاد والاجتماع، وجعلت الحاكمية لشرائع القبط الدينية والأهلية فيما هو خاص بأحوالهم الدينية، التي تركوا فيها وما يدينون.

وحتى يحافظ الأقباط على نعمة هذا التحرير وهذه السماحة الإسلامية فلقد هبوا عندما عاد الرومان إلى احتلال الإسكندرية سنة ٢٥هـ ٦٤٦م: في عهد الراشد الثالث عثمان بن عفان (٤٧ق. هـ. ٣٥هـ ٥٣٧-٦٥٦م)، هبوا إلى القتال مع الجيش المسلم ضد الرومان النصارى، وطلبوا من الخليفة إعادة عمرو بن العاص لقيادة المعركة فعاد إلى مصر واستخلص الإسكندرية ثانية من أيدي الرومان، وبعبارة صاحب كتاب "تاريخ الأمة القبطية": فإن المقوقس والقبط تمسكوا بعهدهم مع المسلمين، ودافعوا عن المدينة (الإسكندرية) ما استطاعوا؛ واجتمعت كلمة القبط والعرب على أن يطلبوا من الخليفة أن

---

(١) يعقوب نخلة تاريخ الأمة القبطية صـ٥٤-٥٧، تقديم د/ جودت جبرة.

يأذن لعمرو بن العاص في العودة إلى مصر لمقاتلة الروم لتدربه على الحرب وهيبته في عين العدو، فأجاب الخليفة طلبهم، وكان القبط يحاربون مع العرب، ويقاتلون الروم خوفًا من أن يتمكنوا من البلاد ويأخذونها فيقع الأقباط في يدهم مرة أخرى)[١].

الفيلسوف المعروف "وولتر"[٢]: في سلسلة ما صرح به في وصف رسول الإسلام، محمد بن عبد الله ﷺ، ما نصه: "وليس بصحيح ما يدعى من أن الإسلام استولى بالسيف قهرًا، على أكثر من نصف الكرة الأرضية؛ بل كان سبب انتشاره شدة رغبة الناس لاعتناقه، بعد أن أقنع عقولهم. وإن أكبر سلاح استعمله المسلمون لبث الدعوة الإسلامية هو اتصافهم بالشيم العالية، اتباعًا بالنبي محمد ﷺ ".

وفي الختام قال وولتر: "وهذا القول النزر (القليل) مني يكفي لتفنيد كل ما ذكره لنا مؤرخونا وخطباؤنا فارتكز به في ضمائرنا كثير من الأوهام الباطلة والأراجيف المتوارثة (بشأن الدين الإسلامي) لأن من الواجب أن يدحض الباطل الحق".

المبحث السابع: الإسلام يدعو إلى احترام العهود والمواثيق.

الإسلام يدعو إلى احترام العهود والمواثيق إلى أبعد ما يظن كثير من محبي الأمن والسلام ويتجلى ذلك في الأحكام الآتية:

١- حرم القرآن الكريم على المسلمين محاربة الكفار الذين لم يوافقوا أقوامهم على حرب المسلمين، (وبرهنوا على ميلهم للسلم) وذلك باعتزال قومهم، والذهاب إلى دار الإسلام، أو إلى دار قوم بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾ (النساء: ٩٠).

---

(١) المصـدر السابق صـ٥٨-٥٩.

(٢) فرانسوا ماري أروئة، الفرنسي ١٦٩٤ - ١٧٧٨م-.

٢- أوجب القرآن الكريم إجارة المشرك والسماح له بالدخول إلى دار الإسلام إذا استجار بالمسلمين، لعل ذلك يمكنه من سماع كلام الله تعالى فيعرف الحق من الباطل، ثم أوجب على المسلمين أن يضمنوا أمنه وسلامه حتى يصل إلى مأمنه، في حالة بقائه على شركه ما دام مسالمًا ولم يقدم أذى لمسلم. قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ (التوبة: ٦).

٣- سوى القرآن الكريم بين دماء المعاهدين الذين يحترمون العهود والمواثيق ودماء المسلمين، ففرض على المؤمن إذا قتل أحدهم على سبيل الخطأ الدية، وهي نفس ما فرض عليه إذا قتل مؤمنًا على وجه الخطأ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا﴾ (النساء: ٩٢)، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ (النساء: ٩٢) وذلك حسب ما قرره الفقهاء من دلالة الآية الكريمة.

هذا هو موقف القرآن الكريم من الذين يحترمون العهود والمواثيق.

(موقف القرآن الكريم من الذين لا يحترمون العهود بعد إبرامها).

أما الذين لا يحترمون العهود بعد إبرامها وإنما يتخذونها ذريعة ووسيلة يحتمون وراءها حينما يشعرون بضعف جانبهم، حتى إذا لاحت لهم الفرصة نقضوها وأشعلوها نار حرب من جديد، أما هؤلاء فقد أباح الله سبحانه وتعالى للمسلمين نبذ عهودهم واستئناف حالة الحرب معهم، وحثهم على تأديبهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (الأنفال ٥٥: ٥٧)، وقال تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي

دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ (التوبة: ١٢).

وهذا هو المبدأ الذي طبق مع الذين نزلت فيهم براءة من الله ورسوله، فقد أعلن الله سبحانه وتعالى براءته وبراءة الرسول ﷺ من هؤلاء المشركين، الذين لم يحترموا عهدًا ولم يراعوا ذمة ونبذ إليهم ما كان لهم من ميثاق؛ قال تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾﴾ (التوبة: ١).

وأكد السبب في براءته منهم ونبذ عهودهم عندما أعلن الحفاظ على العهد وإتمام مدته مع الذين حافظوا عليه. قال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة: ٤). ثم أكد مرة أخرى فقال: كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

٢- من المبادئ العظيمة التي قررها القرآن الكريم. أن الغدر حرام، وأن مفاجأة الآمن بالشر لا تصح شرعًا ولا تجوز، وتقريرًا لهذا المبدأ:

(أ) فقد حرم على المسلمين أن يستبيحوا لأنفسهم نقض العهد من جانبهم إذا رأوا المصلحة في ذلك- دون أن يعلنوا الجانب الآخر بما اعتزموا عليه، قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

(ب) ولم يجعل مجرد نبذ العهد وإعلان الخصم به مبيحًا للقتال العاجل وإنما أوجب إعطاءه مهلة لتغليب الأمر، وتدبير الشأن ويكون آمنًا فيها على نفسه، ونجد تطبيق ذلك مع الذين أعلن الله براءته وبراءة رسوله منهم، حيث يقول تعالى في إعلانهم: ﴿فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ثم يقول للمسلمين: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ٥).

الفصل الثاني: شبهة انتشار الإسلام بالسيف.

ما زال أعداء الإسلام قديمًا وحديثًا يرددون شبهتهم العارية عن الدليل بأن الإسلام دين إرهابي، وأنه انتشر بالسيف، وفرض نفسه على الشعوب بالقهر والغلبة، وهاهي بعض أقوالهم في ذلك: "يتحتم على المسلم أن يعلن العداوة على غير المسلمين حيث وجدهم؛ لأن محاربة غير المسلمين واجب ديني"(١).

"من الثابت أن الإسلام لم يكن يصادف نجاحًا إلا عندما كان يهدف إلى الغزو"(٢).

ويرجع كل من "مور" و"غيتاني": "ازدياد عدد المؤمنين إلى الانتصارات العسكرية، وإكراه الناس على الدعوة الموجودة في تعاليم الإسلام"(٣).

"وأخضع سيف الإسلام شعوب أفريقية وآسية شعبًا بعد شعب"(٤).

"إن تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح"(٥).

"في القرن السابع للميلاد برز في الشرق عدو جديد، ذلك هو الإسلام الذي أسس على القوة، وقام على أشد أنواع التعصب، لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه. وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب، ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذَّات"(٦).

"وقد أمر محمد أتباعه أن يحملوا العالم كله على الإسلام بالسيف إذا اقتضت الضرورة"(٧).

---

(١) راجع كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية: صـ ٧٨.

(٢) راجع Caetani vol ،١ col ٢ :Muir ٦٦٣ .p ،IV ،٨٨ -١٠٧ .PP وفردريك دينسون موريس في The Religions of the Word P. ٢٨ Cambrige ،١٨٥٢.

(٣) الدعوة إلى الإسلام صـ٤٦٩: The religions of the World ،P. ٢٨ Cambridge ،١٨٥٢.

(٤) التبشير والاستعمار صـ ٤١. عن Islam And Mission: ٤٣

(٥) هذا كلام: لطفي ليفونيان: Levonian ٩.

(٦) كتاب البحث عن الدين الحقيقي تأليف المنسينور كولي. صـ ٢٢٠.

(٧) كتاب تاريخ محاضرات ج. أيزاك. للشرق الأدنى صـ ٣٢. والكتاب يدرس لطلاب الصف الخامس في المدارس الفرنسية في بيروت.

"إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس: "أسلموا أو موتوا".

"بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرّهم وإحسانهم"[(١)].

تفنيد الشبهة والجواب عنها من وجوه:

الوجه الأول: السلام خصوصية إسلامية.

مفردات السلام كثيرة ومتعددة سواء في القرآن الكريم، أو في الحديث الشريف:

١ - السلام اسم من أسماء الله ﷻ: وفي هذا يقول القرآن الكريم: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الحشر: ٢٣).

فقد أراد الله سبحانه أن يجعل من اسمه عنوانًا لرسالته، ومهمة لأنبيائه ورسله يبشرون بها ويعملون بوحيها.

٢ - الجنة دار السلام: سماها الله سبحانه وتعالى بذلك حين قال: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ (يونس: ٢٥)، وهي دار المتقين التي فيها مستراحهم ومستقرهم، والتي تهفوا إليها أرواح المؤمنين كافة.

٣- السلام دعوة إسلامية: فقد خاطب الله المؤمنين كافة بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ (البقرة: ٢٠٨) إذ عد الامتناع عن الدخول في السلم اتباعًا لخطوات الشيطان الذي هو العدو الواضح العداوة للمؤمنين.

٤ - السلام تحية المسلمين الدائمة: ورد عن أبي هريرة ﷺ، عن الرسول ﷺ أنه قال: "لما خلق الله آدم قال: اذهب فسلّم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه

---

(١) كتاب تاريخ فرنسة تأليف هـ. غيومان وف. لوسيتر. صـ ٨٠- ٨٢ وكان يدرس في لبنان.

رحمة الله". [١]

فالله تعالى يُعلِّم أبا البشرية كيف تكون التحية وما هي ألفاظها، وكأن السلام تحية الله سبحانه لعباده المؤمنين، وعليهم أن يردوا بما يليق بها.

نتعلم من هذا الحديث أن السلام تحية الملائكة أيضًا قبل نزول آدم إلى الأرض، وأنه الأمانة التي حملها معه إلى ذريته، وعليهم أن يتعاملوا بها إلى يوم الدين.

٥- السلام نهاية كل صلاة: فالمسلم الذي يؤدي خمس فرائض في اليوم بواقع سبع عشرة ركعة ينهي كل صلاة بقوله: السلام عليكم ورحمة الله، مرة ذات اليمين وأخرى ذات الشمال، أي عشر مرات في الصلاة المكتوبة واثنتي عشرة في صلاة السُنة، مما جعل المسلم العابد في صلاته يستشعر السلام حقيقة في سلوكه ومعاملاته كافة، وهي تربية يحرص الإسلام على غرسها في النفوس؛ لتكون متصالحة مع ذاتها أولًا وسواها من المخلوقات ثانيًا؛ وبهذا كان لفظ السلام جزءًا من عبادة المؤمن في الصلاة، وجزءًا من ترتيله لكتاب الله سبحانه.

٦- السلام تحية الإسلام الخاصة: لكل أُمة من الأمم تحيتها الخاصة مثل صباح الخير، ومساء الخير، وتصبحون على خير، ونهار سعيد، وليلة سعيدة، إلى ما هنالك من ألفاظ التحية التي تتعامل بها الأمم والشعوب على اختلاف لغاتها، ولكن المسلمين يمتازون عن سواهم من الأمم بتحية الإسلام المعروفة وهي السلام عليكم، يقولها الراكب للماشي، والواقف للجالس، والصغير للكبير، والقادم للماكث، والراحل للمقيم، يقولونها في الأسواق، والبيوت، والمتاجر، والمكاتب، والمصانع، والمعامل، وفي كل موقع من مواقع الحياة. فعن أبي يوسف عبد الله بن سلام قال: سمعت الرسولﷺ يقول: "يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وَصِلُوا الأرحام، وصَلّوا والناس نيام تدخلوا الجنة

(١) رواه البخاري (٣٣٢٦) ومسلم (٢٨٤١) .

بسلام"[١]، فقد قدم الرسول ﷺ إفشاء السلام على ما عداه من القضايا مثل: إطعام الطعام، وصلة الأرحام، وربطه بدخول الجنة.

ويكون إفشاء السلام على من تعرف ومن لا تعرف، فقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلًا سأل الرسول ﷺ : أي الإسلام خير؟ قال: "تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف"[٢]، ولهذا ينصح الرسول ﷺ المسلمين بإفشاء السلام إن أرادوا دخول الجنة، فعن أبي هريرة ﷺ، عن الرسول ﷺ قال: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"[٣]؛ لأن إفشاء السلام هو المقدمة الطبيعية للإيمان والمحبة وهما السبب في دخول الجنة.

٧- السلام مفتاح الدخول إلى البيوت: قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ (النور: ٦١).

٨- السلام علامة توقير واحترام: فعن شيبة الحجبي عن عمه، قال: قال ﷺ : "ثلاث يصفين لك ود أخيك: تُسلّم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحبّ الأسماء إليه". فقد جعل الرسول من إفشاء السلام مدخلًا للوصول إلى مودة الأخ وكسب صداقته.

٩- السلام تحية الله لعباده يوم القيامة: فالله سبحانه يستقبل عباده المؤمنين الداخلين جنته بالسلام يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٤).

١٠- السلام على جميع الناس: فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من سلّم عليك من خلق الله فاردد عليه، وإن كان مجوسيًّا، ذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ (النساء: ٨٦).

---

(١) رواه أحمد (٢٣٧٨٤) والترمذي (٢٤٨٥) وابن ماجه (١٣٣٤) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٦٩) .

(٢) رواه البخاري (١٢)، ومسلم(٣٩).

(٣) رواه أحمد (١/ ١٦٧)، والترمذي (٢٥١٠)، قال الترمذي: صحيح، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٣/ ٢٣٨).

ولقد حرص المسلمون على هذه التحية العبادية، وعدُّوها من القربات، فعن الطفيل بن أُبي ابن كعب أنه كان يأتي عبد الله بن عمر فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمرّ عبد الله على سقاط، ولا صاحب بيعة، ولا مسكن، ولا أحد إلا سَلّم عليه. قال الطفيل: فجئت عبد الله ابن عمر يومًا فاستتبعني إلى السوق، فقلت له: ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها، ولا تجلس في مجالس السوق؟ فقال: إنما نغدو إلى السوق من أجل السلام، نسلّم على من لقيناه.

رد السلام: إذا كان السلام أمرًا محببًا فإن الجواب عليه واجب يصل إلى مرتبة الفريضة، ويكون رد التحية بأحسن منها عملًا بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ (النساء: ٨٦)، فإذا قال لك أحدهم: السلام عليكم. فقل: وعليكم السلام ورحمة الله. فإن قال لك أحدهم: السلام عليكم ورحمه الله. فقل: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. وبهذا يكون رد التحية بأفضل منه، أما ردها فيكون بالتماثل دون زيادة ولا يجوز اتهام الشخص الذي يلقي السلام بعدم الإيمان، فقد قال تعالى في هذا الصدد: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾ (النساء: ٩٤).

نصل بهذا إلى القول بأن السلام مفردة رئيسة من مفردات الإسلام، وقاعدة أصيلة من قواعده، سلوكًا وتربية وعبادة، ولهذا وجدنا كثيرًا من المسلمين الذكور يتسمون بـ عبد السلام، وكثيرًا من النساء يحملن اسم سلام تيمنًا بهذا الشعار الإسلامي الخالد.

الإسلام تاريخ سلام

في مناهجنا التعليمية كثير من التجني على تاريخنا الإسلامي، وبخاصة كتب التربية الدينية والتاريخ، فقد صممت هذه المناهج في عهد الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي لتخدم أهداف الغرب التوسعية وتهمه الباطلة ضد الإسلام والمسلمين، وذلك حين جعلت من

التاريخ الإسلامي سلسلة ممتدة من الغزوات والمعارك المتتابعة التي لم تهدأ؛ لتصل إلى القول بأن الإسلام قد قام بحد السيف، شأنه شأن غيره من الديانات السابقة.

ولدفع هذه التهمة لابد من قراءة تاريخ الإسلام إبتداء من نزول الوحي وحتى وفاة صاحب الرسالة:

١ـ **بداية الدعوة**: كانت الدعوة الإسلامية منذ بدايتها سلمية قائمة على العقل والحكمة والإقناع، وليس أدل على ذلك من مخاطبة الوحي للرسول بقوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ (العلق: ١-٥)، فلم تكن الدعوة عُنفيّة؛ بل دعوة حكيمة تستند إلى الفكر والإقناع، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (النحل: ١٢٥)، فالدعوة موصوفة بالحكمة، والموعظة موصوفة بالحسنة، وهكذا كانت طوال ثلاثة عشر عامًا في مكة قبل الهجرة وعشرة بعدها.

٢ـ **الهجرة**: عندما نزل الرسول بالمدينة وقَّع مع أهلها معاهدة سميت صحيفة المدينة، وهي أول وثيقة دستورية تحدد العلاقات بين الناس على أساس متساو، فقد ورد فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، أنهم أُمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ظلم أو أثم، أن أيديهم عليه جميعًا ولو كان ولد أحدهم، وأن يهود بني عوف أُمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم، وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم).

فقد عدَّت هذه الصحيفة الناس أمة واحدة داخل المدينة بغض النظر عن كل اعتبارات اللغة واللون والدين، وهذه الوثيقة تسبق إعلان الأمم المتحدة لحقوق الإنسان بأربعة عشر قرنًا، وتدل على ما للإنسان من كرامة عند هذا الدين الذي أرسله الله رحمة للإنسان وسلامًا.

٣ـ صلح الحديبية: أراد الرسول ﷺ أن يحج إلى الكعبة قبل فتح مكة فمنعته قريش، وكان هناك صلح بين الطرفين وردت فيه عبارات عَدَّها بعض المسلمين مذلة، وكان عمر بن الخطاب ضمن المنتقدين لهذا الصلح، فقد نصت إحدى فقراته على أنه من جاء من المسلمين إلى قريش فلا ترده قريش إلى المسلمين، بينما يرد المسلمون من يأتيهم من قريش مسلمًا، فقد أقر الرسول المعاهدة واحترمها وعمل بما فيها؛ حقنًا لدماء القرشيين والمسلمين معًا؛ ولأن صون حياة الإنسان مقدمة في الإسلام على ما سواها من الأمور.

٤ـ فتح مكة: عندما نقض القرشيون صلح الحديبية قرر الرسول أن يفتحها، ولكن سلمًا بدون قتال، وهكذا كان، فعندما فوجئ القرشيون بالجيش الإسلامي ورأوا ما فعلوه بالمسلمين من قتل وحرق وتعذيب وتجويع ومصادرة أموال ظنوا أنهم هالكون، وبخاصة عندما سمعوا سعد بن عبادة حامل راية الأنصار يقول: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذلَّ الله قريشًا. في هذا الموقف الرهيب لم يشأ الرسول أن يتركهم طويلًا تحت وطأة هذه المشاعر المذلة، فاستقبل وجوههم في تسامح وأناة وقال لهم: "يا معشر قريش، ماذا ترون أني فاعل بكم؟ " فتقدم خصم الإسلام بالأمس سهيل بن عمرو وقال: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم. فرد النبي قائلًا: "لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لي ولكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء". وكان الرسول قد قال لسعد عندما سمعه يقول: اليوم يوم الملحمة: "لا يا سعد، بل هو يوم المرحمة، واليوم أعز الله قريشًا". أي بالإسلام، وقد ترتب على هذا العفو إسلام أهل مكة وخروجهم مع الرسول ﷺ لحرب هوازن في غزوة حنين.

إن الانتقام ليس من سلوك المسلمين؛ بل العفو، وهذا ما أراد الرسول القائد أن يعلم أصحابه وأمته في حياته ومن بعده حتى يقتدوا به، وهذا ما حصل في فتح القدس أيام عمر

بن الخطاب حين دخلها سلمًا ووقَّع مع أهلها ما عُرف بالعُهدة العمرية التي ما زالت بنودها محترمة حتى يومنا هذا بين المسلمين والمسيحيين من مختلف الطوائف.

٥ـ فتح سمرقند: في ولاية عمر بن عبد العزيز وفد عليه قوم من أهل سمرقند، ورفعوا إليه أن قائده قتيبة بن مسلم الباهلي قد دخل مدينتهم وأسكن المسلمين فيها بغير حق -أي بغتة دون إنذار- فكتب عمر إلى عامله هناك أن ينصّب لهم قاضيًا ينظر فيما ذكروا، فنصّب لهم القاضي جميع بن حاضر الباجي يحكم بينهم، فحكم القاضي المسلم بإخراج المسلمين من سمرقند.

وإن المرء ليتساءل: هل يمكن لجيش أن يغادر مدينة قد احتلها بقرار من القاضي، وهل حدث هذا في التاريخ؟ والجواب موثق عندنا، في تاريخنا، ليدل على أن هذا الدين يبتغي سلام الناس جميعًا، ولا يحب العدوان والمعتدين، ولعل هذه الحادثة هي الوحيدة التي حدثت في تاريخ البشرية كله.

٦ـ فتح القدس الصلاحي: حين احتل الفرنجة القدس أعملوا في أهلها السيف، قتلوا ما يزيد على سبعين ألف شخص، وحين استعادها صلاح الدين من أيديهم لم يشأ أن يعاملهم بالمثل، ورفض أن يذبحهم مثلما فعلوا؛ بل اكتفى بفدية لمن قدر على دفعها، وعامل الضعفاء من الشيوخ والنساء والأطفال معاملة كريمة: أعطى الأمان لمن بقى منهم في القدس، وكانوا يزيدون على ألف شخص، وسمح للباقين أن يخرجوا بأموالهم وجواهرهم دون أن يلحق بهم أذى، وحماهم طوال طريقهم من أي عدوان عليهم حتى من قطاع الطرق.

فالإسلام لا يعرف لغة الدم، ولا لغة الانتقام، وما صلاح الدين الأيوبي وعمر بن عبد العزيز وعمر بن الخطاب سوى تلامذة مقلدين يسيرون على هدي رسولنا الكريم محمد ﷺ في هذا الطريق.

الإسلام وسلام الزمان.

اقتطع الإسلام ثلث الدهر ليجعل منه وقت سلام يأمن فيه الناس على أموالهم وأنفسهم، فكانت الأشهر الحرم الأربعة من كل عام وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، قال

تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ (التوبة: ٣٦).

الإسلام وسلام المكان.

كما منع الإسلام القتال في أشهر معينة من الزمن (السنة) فقد عين مكانين لا يجوز القتال فيهما، ولا يجوز حمل السلاح لثأر أو سواه، ولا يقطع فيهما شجر ولا يروع صيد، وهذان المكانان هما: مكة المكرمة والمدينة، بدائرة يصل قطرها إلى ثمانية وعشرين ميلًا، إذ اعتبر الإسلام الحرم المكي والحرم المدني مكانين للعبادة مُخصَّصين لها لا يجوز فيهما قتال أو إحداث شرّ مهما كان نوعه، وفي هذا يقول الرسول ﷺ : "إني حرّمت ما بين لابتي المدينة كما حرم إبراهيم مكة"، فكان أحدنا يجد الطير في يده فيفكه ويرسله.

هذا هو الإسلام يعتني بالإنسان؛ فيوفر له المكان الآمن الذي يحرّم فيه القتال، ويوفر له الزمان الآمن الذي لا يجوز فيه قتال، فأين نجد سلامًا إن لم نجده في دين الله[1].

الوجه الثاني: إن من يقرأ سيرة النبي ﷺ يتضح له بجلاء كذب هذه الشبهة وبيان زيفها.

فقد بدأ الرسول العربي الكريم ﷺ دعوته في مكة بأن عرض الإسلام على بعض أصحابه الثقات: فأسلم الصدِّيق وعثمان وابن العوام وسعد وابن عوف وغيرهم. . كما عرض نفسه في موسم الحج على القبائل داعيًا إلى دين الله ﷻ. فاستجاب قوم من الأوس والخزرج. وبقي النبي ﷺ يدعو في مكة محتملًا الأذى والألم والاضطهاد والظلم من قريش، وهاجر إلى المدينة دون أن يريق قطرة دم، وبعد قيام دولة الإسلام في المدينة المنورة حارب النبي ﷺ الفئات التالية:

١- قريش "سكان مكة المكرمة".

٢- اليهود "في المدينة المنورة وفي خيبر".

---

(١) الإسلام دين الرحمة والسلام د/ عبد الرحمن عباد. المؤتمر العام الرابع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية صـ١١٨-١٢٥.

٣- الروم والغساسنة العرب الخاضعين لهم.

فلماذا حارب النبي ﷺ والمسلمون هؤلاء؟

١- قريش:

مكث النبي ﷺ بمكة "مسقط رأسه" ثلاث عشرة سنة. يدعو الناس بالحجة والموعظة الحسنة، وقد أذاقته قريش هو والمؤمنين عامة كل صنوف الأذى. وصبَّر الله نبيه ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾ (الأحقاف: ٣٥)، وذكر الله قصة "أصحاب الأخدود" الذين تحملوا النار في سبيل الله- كما ورد في سورة البروج وهي مكية- وذكر له قصص الأنبياء في "الأنبياء" ومنها قصة "ذي النون" "يونس عليه السلام". ومغزاها أن اصبر في قومك ولا تكن كذي النون الذي لم يصبر و ﴿ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾ (الأنبياء: ٨٧) فصبَّر الله ﷻ النبيﷺ، وصبَّر النبيﷺ صحابته.

ثم هاجر النبي بعد أن أذن الله له فصودرت أمواله وأموال المسلمين فظلم وظلم أصحابه، وفي المدينة أعلن على قريش مقابل ما سبق حربًا اقتصادية يرغمها بها على الاعتراف بحقوقه في مكة وحقه في نشر الدعوة، فخرج يريد قافلة أبي سفيان ولكنها تمكنت من الإفلات، ولكن قريشًا خرجت إلى رسول الله ﷺ بقضِّها وقضيضها، بكامل قوتها حتى عبيدها خرجوا معها، فأذن الله لنبيه بالقتال بالآيات التالية:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ (الحج: ٣٩، ٤٠). ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ (البقرة ١٩٠: ١٩٣).

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ (النساء: ٧٥).

فنرى أن القتال لم يشرع إلا "دفاعًا عن النفس" وما إلى ذلك من العرض والمال، وما يذكر بالفخر والكرامة لرسول الله ـ وكل سيرته عزة وفخر وكرامة ﷺ ـ أنه في بدر ما أراد قتالًا أو سفك دماء، إنه أراد حربًا اقتصادية ليعوض عما ذهب وصودر في مكة، وفي أحد أراد البقاء في المدينة والمحاصرة لدفع قريش بأقل خسائر، وفي الخندق- غزوة الأحزاب- اتخذ ﷺ موقف المدافع وفرّق قريشًا بإنشاب خلاف بينهم كي لا تزهق أرواح من الطرفين، وعندما أراد فتح مكة[1] أغلق وقطع الطرق الذاهبة إلى مكة كي يعود إلى بلده التي أخرج منها، وليفهم قريشًا التي تطاولت على نقض صلح الحديبية ولم تف بعهدها. استخفافًا وحقدًا عندما رأت القبائل العربية تدخل في دين الله بالإقناع والموعظة الحسنة؛ ليفهمها أن دعايتها عن محمد أنه: كاهن، أو شاعر، أو مجنون، قد تكشفت أمام العرب، ورأى العرب في محمد رسول الله ﷺ عاقلًا حكيمًا. . . . دعوته حق ورسالته صدق.

أراد النبي ﷺ دخول مكة دون أن تزهق أرواح أو تراق دماء. وبالفعل فإنه لما وصل إلى قرب مكة جاءه أبو سفيان، فقال النبي ﷺ للعباس: "اذهب فاحبس أبا سفيان عند خطم[2] الجبل بمضيق الوادي حتى تمر عليه جنود الله"[3]. وهنا أراد النبي ﷺ أن يذهب أبو سفيان بعد هذا وفي نفسه خوف من قوة النبي ﷺ ليقنع قريشًا بعدم جدوى المقاومة، وقال النبي ﷺ : "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو

---

(١) أراد ﷺ فتح مكة لنقض قريش صلح الحديبية: ٦هـ عندما شجعت قبيلة بكر، ضد قبيلة خزاعة حليفة النبي ﷺ. راجع الكامل في التاريخ ٢/ ١٦١، والطبري ٣/ ٤٢، وتاريخ الإسلام ١/ ١٣٧.

(٢) الخطم: أنف الجبل، وهو يخرج منه يضيق معه الطريق فتتزاحم فيه الخيل حتى يحطم بعضها بعضًا.

(٣) الكامل في التاريخ ٢/ ١٦٥، الطبري ٣/ ٥٤، عيون الأثر ٢/ ١٧٠.

آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن"[١]، وبالفعل فقد وصل أبو سفيان مكة فقال: يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به. .[٢] وعهد النبي إلى أمرائه عند دخول مكة "أن لا يقتلوا أحدًا إلا من قاتلهم"[٣].

فالنبي ﷺ كان حريصًا على عدم سفك الدماء.

٢- حروب النبي ﷺ ضد اليهود:

النبي ﷺ مُحِقٌّ كل الحق في إجلاء اليهود من بني قينقاع بعد بدر؛ لمؤامرتهم وتطاولهم وغرورهم، فمن أقوالهم: "يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة" ويقول ابن الأثير: "فكانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبينه".

والنبيُّ ﷺ محق كل الحق في إجلاء يهود بني النضير بعد أحد ؛ لأنهم تآمروا مع قريش ضد المسلمين.

والنبيُّ ﷺ محق كل الحق في حكمه ببني قريظة بعد الخندق؛ لنكثهم عهودهم معه، وهو في أشد ساعات الحرج، بعد أن ساعدوا قريشًا وحرضوها ضد رسول الله ﷺ .

٣- حروب النبي ﷺ ضد الغساسنة وأسيادهم الروم:

وذلك في معركتي: "مؤتة سنة ٨هـ، وتبوك سنة ٩هـ".

مؤتة: أرسل النبي ﷺ في السنة الثامنة للهجرة رسولًا إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الغساسنة يدعوه إلى الإسلام، فقتل الحارث رسول رسول الله: شجاع بن وهب الأسدي (وليس هكذا تعامل الرُّسل والوفود، ففي هذا انتهاك للعرف الدولي، وأن الرسل لا تقتل مهما عملت، ومهما تكلمت). وقال: "من ينزع مني ملكي أنا سائر إليه"[١]. مع أن النبي ﷺ ما أراد منه ملكه؛ بل أراد هدايته وإسلامه فحسب.

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ١٦٦، الطبري ٣/ ٥٤، والرواية للطبري.

(٢) الكامل في التاريخ ٢/ ١٦٦، الطبري ٣/ ٥٤.

(٣) الكامل في التاريخ ٢/ ١٦٧.

ولما سبق، سيَّر الرسول ﷺ جيشًا من ثلاثة آلاف مجاهد بقيادة مولاه زيد بن حارثة لتأديب من قتل ممثل الإسلام والنبوة. فلقى زيد جموع الغساسنة ومعهم الروم عند مؤتة، ولا تهمنا حوادث المعركة؛ بل يهمنا أن النبي ﷺ ما رفع سيفًا بوجه الغساسنة وأسيادهم الروم إلا بعد قتل رسوله إليهم، واستعداد الحارث للسير إلى المدينة المنورة لحرب الإسلام في عاصمة الإسلام، فكانت سرية مؤتة عملًا دفاعيًا.

تبوك: بلغ الرسول ﷺ أن الروم تجمعوا على حدود فلسطين لقتال المسلمين ومعهم بعض القبائل العربية المتنصِّرة، فدعا المسلمين للخروج إليهم قبل أن يغزوهم في عقر دارهم. وبالفعل فقد وصل ﷺ تبوك وأقام فيها أيامًا، فصالحه أهلها بعد انسحاب الجيش الرومي باتجاه الشمال، وصالح أمير دومة الجندل وأيلة وعاد دون سفك دماء.

وهكذا فإن مسير النبي ﷺ إلى تبوك كان لأسباب مشروعة جلية.

وصفوة القول لقد خاض النبي ﷺ حروبًا عادلة بعد أن وضع السلم أساسًا لسياسته والحرب للدفاع، وكان الحفاظ على الأرواح أمله، وكان تأديب الظالم المغرور بأقل دماء هدفه، وكان التسامح منطبعًا في ذاته وهو غايته.

فالنبي ﷺ القدوة الحسنة والأسوة لمن بعده في الجهاد.

الوجه الثالث: نبذ الإسلام العنف واستخدامه الحوار.

وفي مجال الدعوة إلى الله نجد أن الإسلام ينبذ العنف لأن الدعوة الإسلامية تستهدف البدء بتغيير النفس، وإعادة صياغة الإنسان قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ (الرعد: ١١).

وتغيير ما بأنفسهم وما بداخلهم لا يتأتى بالإكراه أو العنف؛ لأن العنف يؤدي إلى النفاق، فإذا استعملت العنف في الدعوة أكرهت الآخرين، فأنت تكسب بذلك منافقًا لا

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ١٤٥.

مؤمنًا، لأنك تكسب الظاهر، أما الداخل أو الباطن فلا يظهر، ومن هنا كانت وما زالت الحكمة والموعظة الحسنة، والحوار والجدال بالتي هي أحسن سبيل الدعوة.

فالذين يلجئون إلى العنف في الدعوة اليوم، أو في فرض آرائهم هؤلاء مخالفون تمام المخالفة لمناهج الإسلام في الدعوة، هذا المنهاج الذي هو منهاج القرآن.

إذن النقطة الأساسية في بداية الدعوة الإسلامية هي تغيير ما في النفس، وهذا لا يتأتى بالإكراه أو العنف، فالعنف عادة يكون رد فعل لعنف آخر أو رد فعل لقيود عنيفة تمارس على حريات الإنسان، فيرفضها رفضًا عنيفًا.

إن استخدام القوة لا يجوز إلا دفاعًا عن النفس وحماية للأرض والعرض والحفاظ على حرمات الله ومقدساتنا، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ﴾ (الفتح: ٢٩)، وقال ﷻ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ (النحل: ١٢٦)، وقال سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١٩٤).

فلا بد أن نكون رحماء فيما بيننا؛ لنحقق المنهج الإسلامي في الوسطية والبعد عن الإفراط والتفريط.

فالحوار والمجادلة بالتي هي أحسن هي من أبرز وسائل الدعوة إلى الله، وهي علامة على وسطية الأمة واعتدالها في التعامل مع وجهات النظر؛ بل مع المخالف، قال تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ: ٢٤)، وقد كان رسول الله ﷺ يحاور الناس ويبحث عمن يقبل دعوته، واستخدم رسولنا ﷺ الوسائل المتعددة لتبليغ الرسالة ومنها الحوار.

وقد سمى الله ﷻ صلح الحديبية الذي عارضه أغلب الصحابة وعدوه ضيمًا سماه ﷻ فتحًا، قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ (الفتح: ١)؛ وذلك لما ترتب عليه من ثمرات

وفتوح كان من أعظمها الحوار بين المسلمين والمشركين، وعرض المسلمين لدينهم الأمر الذي كان ممنوعًا وغير مقبول قبل هذا الصلح فدخل الناس بعده في دين الله أفواجًا.

فالواجب على المسلمين الاعتدال في الدعوة إلى الله فلا غلظة ولا شدة؛ بل قول لين وموعظة حسنة ورفق بالمدعوين، وإرشاد بالحسنى للضالين عن الصراط المستقيم، وستر على المسلمين، ومجادلة وحوار مع الجميع بالتي هي أحسن.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (يوسف: ١٠٨)، وقال ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النحل: ١٢٥)، أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب.

وقال الرسول المصطفى ﷺ: "إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ"[١]

إن وسطية هذا الدين وسماحته لو ظهرت للناس على حقيقتها؛ لوجد التائهون فيه ضالتهم المنشودة وسعادتهم وغبطتهم، ولتحقق لهم النصر العظيم والفوز المبين، ولو أعطى المسلمون بسلوكهم المنهج الوسط لكان للإسلام شأن أعظم وأرض أرحب.

ولهذا فإن الواجب تعميق مفهوم الوسطية بالتوعية والإرشاد والقدوة، ومقارعة الحجة بالحكمة والموعظة الحسنة، ينهض بذلك العلماء وأهل الهدى، قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (المجادلة من الآية: ١١)، وقال ﷻ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر: ٩).

على هذه الأسس يرسي القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها، ويعين وسائلها وطرائقها، ويرسم المنهج للرسول الكريم، وللدعاة من بعده بدينه القويم فلننظر في

---

(١) مسلم (٤٦٩٨).

دستور الدعوة الذي شرعه الله في هذا القرآن.

إن الدعوة دعوة إلى سبيل الله. لا لشخص الداعي ولا لقومه، والدعوة بالحكمة، والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها. فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه.

وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية. فإن الرفق في الموعظة كثيرًا ما يهدي القلوب الشاردة ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ.

وبالجدل بالتي هي أحسن بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح. حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس الهدف هو الغلبة في الجدل، ولكن بالإقناع وإظهار الحق[1].

الوجه الرابع: إن من يقرأ مفهوم الجهاد في الإسلام ويعرف غاياته وأهدافه يتضح له بجلاء زيف هذه الشبهة.

لم يفرض الله الجهاد لإكراه الناس على الإسلام. فالإكراه لا يؤسس عقيدة: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ (البقرة: ٢٥٦). لذلك فإن الإسلام لا يقهر، ولا يجبر امرءًا على دين يرفضه. وعلى هذا فالحرية مكفولة في أحكام ودستور الإسلام.

ولو صح قول بعضهم: إن الإسلام سل سيفًا وفرض نفسه على الناس جبرًا لما وجدنا شيئًا اسمه: "الجزية" أو "ذميون" فالجزية لغير المسلمين الذين لم يرضوا دخول الإسلام، ولم يجبرهم الإسلام على اعتناقه، إنهم في حرية تامة، عقائدهم ومعابدهم محترمة يطبقون أحكام دينهم فيما بينهم.

(١) انظر: وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار، إعداد: د/ محمد الصالح اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب.

فالحجة وسيلة لنشر الدعوة الإسلامية: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥). ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (النور: ٥٤). ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ (الغاشية: ٢١- ٢٢).

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ (ق: ٤٥).

وقد صرحت الآيات في القرآن الكريم أن الله تعالى لم يرد من خلقه أن يكونوا مؤمنين عن طريق القهر؛ بل عن طريق النظر، إذ لو أراد سبحانه إيمانًا قهريًّا لطبعهم عليه كما طبع الملائكة، لكنه ترك البشر وما يختارون، واكتفى بأن أخذ عليهم مواثيق الفطرة وأشهدهم بها على أنفسهم، وأرسل إليهم رسلًا تذكرهم وتدعوهم إلى النظر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء، ولَمَّا كان من سننه سبحانه في بني الإنسان أن تختلف عقولهم وأفكارهم، وتتفاوت أنظارهم في الآيات الدالة على الإيمان فيؤمن بعض ويكفر آخرون، جاءت نصوص الإسلام داعية إلى الإيمان بالله عن طريق النظر والاختيار قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس: ٩٨: ١٠١).

وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (هود: ١١٨، ١١٩). وقال أيضًا: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأنعام: ٣٥).

بل وأفادت الآيات كذلك أن تلك هي طبيعة الدعوات السماوية قاطبة التي جاءت بها رسل الله أجمعين.

فجاء على لسان نوح عليه السلام: ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ (هود: ٢٨) وفي دعوة إبراهيم لأبيه "فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه".

وفي دعوة موسى وهارون عليهما السلام لفرعون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه: ٤٤) وفي دعوة نبينا ﷺ: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ (الغاشية: ٢١، ٢٢).

بل إن الوقائع التاريخية لتؤكد كذلك خلو الدعوة الإسلامية من الإكراه، وإلا فأين الإكراه الذي فرض على المسلمين في مكة قبول الدين؟

إن النبي ﷺ نفسه كان مضطهدًا، ومن حوله من أتباع كانوا يعذبون ويضطهدون، وحالة كهذه لا يعقل أن يكون معها إرغام على الإسلام؛ بل قد تكون مانعة من الدخول في الإسلام أو إظهاره على الأقل[1].

وعبر تاريخ دولة الإسلام كان يعيش في داخلها غير المسلمين في مراحل قوتها وضعفها، فلم يجبروا على ترك معتقداتهم أو يكرهوا على الدخول في الإسلام، والقاعدة العظمى في الإسلام أن لا إكراه في الدين، ولذا فقد عاش الذميون وغيرهم في كنف دولة الإسلام دون أن يتعرض أحد لعقائدهم ودياناتهم[2].

إن الإسلام لم يقم على اضطهاد مخالفيه، أو مصادرة حقوقهم، أو تحويلهم بالكره عن عقائدهم، أو المساس الجائر لأموالهم وأعراضهم ودمائهم، وتاريخ الإسلام في هذا المجال أنصع تاريخ على وجه الأرض[3].

ومن المقرر عند الفقهاء أنه لو أكره أحد على الإسلام فإنه لا يصح إسلامه. قال في المغني: "وإذا أكره على الإسلام من لا يجوز إكراهه كالذمي والمستأمن فأسلم لم يثبت له

---

(١) حولية كلية أصول الدين العدد ٢٢، المجلد الثاني صـ ١٤١١ - ١٤١٢.

(٢) انظر تلبيس مردود في قضايا حية، صالح بن حميد صـ ٣٠.

(٣) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام محمد الغزالي صـ ٦.

حكم الإسلام حتى يوجد منه ما يدل على إسلامه طوعا"[١]. ولذلك فإنه إذا عاد إلى دينه بعد زوال الإكراه لم يحكم بردته، ولا يجوز قتله ولا إكراهه على الإسلام، ونقل ابن قدامة إجماع أهل العلم على أن الذمي إذا أقام على ما عوهد عليه والمستأمن، لا يجوز نقض عهده ولا إكراهه على ما لم يلتزمه[٢].

ومن سماحة الإسلام في المعاملة أن شرع العدل مع المخالف، وجعل ذلك دليلا على التقوى التي رتب عليها أعظم الجزاء قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّـٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة: ٨).

ولذا فإن من يتأمل أحكام الإسلام وتاريخ المسلمين يجد أنه لا يمكن أن يقوم مجتمع تحترم فيه الحقوق والواجبات كما في دولة الإسلام، وفي أوج عزة دولة الإسلام وقوتها كان يوجد من غير المسلمين العلماء والأدباء والأطباء والنابغون في مختلف الفنون والأعمال، وهل يمكن أن يكون لهؤلاء ظهور ونبوغ في أعمالهم لولا سماحة الإسلام ونبذه للتعصب الديني؟

إن المعاهد في بلد الإسلام لا يعيش على هامش المجتمع؛ بل يشارك ويخالط أفراد المجتمع، وقد يسند إليه بعض الأعمال التي هي من صميم عمل أهل الإسلام، فقد جوز الخرقي أن يكون الكافر من العاملين على الزكاة، وذكر في المغني أنها إحدى الروايتين عن الإمام أحمد؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ (التوبة: ٦٠). وهذا لفظ عام يدخل فيه أي عامل على أي صفة كانت، ولأن ما يأخذ على العمالة أجرة لعمله فلم يمنع من أخذه كسائر الإجارات[٣].

---

(١) المغني لابن قدامة ١٢/ ٢٩١.

(٢) انظر سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين إعداد: د/ عبد الله اللحيدان، اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب.

(٣) انظر المغني لابن قدامة٤/ ١٠٧.

بل صرح الإمام الماوردي بجواز أن يتولى الذمي وزارة التنفيذ دون وزارة التفويض[1].

لقد أطلق الإسلام على غير المسلمين الذين لهم ذمة أهل الذمة وعاملهم بها وهي تعني: العهد والأمان والضمان، والحرمة والحق[2] وهو عهد منسوب إلى الله ﷻ وإلى الرسول ﷺ قال ابن الأثير: "وسمي أهل الذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم"[3].

إن قوة هذا الدين وسلامة قواعده وتنوع أساليبه أوجدت مجالًا خصبًا للحوار والحرية والإبداع في المجتمع المسلم[4]. وإن من يأخذون ببعض النصوص من الكتاب أو السنة ويريدون تطبيقها في معاملة غير المسلمين يخطئون في فهم منهج الإسلام وطبيعته، فالواجب أن تؤخذ نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة كاملة، وتقرر معاملة المسلم مع غيره في ضوئها وعلى هديها، وفي القرآن العظيم آيات لا تحصر في الأمر بالبر والصلة والإحسان والعدل والقسط والوفاء بالعهد، والنصوص في ذلك مطلقة تستوعب كل أحد؛ بل إن نصوص الإحسان تشمل حتى الحيوان وفي الحديث عنه ﷺ قال: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته"[5]، وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ (البقرة: ١٩٥)، وقال: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣)، وفي ظل هذا المفهوم العام للإحسان كان هدي النبي ﷺ في معاملة غير المسلمين[6].

---

(١) انظر الأحكام السلطانية الماوردي صـ ٦٨، وانظر: تفصيل أقوال العلماء في مسألة تولي الذمي وزارة التنفيذ في كتاب أهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي لنمر النمرصـ ١٩٧- ٢١٤ وانتهى المؤلف إلى القول بعدم جواز ذلك.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/ ١٦٨.

(٣) المرجع السابق ٢/ ١٦٨.

(٤) انظر أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي لحسن الزين صـ ٥٣.

(٥) رواه مسلم (١٩٥٥).

(٦) سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين د/ عبد الله اللحيدان.

الوجه الخامس: موقف الإسلام من أهل الذمة داخل الدولة الإسلامية.

جرى العرف الإسلامي على تسمية المواطنين من غير المسلمين في المجتمع الإسلامي باسم أهل الذمة، أو الذميين[١].

والذمة كلمة معناها العهد والضمان والأمان، وإنما سموا بذلك؛ لأن لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في حماية الإسلام وفي كنف المجتمع الإسلامي آمنين مطمئنين، فهم في أمان المسلمين وضمانهم بناء على عقد الذمة، فهذه الذمة تعطي أهلها من غير المسلمين ما يشبه في عصرنا الجنسية السياسية التي تعطيها الدولة لرعاياها، فيكتسبون بذلك حقوق المواطنين ويلتزمون بواجباتهم.

فالذمي على هذا الأساس من أهل دار الإسلام، كما يعبر الفقهاء[٢] أو من حاملي الجنسية الإسلامية كما يعبر المعاصرون[٣].

وعقد الذمة عقد مؤبد يتضمن إقرار غير المسلمين على دينهم، وتمتعهم بحماية الجماعة الإسلامية ورعايتها بشرط بذلهم الجزية، والتزامهم أحكام القانون الإسلامي في غير الشئون الدينية، وبهذا يصيرون من أهل دار الإسلام، فهذا العقد ينشئ حقوقًا متبادلة لكل من الطرفين المسلمين وأهل ذمتهم بإزاء ما عليه من واجبات.

حقوق أهل الذمة: القاعدة الأولى في معاملة أهل الذمة في دار الإسلام أن لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين إلا في أمور محددة مستثناة، كما أن عليهم ما على المسلمين من واجبات إلا ما استثنى.

---

(١) استفدنا هذا الوجه من كتاب غير المسلمين في المجتمع الإسلامي للدكتور القرضاوي باختصار وتصرف يسير.

(٢) انظر: شرح السير الكبير للسرخسي ١/ ١٤٠، البدائع للكاساني ٥/ ٢٨١، المغني لابن قدامة ٥/ ٥١٦.

(٣) انظر: التشريع الجنائي في الإسلام لعبد القادر عودة ١/ ٣٠٧، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام للدكتور عبد الكريم زيدان صـ٦٣-٦٦.

حق الحماية: فأول هذه الحقوق هو حق تمتعهم بحماية الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، وهذه الحماية تشمل حمايتهم من كل عدوان خارجي، ومن كل ظلم داخلي حتى ينعموا بالأمان والاستقرار.

(أ) الحماية من الاعتداء الخارجي:

أما الحماية من الاعتداء الخارجي فيجب لهم ما يجب للمسلمين، وعلى الإمام أو ولي الأمر في المسلمين بما له من سلطة شرعية، وما لديه من قوة عسكرية أن يوفر لهم هذه الحماية قال في "مطالب أولي النهى" من كتب الحنابلة:

يجب على الإمام حفظ أهل الذمة، ومنع من يؤذيهم، وفك أسرهم، ودفع من قصدهم بأذى إن لم يكونوا بدار حرب؛ بل كانوا بدارنا، ولو كانوا منفردين ببلد، وعلل ذلك بأنهم: (جرت عليهم أحكام الإسلام وتأبد عقدهم فلزمه ذلك كما يلزمه للمسلمين)[1].

وينقل الإمام القرافي المالكي في كتابه "الفروق" قول الإمام الظاهري ابن حزم في كتابه "مراتب الإجماع": إن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح، ونموت دون ذلك صونًا لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة[2]. وحكى في ذلك إجماع الأمة.

وعلق على ذلك القرافي بقوله: فعقد يؤدي إلى إتلاف النفوس والأموال صونًا لمقتضاه عن الضياع إنه لعظيم[3].

(ب) الحماية من الظلم الداخلي:

وأما الحماية من الظلم الداخلي فهو أمر يوجبه الإسلام ويشدد في وجوبه ويحذر المسلمين أن يمدوا أيديهم أو ألسنتهم إلى أهل الذمة بأذى أو عدوان، فالله تعالى لا يحب الظالمين ولا يهديهم؛ بل يعاجلهم بعذابه في الدنيا، أو يؤخر لهم العقاب مضاعفًا في الآخرة.

---

(١) مطالب أولي النهى ٢/ ٦٠٢-٦٠٣.

(٢) الفروق ٣/ ١٤-١٥، الفرق التاسع عشر والمائة.

(٣) نفس المصـدر السابق.

وقد تكاثرت الآيات والأحاديث الواردة في تحريم الظلم، وتقبيحه، وبيان آثاره الوخيمة في الآخرة والأولى، وجاءت أحاديث خاصة تحذر من ظلم غير المسلمين من أهل العهد والذمة.

يقول الرسول ﷺ : "من ظلم معاهدًا، أو انتقصه حقًّا، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة"[١].

وفي عهد النبي ﷺ لأهل نجران أنه: "لا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر"[٢].

ولهذا كله اشتدت عناية المسلمين منذ عهد الخلفاء الراشدين بدفع الظلم عن أهل الذمة، وكف الأذى عنهم، والتحقيق في كل شكوى تأتي من قبلهم.

كان عمر ﷺيسأل الوافدين عليه من الأقاليم عن حال أهل الذمة خشية أن يكون أحد من المسلمين قد أفضى إليهم بأذى، فيقولون له: (ما نعلم إلا وفاء)[٣]، أي: بمقتضى العهد والعقد الذي بينهم وبين المسلمين، وهذا يقتضي أن كلا من الطرفين وفَّ بها عليه.

وعلي بن أبي طالب ﷺيقول: إنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا[٤].

وفقهاء المسلمين من كافة المذاهب الاجتهادية صرحوا وأكدوا بأن على المسلمين دفع الظلم عن أهل الذمة، والمحافظة عليهم؛ لأن المسلمين حين أعطوهم الذمة قد التزموا دفع الظلم عنهم، وهم صاروا به من أهل دار الإسلام؛ بل صرح بعضهم بأن ظلم الذمي أشد من ظلم المسلم إثمًا[٥].

---

(١) رواه أبو داود (٣٠٥٢)، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٢٠٥، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٤٥).

(٢) رواه أبو يوسف في الخراج صـ٧٢-٧٣.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٢١٨.

(٤) المغني ٨/ ٤٤٥، البدائع ٧/ ١١١، نقلًا عن: أحكام الذميين والمستأمنين صـ ٨٩.

(٥) ذكر ذلك ابن عابدين في حاشيته، وهو مبني على أن الذمي في دار الإسلام أضعف شوكة عادة، وبظلم القوي للضعيف أعظم في الإثم.

حماية الدماء والأبدان: وحق الحماية المقرر لأهل الذمة يتضمن حماية دمائهم، وأنفسهم، وأبدانهم، كما يتضمن حماية أموالهم وأعراضهم. فدماؤهم وأنفسهم معصومة باتفاق المسلمين، وقتلهم حرام بالإجماع. يقول الرسول ﷺ: "من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا"(١).

ولهذا أجمع فقهاء الإسلام على أن قتل الذمي كبيرة من كبائر المحرمات لهذا الوعيد في الحديث.

حماية الأموال: ومثل حماية الأنفس، والأبدان حماية الأموال، وهذا مما اتفق عليه المسلمون في جميع المذاهب وفي جميع الأقطار ومختلف العصور.

روى أبو يوسف في "الخراج"(٢) ما جاء به في عهد النبي ﷺ، لأهل نجران: "ولنجران وحاشيتها جوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله ﷺ، على أموالهم، وملتهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير. . . ".

وفي عهد عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح أن: امنع المسلمين من ظلمهم والإضرار بهم وأكل أموالهم إلا بحلها.

فمن سرق مال ذمي قُطِعت يده، ومن غَصبه عزر، وأعيد المال إلى صاحبه، ومن استدان من ذمي فعليه أن يقضي دينه، فإن مطله وهو غني حبسه الحاكم حتى يؤدي ما عليه.

حماية الأعراض: ويحمي الإسلام عرض الذمي وكرامته كما يحمي المسلم وكرامته، فلا يجوز لأحد أن يسبه، أو يتهمه بالباطل، أو يشنع عليه بالكذب، أو يغتابه، ويذكره بما يكره في نفسه أو نسبه، أو خلقه، أو خَلْقِه أو غير ذلك مما يتعلق به.

يقول الفقيه الأصولي المالكي شهاب الدين القرافي في كتاب "الفروق": إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقًا علينا؛ لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا ـ حمايتنا ـ، وذمتنا وذمة الله تعالى، وذمة رسول الله ﷺ، ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة فقد ضيع

---

(١) رواه البخاري (٢٩٩٥).

(٢) الخراج صـ٧٢.

ذمة الله، وذمة رسولهﷺ، وذمة دين الإسلام[١].

وفي "الدر المختار" من كتب الحنفية: يجب كف الأذى عن الذمي وتحرم غيبته كالمسلم. ويعلق العلامة ابن عابدين على ذلك بقوله: لأنه بعقد الذمة وجب له مالنا؛ فإذا حرمت غيبة المسلم حرمت غيبته؛ بل قالوا إن ظلم الذمي أشد[٢].

التأمين عند العجز والشيخوخة والفقر:

وأكثر من ذلك أن الإسلام ضمن لغير المسلمين في ظل دولته كفالة المعيشة الملائمة لهم ولمن يعولونه؛ لأنهم رعية للدولة المسلمة، وهي مسئولة عن كل رعاياها، قال رسول الله ﷺ : "كلكم راع، وكل راع مسئول عن رعيته"[٣].

وهذا ما مضت به سنة الراشدين ومن بعدهم.

ففي عقد الذمة الذي كتبه خالد بن الوليد لأهل الحيرة بالعراق، وكانوا من النصارى: وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًّا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله[٤]، وكان هذا في عهد أبي بكر الصديق، وبحضرة عدد كبير من الصحابة، وقد كتب خالد به إلى الصديق ولم ينكر عليه أحد، ومثل هذا يعد إجماعًا.

ورأى عمر بن الخطاب شيخًا يهوديًّا يسأل الناس، فسأله عن ذلك فعرف أن الشيخوخة والحاجة ألجأتاه إلى ذلك، فأخذه وذهب به إلى خازن بيت مال المسلمين، وأمره أن يفرض له ولأمثاله من بيت المال ما يكفيهم ويصلح شأنهم، وقال في ذلك: ما أنصفناه إذ أخذنا منه الجزية شابًا ثم نخذله عند الهرم[٥].

---

(١) الفروق ٣/ ١٤.

(٢) حاشية ابن عابدين ٣/ ٣٤٤-٣٤٦.

(٣) رواه البخاري (٨٥٣)، مسلم (١٨٢٩).

(٤) الخراج صـ١٤٤.

(٥) المصدر السابق صـ١٢٦.

حرية التدين: ويحمي الإسلام فيما يحميه من حقوق أهل الذمة حق الحرية.

وأول هذه الحريات: حرية الاعتقاد والتعبد، فلكل ذي دين دينه ومذهبه، لا يجبر على تركه إلى غيره، ولا يضغط عليه أي ضغط ليتحول منه إلى الإسلام.

وأساس هذا الحق قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وقوله سبحانه: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩).

قال ابن كثير في تفسير الآية الأولى: أي: لا تكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه.

وسبب نزول الآية -كما ذكر المفسرون- يبين لنا جانبًا من إعجاز هذا الدين، فقد رووا عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاة -قليلة النسل- فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، كان يفعل ذلك نساء الأنصار في الجاهلية، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقال آباؤهم: لاندع أبناءنا. يعنون: لا ندعهم يعتنقون اليهودية، فأنزل الله ﷻ هذه الآية: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[1].

وكذلك صان الإسلام لغير المسلمين معابدهم، ورعى حرمة شعائرهم؛ بل جعل القرآن من أسباب الإذن في القتال حماية حرية العبادة، وذلك في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗا﴾ (الحج: ٣٩-٤٠).

وقد رأينا كيف اشتمل عهد النبي ﷺ إلى أهل نجران أن لهم جوار الله، وذمة رسوله على أموالهم وملتهم وبيعهم.

---

(١) نسبه ابن كثير إلى ابن جرير قال: قد رواه أبو داود والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن حبان في صحيحه، وهكذا ذكر مجاهد، وسعيد بن جبير، والشعبي، والحسن البصري، وغيرهم أنها نزلت في ذلك. تفسير ابن كثير ١/ ٣١٠.

وفي عهد عمر بن الخطاب إلى أهل إيلياء -القدس- نص على حريتهم الدينية وحرمة معابدهم وشعائرهم: هذا ما أعطى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسائر ملتها، لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم ولا ينتقص منها، ولا من حيزها ولا من صليبها، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم. ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود كما رواه الطبري(١).

يقول العلامة الفرنسي غوستاف لوبون:

(رأينا من آي القرآن التي ذكرناها آنفًا أن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة إلى الغاية، وأنه لم يقل بمثلها مؤسسو الأديان التي ظهرت قبله كاليهودية والنصرانية على وجه الخصوص، وسنرى كيف سار خلفاؤه على سنته، وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء أوربا المرتابون أو المؤمنون القليلون الذين أمعنوا النظر في تاريخ العرب، والعبارات الآتية التي اقتطفها من كتب الكثيرين منهم تثبت أن رأينا في هذه المسألة ليس خاصًا بنا.

قال روبرتسن في كتابه "تاريخ شارلكن": إن المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم، وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وأنهم مع امتشاقهم الحسام نشرًا لدينهم تركوا من لم يرغبوا فيه أحرارًا في التمسك بتعاليمهم الدينية)(٢).

حرية العمل والكسب: لغير المسلمين حرية العمل والكسب، بالتعاقد مع غيرهم، أو بالعمل لحساب أنفسهم، ومزاولة ما يختارون من المهن الحرة، ومباشرة ما يريدون من ألوان النشاط الاقتصادي، شأنهم في ذلك شأن المسلمين.

فقد قرر الفقهاء أن أهل الذمة في البيوع، والتجارات، وسائر العقود والمعاملات المالية كالمسلمين، ولم يستثنوا من ذلك إلا عقد الربا، فإنه محرم عليهم كالمسلمين، وقد روي أن

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٦٠٩.

(٢) حاشية من: صـ١٢٨ من كتاب حضارة العرب.

النبي ﷺ، كتب إلى مجوس هجر: "إما أن تذروا الربا أو تأذنوا بحرب من الله ورسوله".

كما يمنع أهل الذمة من بيع الخمور والخنازير في أمصار المسلمين، وفتح الخانات فيها لشرب الخمر، وتسهيل تداولها، أو إدخالها إلى أمصار المسلمين على وجه الشهرة والظهور، ولو كان ذلك لاستمتاعهم الخاص سدًّا لذريعة الفساد، وإغلاقًا لباب الفتنة.

وفيما عدا هذه الأمور المحدودة، يتمتع الذميون بتمام حريتهم في مباشرة التجارات، والصناعات، والحرف المختلفة. وهذا ما جرى عليه الأمر، ونطق به تاريخ المسلمين في شتى الأزمان، وكادت بعض المهن تكون مقصورة عليهم كالصيرفة والصيدلة وغيرها، واستمر ذلك إلى وقت قريب في كثير من بلاد الإسلام، وقد جمعوا من وراء ذلك ثروات طائلة معفاة من الزكاة، ومن كل ضريبة إلا الجزية، وهي ضريبة على الأشخاص القادرين على حمل السلاح كما سيأتي، وهي مقدار جد زهيد.

قال آدم ميتز: ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال، وكانت قدمهم راسخة في الصنائع التي تدر الأرباح الوافرة، فكانوا صيارفة، وتجارًا، وأصحاب ضياع، وأطباء؛ بل إن أهل الذمة نظموا أنفسهم بحيث كان معظم الصيارفة الجهابذة في الشام مثلًا يهودًا، على حين كان أكثر الأطباء والكتبة نصارى، وكان رئيس النصارى ببغداد هو طبيب الخليفة، وكان رؤساء اليهود وجهابذتهم عنده)[1].

ضمان العقيدة:

أما الشريعة الإسلامية فهي شريعة الله وقانون السماء، الذي لا تبديل لكلماته، ولا جور في أحكامه، ولا يتم الإيمان إلا بطاعته، والرضا به. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

ولهذا يحرص كل مسلم يتمسك بدينه على تنفيذ أحكام هذه الشريعة ووصاياها؛ ليرضي ربه

---

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري للأستاذ آدم ميتز أستاذ اللغات الشرقية بجامعة بازل بسويسرا. ترجمة الأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريدة١/ ٨٦.

وينال ثوابه، لا يمنعه من ذلك عواطف القرابة والمودة، ولا مشاعر العداوة والشنآن. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٨).

واجبات أهل الذمة

تلك هي حقوق المواطنين من غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، وهذه هي ضمانات الوفاء بتلك الحقوق، فما هي الواجبات التي فرضها عليهم الإسلام في مقابل التمتع بتلك الحقوق، فمن المقرر أن كل حق يقابله واجب؟

والواجب أن هؤلاء المواطنين أهل الذمة تنحصر واجباتهم في أمور معدودة هي:

١- أداء الجزية والخراج والضريبة التجارية، وهذه هي واجباتهم المالية.

٢- التزام أحكام القانون الإسلامي في المعاملات المدنية ونحوها.

٣- احترام شعائر المسلمين ومشاعرهم.

الجزية والخراج:

أما الجزية فهي ضريبة سنوية على الرؤوس، تتمثل في مقدار زهيد من المال يفرض على الرجال البالغين القادرين على حسب ثرواتهم، أما الفقراء فمعفون منها إعفاء تامًّا. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ (الطلاق: ٧)، وليس للجزية حد معين، وإنما ترجع إلى تقدير الإمام الذي عليه أن يراعي طاقات الدافعين ولا يرهقهم، كما عليه أن يرعى المصلحة العامة للأمة.

وقد جعل عمر الجزية على الموسرين ثمانية وأربعين درهمًا، وعلى المتوسطين في اليسار أربعة وعشرين، وعلى الطبقة الدنيا من الموسرين اثنى عشر درهمًا، وبهذا سبق الفكر الضريبي الحديث في تقرير مبدأ تفاوت الضريبة بتفاوت القدرة على الدفع، ولا تعارض بين صنيع عمر وقول النبي ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: "خذ من كل حالم دينارًا"[(١)] لأن الفقر كان في أهل اليمن أغلب، فراعى النبي ﷺ حالتهم.

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٢٣٠، والترمذي (٦٢٣) وحسنه، وصححه الألباني في إرواء الغليل٣/ ٢٦٩.

والأصل في وجوب الجزية من القرآن قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

ومعنى الصغَّار هنا التسليم، وإلقاء السلاح، والخضوع لحكم الدولة الإسلامية، ومن السنة أن النبي ﷺ أخذ الجزية من مجوس البحرين، كذلك أخذ الخلفاء الراشدون الجزية من أهل الكتاب ومن في حكمهم في سائر البلاد المفتوحة، واستقر العمل عليه فصار إجماعًا.

وأما الخراج فهو ضريبة مالية تفرض على رقبة الأرض إذا بقيت في أيديهم، ويرجع تقديره إلى الإمام أيضًا، فله أن يقاسمهم بنسبة معينة مما يخرج من الأرض كالثلث والربع مثلًا، وله أن يفرض عليهم مقدارًا محددًا، مكيلًا أو موزونًا بحسب ما تطيقه الأرض كما صنع عمر في سواد العراق، وقد يقوم ذلك بالنقود.

والفرق بين الجزية والخراج أن الأولى تسقط بالإسلام، دون الخراج.

فالذمي إذا أسلم لا يعفيه إسلامه من أداء الخراج؛ بل يظل عليه أيضًا، ويزيد على الذمي الباقي على ديانته الأصلية أنه يدفع العشر -أو نصفه- عن غلة الأرض بجوار دفع الخراج عن رقبتها، كما هو مذهب الأئمة الثلاثة، وجمهور الفقهاء خلافًا لأبي حنيفة، فالخراج هو بمثابة ضريبة الأملاك العقارية اليوم، والعشر بمثابة ضريبة الاستغلال الزراعي.

ومن الناس من ينظرون إلى الأمور نظرة سطحية فيحسبون الإسلام متعسفًا في فرضه الجزية على غير المسلمين.

ولو أنهم أنصفوا وتأملوا حقيقة الأمر لعلموا أن الإسلام كان منصفًا كل الإنصاف في إيجابه هذه الجزية الزهيدة.

فقد أوجب الإسلام على أبنائه الخدمة العسكرية باعتبارها فرض كفاية، أو فرض عين، وناط بهم واجب الدفاع عن الدولة، وأعفي من ذلك غير المسلمين، وإن كانوا يعيشون في ظل دولته.

ذلك أن الدولة الإسلامية دولة عقائدية - أو بتعبير المعاصرين أيديولوجية- أي: أنها دولة تقوم على مبدأ وفكرة، ومثل هذه الدولة لا يقاتل دفاعًا عنها إلا الذين يؤمنون بصحة مبدئها وسلامة فكرتها، وليس من المعقول أن يؤخذ شخص ليضع رأسه على كفه، ويسفك دمه من أجل فكرة يعتقد ببطلانها، وفي سبيل دين لا يؤمن به، والغالب أن دين المخالفين ذاته لا يسمح لهم بالدفاع عن دين آخر والقتال من أجله.

ولهذا قصر الإسلام واجب الجهاد على المسلمين؛ لأنه يعد فريضة دينية مقدسة، وعبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه حتى إن ثواب المجاهد ليفضل ثواب العابد القانت الذي يصوم النهار ويقوم الليل.

ولكن الإسلام فرض على هؤلاء المواطنين من غير المسلمين أن يسهموا في نفقات الدفاع، والحماية للوطن عن طريق ما عرف في المصطلح الإسلامي باسم الجزية.

فالجزية – فضلًا عن كونها علامة خضوع للحكم الإسلامي- هي في الحقيقة بدل مالي عن الخدمة العسكرية المفروضة على المسلمين.

ولهذا فرضها الإسلام على كل قادر على حمل السلاح من الرجال، فلا تجب على امرأة، ولا صبي؛ لأنهما ليسا من أهل القتال، وقد قال عمر: لا تضربوها على النساء والصبيان، ولهذا قال الفقهاء: لو أن امرأة بذلت الجزية ليسمح لها بدخول دار الإسلام تمكن من دخولها مجانًا، ويرد عليها ما أعطته؛ لأنه أخذ بغير حق، وإن أعطتها تبرعًا مع علمها بأن لا جزية عليها قبلت منها، وتعتبر هبة من الهبات.

ومثل المرأة والصبي الشيخ الكبير، والأعمى، والزَّمِن، والمعتوه، وكل من ليس من أهل السلاح.

ومن سماحة المسلمين أنهم قرروا أن لا جزية على الراهب المنقطع للعبادة في صومعته؛ لأنه ليس من أهل القتال[١].

يقول المؤرخ الغربي آدم ميتز: (كان أهل الذمة -بحكم ما يتمتعون به من تسامح المسلمين معهم، ومن حمايتهم لهم- يدفعون الجزية كل منهم بحسب قدرته، وكانت هذه الجزية أشبه بضريبة الدفاع الوطني، فكان لا يدفعها إلا الرجل القادر على حمل السلاح، فلا يدفعها ذوو العاهات، ولا المترهبون، وأهل الصوامع إلا إذا كان لهم يسار)[٢].

على أن هناك علة أخرى لإيجاب الجزية على أهل الذمة، وهي العلة التي تبرر فرض الضرائب من أي حكومة في أي عصر على رعاياها، وهي إشراكهم في نفقات المرافق العامة التي يتمتع الجميع بثمراتها ووجوه نشاطها، كالقضاء والشرطة، وما تقوم به الدولة من إصلاح الطرق وإقامة الجسور، وما يلزمها من كفالة المعيشة الملائمة لكل فرد يستظل بظلها مسلمًا كان أو غير مسلم.

والمسلمون يسهمون في ذلك بما يدفعونه من زكاة عن نقودهم، وتجاراتهم، وأنعامهم، وزروعهم، وثمارهم، فضلًا عن صدقة الفطر وغيرها، فلا عجب أن يطلب من غير المسلمين المساهمة بهذا القدر الزهيد وهو الجزية.

ومن ثم وجدنا كتب الفقه المالكي تضع أحكام الجزية لأهل الذمة في صلب أحكام الزكاة للمسلمين[٣].

إن الجزية بدل عن الحماية العسكرية التي تقوم بها الدولة الإسلامية لأهل ذمته في المرتبة الأولى، فإذا لم تستطع الدولة أن تقوم بهذه الحماية لم يعد لها حق في هذه الجزية أو هذه الضريبة.

---

(١) انظر على سبيل المثال: مطالب أولي النهى بشرح غاية المنتهى في فقه الحنابلة ٢/ ٩٦.

(٢) الحضارة الإسلامية ١/ ٩٦.

(٣) انظر على سبيل المثال: الرسالة لابن أبي زيد مع شرحها لابن ناجي، وزروق ١/ ٣٣١وما بعدها، حيث وضعت الجزية في صلب أبواب الزكاة.

وهذا ما صنعه أبو عبيدة حين أبلغه نوابه عن مدن الشام بتجمع جحافل الروم، فكتب إليهم أن يردوا الجزية عمن أخذوها منه، وأمرهم أن يعلنوهم بهذا البلاغ: إنما رددنا عليكم أموالكم؛ لأنه قد بلغنا ما جُمِعَ لنا من الجموع، وإنكم اشترطم علينا أن نمنعكم، أي نحميكم إنَّا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشروط، وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم. رواه أبو يوسف في "الخراج".

وجاء في كثير من العقود التي كتبها قواد المسلمين كخالد وغيره لأهل الذمة مثل هذا النص: إن منعناكم فلنا الجزية، وإلا فلا حتى نمنعكم. كما روى ذلك الطبري في تاريخه.

وتسقط الجزية أيضًا باشتراك أهل الذمة مع المسلمين في القتال والدفاع عن دار الإسلام ضد أعداء الإسلام، وقد نص على ذلك صراحة في بعض العهود والمواثيق التي أُبرمت بين المسلمين، وأهل الذمة في عهد عمر ﷺ[١].

أما طريقة جمع الجزية وموعدها فيقول صاحب كتاب "الإسلام وأهل الذمة"[٢] أخذًا عن أوثق المصادر: كانت الجزية تجمع مرة واحدة كل سنة بالشهور الهلالية[٣]، وكان يسمح بدفع الجزية نقدًا أو عينًا، لكن لا يسمح بتقديم الميتة، أو الخنزير، أو الخمر بدلًا من الجزية. وأمر عمر بن الخطاب بالتخفيف عن أهل الذمة فقال: من لم يطق الجزية خففوا عنه، ومن عجز فأعينوه؛ فإنا لا نريدهم لعام أو لعامين[٤]، وكانت الدولة الإسلامية كثيرًا ما تؤخر موعد تأدية الجزية حتى تنضج المحصولات الزراعية، فيستطيع أهل الذمة تأديتها

---

(١) انظر: أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام للدكتور عبد الكريم زيدان صـ١٥٥ وما بعدها، وراجع على سبيل المثال: فتوح البلدان للبلاذري صـ٢١٧، حيث صالح مندوب أبي عبيدة جماعة الجراجمة المسيحيين أن يكونوا أعوانًا للمسلمين، وعيونًا على عدوهم، وإلا يؤخذوا بالجزية.

(٢) الإسلام وأهل الذمة صـ٧٠-٧١.

(٣) الماوردي الأحكام السلطانية صـ١٣٨.

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٨.

دون أن يرهقهم ذلك، فقال أبو عبيد[(١)]: وإنما وجه التأخير إلى الغلة للرفق بهم.

واتبعت الدولة الإسلامية الرفق والرحمة في جمع الجزية، فقد قدم أحد عمال عمر بن الخطاب عليه بأموال الجزية فوجدها عمر كثيرة فقال لعامله: إني لأظنكم قد أهلكتم الناس؟ فقال: لا، والله ما أخذنا إلا عفوًا صفوًا، فقال عمر: بلا سوط، ولا نوط؟ فقال: نعم، فقال عمر: الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي ولا في سلطاني[(٢)].

والواجب الثاني على أهل الذمة: أن يلتزموا أحكام الإسلام التي تطبق على المسلمين؛ لأنهم بمقتضى الذمة أصبحوا يحملون جنسية الدولة الإسلامية فعليهم أن يتقيدوا بقوانينها التي لا تمس عقائدهم وحريتهم الدينية.

فليس عليهم أي تكليف من التكاليف التعبدية للمسلمين، أو التي لها صبغة تعبدية أو دينية مثل الزكاة التي هي ضريبة وعبادة في الوقت نفسه، ومثل الجهاد الذي هو خدمة عسكرية وفريضة إسلامية. ومن أجل ذلك فرض الإسلام عليهم الجزية بدلًا من الجهاد والزكاة -كما عرفنا- رعاية لشعورهم الديني أن يفرض عليهم ما هو من عبادات الإسلام.

وليس عليهم في أحوالهم الشخصية والاجتماعية أن يتنازلوا عما أحله له دينهم، وإن كان قد حرمه الإسلام، كما في الزواج، والطلاق، وأكل الخنزير، وشرب الخمر. فالإسلام يقرهم على ما يعتقدون حله، ولا يتعرض لهم في ذلك بإبطال ولا عتاب.

فالمجوسي الذي يتزوج إحدى محارمه، واليهودي الذي يتزوج بنت أخيه، والنصراني الذي يأكل الخنزير، ويشرب الخمر، لا يتدخل الإسلام في شئونهم هذه ما داموا يعتقدون حلها، فقد أمر المسلمون أن يتركوهم وما يدينون، فإذا رضوا بالاحتكام إلى شرع المسلمين في هذه الأمور حكمنا فيهم بحكم الإسلام لقوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا

---

(١) الأموال صـ٤٤.

(٢) المصدر السابق صـ٤٣.

تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ (المائدة: ٤٩).

مراعاة شعور المسلمين:

والواجب الثالث عليهم: أن يحترموا شعور المسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيهم، وأن يراعوا هيبة الدولة الإسلامية التي تظلهم بحمايتها ورعايتها.

فلا يجوز لهم أن يسبوا الإسلام ورسوله وكتابه جهرة، ولا أن يروجوا من العقائد والأفكار ما ينافي عقيدة الدولة ودينها، ما لم يكن ذلك جزءًا من عقيدتهم كالتثليث والصلب عند النصارى.

ولا يجوز لهم أن يتظاهروا بشرب الخمر وأكل الخنزير، ونحو ذلك مما يحرم في دين الإسلام، كما لا يجوز لهم أن يبيعوها لأفراد المسلمين، لما في ذلك من إفساد المجتمع الإسلامي.

وعليهم ألا يظهروا الأكل والشرب في نهار رمضان، مراعاة لعواطف المسلمين.

وكل ما يراه الإسلام منكرًا في حق أبنائه، وهو مباح في دينهم، فعليهم -إن فعلوه- ألا يعلنوا به، ولا يظهروا في صورة المتحدي لجمهور المسلمين حتى تعيش عناصر المجتمع كلها في سلام ووئام.

إن التسامح الديني والفكري له درجات ومراتب.

فالدرجة الدنيا من التسامح أن تدع لمخالفك حرية دينه وعقيدته، ولا تجبره بالقوة على اعتناق دينك، أو مذهبك، بحيث إذا أبى حكمت عليه بالموت، أو العذاب، أو المصادرة، أو النفي، أو غير ذلك من ألوان العقوبات والاضطهاد. فتدع له حرية الاعتقاد، ولكن لا تمكنه من ممارسة واجباته الدينية التي تفرضها عليه عقيدته، والامتناع مما يعتقد تحريمه عليه.

والدرجة الوسطى من التسامح أن تدع له حق الاعتقاد بما يراه من ديانة ومذهب ثم لا تضيق عليه بترك أمر يعتقد وجوبه أو فعل أمر يعتقد حرمته، فإذا كان اليهودي يعتقد حرمة العمل يوم السبت فلا يجوز أن يكلف بعمل في هذا اليوم؛ لأنه لا يفعله إلا وهو

يشعر بمخالفة دينه[1].

وإذا كان النصراني يعتقد بوجوب الذهاب إلى الكنسية يوم الأحد فلا يجوز أن يمنع من ذلك في هذا اليوم.

والدرجة التي تعلو هذه في التسامح: ألا تضيق على المخالفين فيما يعتقدون حله في دينهم أو مذهبهم، وإن كنت تعتقد أنه حرام في دينك أو مذهبك. وهذا ما كان عليه المسلمون مع المخالفين من أهل الذمة إذ ارتفعوا إلى الدرجة العليا من التسامح.

فقد التزموا كل ما يعتقده غير المسلم أنه حلال في دينه، ووسعوا له في ذلك، ولم يضيقوا عليه بالمنع والتحريم، وكان يمكنهم أن يحرموا ذلك مراعاة لشريعة الدولة، ودينها، ولا يُتهموا بكثير من التعصب أو قليل ذلك؛ لأن الشيء الذي يحله دين من الأديان ليس فرضًا على أتباعه أن يفعلوه؛ فإذا كان دين المجوسي يبيح له الزواج من أمه أو أخته فيمكنه أن يتزوج من غيرهما ولا حرج وإذا كان دين النصراني يحل له أكل الخنزير؛ فإنه يستطيع أن يعيش عمره دون أن يأكل الخنزير وفي لحوم البقر، والغنم، والطير متسع له.

ومثل ذلك الخمر، فإذا كان الإنجيل قد جاء بإباحتها فليس من فرائض المسيحية أن يشرب المسيحي الخمر.

فلو أن الإسلام قال للذميين دعوا زواج المحارم، وشرب الخمر، وأكل الخنازير مراعاة لشعور إخوانكم المسلمين، لم يكن عليهم في ذلك أي حرج ديني؛ لأنهم إذا تركوا هذه الأشياء لم يرتكبوا في دينهم منكرًا، ولا أخلوا بواجب مقدس.

ومع هذا لم يقل الإسلام ذلك، ولم يشأ أن يضيق على غير المسلمين في أمر يعتقدون حله، وقال للمسلمين: اتركوهم وما يدينون.

---

(١) في غاية المنتهى وشرحه من كتب الحنابلة: ويحرم إحضار يهودي في سبته، وتحريمه باق بالنسبة إليه فيستثني شرعًا من عمل في إجازة، لحديث النسائي والترمذي وصححه: وأنتم يهود عليكم خاصة ألا تعدوا في السبت اهـ ٢/ ٦٠٤.

على أن هناك شيئًا آخر لا يدخل في نطاق الحقوق التي تنظمها القوانين، ويلزم بها القضاء، وتشرف على تنفيذها الحكومات.

ذلك هو روح التسامح التي تبدو في حسن المعاشرة، ولطف المعاملة، ورعاية الجوار، وسعة المشاعر الإنسانية من البر والرحمة والإحسان، وهي الأمور التي تحتاج إليها الحياة اليومية، ولا يُغني فيها قانون ولا قضاء. وهذه الروح لا تكاد توجد في غير المجتمع الإسلامي.

تتجلى هذه السماحة في مثل قول القرآن في شأن الوالدين المشركين اللذين يحاولان إخراج ابنهما من التوحيد إلى الشرك: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (لقمان: ١٥).

وفي ترغيب القرآن في البر والإقساط إلى المخالفين الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ (الممتحنة: ٨).

وفي قول القرآن يصف الأبرار من عباد الله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان: ٨)، ولم يكن الأسير حين نزلت الآية إلا من المشركين.

وفي قول القرآن يجيب عن شبهة المسلمين في مشروعية الإنفاق على ذويهم، وجيرانهم من المشركين المصرين: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٧٢).

هذا على الرغم مما قاساه من أهل مكة من العنت والأذى هو وأصحابه.

وروى أحمد والشيخان عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟ قال: "نعم صلي أمك"[١].

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٤٩.

وفي قول القرآن يبين أدب المجادلة مع المخالفين: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

وتتجلى هذه السماحة كذلك في معاملة الرسول ﷺ لأهل الكتاب يهودًا كانوا أو نصارى، فقد كان يزورهم ويكرمهم، ويحسن إليهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم ويعطيهم.

وتتجلى هذه السماحة كذلك في معاملة الصحابة والتابعين لغير المسلمين، فعمر يأمر بصرف معاش دائم ليهودي وعياله من بيت مال المسلمين ثم يقول: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾، وهذا من مساكين أهل الكتاب[1].

ويمر في رحلته إلى الشام بقوم مجذومين من النصارى فيأمر بمساعدة اجتماعية لهم من بيت مال المسلمين.

وأصيب عمر بضربة رجل من أهل الذمة -أبي لؤلؤة المجوسي- فلم يمنعه ذلك أن يوصي الخليفة من بعده، وهو على فراش الموت فيقول: أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرًا، أن يوفي بعهدِهم، وأن يقاتل من ورائهم، وألا يكلفهم فوق طاقتهم[2].

وابن عمر يوصي غلامه أن يعطي جاره اليهودي من الأضحية، ويكرر الوصية مرة بعد مرة حتى دهش الغلام، وسأله عن سر هذه العناية بجار يهودي، قال ابن عمر: إن النبي ﷺ قال: "مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"[3].

وماتت أم الحارث بن أبي ربيعة وهي نصرانية فشيعها أصحاب رسول الله ﷺ، وكان بعض أجلاء التابعين يعطون نصيبًا من صدقة الفطر لرهبان النصارى، ولا يرون في ذلك حرجًا؛ بل

---

(١) الخراج لأبي يوسف صـ٢٦.

(٢) البخاري (٣٤٩٧).

(٣) البخاري (٥٦٦٩)، مسلم (٢٦٢٤).

ذهب بعضهم كعكرمة، وابن سيرين، والزهري إلى جواز إعطائهم من الزكاة نفسها.

وروى ابن أبي شيبة عن جابر بن زيد: أنه سُئِل عن الصدقة فيمن توضع؟ فقال: في أهل ملتكم من المسلمين، وأهل ذمتهم[١].

وذكر القاضي عياض في "ترتيب المدارك" قال: حدث الدارقطني: أن القاضي إسماعيل بن إسحاق، دخل عليه الوزير عبدون بن صاعد النصراني وزير الخليفة المعتضد بالله العباسي، فقام له القاضي ورحب به فرأى إنكار الشهود لذلك، فلما خرج الوزير قال القاضي إسماعيل: قد علمت إنكاركم، وقد قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾، وهذا الرجل يقضي حوائج المسلمين، وهو سفير بيننا وبين المعتضد، وهذا من البر[٢].

وتتجلى هذه السماحة بعد ذلك في مواقف كثير من الأئمة والفقهاء، في الدفاع عن أهل الذمة، واعتبار أعراضهم، وحرماتهم كحرمات المسلمين.

ونكتفي هنا بكلمات نيرة للفقيه الأصولي المحقق شهاب الدين القرافي شارحًا بها معنى البر الذي أمر الله به المسلمين في شأنهم، فذكر من ذلك الرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم، ولين القول لهم – على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة واحتمال أذيتهم في الجوار– مع القدرة على إزالته لطفًا منا بهم، لا خوفًا ولا تطيعًا، والدعاء لهم بالهداية، وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم، وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم إلى جميع حقوقهم. . . . . . إلخ[٣].

---

(١) ذكر ذلك ابن حزم في المحلي ٥/ ١١٧.

(٢) المرجع السابق صـ١٧٤.

(٣) الفروق ٣/ ١٥.

وأساس النظرة المتسامحة التي تسود المسلمين في معاملة مخالفيهم في الدين يرجع إلى الأفكار والحقائق الناصعة التي غرسها الإسلام في عقول المسلمين وقلوبهم وأهمها:

١- اعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان، أيًّا كان دينه أو جنسه أو لونه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، وهذه الكرامة المقررة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية.

ومن الأمثلة العملية ما ذكرناه من قبل، وهو ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله: أن جنازة مرت على النبي ﷺ فقام لها واقفًا، فقيل له: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي! فقال: "أليست نفسًا؟!"[١].

بلى، ولكل نفس في الإسلام حرمة ومكان، فما أروع الموقف! وما أروع التفسير والتعليل!

٢- ليس المسلم مكلفًا أن يحاسب الكافرين على كفرهم، أو يعاقب الضالين على ضلالهم، فهذا ليس إليه، وليس موعده هذه الدنيا، إنما حسابهم إلى الله في يوم الحساب، وجزاؤهم متروك إليه في يوم الدين قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الحج: ٦٨-٦٩). وقال يخاطب رسوله في شأن أهل الكتاب: ﴿فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (الشورى: ١٥).

وبهذا يستريح ضمير المسلم، ولا يجد في نفسه أي أثر للصراع بين اعتقاده بكفر الكافر، وبين مطالبته ببره والإقساط إليه، وإقراره على ما يراه من دين واعتقاد.

٣- إيمان المسلم بأن الله يأمر بالعدل، ويحب القسط، ويدعو إلى مكارم الأخلاق، ولو مع المشركين، ويكره الظلم ويعاقب الظالمين، ولو كان الظلم من مسلم على كافر. قال تعالى:

---

(١) رواه البخاري (١٣١٢).

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٨).

وقال ﷺ : "دعوة المظلوم – وإن كان كافرًا – ليس دونها حجاب"(١).

كثيرًا ما توضع شرائع حسنة، وأحكام عادلة، ومبادئ قيمة، ولكنها تظل حبرًا على ورق، فلا توضع موضع التنفيذ، ولا يبالي بها الذين في أيديهم سلطة الأمر والنهي والإبرام والنقض.

ولكن ميزة المبادئ والأحكام الإسلامية أنها مبادئ ربانية الأصول دينية الصبغة، ولهذا وجدت من القبول والاستجابة ما لم تجده أي شريعة أخرى أو قانون مما يضع البشر بعضهم لبعض.

وقد حفل الواقع التاريخي للأمة الإسلامية في مختلف عصورها، وشتى أقدارها بأروع مظاهر التسامح الذي لا يزال الناس يتطلعون إليه إلى اليوم في معظم بقاع الأرض فلا يجدونه.

شبهات حول معاملة غير المسلمين

الشبهة الأولى: الجزية.*

يثير المبشرون والمستشرقون قضية الجزية التي غُلِّفَت بظلال كئيبة، وتفسيرات سوداء جعلت أهل الذمة يفزعون من مجرد ذكر اسمها، فهي في نظرهم ضريبة ذل وهوان، وعقوبة فرضت عليهم مقابل الامتناع عن الإسلام.

والجواب عن هذه الشبهة أن الجزية كما تقدم بدل عن فريضتين فرضتا على المسلمين وهما فريضة الجهاد وفريضة الزكاة.

وتتجلى مظاهر التسامح في فرض الجزية على أهل الذمة فيما يلي:

١ – كون الإسلام قد ارتضى من أهل الذمة الجزية ولم يقاتلهم رغم أنهم كفار، هذا في حد ذاته مظهر من مظاهر التسامح والسلام.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣/ ١٥٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٦٧).

* انظر: شبهة (الجزية) تحت أبواب الفقه من هذه الموسوعة فقد فصلنا القول هناك.

٢- إذا نظرنا إلى حكمة تشريع الجزية نجد فيها مظهرًا من مظاهر التسامح والسلام؛ لأن الجزية في الواقع ونفس الأمر ليست سوى ضريبة دفاع على حد تعبيرنا المعاصر؛ لأنها مقابل مادي نظير ما يتمتع به أهل الذمة من حماية في ديار الإسلام، وهذه الحماية لا تقدر بمال.

٣- وإذا كانت الجزية ضريبة دفاع فأي غضاضة في أن يدفع أهل الذمة هذه الضريبة؟ مع العلم بأن التشريعات الوضعية قد ألزمت المواطنين كلهم مسلمين وغير مسلمين بدفع الضرائب المختلفة كالضريبة على إيرادات رؤوس الأموال المنقولة، والضريبة على الأرباح التجارية والصناعية والضريبة على المرتبات، والضريبة على أرباح المهن غير التجارية، والضريبة العامة على الدخل. . . . . إلخ

٤- حرم الإسلام تكليف أهل الذمة ما لا قدرة لهم عليه، كما حرم ضربهم أو تعذيبهم أو حبسهم على أداء الجزية[1].

وهذه شهادات منصفة من باحثين غربيين تتحدث عن الجزية وهاهي بعض نصوصها:

١- إن المسلمين ما كانوا يتقاضون من مقهوريهم إلا شيئًا ضئيلًا من المال لا يقارن بما كانت تتقاضاه منهم حكوماتهم الوطنية[2].

٢- إن هذه الإتاوات المفروضة كانت سببًا لهذه السهولة الغريبة التي صادفها المسلمون في فتوحاتهم، فالشعوب رأت بدل أن تخضع لسلسلة لا تنتهي من المغارم التي تخيلها حرص الأباطرة أن تخضع لأداء جزية خفيفة يمكن توفيتها بسهولة، وتسلمها بسهولة كذلك[3].

٣- تكلمت لورافيشيا فاغليري عن المعاهدات التي وقعها المسلمون مع الذميين، وقالت عن هذه الاتفاقيات: منحت تلك الشعوب حرية الاحتفاظ بأديانها القديمة،

---

(١) انظر حولية كلية أصـول الدين العدد التاسع صـ١٠٠-١٠٢.

(٢) القول للعلامة دريبر، راجع: روح الدين الإسلامي صـ٣٩٢.

(٣) القول لمونتسيكو في كتابه روح الشرائع.

وتقاليدها القديمة شرط أن يدفع الذين لا يرضون الإسلام دينًا ضريبة عادلة إلى الحكومة تعرف بالجزية لقد كانت هذه الضريبة أخف من الضرائب التي كان المسلمون ملزمين بدفعها إلى حكوماتهم نفسها، ومقابل ذلك منح أولئك الرعايا المعروفون بأهل الذمة حماية لا تختلف في شيء عن تلك التي تمتعت بها الجماعة الإسلامية نفسها، ولما كانت أعمال الرسول والخلفاء الراشدين قد أصبحت فيما بعد قانونًا يتبعه المسلمون فليس من الغلو أن تصرَّ على أن الإسلام لم يكتف بالدعوة إلى التسامح الديني؛ بل تجاوز ذلك ليجعل التسامح جزءًا من شريعته الدينية[1].

٤- وقالت فاغليري أيضًا: ادفعوا جزية يسيرة تسبغ عليكم حماية كاملة، أو اتخذوا الإسلام دينًا وادخلوا في ملتنا فتتمتعوا بالحقوق نفسها التي نتمتع بها نحن[2].

٥- ويقول لوبون: جزية زهيدة تقل عما كانت تدفعه إلى سادتها السابقين من ضرائب[3].

قال شيخ المؤرخين المعاصرين توينبي: من الميسور أن نسقط الدعوى التي شاعت بين جوانب العالم المسيحي غلوًّا في تجسيم أثر الإكراه في الدعوة الإسلامية؛ إذ لم يكن التخيير ببلاد الروم والفرس بين الإسلام والسيف، وإنما كان تخييرًا بين الإسلام والجزية، وهي الخطة التي استحقت الثناء لاستنارتها حين اتبعت بعد ذلك في البلاد الإنجليزية على عهد الملكة إليزابيث، فكيف يعتبر مبدأ الإسلام أو الجزية في الشرق منكرًا وقسوة وعارًا، بينما ينظر إلى مبدأ المسيحية أو الجزية في الغرب في إنجلترا بالذات على أنه خطة حكيمة تستحق الثناء؟ أليس هذا تحاملًا؟! !

يقول المؤرخ سير توماس أرنولد[1]: ولم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة على المسيحيين -كما يريدنا بعض الباحثين على الظن- لونًا من ألوان العقاب لامتناعهم عن

(١) دفاع عن الإسلام صـ٣٤-٣٥.

(٢) دفاع عن الإسلام صـ٣٢.

(٣) حضارة العرب صـ١٣٤.

قبول الإسلام، وإنما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة، وهم غير المسلمين من رعايا الدولة الذين كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة في الجيش في مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين. ولما قدم أهل الحيرة المال المتفق عليه، ذكروا صراحة أنهم إنما دفعوا هذه الجزية على شريطة أن يمنعونا وأميرهم البغي من المسلمين وغيرهم. [٢]

الشبهة الثانية: ملابس أهل الذمة

ومن هذه الشبهات التي ضخمها المستشرقون ما يتعلق بملابس أهل الذمة، وما روي أن عمر بن الخطاب ﷺ: اشترط عليهم ألا يتشبهوا بالمسلمين في ثيابهم وسروجهم ونعالهم، وأن يضعوا في أوساطهم أو على أكتافهم شارات معينة تميزهم عن المسلمين وينسب ذلك إلى عمر بن العزيز أيضًا.

الجواب عن هذه الشبهة:

يقول الدكتور الخربوطلي[٣]: ونحن نرى أنه لو افترضنا جدلًا حقيقة هذه الأوامر الصادرة عن الخليفتين، فقد كان هذا لا غبار عليه، فهو نوع من التحديد للملابس في نطاق الحياة الاجتماعية، للتمييز بين أصحاب الأديان المختلفة، وخاصة أننا في وقت مبكر من التاريخ ليس فيه بطاقات تثبت الشخصية، وما تحمله عادة من تحديد الجنسية والدين والعمر وغير ذلك. فقد كانت الملابس المتميزة هي الوسيلة الوحيدة لإثبات دين كل من يرتديها، وكان للعرب المسلمين ملابسهم كما للنصارى أو اليهود أو المجوس ملابسهم أيضًا، وإذا كان المستشرقون قد اعتبروا أن تحديد شكل ولون الثياب هو من مظاهر الاضطهاد، فنحن نقول لهم: إن الاضطهاد في هذه الصورة يكون قد لحق بالمسلمين، وأهل الذمة على السواء، وإذا كان الخلفاء ينصحون العرب والمسلمين بألا يتشبهوا بغيرهم، فمن المنطقي أن يأمروا غير

---

(١) الدعوة إلى الإسلام صـ٧٩-٨١.

(٢) راجع تفصيل ذلك كله في شبهة الجزية من هذه الموسوعة.

(٣) الإسلام وأهل الذمة صـ٨٦-٨٧.

العرب وغير المسلمين أن لا يتشبهوا بالعرب المسلمين.

الشبهة الثالثة: ختم رقاب أهل الذمة.

ومن هذه الشبهات مسألة ختم رقاب أهل الذمة وشبهتهم هذه تقوم على تصوير الأمر كما يلي:

١- إن هذا الختم أمر دائم ومستمر.

٢- إن المسلمين هم مبتكرو هذا النظام.

٣- إنه يحمل صورة الإذلال والاضطهاد لأهل الذمة.

الجواب عن هذه الشبهة:

والحقيقة أن هذه الأمور الثلاثة غير صحيحة، كما بين ذلك المنصفون من مؤرخي المستشرقين أنفسهم الذين درسوا قضية أهل الذمة درسًا فاحصًا.

ومن أبرز هؤلاء المستشرق ترتون صاحب كتاب "أهل الذمة في الإسلام".

أما الأمر الأول: فقد ذكر اليعقوبي المؤرخ أن ختم الرقاب كان وقت جباية جزية رؤوسهم ثم تكسر الخواتيم[1]. وقال أبو يوسف: ينبغي أن تختم رقابهم في وقت جباية جزية رؤوسهم حتى يفرغ من عرضهم ثم تكسر الخواتيم[2].

وأما الأمر الثاني: فيقول ترتون: من الحق ألا نحمل العرب وزر هذا العيب إذ لم يكونوا فيه إلا مقلدين لما اتبعه البيزنطيون قبلهم[3].

وأما الأمر الثالث: فيذكر الدكتور علي حسن الخربوطلي في كتابه "الإسلام وأهل الذمة"[4]: أن السياسة التي سار عليها المسلمون في ختم الرقاب وقت تأدية الجزية، جريًا على ما كان متبعًا عند الرومان البيزنطيين. ليست صورة لاضطهاد أو إذلال، ولكنها -كما

---

(١) تارخ اليعقوبي ٢/ ١٣٠، نقلًا عن الإسلام وأهل الذمة صـ٧١.

(٢) الخراج لأبي يوسف صـ٧٢، المصـدر السابق.

(٣) أهل الذمة في الإسلام صـ١٣٢، نفس المصـدر.

(٤) الإسلام وأهل الذمة صـ٧٢.

يقول الدكتور بحق- وسيلة لمعرفة وتمييز من أدى الضريبة ومن لم يؤدها، وخاصة أن الطباعة لم تكن قد ظهرت بعد، وكان من العسير تدوين إيصالات واضحة ثابتة، تثبت تأدية الجزية ولا يمكن تزييفها، وما زالت بعض الدول الأفريقية والآسيوية في القرن العشرين تتبع هذه السياسة في الانتخابات، فيقومون بختم أيدي الناخبين بنوع من الأختام لا تزول إلا بعد يومين أو أكثر حتى لا يعطي صوته أكثر من مرة.

الشبهة الرابعة:

قالوا: إن التاريخ يثبت أن هناك فترات من التوتر الديني والطائفي بين المسلمين وغير المسلمين.

الجواب:

إن تاريخ التسامح الإسلامي مع أهل الأديان الأخرى تاريخ ناصع البياض، وقد رأينا كيف عاش هؤلاء في غاية من الأمان، والحرية، والكرامة باعتراف المؤرخين المنصفين من الغربيين أنفسهم، ولكن قومًا لبسوا مسوح العلم يريدون أن يقولوا في هذا التاريخ ما لم يقله، ويحملوه ما لم يحمله عنوة وافتعالًا، يصطادون في الماء العكر.

وفي سبيل هذه الغاية الشريرة جهدوا جهدهم أن يشوهوا تاريخ التسامح الإسلامي الذي لم تعرف له الإنسانية نظيرًا. متذرعين بحوادث جزئية قام بها بعض العوام أو الرعاع في بعض البلاد، وبعض الأزمان نتيجة لظروف وأسباب خاصة تحدث في كل بلاد الدنيا إلى يومنا هذا.

وفي شهادة لمؤرخ نصراني معاصر هو الدكتور جاك تاجر (١٣٣٦-١٣٧١هـ) (١٩١٨-١٩٥٢م) يقول: إن الأقباط قد استقبلوا العرب كمحررين بعد أن ضمن لهم العرب عند دخولهم مصر الحرية الدينية، وخففوا عنهم الضرائب، ولقد ساعدت الشريعة الإسلامية الأقباط على دخولهم الإسلام وإدماجهم في المجموعة الإسلامية بفضل إعفائهم من الضرائب، أما الذين ظلوا مخلصين للمسيحية فقد يسر لهم العرب سبل كسب المعيشة، إذ وكلوا لهم أمر الإشراف على دخل الدولة[1]، وهذه السماحة الإسلامية التي

(١) د/ جاك تاجر أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢ صـ٣٠٩-٣١٥.

تحدثت عنها هذه الشهادات النصرانية الشرقية، والتي أكدت وتؤكد أن هذه السماحة لم تقف فقط عند الدين وإنما امتدت لتترك جهاز الدولة أيضًا لأهل البلاد قد شهد بحقيقتها المستشرق الألماني الحجة آدم متز (١٨٦٩-١٩١٧م) عندما قال: لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام[1]، وحتى فترات التوتر الديني والطائفي التي شهدها التاريخ الإسلامي بين المسلمين وغير المسلمين التي ما كان متصورًا لهذا التاريخ الطويل أن يخلو منها؛ فإن سماحة الإسلام قد ظلت بريئة منها وذلك بشهادة المؤرخين الثقات من غير المسلمين، والذي يقول واحد منهم وهو المؤرخ الاجتماعي اللبناني جورج قرم عن أسباب هذا التوتر الطائفي الذي كان عابرًا كسحب الصيف في سماء ذلك التاريخ الطويل يقول هذا المؤرخ النصراني عن أسباب هذا التوتر: إنها محصورة في ثلاثة أسباب:

١- المزاج الشخصي المختل لحكام اضطهدوا الأغلبية المسلمة مع الأقليات غير المسلمة.

٢- الظلم والاستعلاء الذي مارسته الزعامات النصرانية واليهودية التي قبضت على جهاز الدولة المالي والإداري؛ فاضطهدت جمهور المسلمين الفقراء: الأمر الذي ولد ردود أفعال لم تقف عند الذين ظلموا منهم خاصة.

٣- استجابة قطاعات من أبناء الأقليات لغوايات الغزاة الغربيين الأمر الذي ولد ردود أفعال عنيفة عقب الغزوات الغربية، طالت قطاعات من أبناء هذه الأقليات.

لقد حصر جورج قرم التوتر الطائفي الذي مر بتاريخ السماحة الإسلامية في هذه الأسباب الثلاثة فقال: إن فترات التوتر والاضطهاد لغير المسلمين في الحضارة الإسلامية كانت قصيرة يحكمها ثلاثة عوامل:

العامل الأول: هو مزاج الخلفاء الشخصي فأخطر اضطهادين تعرض لهما الذميون وقعا في عهد المتوكل العباسي (٢٠٦-٢٤٧هـ) (٨٢١-٨٦١م) الخليفة الميال بطبعه إلى

---

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١/ ١٠٥، ترجمة د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة.

التعصب والقسوة، وفي عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٧٥-٤١١هـ) (٩٨٥-١٠٢١م) الذي غالى في التصرف معهم بشدة.

العامل الثاني: هو تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لسواد المسلمين والظلم الذي يمارسه بعض الذميين المعتلين لمناصب إدارية عالية، فلا يعسر أن ندرك صلتهما المباشرة بالاضطهادات التي وقعت في عدد من الأمصار.

أما العامل الثالث: فهو مرتبط بفترات التدخل الأجنبي في البلاد الإسلامية، وقيام الحكام الأجانب بإغراء واستدارج الأقليات الدينية غير المسلمة إلى التعاون معهم ضد الأغلبية المسلمة. إن الحكام الأجانب بمن فيهم الإنجليز لم يحجموا عن استخدام الأقلية القبطية في أغلب الأحيان ليحكموا الشعب ويستنزفوه بالضرائب، وهذه ظاهرة نلاحظها في سوريا أيضًا حيث أظهرت أبحاث جب بولياك (١٨٩٥-١٩٧١م) كيف أن هيمنة أبناء الأقليات في المجال الاقتصادي أدت إلى إثارة قلاقل دينية خطيرة بين النصارى والمسلمين في دمشق سنة ١٨٦٠م، وبين الموارنة والدروز في جبال لبنان سنة ١٨٤٠م، وسنة ١٨٦٠م، ونهايات الحملات الصليبية قد أعقبتها في أماكن عديدة أعمال ثأر وانتقام ضد الأقليات المسيحية ولا سيما الأرمن التي تعاونت مع الغازي.

بل إنه كثيرًا ما كان موقف أبناء الأقليات أنفسهم من الحكم الإسلامي -حتى عندما كان يعاملهم بأكبر قدر من التسامح- سببًا في نشوب قلاقل طائفية، فعلاوة على غلو الموظفين الذميين في الابتزاز، وفي مراعاتهم وتحيزهم إلى حد الصفاقة أحيانًا لأبناء دينهم ما كان يندر أن تصدر منهم استفزازات طائفية بكل معنى الكلمة[1].

تلك هي السماحة الإسلامية كما تجلت في القرآن الكريم، وفي البيان النبوي للبلاغ القرآني وكما تجسدت في المواثيق الدستورية، وفي الحياة العملية، والواقع المعيش للدولة

---

(١) جورج قرم. تعدد الأديان ونظم الحكم دراسة سوسيولوجية وقانونية مقارنة صـ٢١١-٢٢٤، والنقل عن د/ سعد الدين إبراهيم . الملل والنحل والأعراق صـ٧٢٩-٧٣٠.

الإسلامية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، وعبر تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية، وكما شهدت بها المصادر التي كتبها المؤرخون الثقات من النصارى الشرقيين والغربيين القدماء منهم والمحدثين والمعاصرين الذين تعمدنا الاعتماد على شهاداتهم - هم وحدهم - دون شهادة المؤرخين المسلمين، وذلك عملًا بمنهاج ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ على هذه السماحة الإسلامية التي تفرد بها الإسلام، والتي لا نظير لها خارج إطار الإسلام.

الشبهة الخامسة:

يستشهد بعض الغربيين بحوادث العنف التي تقع من بعض المسلمين على عدم سماحة الإسلام، وأنه دين مبني على العنف والإرهاب.

والجواب عن هذه الشبهة:

في الوقت الحاضر تعيش طوائف عديدة من النصارى في بلاد الشام ومصر وبلاد المغرب العربي وهي شاهد على سماحة الإسلام وهذا جعل المستشرق الإنجليزي توماس آرنولد[1] يقول: إن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح.

يقول د/ مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا السابق في محاضرة ألقاها في جامعة الأزهر، مصر بتاريخ ١٠ مايو (آيار) ١٩٩٨، قال فيها: لم يكن الرسول الكريم سياسيًا حصيفًا فحسب، وإنما كان قدوة في السماحة في قمة درجاتها، والاعتدال في أرقى صوره حتى في تعامله مع ألد أعدائه.

ويقول: ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان في هذا المقام هل يلتزم المسلمون بتعاليم الإسلام الداعية إلى التسامح والاعتدال؟ والإجابة بالإيجاب. لماذا؟ لأن الملايين من المسلمين، أو فلنقل الغالبية العظمى من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

---

(١) الدعوة إلى الإسلام صـ٧٠.

ملتزمون بتعاليم الدين الحنيف التي تدعوهم إلى التسامح والاعتدال، ولكن كما في أي مجتمع، أو في أي تجمع، أو في أي دين، هناك من هم خارجون عن الإجماع، وهناك من هم استثناء من القاعدة العامة.

ولماذا نذهب بعيدًا، أليس من بين المسيحيين من هم أكثر تطرفًا وعنفًا من المسلمين والذين يسمونهم بالمتعصبين أو المتطرفين؟ لقد رأينا مثل هؤلاء المسيحيين في البوسنة والهرسك يقتلون الرجال، والنساء، والأطفال، ويغتصبون ويعذبون إخوانهم في الوطن لمجرد أنهم مسلمون، ولوعدنا إلى وقائع التاريخ في العصر الوسيط لرأينا محاكم التفتيش الأسبانية التي ظلت تمارس عملها لمدة ثلاثمائة عام في تعذيب المسلمين، وملاحقتهم، وطردهم من الأندلس؛ بل وصل الحال بها إلى أنها كانت تحقق حتى مع من ارتدوا منهم إلى المسيحية للتأكد من أن ردتهم قد جاءت عن اقتناع، وليس من أجل الهروب من الملاحقة، والاضطهاد، والتعذيب، والإحراق.

وفي أيرلندا كيف كان عدم التسامح قائمًا حتى بين المسيحيين من طائفتي البروتستانت والكاثوليك؟ وكيف أدى عدم التسامح هذا إلى حرب ضروس بين الطائفتين ظلت مشتعلة لفترة طويلة من الزمن، كما رأينا كيف أدى تعصب الميليشيات المسيحية المسلحة في لبنان إلى اندلاع نيران الحرب الطائفية هناك، والتي أتت على الأخضر واليابس في هذا البلد الجميل الذي كان درة البلدان.

أمّا اليهود وأما الصهيونية فحدث ولا حرج عن جرائمهم البشعة.

إننا نرى التطرف وعدم التسامح في إسرائيل من بنيامين نتنياهو إلى شارون وجميع قادتهم من جهة، وقادة الأحزاب الدينية المسرفة في التطرف وفي الإرهاب، والذين نسوا ما تعرضوا له من اضطهاد في أوروبا، ويقومون اليوم بممارسة ظلم أنكى، واضطهاد أشد ضد العرب من مسلمين ومسيحيين، وإجبار هؤلاء العرب على العيش في أحياء منعزلة فقيرة ومعدمة كالتي فرضها عليهم هتلر في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية.

وفي الهند نرى التطرف من جانب الهندوس ضد المسلمين، وفي بلدان آسيوية أخرى نرى تطرفًا بوذيًّا ضد أصحاب الأديان الأخرى.

خلاصة القول؛ هو أن لا أحد يستطيع الادعاء أن التسامح والاعتدال حكر عليه من دون غيره، ففي كل مجتمع سوف يكون هناك نوع من الزيغ والضلال، وسوف تكون هناك قلة شاذة أو خارجة عما هو مألوف ومتفق عليه!.

الوجه السادس: معاملة المستأمن في دولة الإسلام.

تعريف المستأمن:

قال ابن منظور: " استأمن إليه: دخل في أمانه، وقد أمنه وآمنه، والمأمن: موضع الآمن، والأمن: المستجير ليأمن على نفسه "[1]، وقال الجوهري: " الأمان والأمانة بمعنى، وآمنت غيري من الأمن والأمان "[2].

فالأمان يعتمد على ركنين أساسيين، هما المؤمن والمستأمن، فالمستأمن: هو من طلب الأمان لنفسه ليدخل بلاد المسلمين مدة معلومة.

والمؤَمِّن: هو الذي يعطي الأمان، والأصل في هذا أنه الإمام أو نائبه؛ لأنه ينظر إلى ما فيه مصلحة المسلمين، ويجوز أن يكون المؤمن من أفراد الرعية من المسلمين المكلفين ذكورًا كانوا أو إناثًا، والحر والعبد في ذلك سواء، هذا ما عليه جمهور أهل العلم، وخالف أبو حنيفة في أمان العبد، فإنه لا ينعقد عنده إلا أن يكون مأذونًا له في القتال.

أما صيغ الأمان فغير مقيدة بصيغة معينة، وليس له لفظ خاص به؛ بل يكفي في ذلك أي لفظ يؤدي المقصود، سواء كان صريحًا كآجرتك وأمنتك أو لا بأس عليك أو لا فزع أو لا خوف ونحوه، أو كناية بنية كقوله: كن كيف شئت، أو أنت على ما تحب، ويصح أيضًا بالمكاتبة والمراسلة ونحو ذلك[3].

---

(١) لسان العرب ١٣/ ٢٢.

(٢) الصحاح ٥/ ٢٠٧١.

(٣) ينظر لما سبق: حاشية ابن عابدين ٣/ ٢٤٧.

قال ابن قدامة: "إذا دخل حربي دار الإسلام بغير أمان، وادعى أنه رسول قبل منه، ولم يجز التعرض له؛ لقول النبي ﷺ لرسولي مسيلمة "لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما"[(١)].

ولأن العادة جارية بذلك، وإن ادعى أنه تاجر، وقد جرت العادة بدخول تجارهم إلينا، لم يعرض له إن كان معه ما يبيعه؛ لأنهم دخلوا يعتقدون الأمان، أشبه ما لو دخلوا بإشارة مسلم، قال أحمد: " إذا ركب القوم في البحر، فاستقبلهم فيه تجار مشركون من أرض العدو ويريدون بلاد الإسلام لم يعرضوا لهم، ولم يقاتلوهم، وكل من دخل بلاد المسلمين من أرض الحرب بتجارة بويع، ولم يسأل عن شيء"[(٢)].

الأدلة على مشروعية الأمان من الكتاب والسنة

الأصل في الأمان قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه وإن استأمنك - يا محمد - من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم أحد ليسمع كلام الله منك، وهو القرآن الذي أنزل الله عليه، (فَأَجِرْهُ) يقول: فأمنه﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ وتتلوه عليه: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾يقول ثم رده بعد سماعه كلام الله إن هو أبى أن يسلم، ولم يتعظ بما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن إلى: (مَأْمَنَهُ) يقول: إلى حيث يأمن منك وممن في طاعتك، حتى يلحق بداره وقومه من المشركين "[(٣)].

وقال ابن كثير: " يقول - تعالى - لنبيه ﷺ عليه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الذين أمرتك بقتالهم، وأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم (اسْتَجَارَكَ) أي: استأمنك فأجبه إلى طلبته حتى يسمع كلام الله، أي: القرآن تقرؤه عليه وتذكر له شيئا من أمر الدين

---

(١) رواه أحمد (١٥٩٨٩) وأبو داود (٢٧٦٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٢٠) .

(٢) الشرح الكبير ١٠/ ٣٥٨، والحديث رواه أبو داود في سننه ٢/ ٧٦ وأحمد في مسنده ١/ ٣٩١.

(٣) تفسير الطبري١١/ ٣٤٦.

تقيم به عليه حجة الله: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ أي: وهو آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله وتنتشر دعوة الله في عباده "[١].

والدليل عليه من السنة ما رواه علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منهم صرف ولا عدل"[٢]. ورُوي أيضًا عن أم هانئ رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، قد أجرت أحمائي وأغلقت عليهم، وإن ابن أمي أراد قتلهم، فقال لها رسول الله ﷺ: "قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ، إنما يجير على المسلمين أدناهم"[٣]. ، وأجارت زينب بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها أبا العاص بن الربيع، فأمضاه ﷺ لها[٤].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عنه ﷺ أنه قال: "يد المسلمين على من سواهم، تتكافأ دماؤهم، ويجير عليهم أدناهم، ويرد عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم"[٥].

الفرق بين الأمان والذمة والهدنة.

لابن القيم - رحمه الله تعالى - كلام نفيس في الفرق بين هذه المصطلحات الثلاثة وما يترتب عليها من أحكام، حيث يقول: " الكفار إما أهل حرب وإما أهل عهد؛ وأهل العهد ثلاثة أصناف: أهل ذمة، وأهل هدنة، وأهل أمان، وقد عقد الفقهاء لكل صنف بابًا فقالوا: باب الهدنة، باب الأمان، باب عقد الذمة، ولفظ الذمة والعهد يتناول هؤلاء كلهم في الأصل، وكذلك لفظ الصلح، فإن الذمة من جنس لفظ العهد والعقد، وقولهم: هذا في ذمة فلان أصله

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٣٣٧.

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٨)، ومسلم (١٣٧١).

(٣) رواه البخاري (٣٥٠)، مسلم (٣٣٦).

(٤) رواه عبد الرزاق في المصنف ٥/ ٢٢٤- ٢٢٥، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٩٥.

(٥) رواه أحمد في المسند ٢/ ١٨٠، وابن خزيمة في صحيحه ٤/ ٢٦.

من هذا، أي: في عهده وعقده، أي: فألزمه بالعقد والميثاق، ثم صار يستعمل في كل ما يمكن أخذ الحق من جهته، سواء وجب بعقده أو بغير عقده، وهكذا لفظ الصلح عام في كل صلح، وهو يتناول صلح المسلمين، بعضهم مع بعض وصلحهم مع الكفار، ولكن صار في اصطلاح كثير من الفقهاء أهل الذمة عبارة عمن يؤدي الجزية، وهؤلاء لهم ذمة مؤبدة، وهؤلاء قد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم الله ورسوله؛ إذ هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حكم الله ورسوله، بخلاف أهل الهدنة فإنهم صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم، سواء كان الصلح على مال أو غير مال، لا تجري عليهم أحكام الإسلام كما تجري على أهل الذمة، ولكن عليهم الكف عن محاربة المسلمين، وهؤلاء يسمون أهل العهد وأهل الصلح وأهل الهدنة، وأما المستأمن فهو الذي يقدم بلاد المسلمين من غير استيطان لها، وهؤلاء أربعة أقسام: رسل وتجار ومستجيرون، حتى يعرض عليهم الإسلام والقرآن، فإن شاؤوا دخلوا فيه، وإن شاؤوا رجعوا إلى بلادهم، وطالبوا حاجة من زيارة أو غيرها، وحكم هؤلاء ألا يهاجروا ولا يقتلوا ولا تؤخذ منهم الجزية، وأن يعرض على المستجير منهم الإسلام والقرآن، فإن دخل فيه فذاك وإن أحب اللحاق بمأمنه ألحق به، ولم يعرض له قبل وصوله إليه فإذا وصل مأمنه عاد حربيًّا كما كان"[1].

ففي تقريره - رحمه الله - عدة فوائد منها:

ذكر حقوق أهل الذمة، وأهل الهدنة، والمستأمنين. فجميعهم في طور العهد.

ومنها: وجوب الوفاء لهم ما أوفوا.

ومنها: جواز دخول التجار والرسل والعمال وأهل الحرف والصناعات ونحوهم.

ومنها: أن أحكام الشرع تطبق على المعاهدين إذا كانوا يقيمون في الدار التي يجري فيها حكم الله ورسوله.

---

(١) أحكام أهل الذمة ٢/ ٨٧٣.

ومنها: أنه لا تطبق أحكام الإسلام على أهل الهدنة إذا كانوا يقيمون في ديارهم.

ومنها: جواز إعطاء أهل العهد الرخصة لزيارة أو حاجة تفيد المسلمين. فالمسلمون قد يحتاجون إلى غيرهم في الصناعة والتجارة ونحو ذلك، كالعلوم اللازمة لتقوية الشوكة والدفاع. أو في شؤون الزراعة أو الاقتصاد، فليس هناك حرج في دخول غير المسلمين في دار الإسلام من أجل هذه المقاصد بعقد وعهد.

قال شيخ الإسلام:" ولهذا ذهب طائفة من العلماء كمحمد بن جرير الطبري إلى أن الكفار لا يقرون في بلاد المسلمين بالجزية، إلا إذا كان المسلمون محتاجين إليهم، فإذا استغنوا عنهم أجلوهم كأهل خيبر، وفي هذه المسألة نزاع ليس هذا موضعه، والمقصود هنا أن الناس إذا احتاجوا إلى الطحانين والخبازين، فهذا على وجهين: أحدهما: أن يحتاجوا إلى صناعتهم، كالذين يطحنون ويخبزون لأهل البيوت، فهؤلاء يستحقون الأجرة، وليس لهم عند الحاجة إليهم أن يطالبوا إلا بأجرة المثل كغيرهم من الصنّاع، والثاني: أن يحتاجوا إلى الصنعة والبيع فيحتاجون إلى من يشتري الحنطة ويطحنها وإلى من يخبزها ويبيعها خبزًا لحاجة الناس. . . "[1].

وقال ابن عثيمين: "أنا أوافق على أنه ليس عندنا أهل ذمة، لأن أهل الذمة هم الذين يخضعون لأحكام الإسلام، ويؤدون الجزية وهذا مفقود من زمان طويل، ولكن لدينا معاهدون ومستأمنون ومعاهدون معاهدة عامة ومعاهدة خاصة فمن قدم إلى بلادنا من الكفار لعمل أو تجارة وسمح له بذلك فهو إما معاهد أو مستأمن لا يجوز الاعتداء عليه، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة"[2] فنحن مسلمون مستسلمون لأمر الله ﷻ محترمون لما اقتضى الإسلام احترامه من أهل العهد والأمان، فمن أخل بذلك فقد أساء للإسلام وأظهره للناس بمظهر الإرهاب والغدر والخيانة، ومن التزم أحكام الإسلام واحترم العهود والمواثيق فهذا هو الذي يرجى خيره وفلاحه".

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٨٩.

(٢) رواه البخاري (٣١٦٦).

فهؤلاء ومن على شاكلتهم مستأمنون لا يجوز قتالهم ولا التعرض لهم أو أذيتهم.

الواجب على المسلمين تجاه المستأمنين:

جعل الإسلام في شريعته الغراء حقوقًا واجبة للمستأمنين يجب الوفاء بها وأداؤها تجاههم، وأرشد المسلمين إلى كيفية التعامل معهم، كما أوجب عليهم حقوقًا تجاه المسلمين الذين أمنوهم في ديارهم. فمن تلك الحقوق الواجبة على المسلمين تجاههم:

١ ـ العدل معهم وعدم التعدي عليهم في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم؛ بل ولا يجوز ترويعهم وإخافتهم، ويعاملون بالعدل والقسط.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

قال البيضاوي: " لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم، فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل، كقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيًا مما في قلوبكم: ﴿ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ ، أي: العدل أقرب للتقوى، صرَّح لهم بالأمر بالعدل، وبيَّن أنَّه بمكانٍ من التقوى بعدما نهاهم عن الجور، وبيَّن أنَّه مقتضى الهوى، وإذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين؟"[١].

وقال ابن كثير: " ومن هذا قول عبد الله بن رواحة ﷺ لما بعثه النبيّ ﷺ يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزرعهم، فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم، فقال: والله لقد جئتكم من عند أحبِّ الخلق إليَّ، ولأنتم أبغض إليَّ من أعدادكم من القردة والخنازير، وما يحملني حبِّي إيّاه وبغضي لكم على أن لا أعدل فيكم، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض[٢].

وعن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم عن رسول الله ﷺ قال: ":« أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا وَانْتَقَصَهُ وَكَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا

---

(١) تفسير البيضاوي ٢/ ٢٢٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/ ٥٦٥، والحديث رواه أحمد في مسنده ٢/ ٢٤.

بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِإِصْبَعِهِ إِلَى صَدْرِهِ :« أَلاَ وَمَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَهُ ذِمَّةُ الله وَذِمَّةُ رَسُولِهِ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ». (١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: "من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا" رواه البخاري. (٢).

وصور تطبيق هذه التعاليم والأحكام في تاريخ المسلمين كثيرة ومتنوعة، فقد كان عمر رضي الله عنه يسأل الوافدين عليه من الأقاليم عن حال أهل الذمة والمعاهدين، خشية أن يكون أحد من المسلمين قد أفضى إليهم بأذى، فيقولون له: " ما نعلم إلا وفاء " أي: وفاء بمقتضى العقد والعهد الذي بينهم وبين المسلمين(٣).

ودخل ذمِّيٌّ من أهل حمص أبيض الرأس واللحية على عمر بن عبد العزيز، فقال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله. قال عمر: ما ذاك؟ قال: العبّاس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي. وكان عددٌ من رؤوس النّاس، وفيهم العباس بمجلس عمر، فسأله: يا عبّاس ما تقول؟ قال: نعم، أقطعنيها أبِي أمير المؤمنين، وكتب لي بِها سجلًا. فقال عمر: ما تقول يا ذمّيّ؟ قال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله تعالى. فقال عمر: نعم، كتاب الله أحقّ أن يتبع من كتاب الوليد، قم فاردد عليه ضيعته يا عبّاس(٤).

قال ابن القيم رحمه الله: " أحكام المستأمن والحربي مختلفة؛ لأن المستأمن يحرم قتله، وتضمن نفسه ويقطع بسرقة ماله، والحربي بخلافه "(٥).

---

(١) رواه البيهقي في سننه ٩/ ٢٠٥.

(٢) رواه البخاري (٣١٦٦).

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤/ ٢١٨.

(٤) صفة الصفوة ٢/ ١١٥.

(٥) أحكام أهل الذمة ٢/ ٧٣٧.

وقال ابن باز: " لا يجوز قتل الكافر المستأمن الذي أدخلته الدولة آمنًا، ولا قتل العصاة ولا التعدي عليهم؛ بل يحالون للحكم الشرعي، هذه مسائل يحكمها الحكم الشرعي "(١).

٢ ـ دعوتهم إلى الإسلام وبيان أحكامه بعلم وحكمة وأسلوب حسن

فمن خصائص هذا الدين أنه عالمي الرسالة، ليس مقصورًا على قوم أو بلد أو زمان، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾.

وعن أبي هريرة ﷺعن رسول الله ﷺ أنّه قال: "والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بِي أحد من هذه الأمّة؛ يهوديّ ولا نصرانِيّ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلاّ كان من أصحاب النار"(٢).

قال النووي: " فيه نسخ الملل كلها برسالة نبيناﷺ"(٣).

إن من سماحة هذا الدين أنه أذن لغير أهله من أهل الذمة والمعاهدين والمستأمنين أن يعيشوا في أرضه مع بقائهم على دينهم وعدم إكراههم على الإسلام، ولم يخل عصر من العصور من وجود غير المسلمين داخل المجتمع المسلم، يعيشون بين المسلمين، وينعمون بالأمن على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ولا يعني بقاؤهم داخل المجتمع المسلم بأي وجه من الوجوه الرضا بما هم عليه من الكفر بالله، فإن الله - تعالى - لا يرضى لعباده الكفر، وإنما أذن الشارع لهم بالبقاء لحكم عديدة منها:

- أن يخالطوا المسلمين ويتأملوا في محاسن الإسلام وشرائعه وينظروا فيها، فيجدوها مؤسسة على ما تحتمله العقول وتقبله، فيدعوهم ذلك إلى الإسلام، ويرغبهم فيه، فيدخلوا فيه، وهذا أحب إلى الله من قتلهم. والمقصود من ذلك أن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله، وعدم اختلاطهم بالمسلمين يفوت هذه المصلحة، وهي معرفتهم بالإسلام.

(١) مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري ٢٩.

(٢) رواه مسلم ٢/ ١٨٦.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ١٨٨.

قال السبكي رحمه الله: "وعدم اختلاطهم يبعدهم عن معرفة محاسن الإسلام، ألا ترى من الهجرة إلى زمن الحديبية لم يدخل في الإسلام إلا قليل، ومن الحديبية إلى الفتح دخل فيه نحو عشرة آلاف؛ لاختلاطهم بهم، للهدنة التي حصلت بينهم فهذا هو السبب في مشروعية عقد الذمة[١].

٣ـ الإحسان إلى المحتاج منهم بالصدقة والصلة:

قال الله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: قدمت عليَّ أمي، وهي مشركة في عهد قريشٍ إذ عاهدوا رسول الله ﷺ، فاستفتت رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إنّ أمي قدمت عليَّ وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: "نعم، صليها"[٢]. وأنزل الله تعالى فيها: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ الآية[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى حلة سيراء عند باب المسجد، فقال: يا رسول الله، لو اشتريت هذه فلبستها للناس يوم الجمعة، وللوفد إذا قدموا عليك. فقال رسول الله ﷺ: "إنّما يلبس هذه مَن لا خلاق له في الآخرة"، ثم جاءت رسولَ الله ﷺ منها حللٌ، فأعطى عمر منها حلة. فقال عمر: يا رسول الله كسوتنيها، وقد قلتَ في حلة عُطارد ما قلت؟ فقال رسول الله ﷺ: "إنّي لم أكسكها لتلبسها" فكساها عمر أخًا له مشركًا بمكة[٤].

قال النوويّ:" وفي هذا دليل لجواز صلة الأقارب الكفار، والإحسان إليهم، وجواز

---

(١) الفتاوى ٢/ ٤٠٤.

(٢) رواه البخاري(٥٩٧٩).

(٣) ينظر: الدر المنثور ٨/ ١٣٠ - ١٣١، حيث عزاه لابن المنذر وغيره.

(٤) رواه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٢٠٦٨).

الهدية إلى الكفار"[١]. والمشركون بمكة كانوا أهل حربٍ.

ومن الإحسان: الإحسان إلى الحربِي الأسير، قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ قال قتادة: " لقد أمر الله بالأسارى أن يحسن إليهم، وإنهم يومئذ لمشركون "[٢]. ، وقال الحسن: " كان الأسارى مشركين يوم نزلت هذه الآية "[٣]. ، وقال الطبريّ: " هو الحربي من أهل دار الحرب، يؤخذ قهرًا بالغلبة، أو من أهل القبلة يؤخذ فيحبس بحقّ "[٤].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ٣٩.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٣٧١، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٣٧١، وعزاه لابن مردويه وغيره.

(٤) تفسير الطبري ٢٦/ ٥٤٣- ٥٤٤، وانظر: في هذا المبحث إرهاب المستأمنين وموقف الإسلام منه. د/ بدر بن ناصر البدر اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب.

الفصل الثالث: نقد المشككين.

الوجه الأول: الفتح الإسلامي والاستعمار الغربي.

الاستعمار سيطرة فرد على فرد، أو جماعة على جماعة، أو دولة على دولة بغية الاستغلال.

وبعد الكشوف الجغرافية في العصر الحديث عرف العالم تنافسًا استعماريًّا محمومًا، انحسر عن أنواع من الاستعمار أهمها:

١- الاستعمار الاستيطاني: وهو أن تقوم دولة بإبادة السكان الأصليين أو إجلائهم لتملأ البلاد بأبنائها. كما حدث في أمريكا عند إبادة الهنود الحمر، وفي أسترالية عند إبادة السكان الاستراليين الأصليين، وفي فلسطين عندما أجلي السكان الأصليون عنها وشردوا.

٢- الاستعمار العسكري: وهو سيطرة أجنبية بجيوش مقيمة تتصرف بشؤون البلاد تصرفًا مطلقًا، وتستغلها أبشع استغلال، كما حدث في الهند أيام الاستعمار البريطاني لها.

٣- الحماية: السيطرة على الشؤون الخارجية والأمن والدفاع والاقتصاد. . . مع بقاء مظهر من مظاهر الحكم المحلي.

٤- الانتداب: ابتكرته عصبة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى (حسب المادة ٢٢ من ميثاقها)، وهو صيغة متقدمة للاستعمار، وضع لتأهيل البلاد للاستقلال فإذا به استغلال تام لمقدرات البلاد.

وتطور الاستعمار إلى نوع جديد منه، هو الاستعمار الحديث، وهو استعمار اقتصادي يسيطر على مصادر ثروة البلاد، مع السماح للبلاد المستعمرة اقتصاديًّا بالتمثيل خارجيًّا، وبإنشاء جيش، وبالانضمام للأمم المتحدة.

ومن صور الاستعمار التي حدثت في العالم: "إلى جانب القوة العسكرية والاقتصادية":

١- استيراد وشراء الزنوج من أفريقية؛ بل اختطافهم بأعداد هائلة (٢٠ مليونًا) وترحيلهم إلى أمريكا وأوربا للعمل في الأعمال القاسية: كالمناجم.

٢- إبادة السكان الأصليين في بعض المناطق: كأمريكا وأستراليا، أو تشريدهم كما فعل اليهود في فلسطين.

٣- سيطرة العنصرية والتفريق العنصري في: أمريكا وروديسيا وجنوب أفريقية، أو التمييز الديني كما في فلسطين المحتلة.

٤- تطاحن الدول المستعمرة فيما بينها طمعًا على خيرات الأمم، كما حدث بين أسبانيا والبرتغال، والإنكليز والفرنسيين، والإنكليز والبرتغاليين، والإنكليز والهولنديين. . .

٥- ابتزاز خيرات الشعوب وخاصة المواد الأولية، وإقامة صرح الصناعة في أوروبا وأمريكا بفضل خيرات المستعمرات.

٦- تطور الاستعمار ووصوله إلى "الإمبريالية" التي هي استعمار اقتصادي يتجلى في الاحتكارات، وتوظيف رؤوس الأموال، والضغط الاقتصادي.

٧- إفقار البلاد الزراعية وإبقاؤها زراعية وربطها بقروض مشروطة وبأحلاف وقواعد.

أما آثار ونتائج الاستعمار فهي:

١- التجزئة واغتصاب الأراضي.

٢- التخلف الاقتصادي في البلاد المستعمرة.

٣- إبقاء البلدان المستعمرة معتمدة على وسائل الإنتاج البدائية، الزراعة فقط.

٤- التدخل في العلاقات، وإقامة الحواجز الاقتصادية كالاحتكارات والمضاربة.

٥- انخفاض مستوى المعيشة في البلاد المستعمرة، والرفاهية في البلاد المستعمرة.

٦- تأخر الصحة وعجز الخدمات الصحية في البلاد المستعمرة.

٧- انتشار الجهل والأمية وقصور التعليم في البلاد المستعمرة.

٨- افتقار البلاد المستعمرة إلى الفنيين والاقتصاديين والعلماء لإعاقة النمو الاقتصادي.

٩- انتشار الرقيق في أوربا وأمريكا.

فهل نستطيع استنادًا لتعريف الاستعمار العلمي ونتائج وآثار هذا الاستعمار أن نسمي الفتح الإسلامي استعمارًا؟

يمكن القول بكل تأكيد- بعد النظر إلى نتائج الاستعمار التي مرت معنا- إن الإسلام لم يكن استعمارًا لما يلي:

١ - الإسلام جاء فحرر الرقيق.

٢- لم يعرف الإسلام إبادة الشعوب، فوصية الصدِّيق شاهد يمكن الرجوع إليها في آداب الجهاد.

٣- السيطرة العنصرية والتمييز العنصري، حدد الإسلام موقفه منهما بقول رسول الله ﷺ "لا فرق بين عربي وأعجمي، ولا بين أبيض وأسود إلا بالتقوى". فلقد رفع الإسلام بلالًا- وهو عبد أسود- فوق الكعبة ليقول: الله أكبر.

٤- أما ابتزاز خيرات الشعوب، فنرى أن الإسلام خلَّص سكان البلاد المفتوحة من الضرائب الباهظة التي كانت مفروضة من قبل الفرس أو الروم، ولنعلم أن الجزية مبلغ لا يُذكر مقابل الخدمات التي يستفيد منها الذمي، ويدفع المسلم أضعاف ما يدفع الذمي.

٥- عمَّ الرفاه البلاد التي فتحت؛ لاستتباب الأمن فيها، كما حدث في وادي النيل وسواد العراق. وأصبح الفاتح المسلم أحب إلى الشعوب من الحاكم السابق؛ لأنهم رأوا عمليًا خير وفائدة الإسلام.

كما عمت نهضة علمية وطبية وكثرت "البيمارستانات" والترجمات وإحياء الكتب القديمة على يد المسلمين ويد سكان البلاد المفتوحة معًا، فقد كان العلم للجميع، حتى أن أمهر العلماء في كل الميادين كانوا من سكان البلاد المفتوحة مثل: ابن سينا الذي ولد في "أفشنة" قرب بخارى، وأبي بكر الرازي المولود في "الري" والإمام البخاري المنسوب إلى "بخارى"، وأبي ريحان البيروني في "خوارزم". ومحمد بن موسى الخوارزمي المولود في "خوارزم" وأبي الوفاء البوزنجاني المولود في فارس، وكلهم علماء خلَّدهم التاريخ في ميادين العلوم بأنواعها.

تساءل د. لوبون: لو انتصر العرب في بواتيه، فماذا كان يصيب أوروبا؟ ويجيب: "كان يصيب أوربا النصرانية المتبربرة، مثل ما أصاب أسبانية من الحضارة الزاهرة تحت راية

النبي العربي، وكان لا يحدث في أوربا التي تكون قد هذبت ما حدث فيها من الكبائر كالحروب الدينية، وملحمة سان بارتيمي ومظالم محاكم التفتيش، وكل ما لم يعرفه المسلمون من الوقائع التي ضرَّجت أوربا بالدماء عدة قرون"[1].

فهل نشر الإسلام مع الإيمان بالله عز وجل علمًا أم جهلًا؟ نورًا أم ظلامًا؟ الاستعمار جهل، والإسلام علم، فكيف يجتمعان؟ الاستعمار خراب، والإسلام إعمار وبناء فكيف يلتقيان؟

كان النشيد الذي ردده الجيش الإيطالي الذي غزا ليبيا سنة ١٩١١م:

"يا أماه أتمي صلاتك، ولا تبكي؛ بل أضحكي وتأملي، ألا تعلمين أن إيطالية تدعوني، وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحًا مسرورًا؛ لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة، ولأحارب الديانة الإسلامية، سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن، وإن لم أرجع فلا تبك على ولدك، وإن سألك أخي عن عدم حزنك عليَّ فأجيبيه إنه مات في محاربة الإسلام".

١- سحق الأمة الملعونة: المسلم لا يسحق حتى حكام الشعوب عند الفتح؛ بل أراد هداية، هنا في النشيد سحق، والإسلام حياة للشعوب التي فتحت بلادها.

٢- "محو القرآن والإسلام"، بينما نجد في القرآن ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ (آل عمران: ٦٤) فالإسلام دعوة، والاستعمار سحق ومحو، ولن يلتقيا.

وهذه شهادة منصفة من مبشر في أفريقية ذكرها في كتابه "الإسلام في أفريقية الشرقية" وصاحب الكتاب هو المبشر "ليندن هاديس" فقد قرر المؤلف بعد النظر إلى الفارق الكبير بين أثر العرب وأثر الأوربيين في إفريقية الشمالية، أن البرتغاليين قضوا فيها نحو مائتي سنة لم يتركوا بعدها أثرًا من آثار الحضارة النافعة، ولم يعقبوا بعدهم غير ذكرى الخراب الذي حل على أيديهم بالمعاهد والمعابد الإسلامية، ولم يزالوا حيثما نزلوا يخربون وينهبون.

---

(١) حضارة العرب، صـ ٣١٧.

أما العرب الذين انتقلوا إلى السواحل، فإنهم نقلوا إليها الكتابة والعمارة وأدوات الحضارة، وطبعوها بطابعهم في كثير من أحوال المعيشة.

وليس ما حدث من الدمار إنما حلّ في إفريقية فحسب؛ بل لننظر في مناظر مؤسفة أخرى.

فماذا فعل رعاة البقر بشعب أمريكا الأصلي- الهنود الحمر؟

الجواب: إبادة كاملة.

وماذا فعلت فرنسا في الجزائر مثلًا؟

الجواب: مليون شهيد، وقبلها اتباع سياسة الأرض المحروقة على يد "بوجو".

وماذا عملت إنجلترا في أستراليا؟

الجواب: إبادة واستعمار استيطاني، وفي أفريقية تمييز عنصري.

ماذا عملت أسبانية والبرتغال في سكان أمريكا الجنوبية؟

الجواب: إنتهاء حضارة الإنكا والمايا والأزتيك، وإبادة كاملة، وسفن أسبوعية في قوافل مستمرة لنقل الذهب والفضة إلى أسبانية والبرتغال.

ماذا عملت هولندا في أندونيسيا؟

الجواب: امتصاص خيرات وإرهاق الشعب وإذلاله حتى إذا أراد الجندي الهولندي أن يعلو جواده أشار إلى أندونيسيٍّ فيركع أمام الهولندي بإزاء جواده، فيدوس الهولندي بحذائه العسكري على ظهر الأندونيسى ليعلو جواده.

ماذا عملت أمريكا المتحضرة في فيتنام؟

الجواب: ملايين القنابل على الشعب الآمن.

ناهيك عن الجهل والتأخر والسيطرة الاقتصادية على الشعوب.

الوجه الثاني: رمتني بدائها وانسلّت (كيف انتشرت المسيحية وغيرها من الديانات؟).

مثل عربي يطلق على الشخص الذي يكون به الداء ثم يرمى به غيره.

فإننا لو نظرنا إلى أصحاب الديانات الذين يتهمون الإسلام بأنه انتشر بالسيف والإرهاب نجد هذه الفرية ملتصقة بهم قديمًا وحديثا فهم اتهمونا بها لدفعها عن أنفسهم

فوقعوا في "الإسقاط" كما يقول علم النفس، والإسقاط من وسائل الدفاع الأولية ألا وهو اتهام الآخرين بما فينا، كالكاذب يتهم الناس بالكذب ليظهر نفسه صادقًا.

فمن يستقريء التاريخ في كيفية انتشار الأديان يجد ما يلي:

١- فرض "امنحتب" - فرعون مصر- على شعبه عبادة إله الشمس "آتون". وأغلق معابد الآلهة الأخرى، وحطم تماثيلها، ومحا صورها، وطمس أسماءها، وكل مخالف تعرض للاضطهاد والعذاب[(١)].

٢- كانت البوذية: لا شأن لها قبل "آزوكا" الذي اعتنقها واهتم بنشرها خارج مملكته حتى وصل سيلان وبورما، فآزوكا تبناها وأخذ بنشرها حتى شملت جنوب شرق آسيا[(٢)].

٣- وكذلك المزدكية: لم يكن لها اعتبار قبل "قباذ" فهذا الملك الفارسي تبنى هذه العقيدة وحاول فرضها جبرًا على شعبه كله، وحتى المناذرة العرب التابعين له في العراق[(٣)]. وبزوال سلطان قباذ ضعف شأن المزدكية.

٤- وأما الزرادشتية: فلم تنشر قبل دارا كسرى الفرس، الذي نشرها حربًا بعد قرن من وفاة زرادشت، حتى وصل بها أثينا عاصمة اليونانيين القدماء.

٥- الكونفوشيوسية: ما انتشرت تعاليمها إلا لاستخدام صاحبها لمركزه رئيسًا للوزراء في مقاطعة "لو" الصينية.

٦- وأخيرًا المسيحية: فإنها لم تكن لتنتشر لولا سلطة قسطنطين الذي أراد أن يكون سيدها فاستغل الخلافات الداخلية للكنيسة، وأصدر مرسوم ميلانو عام ٣١٣م، الذي اعترف بموجبه بالمسيحية، وأهال عليها أعطياته.

---

(١) راجع تاريخ الشرق الأدنى القديم لعبد العزيز عثمان، القسم المختص بتاريخ مصر القديم.

(٢) راجع تاريخ الحضارة لجورج حداد.

(٣) تاريخ الأمم الإسلامية للخضري، الجزء الأول، وراجع الشهرستاني في الملل والنحل ٢/ ٨٨.

وأما شارلمان فقد كان متحمسًا للمسيحية، يؤمن أن من واجبه تحويل جيرانه إلى المسيحية، ولم يؤمن بالحجة وضرب الأمثال طرقًا للهداية؛ بل كان يفضل طريق القوة[١]، فقد ظل يحارب السكسونيين ثلاثًا وثلاثين سنة، كلها عنف ووحشية، حتى أخضعهم وحوَّلهم قسرًا إلى الديانة المسيحية، كما تطلب ثماني رحلات حسومًا متتابعة، حتى هدم الأفاريين، الذي قيل عن أسلاب كنوزهم المكدسة أنها رفعت شارلمان من عالي الغنى والثروة إلى شاهق الفيض والوفرة[٢].

وفي مصدر آخر: فرض شارلمان على السكسونيين الوثنيين النصرانية بالسيف، ولما ضعف السكسونيون بعد معارك كثيرة وحروب عديدة، اعتنقوا المسيحية آخر الأمر وخضعوا لحكم الفرنجة، وكان فرض هذا الدين على السكسونيين على يد القديس ليودجر Liudger وويليهاد Willehad.

أ- ويقول الدكتور غوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب": "ولقد أكرهت مصر على انتحال النصرانية، ولكنها هبطت بذلك إلى حضيض الانحطاط الذي لم ينتشلها منه سوى الفتح العربي، وكان البؤس والشقاء مما كانت تعانيه مصر التي كانت مسرحًا للاختلافات الدينية الكثيرة في ذلك الزمن، وكان أهل مصر يقتتلون ويتلاعنون بفعل تلك الاختلافات، وكانت مصر التي أكلتها الانقسامات الدينية، وأنهكها استبداد الحكام تحقد أشد الحقد على سادتها الروم، وتنتظر ساعة تحريرها من براثن قياصرة القسطنطينية الظالمين"[٣].

ب- وفي الدانمارك: نشر الملك "كنوت Cnut" المسيحية في ممتلكاته بالقوة والإرهاب، "ومن ثم أخضع الأمم المغلوبة على أمرها للقانون المسيحي بعد أن اشتبك مع الممالك

---

(١) راجع العدد الثامن من موسوعة المعرفة التي تنشرها شركة ترديسكيم جنيف، صـ ١٢٢/ ١٢٣، والتي صـدرت بالعربية ٢٠ أيار ١٩٧١.

(٢) تاريخ أوربا العصـور الوسطى، تأليف: هـ. ا. ل. فيشر، ١/ ٦١.

(٣) حضارة العرب صـ ٣٣٦، الفصـل الرابع العرب في مصـر.

المتبربرة في حروب طاحنة مدفوعًا بما كان يضطرم في نفسه من الشوق إلى نشر العقيدة"[١].
العقيدة"[١].

جـ وفي روسيا: نشرت الدعوة المسيحية على يد جماعة اسمها، (تمعن أيها القاريء الجليل في اسمها)، إن اسمها: "إخوان السيف"[٢].

وفي مصدر آخر: "أما كيف كان دخول المسيحية روسيا، فيبدو أولًا أنه تم على يد فلاديمير دوق كييف (٩٨٥- ١٠١٥م) وهو سليل رورك، ويضرب به المثل في الوحشية والشهوانية، إذ جاء إلى الدوقية فوق جثة آخر إخوته، واقتنى من النسوة ثلاثة آلاف وخمسمائة[٣]. على أن هذا وذاك كله لم يمنع من تسجيله قديسًا في عداد القديسين بالكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية؛ لأنه الرجل الذي جعل من كييف مدينة مسيحية، وجعل من الروسيين شعبًا على دين المسيح، "زعيم بغفران ذنوبه". وقد أمر فلاديمير بتعميد أهل دوقية روسيا كلهم مرة واحدة في مياه نهر "الدنيبر"[٤].

د- فرض فرسان: Ordo Fratrum Militiae Christ المسيحية على شعوب ليفونيا فرضًا"[٥].

ويقول توماس أرنولد عن هذه المنطقة: وربما حل الاضطهاد والتغيير الإجباري محل الدعوة الهادئة إلى "كلمة الله"[٦].

---

(١) الدعوة إلى الإسلام صـ ٣٠ حاشية الصفحة ١٥٦ -١٥٩ .I. P. ٣٤٩ PP-.

(٢) الدعوة إلى الإسلام صـ ٣١ واسمهم بالأجنبية Bretheren of the sword.

(٣) راجع: Camb. Med. Hist. IV. P. ٢٠٨- حيث ورد أن عدد أولئك النسوة اللائي اختارهن فلاديمير لنفسه، بالإضافة إلى خمس زوجات شرعيات، لم يكن سوى ثمانمائة.

(٤) تاريخ أوربا في العصور الوسطى. هـ. أ. ل. فيشر، صـ ٤٠٧.

(٥) الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، صـ ٣١.

(٦) الدعوة إلى الإسلام، صـ ٣١ وفي المرجع ذاته صـ ٢٢٣٦: وظل الإسلام قائمًا بين الباشغردية من أهل المجر حتى سنة ١٣٤٠م، حيث أرغم الملك شارل روبرت جميع رعاياه والذين لم يكونوا مسيحيين بعد، أن يعتنقوا الدين المسيحي أو يغادروا البلاد.

هـ - في "النرويج": قام الملك (أولاف ترايجفيسون) بذبح هؤلاء الذين أبوا الدخول في المسيحية، أو بتقطيع أيديهم وأرجلهم أو بنفيهم وتشريدهم، وبهذه الوسائل نشر المسيحية في "فيكن" القسم الجنوبي من النرويج بأسرها[١].

و- جاء في "كتاب صلاح الدين الأيوبي" قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر لقدري قلعجي ما يلي: "سمل باسيليوس الثاني ناشر النصرانية في روسيا أعين (١٥ ألف) من أسرى البلغار إلا مائة وخمسين منهم، أبقى لكل واحد منهم عينًا واحدة ليقودوا إخوانهم في عودتهم لبلادهم".

ز- بعد أن استعرض الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور الاضطهاد الذي رافق انتشار المسيحية في عهد شارلمان ومذابحه للساكسون والنورمانديين، وما ارتكبه الفرسان التيتون وفرسان منطقة السيف من وحشية وقسوة بالغة في محاولتهم نشر المسيحية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر بين البروسيين واللتوانيين وغيرهم من الشعوب السلافية، بعد هذا كله أتى إلى ما صنعه المبشرون الجوزيت في القرن السابع عشر من عنف لنشر المسيحية في الهند[٢] التي لاقت منهم الأهوال.

ح- لم تكن الكشوف الجغرافية التي قامت بها أوربا خالصة للحضارة والمدنية، فمثلًا: "لقد أراد ليفنغستون أن يستكشف طرقًا في أفريقيا للمبشرين لا للمدينة"[٣] ولما مات في أفريقيا، دفن زملاؤه قلبه تحت الشجرة التي مات تحتها، أما الجسد فهو مدفون في دير وستمنستر بلندن.

لقد ارتكب المبشرون الذين رافقوا رحلات الكشوف الجغرافية أبشع الأعمال التي لا تليق بالإنسان وإن "فاسكودي غاما" مكتشف طريق الهند كان مبشرًا.

---

(١) الدعوة إلى الإسلام: صـ ٣٢.

(٢) الحركة الصليبية ١/ ٣٠، د. سعيد عاشور.

(٣) التبشير والاستعمار صـ ٥١. دج. خالدي د. فروخ.

ماذا عمل المكتشفون المسيحيون بشعب أمريكا الأصلي "الهنود الحمر"؟ كان الجواب ببساطة إنه حملة إبادة.

وهكذا كان نصيب حضارة "الأنتيل" وحضارة "المایاس" في جنوب المكسيك وحضارة الآزتيك في وسطها، وحضارة الآنكا في بيرو[١].

وهذا مثال حيٌّ على ما رافق الكشوفات الجغرافية: نشرت جريدة الحياة البيروتية صورة لما رافق استكشاف جزيرة "هايتي" على يد الأسبان كانت العلمية تحتها ما يلي: "وانشغل ضباطه وخلفاؤه أول الأمر- خلفاء المستكشف قائد الحملة- باستكشاف جزيرة هايتي (اسبانيولا) واحتلالها، وكانت ما تزال في داخلها أرض شاسعة مجهولة، وقد تولى هذه المهمة كل من دييغو فلاسكيز، وبانفيلو دونارفيز، فأبديا من ضروب الوحشية ما لم يسبق له مثيل، متفننين في تعذيب سكان الجزيرة بقطع أناملهم وفقء عيونهم، وصب الزيت المغلي، والرصاص المذاب في جراحهم، أو بإحراقهم أحياء على مرأى من الأسرى. . . ليعترفوا بمخابئ الذهب، أو ليهتدوا إلى الدين[٢].

وقد حاول أحد الرهبان إقناع الزعيم "هانيهاي" باعتناق الدين. . . وكان مربوطًا إلى المحرقة، فقال له: إنه إذا تعمد يذهب إلى الجنة. . . فسأله الزعيم الهندي: "وهل في الجنة أسبانيون؟ " فأجابه الراهب: "طبعًا، ما داموا يعبدون الإله الحق! " فما كان من الهندي إلا أن قال: إذن، أنا لا أريد أن أذهب إلى مكان أصادف فيه أبناء هذه الأمة المتوحشة! [٣].

ليس هذا بمعلوم لنا فقط، فقد نشرت CUBA internacional Joulio ١٩٧٢ تحت عنوان LAHISTORLY الصفحة: ٦، صورة لمبشر بيده صليب وزعيم إلى سارية وقد غطى حتى منتصفه بحزم الحطب والقش لحرقه، أما المبشر فرافع الصليب في وجهه يدعوه

---

(١) تاريخ العصور الحديثة صـ ٦٩.

(٢) أين هذا من انتشار الإسلام! وأين هذا من وصية الصديق لجيوش الفاتحين! قليلٌ من الإنصاف يا عقلاء.

(٣) الحياة: السنة ٩، العدد ٢٤٩٤، الأربعاء ٢٣ ١٩٥٤ من كتاب التبشير والاستعمار صـ ١٢٣.

إلى المسيحية قبل موته.

ط- **الحروب الصليبية**: التي حملت الصليب شعارًا فظائعها لا تعد، وانتهاكها للمفهوم البشري كان في كل أرض مروا بها، حتى في بلاد أبناء دينهم[1].

من فظائعهم:

"وعندما احتمى بعض أهالي قيسارية بجامع المدينة لاحقهم الصليبيون وذبحوهم داخل الجامع عن آخرهم، دون أن يفرقوا بين الرجال والنساء والأطفال حتى تحول الجامع إلى بركة كبيرة من دماء قتلى المسلمين"[2].

مذبحة بيت المقدس عام ١٠٩٩م كانت لطخة عار في تاريخ الحملة الصليبية الأولى، باعتراف المؤرخين الأوربيين[3].

أحرق بلدوين جامع الفرما ومساجدها[4]. ويقول لوبون: "في مسجد عمر وحده في القدس ذبح عشرة آلاف مسلم"[5].

يذكر ابن العديم عن إحدى الحملات الصليبية: أن الصليبيين أتوا في تلك الغزوة مساوئ كثيرة: "فنبشوا قبور موتى المسلمين، وأخذوا توابيتهم إلى الخيم، وجعلوها أوعية لطعامهم، وسلبوا الأكفان، وعمدوا إلى من كان من الموتى لم تنقطع أوصاله فربطوا في أرجلهم الحبال وسحبوهم مقابل المسلمين، وجعلوا يقولون: هذا نبيكم محمد، وآخر يقول: هذا عليُّكم، وأخذوا مصحفًا من المشاهد بظاهر حلب، وقالوا: يا مسلم أبصر كتابكم"[6].

ارتكب قواد الحملات (وخاصة لويس السابع وزوجته اليانور وريموند دي بواتيه)

---

(١) أفضل مرجع للحروب الصليبية مع تحليل عميق عليها كتاب: الحركة الصليبية .د/ سعيد عبد الفتاح عاشور.

(٢) الحركة الصليبية١/ ٢٩٤.

(٣) Gunciman: op. cit، 1، p. 287.

(٤) الحركة الصليبية صـ٣٢٩.

(٥) حضارة العرب صـ٣٢٦.

(٦) الحركة الصليبية١/ ٥٢٤، عن: ابن العديم زبدة الحلب صـ ٦٤٥، والنص منقول حرفيًا كما هو.

فضائح جنسية مشينة[١]. هذا. . . فضلًا على أن المؤرخين الأوربيين وصفوا الحملات كلها بكلمتين فقط: (بربرية همجية)[٢].

وكيف لا تكون كذلك وهي صفحة سوداء في تاريخ أوربا كلها. ألم يضع الرهبان على الصخرة المشرفة زجاجات الخمر؟ ألم يضرب الناقوس داخل المسجد الأقصى بعد إبطال الأذان به[٣]؟

أهكذا تحترم العقائد والمعابد؟ فأين هذا من وصية الصديق رضي الله عنه إلى جيش أسامة بن زيد التي أكد فيها بأنه على المسلمين أن يدعوا الرهبان ممن فرغوا أنفسهم في الصوامع وما فرغوا أنفسهم له؟ [٤].

بعد استعراض "محاكم التفتيش" في أسبانيا وأعمالها المخجلة المزرية، قال د. لوبون: "الراهب بليدا أبدى ارتياحه لقتل مئة ألف مهاجر من قافلة واحدة مؤلفة من مئة وأربعين ألف مهاجر مسلم، حينما كانت متجهة إلى أفريقية"[٥].

وبعد أن ذكر لوبون في "حضارة العرب" خسارة ثلاثة ملايين مسلم بين ذبح وحرق وتهجير في أسبانيا قال: "ولا يسعنا سوى الاعتراف بأننا لم نجد بين وحوش الفاتحين- الأسبان- من يؤاخذ على اقترافه مظالم قتل كتلك التي اقترفت ضد المسلمين"[٦].

الوجه الثالث: وضوح العنف والعدوان في بعض الديانات غير الإسلامية.

ويتضح لنا من هذه الدراسة أن عقيدة الإسلام ليست عقيدة عدوانية بخلاف العقائد الأخرى، فمثلًا الناظر في عقائد اليهود يتضح له بجلاء أثر هذه العقيدة في سلوكهم العدواني الإرهابي وهذا ما يتضح لنا في هذه المطالب الآتية:

---

(١) الحركة الصليبية: ٢/ ٣٦٠، عن رونسمان.

(٢) الحركة الصليبية عن Eyre: op. cit. pp. ١٩٧-٨ .

(٣) راجع وصية الصديق في آداب الجهاد، وانظر عهد عمر لأهل إيليا.

(٤) الحركة الصليبية . عن العيني عقد الجمان، حوادث سنة ٦٤١هـ.

(٥) حضارة العرب صـ٢٧٠.

(٦) حضارة العرب صـ٢٧٢.

المطلب الأول: عقيدة التمييز العنصري عند اليهود.

إن من المفارقات العجيبة أن يندد اليهود: "بالعنصرية النازية" مع أنهم أعنف دعاة الاستعلاء والتمييز العنصري عبر قرون الدهر.

إن اليهود يعدون أنفسهم من جنس مميز على سائر أجناس بني البشر الذين يطلق عليهم اليهود (الجويم) أو الأمميين. فهم يزعمون أنهم شعب الله المختار، وأنهم أصحاب مميزات جنسية وعقلية وحضارية لم تتوافر لسائر بني البشر.

ويستند اليهود في هذه العقيدة إلى نصوصٍ في توراتهم المحرفة وتلمودهم الموضوع[١].

المطلب الثاني: عقيدة أرض الميعاد عند اليهود

تعد هذه العقيدة من أهم عقائد اليهود التي يؤمنون بها، ويبنون سياساتهم وعلاقاتهم عليها، ومعناها عندهم: أن الله سبحانه وتعالى قد وعد بني إسرائيل أن يملكهم أرضًا، لكي يقيموا عليها دولة لهم تجمعهم من التشرد والشتات. وقد اختلفوا فيما بينهم حول تحديد حدود هذه الأرض الموعودة، فمنهم من قال: إنها أرض كنعان فقط، يعني أرض فلسطين، ومنهم من قال: بأنها من النيل إلى الفرات، والمستغرب أن كلتا الطائفتين لديها نصوص من كتابهم المحرف تؤيد ما ذهبت إليه[٢].

المطلب الثالث: أثر عقائد اليهود على الإرهاب العالمي.

إن الإرهاب الحقيقي واستخدام العنف بطريقة غير مشروعة يمتد بجذوره إلى العقيدة اليهودية المحرفة، والتي تمثلها إسرائيل وتطبقها في واقعنا اليوم، وإن دراسة التاريخ المعاصر للصهيونية، يظهر بجلاء أن الكيان الصهيوني قد تبنى الإرهاب على مستوى الأفراد والدول على حدٍ سواء، وإرهابهم الحالي يشهد به القاصي والداني، وقد أُلفت في

---

(١) انظر هذه النصوص مجموع في العقيدة اليهودية صـ ٣٥١- ٣٥٢. وراجع فصل تحريف الكتاب المقدس من هذه الموسوعة.

(٢) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية د. سعد الدين صـ ٣٦٧- ٣٧٠.

ذلك كتب عديدة، وهناك مواقع في الشبكة العالمية "الإنترنت" خصصت لذلك[١].

لكننا في هذا البحث معنيون ببيان الجذور التي تربي وتغذي الإرهاب وهي جذور عقائدية.

إن في عدم معرفة اليهود لله تعالى حقًا، وبما يجب له من صفات الكمال والجلال أثرًا كبيرًا على سلوكهم وعدوانهم، فمن كان بالله أعرف كان لله أخوف، وكتبهم مليئة بالاستهزاء والانتقاص من حق الله تعالى، ومن اعتدى على الله من باب أولى كان له أن يعتدي على خلقه.

وكذلك نجد وصفهم لرسل الله تعالى وأنبيائه - عليهم السلام - بما يستحيي المرء من ذكره يعد احتقارًا وعدوانًا عليهم، ومن اعتدى على أنبياء الله تعالى فلن يتردد أو يتأخر في العدوان على غيرهم من البشر.

كما أن عدم الإيمان باليوم الآخر يجعل منهم عبيدًا للمادة وللتراب ولكل ما هو أرضي، وفي اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار وتميزهم العنصري يجعلهم يسوِّغون كل عمل إرهابي في حق غيرهم؛ لأنهم هم الأسياد وما عداهم خدم لهم ـ في ظنهم ـ.

واعتقادهم بأرض الميعاد يجعلهم يستبيحون احتلال أراضي المسلمين وطردهم وقتلهم لإخراجهم منها، وقد تسببت هذه العقيدة في حروب دامية وصراعات طويلة بينهم وبين المسلمين، وقد بين لنا المولى عز وجل في القرآن الكريم فساد عقيدتهم، وحذرنا منهم في أكمل بيان وأجلى حقيقة[٢].

وإن الباحث ليعجب أشد العجب حين يعلم أن توراة بني إسرائيل الحالية تعد سجلًا دقيقًا ومفصلًا لشرورهم وآثامهم، وصمم آذانهم عن الاستجابة لله، ومخالفتهم لشريعته، وخيانتهم لعهده؛ بل كفرانهم به، وعبادتهم الأصنام والأوثان من دونه، وقتل أنبيائهم في

---

(١) انظر: المركز الإعلامي الفلسطيني، على الإنترنت. وقد خصص دراسات ومقالات وكتبًا وصورًا عن الإرهاب الصهيوني.

(٢) وقد ألفت كتب عنيت بذلك منها: معركة الوجود بين القرآن والتلمود، د: عبد الستار فتح الله السعيد صـ ٥٩ وما بعدها، وموجز الأديان في القرآن، د: عبد الكريم زيدان صـ ٣١-٦٠.

أطوار تاريخهم، فما من سفر من أسفارهم إلا يزخر بعبارات السخط والغضب التي صبها الله على بني إسرائيل صبًّا في كل عهودهم منذ أن أخرجهم الله من مصر، إلى أن أهلكهم بظلمهم، وقضى بخراب بلادهم، وتقطيعهم في الأرض[(١)].

ويهود اليوم هم الخلف السيئ لمن سلف، إننا نجد هؤلاء الخلف ينطلقون من تراث السلف، فوراء كل جريمة يرتكبونها نبوأة مزعومة تسوِّغها لهم.

يقول هرتزل: ". . . إن هدف الحركة الصهيونية هو تنفيذ النص الوارد في الكتاب المقدس بإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين"[(٢)].

ويقول بن غوريون: "قد لا تكون فلسطين لنا من طريق الحق السياسي أو القانوني، ولكنها حق لنا على أساس ديني، فهي الأرض التي وعدنا الله، وأعطانا إياها من الفرات إلى النيل"[(٣)].

ولعل أشد ما دونته نبوءاتهم المحرفة تحريضًا لليهود على التوسع العدواني الظالم هو: "كل مكان تطؤهُ أخامص أرجلكم لكم أعطيته" يشوع ١ : ٣.

فهم مرتبطون عقديًّا بكل أرض سكنوا فيها، من أرض الآباء والأجداد مثل كل فلسطين، وسورية. . العراق، ومصر.

ولقد قال بن غوريون في تسويغ عدوان (١٩٥٦م): "إنه يوطد أمن إسرائيل، ويحميها من العدو، ويحرر أرض الأجداد من الغاصبين".

ولما اعترض أحد الوزراء على احتلال الجولان، وعلَّل اعتراضه بعدم وجود روابط توراتية، رد عليه "إيجال آلون" قائلًا: "إن الجولان قطعة من إسرائيل القديمة لا تقل أهمية عن الخليل ونابلس"، وهبَّ زعماء يهود يؤكدون أن استيلاءهم على الأراضي المحتلة ما

---

(١) في مقارنة الأديان بحوث ودراسات: د. محمد الشرقاوي صـ ٢٤٠ وقد أورد المؤلف نصوصا على ذلك من الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى، وهي أوثق الكتب عندهم.

(٢) عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين لمحمد آل عمر صـ ٢١٣.

(٣) المصدر السابق: صـ ٢١٣.

هو إلا تحقيق لنبوءات العهد القديم.

وقال "مناحيم بيجن" في (٢٨/ ٥/ ١٩٦٨): "إن الأراضي العربية المحتلة هي أراضٍ إسرائيلية حررتها إسرائيل من الحكم الأجنبي غير الشرعي"[(١)].

حتى السور العنصري المقيت الذي اقترح بناءه إسحاق رابين - حمامة السلام المفترسة - وشرع بيريز في تنفيذه عام ١٩٩٦م، وهو مثار الجدل حاليًّا في حكومة شارون الذي سيحول المناطق الفلسطينية الحالية إلى معتقل كبير للفلسطينيين، استخرجوا له أسطورة من كتاب القابلاه في شرح التوراة، تنص على أن القدس هي "الملكوت الذي سيحكم العالم، وستحيط بها المرتفعات، حتى لا تصل إليها قوى الظلام، وستعلو جدرانها؛ حتى يعود التوازن إلى العالم"[(٢)].

إذن وراء كل مجزرة ومذبحة وجريمة يهودية نبوأة توراتية مزيفة، أو محرفة، وليس على الآخرين سوى أن يرضخوا لإرادة الشعب المختار؛ لأنها - وببساطة - إرادة الله في زعمهم.

وإنَّ العقيدة اليهودية المحرفة لم تكن مسطرة في كتبهم القديمة فحسب؛ بل كانت حيةً في مناهجهم التي يربون عليها أطفالهم، وبالفعل أثمرت هذه المناهج، وفرخت ما نراه من إرهاب عبر شاشات التلفزة على مرأى ومسمع العالم كله، ليشهد العالم على إرهابهم وعدوانهم المتأصِّل في نفوسهم التي ربيت على مناهج البغي والعدوان، وسأعرض نموذجًا على هذا وهو رسالة دكتوراة بعنوان "الاتجاهات الأيديولوجية في أدب الأطفال العبري" للدكتورة سناء عبد اللطيف، حيث تتبعت المؤلفة مناهجهم بالعبرية في دراسة موضوعية، وسأنقل شيئًا من خاتمتها حيث قالت:

"يسعى المؤلفون إلى تلقين الأطفال مبادئ الأيديولوجية الصهيونية بشكل يظهر فيه بوضوح انحياز أدب الأطفال العبري للنسق القيمي للحركة الصهيونية، ومتسقًا اتساقًا شديدًا مع أهدافها حتى إنه يمكن القول: إن أدب الأطفال العبري يُعدّ سمفونية دعاوية

---

(١) خدعة هرمجدون صـ ٢٦.

(٢) موسوعة اليهودية والصهيونية د. عبد الوهاب المسيري ٤/ ١٢٥.

وإعلامية، وإنه يعمل بانضباط على إيقاع تعاليم الأيديولوجية الصهيونية.

إن أدب الأطفال العبري يسعى إلى صهينة الجيل الجديد من اليهود في إسرائيل.

ويعمد إلى خلق ما يؤيد كل القضايا التي واجهت الصهيونية سواء كان ذلك:

* تسويغ رفض الاندماج في مجتمعات الشتات اليهودي، وذلك بالتركيز على ما يطلقون عليه العداء للسامية وكراهية اليهود.

* أو بتسويغ اغتصاب فلسطين من العرب، وذلك بالتركيز على مقولة أرض اليهود التاريخية، والحق الديني والتاريخي لهم في فلسطين.

* مضمون الأدب العبري مناسب جدًّا لأهدافه، وهو يتسق اتساقًا مباشرًا مع أهداف الصهيونية ومتمشٍ مع اتجاهاتها العقدية.

* يركز الأدب العبري الموجّه للأطفال على وضع المفاهيم الصهيونية في قالب ديني عاطفي يمكنه من جذب اليهود وتأييدهم، وإثارة حماستهم الدينية من خلال تحويل القيم اليهودية إلى مفاهيم سياسية قومية.

* يركز الأدب الموجّه للأطفال أيضًا على الدعوة إلى الاهتمام باللغة العبرية من أجل الحفاظ على التراث اليهودي وبعثه وتعميقه بين الأطفال.

* يركز أدب الأطفال على تدعيم الإحساس لدى الأطفال بحتمية الحروب من أجل ضمان الوجود البيولوجي الإسرائيلي، فيكثر الأدباء من الحديث عن وضع اليهود في أيام الحروب.

* ومن ناحية أخرى، فإن اهتمام الأدباء بوضع اليهود في جوّ محاصر بالأعداء في قصصهم الموجّهة للأطفال يؤكّد في نفوسهم المقولة الصهيونية: "لا خيار إلا القتال" وبذلك يعدّ الأطفال نفسيًا لتقبل فكرة التجنيد الإلزامي حينما يصلون إلى السن الملائمة لذلك، وتهيئتهم لخوض الحروب.

وقد سادت الصفحات السلبية معظم كتب الأطفال لتشوه الشخصية العربية، مثل الخيانة والكذب والمبالغة والدهاء والوقاحة والشك والوحشية والجبن وحب المال

وسرعة الغضب والتملق والنفاق والتظاهر والتباهي والخبث، كما وُصِفَ العربيُّ بأنه قاتل وسارق ومخرّب ومتسلل وقذر وذو ملامح تثير الرعب"(١).

ويبقى المحور الكبير أيضًا في مناهجهم، هو التأكيد على حقهم التاريخي المزعوم في فلسطين؛ بل قدسية ترابها حتى إنه كان يقدم هديةً إلى اليهود في الشتات، ليوضع معهم في قبورهم هناك(٢)!

يقول د/عبد السلام الهراس(٣): ولا يُعرف في تاريخ الفتوحات الإسلامية أنها أبادت شعوبا كما فعلت أمم أخرى من أجل إحلال المسلمين مكانهم، أو استعبدت شعوبا كما فعل الآخرون عن طريق الغزو والعدوان، وجلبها المستعمرات الجديدة وبيعها في الأسواق كما تباع الأنعام لاستغلالها أبشع استغلال، وإنما كانت الشعوب تسلم عن طواعية، فمن أبى فإنه يعيش على دينه كما نرى ذلك في كثير من بلاد العرب وغيرها مثل الشام: " سوريا ولبنان والأردن وفلسطين والعراق ومصر واليهود في المغرب العربي والسودان ".

أما الهند وبلاد فارس والأندلس وغيرها فإن الفتح الإسلامي اعترف أيضًا بالآخر ولم يرغم أي واحد على الدخول في الإسلام، في حين عندما انتصر ملوك شبه الجزيرة النصارى أطبقوا على إبادة المسلمين وإحراق كتبهم وتراثهم وتحويل مساجدهم إلى كنائس؛ إذ لم يبق في إسبانيا ولو كتاب واحد من ملايين الكتب التي ألفها واقتناها ونسخها علماء الأندلس ووراقوها ونساخوها. أما الكتب التي هي بمكتبة الإسكوريال فهي مغربية الأصل قرصنها قرصان فرنسي وتسلط عليه الإسبان فجعلوها في دير الإسكوريال وقد أتلف جلها بالحرق وغيره! !

---

(١) هكذا يربي اليهود أطفالهم. د: سناء عبد اللطيف صـ ٢١٥- ٢٢١ باختصار.

(٢) المصدر السابق صـ ١١.

(٣) الإسلام دين الوسطية والفضائل والقيم الخالدة، اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب ١٤٢٥/ ٢٠٠٤.

ولولا الفتح الإسلامي بالأندلس لاستؤصل اليهود الذين كانوا يتعرضون من حين لآخر إلى مصائب وويلات من لدن ملوك شبه الجزيرة قبل الفتح الإسلامي، وقد نالوا في ظل الإسلام من الحقوق والحظوة والمكانة العلمية والاجتماعية والسياسية ما لا ينكره أحد منهم، أما المسلمون فلا يزالون يبادون إلى اليوم، والبوسنة والشيشان مثال على ذلك.

المطلب الرابع: هل حضارة الغربيين حضارة مسيحية؟

يقول د/القرضاوي[١]: ولقد رأينا الغربيين يزعمون أنهم مسيحيون: وأن حضارتهم القائمة اليوم حضارة مسيحية[٢] ويتباهون بأن المسيحية ديانة سلام ومحبة، وأن المسيح لم يرفع سيفًا في وجه أحد؛ بل قال لأتباعه: "من ضربك على خدك الأيمن، فأدر له خدك الأيسر، ومن سخرك لتسير معه ميلًا فسر معه ميلين، ومن أراد أن يأخذ قميصك، فأعطه إزارك"[٣]! ! وبهذا لا يقاوم الشر بالشر، ولا يدفع القوة بالقوة؛ بل دعا المسيح أتباعه إلى أن يحبوا أعداءهم، ويباركوا لاَعِنِيهم[٤]!

فما نصيب هذه المقولة من الصحة؟ وهل الغربيون مسيحيون حقًّا؟ وهل للمسيحية ووصاياها -كما جاء بها الإنجيل- أثر في حياتهم؟ وهل طبق النصارى أتباع المسيح هذه التعاليم والوصايا في حياتهم وفي علاقاتهم بغيرهم من الأمم وأهل الأديان؟ بل هل طبقوها في علاقاتهم بعضهم ببعض؟.

---

(١) الإسلام والعنف صـ١٨ وما بعدها.

(٢) يقول الدكتور القرضاوي: إن حضارة الغرب أبعد ما تكون عن المسيحية، فهي حضارة مغرقة في المادية، والمسيحية ديانة مغرقة في الروحية، وهي حضارة تسوغ الإباحية والتحلل، والمسيح يقول: من نظر بعينه فقد زنى! وقد قلت من قديم: إنها ليست حضارة المسيح ابن مريم، ولكنها حضارة المسيح الدجال، فهو أعور، وهي حضارة عوراء! تنظر إلى الحياة والإنسان والعالم بعين واحدة، هي العين المادية. انظر: الإسلام حضارة الغد صـ١١-٢٥.

(٣) انظر: إنجيل متى. الإصحاح ٥- الفقرات: ٣٩-٤٢. إنجيل لوقا ٦-٢٩، ٣٠.

(٤) إنجيل متى ٥-٤٣، ٤٤. ولوقا ٦-٢٧، ٢٨.

التاريخ الحافل، والواقع الماثل، يقولان: إن النصارى أتباع المسيح ـ في جملتهم ـ كانوا أبعد الناس عن هذه الوصايا. ولم يدر منهم أحد خده الأيسر لمن ضربه على خده الأيمن، بل هم ابتدؤوا العالمين بالضرب على كلا الخدين، بلا مسوِّغ ولا سبب إلا العدوان.

ولقد قتل المسيحيون طوال التاريخ من أبناء الشعوب المخالفين لهم، ما تشيب من هوله الولدان، بل قتل بعضهم من بعض بالملايين ما لا يزال التاريخ القريب يذكره ولا ينساه.

قتل الكاثوليك من البروتستانت في بداية ظهورهم بالملايين، وقتل البروتستانت من الكاثوليك ـ بعد انتصارهم عليهم ـ بالملايين[1].

وقتل بعضهم من بعض في الحربين العالميتين في القرن العشرين، بالملايين. وكلهم مسيحيون، يؤمنون بالإنجيل، ويدينون بدين المسيح ﷺ. حتى قال بعض الباحثين من المسيحيين الأوربيين: لم يصدق المسيح ﷺ في نبوءة من نبوءاته، مثلما صدق في قوله: ما جئت لألقي على الأرض سلامًا بل سيفًا[2]!

وبهذا أثبت التاريخ، وأثبت الواقع كلاهما: أن أتباع دين المحبة والسلام هم أكثر أهل الأديان دموية، وأسرعهم إلى العدوانية، وأشدهم قسوة ووحشية في التعامل مع الآخرين.

وهذا ما نراه رأي العين، ونلمسه لمس اليد، في يومنا هذا من القوة العالمية العظمى، القوة المتألهة في العالم، وهي قوة أمريكا التي تتصرف في الأرض، تصرفَ الإله في السماء، فهي لا تُسأل عما تفعل ولا يقف أمام رغبتها شيء، وقد رأينا أثرها العسكري في أفغانستان والعراق. وقد جسدت موقفها الديني والأخلاقي فيما صنعته في سجون

---

(١) انظر: ما نقله الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق بالوقائع والأرقام من كتب المسيحيين أنفسهم من مجازر ومظالم ومآثم قام بها الكاثوليك مع البروتستانت عند بداية ظهورهم، ثم عندما انتصر البروتستانت على الكاثوليك كالوا لهم الصاع صاعين، صـ٥٠٩-٥٢٨.

(٢) إنجيل متى ١٠-٤٣، لوقا ١٢-٥١.

العراق، وخصوصًا سجن أبي غريب، وقبلها في أسرى جوانتانامو الذين عوملوا معاملة لا يقرها دين ولا أخلاق ولا عرف ولا قانون!

كما تجسد موقفها كذلك في مساندتها المطلقة والدائمة للصهيونية ودولتها المدللة (إسرائيل) التي تمدها بالمال والسلاح لتقتل الفلسطينيين وتدمر منازلهم، وتجرف أراضيهم، وتحرق مزارعهم، وتقلع أشجارهم، وتضم أراضيهم إليها بالقوة الطاغية، وتعزلهم وتمزقهم بعضهم عن بعض بواسطة الجدار العازل، وتخرب كل البنى التحتية لمجتمعهم.

يقول د/عبد الصبور مرزوق[(١)]: فإذا جاء من يحاول غمز الإسلام بالإرهاب، أو أنه يقهر الحريات، أو رفضه للآخر، أو عدم قدرته على التعايش السلمي، فإنا نجعل من التاريخ، ومن الواقع حكمًا نثق ثقة كاملة في أن حكمه -كما ذكرنا- سيكون في صالح الإسلام، فالتاريخ شاهد على ما فعله الغرب بالإنسانية في العالم الثالث (أفريقيا وآسيا) العالم الثالث الذي أغلب سكانه هم من المسلمين.

ماذا فعلوا هم بهم زمان الاستعمار؟! وكيف سرقوا خيرات الأرض، وحرموا أهلها من الإفادة منها، ونقلوها إلى بلادهم يبنون بها مدنيتهم وتقدمهم، تاركين أصحاب الأرض في أفريقيا وآسيا في ظلام الفقر والجهل والتخلف.

أسألهم مستحثًّا إياهم على قليل من الإنصاف أن يراجعوا تاريخ الاستعمار، ليروا ما فعله أجدادهم بشعوب العالم الثالث، وما أنزلوه به من المظالم، وكيف كانوا يقتلون عشرات الألوف، ومئات الألوف من أهل البلاد، ليوطدوا حكمهم ويحكموا قبضتهم على الإنسان، والأرض ظاهرها، وباطنها، دون أدنى رحمة.

وأسألهم: من الذي وطد ظلمه بالسيف: الإسلام أم أنتم؟!

---

(١) الإسلام والجهاد، المؤتمر العام السادس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية صـ٨٠٠ وما بعدها باختصار وتصرف.

ومن الذي سرق إنسان أفريقيا، وشحنه في السفن التي تحمل الحيوان ليصلوا به بعيدًا إلى بلادهم ليعمل في مزارعهم، ومصانعهم، ويبني مدنيتهم ساقيًا أحجارها بدمه. الإسلام أم أنتم؟!

ثم أتجه إلى أمريكا لأسأل أهلها الحكام والشعب:

من الذي ضرب نجازاكي وهيروشيما بالسلاح النووي فأباد الإنسان بعشرات المئات من الألوف، وأهلك الحرث والنسل -كما يقولون- ليس هذا فحسب بل دمروا البيئة، ولوثوا مناخها بالإشعاع المدمر؟!

وأذكر الأمريكيين، الحكومات والشعب بالدموية والعنف الرهيب في إبادة أهل أمريكا الأصليين من الهنود الحمر.

من الذي ارتكب الجريمة التي لن ينساها التاريخ، جريمة إبادة الهنود الحمر ليحل محلهم الأمريكيون المحدثون؟!

من الذي فعل ذلك، أو مثله من الفظائع: الإسلام أم أنتم؟!

أسأل الجميع الأوروبيين والأمريكيين، وأتمنى أن أسمع إجابة. أي إجابة وأي نوع من التفسير لما فعلوه أجمعين.

من أذن لكم بذلك؟!

وبأي حق أو منطق أبحتم لأنفسكم أن تنزلوا بالبشرية هذا البلاء المبين؟! ، ثم بعد هذا كله تزعمون أنكم أصحاب حضارة! ! ، وأنكم شعوب وأنظمة راقية؟! ، بل تزدادون عتوًّا بما تعملون في هذا القرن كي تكونوا أصحاب الهيمنة على العالم.

بل وأن تكونوا أنتم ولاة أمره! حتى يكون نموذجكم هو النموذج الحضاري الذي يجب أن يسود العالم! !

أبدًا لا تصلح حضارتكم المادية والعلمانية الفارغة تمامًا من كل المعاني، والقيم، والأخلاقيات. لا تصلح حضارتكم الفارغة من عطاء الدين، وروحه، ورقيه لقيادة الإنسانية.

الحضارة المرشحة لذلك وحدها هي حضارة الإسلام الذي كفل للإنسان من الحقوق، ومن التكريم ما لم يعطه إياه أي دين آخر لا سماوي ولا وضعي.

وحسب الإسلام أنه رفع مكانة الإنسان، واستخلفه عن الله في أرض الله، وكرمه، وأسجد له ملائكته.

ثم بعد هذا تريدون أن تهيمنوا على العالم، وأن تكونوا أنتم القدوة والمثال! كبرت كلمة!.

إن المرشح الأول، والأعدل، والأمثل لقيادة البشرية هو الإسلام. وإنه المنقذ الحقيقي للإنسان من شرور نفسه، ومن سيئات أعماله، ومن عدوانه على الآخرين. الإسلام، والإسلام وحده.

الوجه الرابع: شهادات غير المسلمين على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف.

تواترت شهادات المفكرين الغربيين وشهدوا بالحق، وأثبتوا ما أنكره الجاحدون، وهذه مقتطفات مختصرة من أقوالهم:

قال غوستاف لوبون: "لم ينتشر القرآن بالسيف... بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب"[(١)].

وقال روبرتسون في كتابه "تاريخ شارلكن": "إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الجهاد والتسامح نحو أتباع الأديان الأخرى الذين غلبوهم، وتركوهم أحرارًا في إقامة شعائرهم الدينية".

قال "ميشود" في كتابه "تاريخ الحروب الصليبية": "إن الإسلام الذي أمر بالجهاد متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وهو قد أعفى البطاركة والرهبان وخدمهم من الضرائب".

وقال الكونت هنري دي كاستري في كتابه "الإسلام خواطر وسوانح" بعد وصفه الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام بين الشعوب. وصف المسلمين بقوله: "فلم يقتلوا أمة أبت الإسلام"[(٢)].

---

(١) حضارة العرب صـ ١٢٨.

(٢) الإسلام خواطر وسوانح صـ ٣٥، ترجمة أحمد فتحى زغلول.

وقال: "فلم يكره أحد عليه بالسيف ولا باللسان، بل دخل القلوب عن شوق واختيار، وكان نتيجة ما أودع في القرآن من مواهب التأثير والأخذ بالألباب"[1].

ذكر توماس كارليل صـ ٧٦ في "الأبطال" في معرض رده على شبهة انتشار الإسلام بالسيف: "فهم يقولون ما كان الدين لينتشر لولا السيف. ولكن ما هو الذي أوجد السيف؟

هو قوة ذلك الدين، وإنه حق، والرأي الجديد أول ما ينشأ يكون في رأي رجل واحد، فالذي يعتقده هو فرد، فرد ضد العالم أجمع، فإذا تناول هذا الفرد سيفًا وقام في وجه الدنيا فقلما والله يضيع، وأرى على العموم أن الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبما تقتضيه الحال، أو لم تروا أن النصرانية كانت لا تأنف أن تستخدم السيف أحيانًا، وحسبكم ما فعل شارلمان بقبائل السكسون، وأنا لا أحفل أكان انتشار الحق بالسيف أو باللسان أم بأية آية أخرى، فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار. لندعها تكافح وتجاهد بأيديها وأرجلها وأظافرها فإنها لن تهزم إلا ما كان يستحق أن يهزم"[2].

يقول مونتكومري وات: لا يعني التأكيد – على إخضاع مشركي الجزيرة للإسلام- أن الإسلام قد انتشر بحدّ السيف. حقًّا إن القبائل الوثنية في الجزيرة العربية كان عليها أن تختار الإسلام والسيف، إلا أن تعامل المسلمين كان مختلفًا تجاه اليهود والمسيحيين والزرادشتيين وغيرهم ممن اعتبرت دياناتهم شقيقة للإسلام، رغم الدعوى القائلة بأن الأتباع المعاصرين لتلك الديانات قد ابتعدوا عن جوهرها. ومهما كان الأمر فقد كان بالإمكان قبولهم نوعًا من الحلفاء للمسلمين في معظم الأقطار التي فتحتها العرب، لذلك فإن غرض الجهاد لم يكن يهدف إلى تحويل أولئك السكان نحو الإسلام بقدر ما كان يهدف إلى اعترافهم بالحكم الإسلامي وبمنزلة أناس يحميهم الإسلام. وبعامة فإنهم أهل الذمة، وكانت الطائفة الذمية مجموعة من الناس تعتنق ديانة واحدة لها استقلالها الداخلي برعاية رئيس ديني كالبطريك أو

---

(١) المصدر السابق صـ ٣٩- ٤٠: L'Islam impression et etudes.

(٢) الإسلام في قفص الاتهام صـ ١٣٥- ١٣٨.

الرابي، وكان على كل فرد من أفراد المجموعة الذمية دفع ضريبة شخصية إلى الحاكم المسلم، إضافة إلى مبالغ مختلفة أخرى تحدد استنادًا إلى شروط الاتفاقية مع المجموعة، وكانت تلك الضرائب أحيانًا أقل وطأة من الضرائب التي كانت تدفع للحكام السابقين، وكانت حمايتهم بصورة فعالة بالنسبة للدولة الإسلامية تمثل كلمة شرف تلتزم بها الدولة وتنفذها، ثم إن وضع أهل الذمة لم يكن سيئًا رغم بعض القيود المفروضة عليهم.

كانت هناك مناطق مثل شرق إفريقيا وجنوب شرق آسيا انتشر الإسلام فيها نتيجة نشاط رجال الأعمال؛ إذ لم يكون للمسلمين في تلك المناطق الوثنية أية سرية في ممارسة الصلاة خمس مرات يوميًّا، وإن إخلاص هؤلاء المسلمين والتزامهم المتزن بالإسلام الحنيف أذهل الوثنيين الذين كانت لهم علاقات تجارية مع المسلمين مما أدى إلى اعتناق الإسلام والاختلاط عن طريق الزواج إلى تكوين مجتمعات إسلامية صغيرة وسط المناطق الوثنية ونمت تلك المجتمعات بصورة تدريجية)[1].

يقول ول ديورانت: الحق أن حادث الفتوحات الجلل الذي تمخضت عنه جزيرة العرب، والذي أعقبه استيلاؤها على نصف عالم البحر المتوسط ونشر دينها الجديد في ربوعه، لهو أعجب الظواهر الاجتماعية في العصور الوسطى[2].

كان أهل الذمة المسيحيون، والزردشتيون، واليهود، والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد نظيرًا لها في المسيحية في هذه الأيام. فلقد كانوا أحرارًا في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، وكانوا يتمتعون بحكم ذاتي يخضعون فيه لزعمائهم وقضاتهم وقوانينهم[3].

---

(١) نقلًا من كتاب قالوا عن الإسلام صـ٣٢٢.

(٢) قصة الحضارة ١٣/ ٧.

(٣) نفسه ٣/ ١٣٠-١٣١.

على الرغم من خطة التسامح الديني التي كان ينتهجها المسلمون الأولون، أو بسبب هذه الخطة اعتنق الدين معظم المسيحيين، وجميع الزردشتيون والوثنيون إلا عددًا قليلًا جدًا منهم، وكثيرون من اليهود. وحيث عجزت الهلينية عن أن تثبت قواعدها بعد سيادة دامت ألف عام، وحيث تركت الجيوش الرومانية الآلهة الوطنية ولم تغلبها على أمرها، وفي البلاد التي نشأت فيها مذاهب مسيحية خارجة على مذهب الدولة البيزنطية الرسمي، فإن في هذه الأقاليم كلها انتشرت العقائد والعبادات الإسلامية، وآمن السكان بالدين الجديد وأخلصوا له، واستمسكوا بأصوله إخلاصًا واستمساكًا أنساهم بعد وقت قصير آلهتهم القدامى، واستحوذ الدين الإسلامي على قلوب مئات الشعوب في البلاد الممتدة من الصين وحتى الأندلس، وتملك خيالهم وسيطر على أخلاقهم، وصاغ حياتهم، وبعث فيهم آمالًا تخفف عنهم بؤس الحياة ومتاعبها، وأوحى إليهم العزة والألفة، حتى بلغ عدد من يعتنقونه ويعتزون به في هذه الأيام مئات الملايين من الأنفس، يوحد هذا الدين بينهم، ويؤلف قلوبهم مهما يكن بينهم من الاختلافات والفروق السياسية[١].

في وسعنا أن نحكم على ما كان للدين الإسلامي من جاذبية للمسيحيين من رسالة كتبت في عام ١٣١١م تقدر عدد سكان غرناطة المسلمين في ذلك الوقت بمائتي ألف، كلهم ما عدا ٥٠٠ منهم من أبناء المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام. وكثيرًا ما كان المسيحيون يفضلون حكم المسلمين على حكم المسيحيين[٢].

(إن المسلمين -كما يلوح- كانوا رجالًا أكمل من المسيحيين، فقد كانوا أحفظ منهم للعهد، وأكثر منهم رحمة بالمغلوبين، وقلما ارتكبوا في تاريخهم من الوحشية ما ارتكبه المسيحيون عندما استولوا على بيت المقدس في عام ١٠٩٩م)[٣].

---

(١) قصة الحضارة ١٣/ ١٣٣.

(٢) قصة الحضارة ١٣/ ٢٩٧.

(٣) المصدر السابق ١٣/ ٣٨٣.

يقول سير توماس أرنولد[1]: لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي. ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي أقصى بها فرود وايزابلا دين الإسلام من أسبانيا، أو التي جعل بها لويس الرابع عشر المذهب البروتستانتي مذهبًا يعاقب عليه متبّعوه في فرنسا، أو بتلك السهولة التي ظل بها اليهود مبعدين عن إنكلترا مدة خمسين وثلاثمائة سنة. وكانت الكنائس الشرقية في آسيا قد انعزلت انعزالًا تامًا عن سائر العالم المسيحي الذي لم يوجد في جميع أنحائه أحد يقف إلى جانبهم باعتبارهم طوائف خارجة عن الدين. ولهذا فإن مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن ليحمل في طياته الدليل القوي على ما قامت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من تسامح نحوهم.

يقول المستشرق الدومييلي[2]: إن السكان الساميين في سوريا ومصر، الذين قاسوا كل صنوف الضغط والهول -على الأخص بسبب الضرائب- من قبل الحكومات الأجنبية التابعة للدولة البيزنطية أو المملكة الساسانية، لم يستطيعوا أن يروا في العرب إلا محررين مخلصين، كما أن المسيحيين القائلين بوحدة الطبيعة طبيعة المسيح عليه السلام في الشرق استطاعوا أن يعتمدوا على التسامح الإسلامي، بعد أن كانوا يخشون الاضطهاد من قبل نصارى القسطنطينية[3].

كانت شروط الفتح الإسلامي تسمح ببقاء بذور الحضارات القديمة عند طوائف كبيرة من الأهالي الذين واصلوا التمتع بعاداتهم، وقوانينهم، ولغاتهم، على شريطة أن

---

(١) الدعوة إلى الإسلام صـ٩٤.

(٢) مستشرق فرنسي، تفرغ لتاريخ العلوم، تولى وكالة المجمع الدولي لتاريخ العلوم وأسس مجلة اركيون- التي تسجل نشاطه.

من آثاره: تاريخ العلوم باريس ١٩٣٥، العلم العربي وأثره في التطوير العلمي العالمي ١٩٣٨، علم الفلك في العالم الإسلامي ١٩٤١، علم النبات عند العرب ١٩٤١، علم الجغرافيين العرب ١٩٤١، العلم الإسلامي ١٩٤٢، الرياضيات العربية ١٩٤٢، التشريح العربي ١٩٤٢، وغيرها.

(٣) العلم عند العرب صـ٨١.

يعطوا بانتظام قيم الجزية المفروضة على من لا يدخل في جماعة المسلمين.

وكان طبيعيًّا مع ذلك أن تتأسس الروابط والعلاقات بين الفاتحين وأهل البلاد في وقت مبكر، سواء أكان ذلك بسبب الجوار أم بسبب اعتناق الأهالي كثيرًا أو قليلًا للإسلام بوجه خاص[١].

التسامح العظيم الذي تحلى به الخلفاء الأمويون، وملوك الطوائف لم يمتد لواؤه على ما حكموه من شعوب، أو على المسلمين القادمين من أفريقية والمشرق فحسب؛ بل انبسط ظله أيضًا على العلماء المسيحيين الذين أقبلوا مهطعين من أبعد الأقطار لتلقي العلوم في المدن المزدهرة التي لا تحصى في ذلك القطر الساحر الأندلس الآخذ بمجامع الألباب. [٢]

يقول أدوار بروي: قلما عرف التاريخ والحق يقال، فتوحات كان لها في المدى القريب على الأهلين مثل هذا النزر الصغير من الاضطراب يحدثه الفتح العربي لهذه الأقطار، فمن لم يكن عربيًّا من الأهلين لم يشعر بأي اضطهاد قط، فاليهود والنصارى الذين هم أيضًا من أهل الكتاب حق لهم أن يتمتعوا بالتساهل وأن لا يضاموا، وكان لابدّ من الوقوف هذا الموقف نفسه من الزرادشتية والبوذية والصابئة وغيرها من الملل والنحل الأخرى. والمطلوب من هؤلاء السكان أن يظهروا الولاء للإسلام ويعترفوا بسيادته وسلطانه، وأن يؤدوا له الرسوم المترتبة على أهل الذمة تأديتها، وفي نطاق هذه التحفظات التي لم يكن لتؤثر كثيرًا على الحياة العادية، تمتع الزمن بكافة حرياتهم[٣].

انتظمت العلاقات بين الدولة وسكان البلاد الأصليين بسهولة كلية وفقًا لروح القانون المعمول به في البلاد، وبقيت كل ملة أو طائفة محتفظة بقانونها الخاص، وبالموظفين الذين يسهرون على الشئون الدينية عندها باستثناء ما كان منها تابعًا للحق العام. ونلاحظ تطورًا ملحوظًا يطرأ على وضع النصارى بعد أن احتفظت بيعهم بجانب من ممارسة

---

(١) المصدر السابق صـ١٢٣.

(٢) العلم عند العرب صـ٤٥٤.

(٣) تاريخ الحضارات العام ٣/ ١١٦.

العدالة في الأمم الخاصة، وهكذا برز البطاركة والأساقفة الرؤساء الأعلين لطوائفهم تعلو سلطتهم سلطة الموظفين الإداريين المحليين، حتى إن اليهود أنفسهم لم يجدوا بأسًا في الاحتفاظ برؤسائهم الدينيين وبربابنتهم وبحاخامهم الأكبر(١).

انتشرت حوالي السنة ١٠٠٠م عادة القيام بالحج، تزايد السفر إلى الأرض المقدسة؛ لأنه اعتبر أعظم الممارسات النصرانية نفعًا للخلاص الأبدي، وقلما ضايقه العرب الذين كانوا متساهلين جدًّا، كما يبدو من جهة ثانية أن الغزو التركي لم يجعل الدخول إلى معابد فلسطين أكثر صعوبة إلا أن فرسان الغرب، وقد تمكنت منهم فكرة الحرب المقدسة أخذوا في النصف الثاني من القرن الحادي عشر يؤدون فريضة الحج جماعات صغيرة مسلحة كما أخذوا بعد عودتهم يبسطون شعورهم بأن الفتح ليس أمرًا مستحيلًا، وجاء الاندماج التركي أخيرًا يهدد بيزنطية آنذاك تهديدًا جديًّا خطيرًا، ففكر الغرب بوجوب وقاية المسيحية من جهة الشرق(٢).

مما لابدّ من التنويه به عاليًا أن هؤلاء السلاطين العثمانيين لم يظهروا أي تحرج أو تعصب تجاه المسيحيين في وقت وزمان كان فيه ديوان التفتيش يبطش بالناس بطشًا وينزل بهم الهلع، وفي عهد كان اليهود والمسلمون يطردون دونما رحمة أو شفقة من أسبانيا، وبالرغم من إسكان عدد كبير من الجاليات الإسلامية في البلقان، واعتناق بعض الجماعات البلقانية الإسلام فلم يأت العثمانيون شيئًا مهمًا ليمنعوا السواد الأكبر من سكان البلاد البلقانية من الاحتفاظ بنصرانيتهم(٣).

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق ٣/ ٣١٢.

(٣) المرجع السابق ٣/ ٥٨٩-٥٩٠.

يقول مارسيل بوازار: لقد أظهرت الرسالة القرآنية وتعاليم النبي ﷺ أنها تقدمية بشكل جوهري، وتفسّر هذه الخصائص انتشار الإسلام السريع بصورة خارقة خلال القرون الأولى من تاريخه. [١]

فتح الإسلام الباب للتعايش على الصعيد الاجتماعي والعرقي حين اعترف بصدق الرسالات الإلهية المنزلة من قبل على بعض الشعوب، لكنه بدا أنه يرفض الحوار في الوقت ذاته على الصعيد اللاهوتي حين أزال من العقيدة كل ما اعتبر زيفًا مخالفًا للتوحيد بالمعنى الدقيق للكلمة، وأتاح منطق تعاليمه القوي وبساطة عقيدته، وما يرافقها من تسامح أتاح كل هذا للشعوب التي فتح بلادها حرية دينية تفوق بكثير تلك التي أتاحتها الدول المسيحية نفسها[٢].

لقد تألفت أمم من نوع معين واتحدت وخضعت لنظامها الديني الخاص وانخرطت في البنية الاجتماعية الفوقية للمجتمع الإسلامي الذي يحميها[٣].

حاول الإسلام منذ القرن السابع للميلاد أن يقدم حلًا لمشكلة الأقليات فريدًا في نوعه وتستحق جماعة غير المسلمين على أرض الإسلام أن تتناول بالتحليل؛ لأنه ثبت أنها نهج لا مثيل له في الوقت الذي كان فيه الغرب على أهبة الخروج من العصور الوسطى، وإدراك ضرورة وضع الأنظمة المحدودة للعلاقات مع الغرباء[٤].

منذ بدء الفتح العربي الإسلامي كان المحاربون المسلمون قد فرضوا على أنفسهم روحًا من التسامح مع غير المسلمين ومع الشعوب المغلوبة، وفي زمن لم يكن فيه العنف يعرف شرعًا ولا عاطفة، أصدر أبو بكر ﷺأول خليفة للنبي ﷺ إلى جنوده التعليمات

---

(١) إنسانية الإسلام صـ٧٤.

(٢) المصدر السابق صـ١٨٤.

(٣) إنسانية الإسلام صـ١٨٦.

(٤) المصدر السابق صـ٢٨٧.

المشهورة المرنة كثيرًا التي تختصر الروح الخلقي للقانون الإسلامي[١].

يقول تريتون[٢]: أما النواحي الشرقية القصوى من الدولة الإسلامية فإن الشعوب المحكومة كانت تعامل معاملة تنطوي على مثل هذا العطف الذي حظيت به في النواحي الأخرى[٣].

ولما تدانى أجل عمر بن الخطاب أوصى من بعده وهو على فراش الموت بقوله: (أوصى الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرًا، وأن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وألّا يكلفهم فوق طاقتهم)[٤] وفي الأخبار النصرانية شهادة تؤيد هذا القول، وهي شهادة "عيشويابه" الذي تولى كرسي البطريركية من سنة ٦٤٧ إلى ٦٥٧م إذ كتب يقول: إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون، إنهم ليسوا بأعداء للنصرانية؛ بل يمتدحون ملتنا ويوقرون قسيسينا وقدّيسينا، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا. والظاهر أن الاتفاق الذي تم بين عيشويابه وبين العرب كان من صالح النصارى فقد نصّ على وجوب حمايتهم من أعدائهم وألا يحملوا قسرًا على الحرب من أجل العرب، وألّا يؤذوا من أجل الاحتفاظ بعاداتهم وممارسة شعائرهم، وألا تزيد الجزية المجباة من الفقير على أربعة دراهم، وأن يؤخذ من التاجر والغني اثنا عشر درهمًا، وإذا كانت أمة نصرانية في خدمة مسلم فإنه لا يحق لسيدها أن يجبرها على ترك دينها

---

(١) المصدر السابق صـ٢٧٨.

(٢) آرثر ستانلي تريتون. ولد عام ١٨٨١، وتعلم في عدد من الكليات البريطانية وعين مساعد أستاذ للعربية في ادنبرا ١٩١١ وكلاسكو ١٩١٩، وأستاذًا في عليكرة في الهند ١٩٢١، ومدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن ١٩٣١-٣٨-٤٧-، وقد وجه جل اهتمامه إلى الفقه وطوّف في عدد من البلدان العربية.
من آثاره: أئمة الزيدية بصنعاء واليمن ١٩٢٥، الخلفاء ورعاياهم من غير المسلمين ١٩٣٠، علم الكلام في الإسلام ١٩٤٧، الإسلام إيمان وشعائر ١٩٥٠، مواد في التربية الإسلامية ١٩٥٧. كما نشر عددًا من الأبحاث في المجالات الاستشراقية وبخاصة مجلة الجمعية الملكية الآسيوية.

(٣) أهل الذمة في الإسلام صـ٤٣.

(٤) يحيى بن آدم: كتاب الخراج صـ٥٤.

أو إهمال صلاتها والتخلي عن صيامها[١].

كان العرب في أيامهم الأولى يلتزمون جادة الصبر والأناة، إذ كثيرًا ما نقرأ عن مدن استسلمت بشروط ثم ثارت وتمردت على العرب ثم استسلمت مرة أخرى فأعادوا لها عهودها الأولى[٢].

ومن الأدلة الطيبة على ما كانت تسترشد به الحكومة الإسلامية في معاملتها الذميين ما جاء في الأمر الذي وجد بين أوراق البردي اليونانية المحفوظة في المتحف البريطاني، وعلى الرغم من فساد قسم منه فقد جاء في الباقي: خوفًا من الله، وحفظًا للعدالة والحق في توزيع القدر المفروض عليهم ولكن تجب معاملة الجميع بالعدل، وأخذ الشيء من كل منهم بقدر طاقته[٣].

يقول أرنولد توينبي: ثمة حالة نابهة الذكر لهذا التسامح المنشود يفرضها نبيٌّ على أتباعه وهو في موضعه الجليل. فإن محمدًا ﷺ قد أمر أتباعه بالتسامح الديني تجاه اليهود والمسيحيين الذين خضعوا سياسيًّا للحكم الإسلامي. فقدم محمد ﷺ بذلك لقاعدة التسامح تفسيرًا قوامه أن أفراد هاتين الجماعتين الدينيتين غير المسلمتين هم أهل كتاب كالمسلمين أنفسهم، وليس أدل على روح التسامح التي بعثت الحياة في الإسلام منذ بدايته من أن المسلمين قد طبقوا مبدأ التسامح الديني على أتباع زرادشت الذين خضعوا للحكم الإسلامي؛ وإن لم يقل بذلك الرسول الكريم نفسه[٤].

لم يكن الاختيار بين الإسلام أو القتل، ولكن بين الإسلام أو الجزية وتلك سياسة مستنيرة، أجمعت الآراء على امتداحها. لقد سلك الإسلام طريقة بين رعايا الخلافة غير العرب، مستندًا على مزاياه وفضائله الذاتية، وكان انتشارًا بطيئًا لكنه كان مؤكدًا، ويحتمل

---

(١) أهل الذمة في الإسلام صـ١٥٨-١٥٩.

(٢) المرجع السابق صـ١٦٠.

(٣) المرجع السابق صـ١٦٣-١٦٤.

(٤) مختصر دراسة التاريخ ٣/ ٤٢.

أن الهداية إلى الإسلام بصورة جماعية لم تبدأ قبل القرن التاسع الميلادي – أو تصل نهايتها- حتى حلول فترة اضمحلال الإمبراطورية العباسية من القرن الثالث عشر. ويمكن القول بالتأكيد إن هذه الغلات التي حصدت من حقل التبشير الإسلامي كانت حصيلة حركة شعبية تلقائية، ولم تنجم قط عن ضغط سياسي(١).

إن المسلمين قد سبقوا بناة الإمبراطورية من الأسبانيين والبرتغاليين في إظهار إخلاصهم لمعتقداتهم الدينية. فإن المسلمين قد تزاوجوا منذ البداية مع من تولوا هدايتهم إلى دينهم دون اعتبار لاختلاف الجنس؛ بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك فإن المجتمع الإسلامي قد ورث عن نص وارد في القرآن إقرارًا بطائفة من الأديان عدا الإسلام هي رغم ما بها من قصور أديان سماوية أصلية نزل بها الوحي وهذا الإقرار أسبغ على اليهود والمسيحيين أولًا، ثم اتسع فشمل بعد ذلك الزرادشيتين والهندوس(٢).

يقول جورج حنا:إن المسلمين العرب لم يعرف عنهم القسوة والجور في معاملتهم للمسيحيين؛ بل كانوا يتركون لأهل الكتاب حرية العبادة وممارسة طقوسهم الدينية مكتفين بأخذ الجزية منهم. (٣)

لم يرو المؤرخون المسيحيون أنفسهم مثل هذه الوحشية التي مارسها الصليبيون عن المسلمين. لم يكن هؤلاء وحشيين في معاملة الأسرى الأهليين المسيحيين، فإذا انتصروا كانوا يكتفون بضرب الجزية على أعدائهم ولا يفظّعون بهم.

بعد معركة طبرية التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي على خصمه الملك غي ده لوسينيان عفَّ صلاح الدين عن التفظيع بالأسرى الذين نجوا من الموت المريع أثناء المعركة، وجردهم من السلاح، وضرب عليهم الجزية وأطلق سراحهم مع قائدهم الملك

(١) المصدر السابق ٢/ ٣٥٥-٣٥٧.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٤١٨.

(٣) قصة الإنسان صـ٨٩-٩٠.

غي. وليست هذه الحادثة وحدها هي الدليل على الفرق الكبير بين معاملة الغزاة لأعدائهم وبين معاملة أعدائهم في واحدة من المئات التي جاءت في كتب التاريخ عن الحروب الصليبية ومعظمها لمؤرخين مسيحيين من الفرنج بالذات[1].

يقول أميل درمنغم: كانت الفتوح الإسلامية جزاءً مقدرًا، وخزيًا كبيرًا على النصرانية الشرقية المتفرقة المنحطة، وكان سلطان العرب غلًّا أكرهت به أوروبا على الصواب، فكان ظهور العرب ووعيدهم حافزين للنصرانية إلى سلوك سبيل الإصلاح والترقي[2].

لم يشرع الجهاد لهداية الناس بالسيف ففي القرآن: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، والقرآن يأمر المسلمين بالاعتدال وبألا يبدؤوا بالاعتداء[3].

كتب الفوز للعرب؛ لأنهم كانوا أهلًا للفوز، وتمّ النصر للإسلام؛ لأنه عنوان رسالة كان الشرق كثير الاحتياج إليها، واحتمل المسلمون ضروب العذاب قبل الهجرة ولم يستطيعوا لها ردًّا، فلما كانت الهجرة وكان ما أبدوه من المقاومة والنصر، اتخذوا التسامح الواسع دستورًا لهم. أجل لم يبق للمشركين مقام في دار الإسلام، ولكنه أصبح لأهل الكتاب من اليهود والنصارى فيها حق الحماية وحرية العبادة وما إليهما، وصاروا من المجتمع إذا ما أعطوا الجزية. قال النبي ﷺ : "من آذى ذميًّا فأنا خصمه"، وما أكثر ما في القرآن والحديث من الأمر بالتسامح، وما أكثر عمل فاتحي الإسلام بذلك، ولم يرو التاريخ أن المسلمين قتلوا شعبًا، وما دخول الناس أفواجًا في الإسلام إلّا عن رغبة فيه، وهنا نذكر أن عمر بن الخطاب ﷺ لَّما دخل القدس فاتحًا أمر بألّا يمسّ النصارى بسوء وبأن تترك لهم كنائسهم، وشمل البطرك بكل رعاية، ورفض الصلاة في الكنيسة خوفًا من أن يتخذ المسلمون ذلك ذريعة لتحويلها إلى مسجد.

---

(١) المصدر السابق صـ٩٢-٩٣.

(٢) حياة محمد صـ١٤٤.

(٣) المصدر السابق صـ١٩٦.

وهنا نقول ما أعظم الفرق بين دخول المسلمين القدس فاتحين ودخول الصليبيين الذين ضربوا رقاب المسلمين فسار فرسانهم في نهر من الدماء التي كانت من الغزاة ما بلغت به ركبهم، وعقد النية على قتل المسلمين الذين تفلتوا من المذبحة الأولى![١].

يقول اتيين دينيه: من الحقائق التاريخية أن النبي ﷺ أعطى أهل نجران المسيحيين نصف مسجده ليقيموا فيه شعائرهم الدينية. وها نحن أولًا نرى المسلمين إذا بشروا بدينهم فإنهم لا يفعلون مثل ما يفعل المسيحيون في الدعوى إلى دينهم، ولا يتبعون تلك الطرق المستغربة التي لا تتحملها النفس والتي يحبها الذوق السليم. وقد أنصف القس ميثون الحقيقة في كتابه "سياحة دينية في الشرق" حيث يقول: إنه لمن المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التسامح وفضائل حسن المعاملة وهما أقدس قواعد الرحمة والإحسان عند الشعوب والأمم[٢].

المسلمون على عكس ما يعتقده الكثيرون، لم يستخدموا القوة أبدًا خارج حدود الحجاز لإكراه غيرهم على الإسلام. وإن وجود المسيحيين في أسبانيا لدليل واضح على ذلك، فقد ظلوا آمنين على دينهم طوال القرون الثمانية التي ملك فيها المسلمون بلادهم، وكان لبعضهم مناصب رفيعة في بلاط قرطبة. ثم إذا بهؤلاء المسيحيين أنفسهم يصبحون أصحاب السلطان في هذه البلاد فكان أول همٍّ لهم أن يقضوا قضاء تامًّا على المسلمين[٣].

إن القدوة الحسنة التي لا تقترن بمحاولة التبشير المتعصبة لهي أقوى أثرًا في النفوس التقية من مضايقات القسس المبشرين، ولقد اضطر العالم دوزي –رغم تعصبه ضد الإسلام– إلى الاعتراف بأن الكثير من المسيحيين الذين كانوا في أسبانيا اعتنقوا الإسلام عن عقيدة[٤].

---

(١) حياة محمد صـ٣٦٩ - ٣٧٠.

(٢) أشعة خاصة بنور الإسلام صـ١٨-١٩.

(٣) محمد رسول الله صـ٣٣٢.

(٤) المرجع السابق صـ٣٣٣.

القاعدة التي يجري عليها المسلم في علاقاته بأصحاب الديانات الأخرى هي تلك التي حددها القرآن في الآية التالية ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ وكيف لا يكون المسلم متسامحًا وهو يجل الأنبياء الذين يجلهمّ اليهود والنصارى فموسى بالنسبة إليه كليم الله، وعيسى روح الله، يجب تبجيلهما كما نبجل محمدًا حبيب الله. ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[١].

يقول ادوين كالغرلي: لم يحمل المسلمون أثناء غزواتهم المنتصرة أحدًا من المسيحيين أو اليهود على اعتناق الإسلام، فقد أقر الإسلام لأهل الكتاب بحرية ممارسة شعائر دينهم بشرط دفع الجزية، وكل ما طالبهم به هو أن يسلموا للدين الجديد بالسيادة المدنية والسياسية التي تمثلت في الدولة الإسلامية[٢].

(احتفظ المسلمون للأقليات غير المسلمة في البلاد التي فتحوها بحقوقهم وامتيازاتهم الدينية)[٣].

في القرآن آية كريمة تفيض بالصدق والحكمة يعرفها المسلمون جميعًا، ويجب أن يعرفها غيرهم، وهي تقول بأن: ﴿لا إكراه في الدين﴾ (البقرة: ٢٥٦)[٤].

يقول كلود كاهن: حافظت الأقوام المغلوبة على حرية إقامة شعائرها، لا يحدّها في ذلك سوى الامتناع عن تلك التظاهرات العامة التي تؤذي المسلمين في المناطق الآهلة بهم، كما حافظت تلك الأقوام على شرائعها الخاصة، ورأى المسلمون في أداء الضريبة لهم اعترافًا بالسيادة العليا للأمة الإسلامية، ولقاء ذلك استبقى الأهالي ما يملكون من عقارات ونزل العرب خارج ممتلكاتهم، وكان على المغلوبين أيضًا واجب الوفاء والإخلاص للفاتحين، وبخاصة في فترات الحروب كإيواء المسلمين وتزويدهم بالأخبار والامتناع عن إفشاء المعلومات للعدو[١].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته بإشراف كويلر يونغ، صـ١٦٣-١٦٤.

(٣) نفسه، صـ١٦٤.

(٤) الشرق الأدنى صـ١٨٢.

يقول كرامرز[٢]: إن أورشليم القدس المركز الديني الأسمى لأوربا النصرانية دخلت منذ السنة ٦٣٨م في حوزة الإسلام إلا أن الفتح الإسلامي لم يمنع من زيارة القبر المقدس، أو يحل بين الأوربيين المسيحيين وبين إنجاز هذه الفريضة الدينية.

يقول جوليفيه كستلو: ما كان الحكم التركي الذي امتد ظله إلى المجر ظالمًا ولا قاسيًا، فقد كان العثمانيون يرعون أديان الشعوب المحكومة، ويحترمون عاداتها، وظلت تركية متمسكة بهذه القاعدة إلى القرن العشرين، وما تعمدت قط أن تتمثل العناصر؛ بل اكتفت بفرض الضرائب عليهم. وقد رأينا الشعوب التي خضعت لحكم السلطنة أضاعت قوميتها، وكانت مع هذا أيام استعبادها أسعد حالًا من العصور المضطربة المحاربة أيام استقلالها، وربما لم تربح إلى اليوم من هذا التبدل في الحكم. [٣]

يقول كولد تسيهر: إنه مما لا يمكن إنكاره أن الأوامر القديمة التي وضعت للمسلمين الفاتحين إزاء أهل الكتاب الخاضعين لهم، أثناء هذه المرحلة الأولى من التطور الفقهي كانت قائمة على روح التسامح وعدم التعصب. وأن ما يشاهد اليوم مما يشبه أن يكون تسامحًا دينيًّا في علاقات الحكومات الإسلامية، ونجد ظواهر هذا التشريع في الإسلام في كتب الرحالة في القرن الثامن عشر يرجع إلى ما كان في النصف الأول من القرن السابع من مبادئ الحرية الدينية التي منحت لأهل الكتاب في مباشرة أعمالهم الدينية.

روح التسامح في الإسلام قديمًا تلك الروح التي اعترف بها المسيحيون المعاصرون أيضًا كان لها أصلها في القرآن: ﴿لا إكراه في الدين﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وقد جاءت الأخبار

---

(١) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ١/ ٥-٦.

(٢) البروفيسور جي. م.ج كرامرز. ولد بهولندا سنة ١٨٩١، وكان أستاذًا للتركية والفارسية في جامعة ليدن حتى سنة ١٩٣٩، اشتغل من ١٩١٥ حتى ١٩٢١ مترجمًا للسفارة الهولندية في الأستانة. كان أحد المساهمين في كتابة كثير من الموضوعات في دائرة المعارف الإسلامية، وألف كتاب: فن التاريخ عند الأتراك العثمانيين- ١٩٤٤.

(٣) قانون التاريخ، عن محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية ٢/ ٤٩٦-٤٩٧.

عن السنين العشر الأولى للإسلام بمثل للتسامح الديني للخلفاء إزاء أهل الأديان القديمة، وكثيرًا ما كانوا يوصون في وصاياهم للفاتحين بالتعاليم الحكيمة، ومن المثل لذلك عهد النبي ﷺ مع نصارى نجران الذي حوى احترام منشآت النصارى، ثم هذه القواعد التي أعطاها لمعاذ بن جبل عند ذهابه إلى اليمن لا يزعج يهودي في يهوديته. وفي هذه الدائرة العالية كانت أيضًا عهود الصلح التي أعطيت للنصارى الخاضعين للدولة البيزنطية التي اندمجت في الإسلام وبموجبها كانوا – في مقابل دفع الجزية- يستطيعون مباشرة شئونهم الدينية من غير إزعاج لهم.

وكما أن مبدأ التسامح كان جاريًا في الأعمال الدينية، كذلك من جهة أخرى كان يراعي فقهيًا فيما يتعلق بالمعاملات المدنية والاقتصادية بالنسبة لأهل الكتاب مبدأ الرعاية والتساهل، فظلم أهل الذمة، وهم أولئك المحتمون بحمى الإسلام من غير المسلمين كان يحكم عليه بالمعصية وتعدي الشريعة. ففي بعض المرات عامل حاكم إقليم لبنان الشعب بقسوة عندما ثار ضد ظلم أحد عمال الضرائب، فحكم عليه بما قاله الرسول ﷺ : "من ظلم معاهدًا، وكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة". وفي عصر أحدث من هذا ما رواه بورتر Porter في كتابه "خمس سنين في دمشق" من أنه رأى بالقرب من بصرى بيت اليهود، وحكمت أنه كان في هذا الموضع مسجد هدمه عمر رضي الله عنه لأن الحاكم قد اغتصبه من يهودي ليبني عليه هذا المسجد)[1].

الوجه الخامس: علاقة الدولة الإسلامية بالدول المحاربة.

إن الله تعالى عظَّم شأن من سعى لحفظ حياة إنسان واحد، وعظَّم جرم من سعى في قتل إنسان بريء ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢) وقد تكلَّم

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام صـ٤٥-٤٧.

علماء الإسلام أن هذه الآية تشمل كل إنسان مسلمًا كان أم غير مسلم. وما شرع القصاص في القتل إلا لحماية حياة الناس، فإن الإنسان لا يبادر إلى قتل البريء إذا عم أنه يقتل به ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰأُولِي الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ (البقرة: ١٧٩).

أما الأمن الذي يقابل العنف فقد جعله الإسلام من أعظم أسباب النعم التي أنعم الله بها على عباده، ومنَّ بها عليهم ليعبدوه وحده لا شريك له، فقال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: ١-٤).

والسلم والحرب من سنن الله تعالى في هذه الحياة، والناس لا يعدّون إلا مسالمين أو محاربين. وقد جعل الشرع للحرب سننًا وآدابًا، وللسلم سننًا وآدابًا. لقد جعل الإسلام للحرب آدابًا للرحمة لم يعرفها غير المسلمين لا في تأريخهم القديم ولا الحديث.

إن من أعظم سنن الحرب عند المسلمين:

- الإعلان والإنذار قبل الحرب.
- قتال المحارب دون غيره من الرجال.
- ترك النساء والأطفال والشيوخ.
- إعطاء الأمان للمحارب إذا طلب ذلك قبل القدرة عليه.
- الوفاء بالعهد وعدم الغدر.
- الحرب الشريفة (النظيفة).

إن هذه السنن الحربية سنن مقدسة شريفة عند المسلمين، إنها سنن يتعبَّدون الله تعالى بها، ذلك أن من خالفها فقد عصى الأوامر الشرعية تمامًا مثل من شرب الخمر أو سرق ونحو ذلك. وقد شهد التأريخ بشرفية حروب المسلمين ونظافتها من الخبث والغدر.

روى مسلم في صحيحه عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سريَّة أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: "اغزوا باسم الله

في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا".

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان. ؟ [١]

وقال تعالى في ترك المسالمين من الرجال: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ ﴾ (الممتحنة: ٨).

وقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۝٩٠ ﴾ (النساء: ٩٠). وقوله: ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ أي: كرهوا قتالكم.

والدارس للقرآن الكريم في هذا المجال يجد الحقائق الآتية[٢]:

الحقيقة الأولى:

أن الإسلام قد حرم الاعتداء تحريمًا قاطعًا، وتشريعه للحرب دفاعي محض، والدليل على ذلك: أننا لا نجد في القرآن الكريم كله آية واحدة تتحدث عن حرب هجومية من جانب المسلمين، أما إذا وقع اعتداء على المسلمين من أحد، فعليهم أن يهبوا للدفاع عن أنفسهم ودينهم، وهذا حق مشروع لا ينكره إنسان منصف، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٠).

الحقيقة الثانية:

القرآن الكريم صريح كل الصراحة في أن الكفر في ذاته لا يبيح قتال أصحابه، وإنما الذي يبيحه هو اعتداؤهم، ومن الأدلة على ذلك: الآية السابقة وما قدمناه من احترام

---

(١) البخاري (٣٠١٤)، ومسلم (١٧٤٤).

(٢) انظر مجلة الحكمة العدد ٢٤ صـ ١٣ وما بعدها.

القرآن جوار المعاهدين وتحريمه قتال من أتى إلى المسلمين من دار الحرب كما سبق، ومن الأدلة أيضًا ما قرره القرآن من إجارة المشرك ما دام مسالمًا على النحو الذي قدمناه.

الحقيقة الثالثة:

أباح القرآن الكريم قتال الكفار الذين يحاولون الصيد في الماء العكر، ويتلونون كل يوم بلون ليأمنوا جانب المسلمين وجانب قومهم في وقت واحد، قال تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾ (النساء: ٩١)[1].

الحقيقة الرابعة:

إذا أثخن العدو بالجراح، وتجلى ضعفه، وصار النصر محققًا في جانب المسلمين، فلهم أخذ الأعداء أسرى إلى أن يتم الاتفاق على إنهاء حالة الحرب، وللحاكم المسلم أن يمن على هؤلاء الأسرى فيطلق سراحهم دون مقابل، وله أن يأخذ فدية مقابل تسريحهم تبعًا لما فيه المصلحة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ﴾ (محمد: ٤).

الحقيقة الخامسة:

الحرب في مفهوم القرآن الكريم ضرورة، ولذلك فهي مؤقتة بوجود سببها وهو الاعتداء على جماعة المسلمين، فإذا انتفى هذا السبب وجب إنهاؤها، وهذا يحدث في نظر القرآن الكريم بأحد أمور ثلاثة:

١ - أن ينتهي المعتدون من عدوانهم، ويكفوا أيديهم عن القتال قال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾ (البقرة: ١٩٢).

---

(١) انظر حولية كلية أصـول الدين العدد التاسع صـ ١٠٨ وما بعدها.

٢- أن يجنحوا إلى السلم ويمدوا أيديهم للتصالح مع المسلمين، قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ (الأنفال: ٦١)

٣- أن يحرز المسلمون النصر ويوقنوا بزوال الخطر، وعليهم حينئذ أن يكفوا عن القتال ويبدأوا بتصفية الموقف، قال تعالى: ﴿إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ﴾ (محمد: ٤).

معاملة الأسرى في الإسلام والتشريعات الأخرى

إذا كانت معاملة الأسرى في ظل منهج القرآن قد بلغت شأوًا بعيدًا في الإحسان والرحمة؛ فإنه باستقرار تاريخ التشريعات الأخرى نرى عكس ما انتظمته تشريعات القرآن الكريم السامية[١].

الأسرى في ظل تشريعات فارس

فالقارئ لتاريخ فارس يرى أمرًا عجبًا فإنهم كانوا يعاملون أسراهم بقسوة لا شفقة معها فيسملون أعينهم، ويسومونهم سوء العذاب ثم يقتلونهم أو يطلبونهم.[٢]

فأسرى الحرب لم تكن لهم أي قيمة تذكر كبشر في نظر أهل فارس حين وقع (والير فإن) قيصر الروم في أسر شابور الأول قيد بالسلاسل، وطوف به في المدينة، واستخدم كالعبيد طوال حياته، وبعد موته سلخ جلده وملء بالقش[٣].

أما حادثة شابور و الأكتاف فهي مشهورة فحين أريد الانتقام من الأسرى العرب (عرب البحرين أو الإحساء) أمر بصفهم معًا، وحرق أكتافهم وربطهم معًا؛ ولهذا عرف في التاريخ باسم (ذو الأكتاف). وتزداد فظاعة هذه الحكايات الدامية حين تعرف أن هذا

(١) استفدنا هذا المبحث من معاملة أسرى الحرب في ضوء القرآن الكريم للدكتور عبد الفتاح عبد الغنى، حولية كلية أصول الدين العدد ١٩ صـ ٢١٩.

(٢) راجع، الحرب والسلام في شرعة الإسلام صـ ١٧٤ د/ مجيد خدوري.

(٣) راجع شريعة الإسلام في الجهاد والعلاقات الدولية لأبي الأعلى المودودي صـ ١٦٥.

الظلم الذي وقع على الجنس البشري لم يكن له أي مقصد أو هدف؛ بل كان لمجرد الشهرة وإظهار الهيبة والعظمة لا غير وكان يحدث أن تسفك دماء الألوف من الناس لمجرد إرضاء شهوات الملوك ونزواتهم الوضيعة وهذه الحادثة التي وقعت في عهد رسول الله ﷺ فقد سمع (خسرو أبرويز) عن جمال ابنة النعمان بن المنذر فأمره أن يدخل ابنته في البلاط الملكي إلا أن النعمان بغيرته العربية لم يهتم بهذا الحكم ورفضه علنا فصدر أمرًا من خسروا باحتلال إمارة الحيرة والقبض على النعمان فقام النعمان وأولاده باللجوء إلى حماية بنى شيبان وذهب بنفسه إلى بلاط كسرى يلتمس العفو على هذا الذنب لكن كسرى أمر بقتله وأرسل جيشًا قوامه أربعون ألف جندي لسلب أهل النعمان ابن المنذر من بني شيبان ودارت رحى المعركة عند ذي قار معركة ضارية مات فيها الآلاف من الطرفين لا لشيء إلا لأن الملك كان يشتهى رؤية امرأة جميلة(١).

الأسرى في ظل تشريعات الرومان واليونان

إذا كان هذا هو الحال في فارس في معاملة أسرى الحرب؛ فإن حال الأسرى في قوانين الرومان واليونان القدامى أشد سوءًا.

كان أسرى الحرب عندهم هم أكثر الناس تعرضًا للمهانة والمذلة والتعذيب والقهر، فقد كان الرومان واليونان قدامى يعتبرون الأمم الأخرى أمم همجية بربرية، ولم يكن في قوانينهم مادة تتعلق بالأسير سوى مادة واحدة تنص على قتله أو استرقاقه ولا شيء غير هذا.

يقول أرسطو معلم الأخلاق: ببساطة إن الطبيعة قد خلقت هؤلاء البرابرة؛ ليكونوا مجرد عبيد وغلمان(٢).

وفي موضع آخر يتحدث عن السبل المشروعة للحصول على الثروة فيقول: وتحدث

---

(١) المرجع السابق.

(٢) راجع شريعة الإسلام في الجهاد والعلاقات الدولية صـ ١٦٣.

الحرب من أجل استرقاق هذه الأمم فقد خلقتهم الطبيعة لهذا الغرض[1].

وقد أدى هذا الاعتقاد بالتالي إلى استهتار الرومان بأرواح الأمم الأخرى وأموالها من ناحية، ومن ناحية أخرى سيطرت على المجتمع الروماني بهمجية ووحشية جعلت أفراد المجتمع الروماني يتلذذون بمشاهدة الوحشية في ألعابهم، فحولوا هذا التلذذ المجازي إلى واقع فلو تخيلوا حرق بيت قاموا بحرقه فعلًا، وهكذا قاموا بحرق الإنسان حيًا، وتركوا الإنسان فريسة للأسود في قفص واحد، ولما كانوا في حاجة إلى هؤلاء الذين يتسلون بهم في لهوهم الوحشي ولم يكن من المعقول أن يكونوا من المواطنين الأحرار في روما؛ جعلوا أسرى الحرب وسائل لتلك التسلية الدموية، وكانت هذه التسلية تتم على نطاق واسع لدرجة أنها كانت تضم آلاف الرجال، يطاح بهم في وقت واحد.

أما تينوس الذي يقال: إنه محبوب الجنس البشرى فقد أمر بالقبض على خمسين ألفًا من الحيوانات المتوحشة ثم نزل منها عدة آلاف من الأسرى اليهود داخل سياج واحد.

وفي ألعاب بشعة أخرى كان هناك عشرة ألف رجل يتصارعون مع أحد عشر ألفًا من الوحوش الضارية.

وقد قام كلاديوس ذات مرة بجعل (١٩) تسع عشرة ألف رجل يقتلون بعضهم بعضًا بالسيف خلال هذه الألاعيب الحربية البشعة، والوصية التي كتبها قيصر أغسطس جاء فيها: لقد شاهدت مباريات ثمانية آلاف جندي مع ثلاثة آلاف وخمسمائة وعشرة من الحيوانات المفترسة، وكانت هذه المباريات تتم كلها باستخدام أسرى الحروب.

أضف إلى ذلك لقد كان استخدام أسرى الحرب يشمل أيضًا استرقاقهم من جانب الرومان الأحرار، وقد احتل الأسرى الدرجة الدنيا في المجتمع؛ إذ لم تكن لهم أية حقوق محدودة، ولم تكن لأرواحهم قيمة، ولم يكن لهم هدف من حياتهم سوى إرضاء رغبات

---

(١) راجع المصدر السابق.

سادتهم ونزواتهم.

وكما يقول "فيرر": "يقضون حياتهم وطفولتهم ذليلة، وشبابهم تعب شاق، وشيخوختهم لا رحمة لها من سادتهم وهكذا حياتهم من المهد إلى اللحد"[(١)].

ويقول: "فيرر": حين اتسعت فتوحات الرومان بدأ عدد ضخم من أسرى الحرب يفد إلى البلاد، ووصل مجموع عددهم في وقت من الأوقات إلى ستين مليون مستعبد[(٢)].

الأسرى في ظل تشريعات اليهود

أما عن اليهود فحدث ولا حرج فقد اشتملت نصوص توارتهم المحرفة على ما يندى له الجبين، ومن ثم انطلق الحكم العبري من خلال هذه النصوص المحرفة فما كان أقل قسوة من الفرس أو الرومان فقد ورد في:

(أ) سفر التثنية: "حين تقترب من مدينة لكي تحاربها فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فتغنمها لنفسك".

(ب) جاء في الإصحاح الثالث عشر من تثنية الاشتراع في العهد القديم: فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرقها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف، تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب ولإلهك فتكون تلك إلى الأبد لاثيني بعد[(٣)].

(ج) وما جاء في الإصحاح العشرين: (فكل الشعب الموجود فيها يكون لك التسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حربًا فحاصرها وإذا دفعها الرب إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل

(١) Ferrarp. ٢ نقلًا عن المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الإصحاح الثالث عشر ١٥، ١٦.

غنيمتها فتغنمها لنفسك[(١)].

وهكذا انطلق اليهود العبريون في كل عصر ومصر ينفذون تلك التعاليم المحرفة التي احتواها كتابهم؛ فأخذوا يعيثون في الأرض فسادا، ويقتلون ويخربون ويدمرون ويذيقون أسارى الحرب أشد ألوان التعذيب والتنكيل وإن شئت فاقرأ جرائمهم في العصر الحاضر مع الشعب العربي بصفة عامة والشعب الفلسطيني بصفة خاصة.

لقد ذكرت التقارير والأبحاث المقدمة إلى مؤتمر حقوق الإنسان الذي عقدته جامعة الدول العربية ببيروت سنة ١٩٦٨ الجرائم والمخالفات التي ارتكبتها إسرائيل ضد الأسرى العرب بعد حرب يونيو ١٩٦٧ لقد أساءت معاملتهم وعذبتهم وقتلت بعضهم مخالفة بذلك أبسط المبادئ الأخلاقية والإنسانية.

معاملة الأسرى في التشريع الإسلامي*

جاء تشريع الإسلام في أسمى صوره من اليسر والرفق والرحمة، تجاه هؤلاء الأسرى؛ بل واسأل التاريخ كله، فإنه سيجيبك أنه لم يعرف محاربًا رفيقًا بأسرى الحرب كالمحارب المسلم.

لقد حث الإسلام على إحسان معاملة الأسرى والرفق بهم وتتجلى مظاهر الإحسان فيما يلي:

١ـ توفير الطعام والشراب للأسرى.

وقد دلَّ على ذلك النصوص الآتية:

أ- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ (الإنسان: ٥- ٩).

فقد وصف الله تعالى حال الأبرار الذين يشربون من كأس كان مزاجها كافورًا بأنهم يوفون بالنذر، ويطعمون الطعام المساكين والأيتام والأسارى وإن كانوا غير مسلمين، كما

---

(١) الإصحاح العشرين العهد القديم ١٠- ١٨.

* انظر تفصيل هذه المسألة في شبهة " الرق في الإسلام " من هذه الموسوعة.

قال قتادة[١].

فرغبت الآية المسلمين في إطعام الأسرى واعتبرت ذلك من قبيل القربة إلى الله.

فهذه الآية نص محكم في الإحسان إلى الأسرى، والرفق بهم، ويقول الإمام القرطبي بعد أن ذكر أقوال السلف في بيان المراد من الأسير من أهل الشرك يكون في أيديهم، وقال قتادة: لقد أمر الله بالأسرى أن يحسن إليهم، وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك، وأخوك المسلم أحق أن تطعمه قال: قلت: وكأن هذا القول عام يجمع جميع الأقوال، ويكون إطعام الأسير المشرك قربة إلى الله تعالى[٢].

ب- وروي عن عمران بن حصين قال: "كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ ، وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلًا من بني عقيل، وأصابوا معه العضباء (ناقة) فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق، فقال: يا محمد، فأتاه، فقال: ما شأنك؟ فقال: بم أخذتني وأخذت سابقة الحاج (يعني العضباء)؟ فقال: بجريرة حلفائك ثقيف، ثم انصرف، فناداه فقال: يا محمد، يا محمد، فقال: ما شأنك؟ قال: إني مسلم. قال: "لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح" ثم انصرف عنه فناداه: يا محمد، يا محمد، فأتاه فقال: ما شأنك؟ فقال: إني جائع فأطعمني، وظمآن فاسقني. قال: "هذه حاجتك" ففُدِي بعد بالرجلين[٣].

فقوله ﷺ "هذه حاجتك" تدل على إطعام الأسير وأنه ينبغي أن يكون الطعام كافيًا في كميته وقيمته الغذائية، بحيث تكفل للأسير السلامة.

ج- وروي أن رسول الله ﷺ حين أتي بالأسارى (أي أسرى بدر) فرقهم بين أصحابه وقال لهم: "استوصوا بالأسرى خيرًا" قال: وكان أبو عزيز عمير بن هاشم أخو مصعب

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ١٥/ ٢٣٨.

(٢) تفسير القرطبي ١٩/ ١٢٩.

(٣) مسلم (١٦٤١).

بن عمير لأبيه وأمه يأسرني. فقال: شدَّ يدك به! فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك. قال: وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر؛ لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا. ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها، فاستحيي فأردها على أحدهم، فيردها ما يمسها(١).

٢ـ توفير الكساء:

ومن مظاهر الإحسان في الإسلام للأسرى أنه لا يترك الأسرى بدون كساء يقيهم حر الصيف وشدة البرد. فقد روى البخاري عن جابر بن عبد الله ﷺقال: لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ أُتِيَ بِأُسَارَى، وَأُتِيَ بِالْعَبَّاسِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثَوْبٌ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ قَمِيصًا فَوَجَدُوا قَمِيصَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ يَقْدُرُ عَلَيْهِ، فَكَسَاهُ النَّبِيُّ ﷺ إِيَّاهُ، فَلِذَلِكَ نَزَعَ النَّبِيُّ ﷺ قَمِيصَهُ الَّذِي أَلْبَسَهُ. قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: كَانَتْ لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَدٌ فَأَحَبَّ أَنْ يُكَافِئَهُ. (٢) وقد بوَّب البخاري على هذا الحديث بابًا بعنوان: (الكسوة للأسارى).

وأوصى القاضي أبو يوسف خليفة المسلمين هارون الرشيد: أن يصرف للسجناء ملابس ثقيلة تحميهم من برد الشتاء، وملابس خفيفة تروح عنهم حر الصيف(٣).

٣ـ توفير السكن المناسب لهم:

في العصور الأولى للإسلام التي لم يكن فيها سجون وزَّع رسول الله ﷺ الأسرى على الناس؛ لإسكانهم في بيوتهم، وكان يحبس البعض في المسجد، ويوصي بهم خيرًا. ولما اتخذت السجون نبه كثير من العلماء إلى ضرورة أن تكون واسعة وصحية.

فقال ابن هبيرة: (لا يجوز جمع السجناء في مكان ضيق)(٤)، وقال الماوردي: (لا يجوز

(١) وقال الهيثمي في المجمع ٦/ ٨٦: رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٢) رواه البخاري (٢٨٤٦).

(٣) الخراج لأبي يوسف صـ ١٦٢.

(٤) الإفصاح لابن هبيرة ١/ ٣٩.

عند أحد من المسلمين أن يجمع الكثير في موضع ضيق)[١].

٤ـ عدم تكليفهم بما لا يطيقون:

لقد أمر الإسلام بالإحسان إلى الأسرى.

من الإحسان للأسرى أن لا يكلفوا من الأعمال ما لا يستطيعونه، ولا أن يجبروا على أعمال لا يقدرون عليها، وتراعى بنية الأسير الجسدية وآدميته ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦) وقوله ﷺ: "اكلفوا من الأعمال ما تطيقون"[٢].

٥ـ توفير العناية الصحية والعلاج اللازم للأسرى إذا احتاجوا إلى ذلك:

وهو داخل في قول النبي ﷺ للأسير العقيلي: "هذه حاجتك"[٣] كما يدخل في وصيته بالأسرى خيرًا.

٤- عدم إكراههم على تغيير معتقداتهم:

من الإحسان إلى الأسرى عدم إكراههم على ترك دينهم والدخول في الإسلام[٤]؛ لقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

ونسأل أين الغرب من هذه السنن؟ وأين هو شرف الحرب عندهم؟ هل هو في قنبلتي اليابان اللتين خلفتا ملايين المعوقين من الرجال والنساء والشيوخ؛ بل والأجنة في بطون أمهاتها، بل أجيال عدة من الأبرياء، بعدما أفنت بدقائق معدودة مئات الآلاف من البشر. أم أن شرف الحرب عندهم نجده في حرب الخليج حيث ألقيت مئات الأطنان من اليورانيوم المنضب الذي سبَّب ويسبِّب أنواع السرطانات والتشويهات الخلقية والسموم التي تبث خبثها إلى كلِّ شيء حيٍّ. ولا شكَّ نحن هنا نتحدثَّ عن المدنيين الأبرياء ولا

---

(١) التراتيب الإدارية للكناني ١/ ٢٩٥.

(٢) صحيح مسلم (١١٠٣).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: أحكام الأسرى في الفقه الإسلامي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية العدد ٥٦، صـ ٢١١.

نتحدَّث عن الجنود المقاتلين، فلا ندري عن أي إرهاب عالمي يتحدث الغرب! ! !

ولكن يمكن للمتتبع أن يفهم المعنى المطلوب للإرهاب عندهم. إنهم يقصدون بالإرهاب هو أي إضرار بالمصالح الأمريكية. ولذا فليس هناك أدنى علاقة للإرهاب عند الحديث عن ملايين الضحايا من الأطفال والأبرياء في فلسطين، والعراق، والصومال، وأفغانستان، فهذه كلها تدور بين أن تكون نتائج طبيعية للحروب أو مشاكل داخلية.

الوجه السادس: لم يذكر لفظ السيف في القرآن، وذكر في الكتاب المقدس مرات عديدة.

للسيف في اللغة العربية سبعة أسماء ومع ذلك لم يذكر ولا مرة في القرآن الكريم، والذي ذُكر هو الجهاد، والجهاد في الإسلام له أحكامه وضوابطه وآدابه، أما في الكتاب المقدس فله اسم واحد ومع ذلك ذكر نحو من (٣٩٠) مرة وإليك بعض النماذج:

التحريق بالنار

سفر القضاة الإصحاح: ١/ ٨: وَحَارَبَ بَنُو يَهُوذَا أُورُشَلِيمَ وَأَخَذُوهَا وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَأَشْعَلُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ.

الخيانة والقسوة في القتل

سفر القضاة ٣/ ١٤-٢٤: فَعَبَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عِجْلُونَ مَلِكَ مُوآبَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً. [١٥] وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ، فَأَقَامَ لَهُمُ الرَّبُّ مُخَلِّصًا إِهُودَ بْنَ جِيرَا الْبَنْيَامِينِيَّ، رَجُلًا أَعْسَرَ. فَأَرْسَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِيَدِهِ هَدِيَّةً لِعِجْلُونَ مَلِكِ مُوآبَ. [١٦] فَعَمِلَ إِهُودُ لِنَفْسِهِ سَيْفًا، ذَا حَدَّيْنِ طُولُهُ ذِرَاعٌ، وَتَقَلَّدَهُ تَحْتَ ثِيَابِهِ عَلَى فَخْذِهِ الْيُمْنَى. [١٧] وَقَدَّمَ الْهَدِيَّةَ لِعِجْلُونَ مَلِكِ مُوآبَ. وَكَانَ عِجْلُونُ رَجُلًا سَمِينًا جِدًّا. [١٨] وَكَانَ لَمَّا انْتَهَى مِنْ تَقْدِيمِ الْهَدِيَّةِ، صَرَفَ الْقَوْمَ حَامِلِي الْهَدِيَّةِ، [١٩] وَأَمَّا هُوَ فَرَجَعَ مِنْ عِنْدِ الْمَنْحُوتَاتِ الَّتِي لَدَى الْجِلْجَالِ وَقَالَ: «لِي كَلاَمُ سِرّ إِلَيْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ». فَقَالَ: «صَهْ». وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ جَمِيعُ الْوَاقِفِينَ لَدَيْهِ. [٢٠] فَدَخَلَ إِلَيْهِ إِهُودُ وَهُوَ جَالِسٌ فِي عُلِّيَّةِ بُرُودٍ كَانَتْ لَهُ وَحْدَهُ. وَقَالَ إِهُودُ: «عِنْدِي كَلاَمُ اللهِ إِلَيْكَ». فَقَامَ عَنِ الْكُرْسِيِّ. [٢١] فَمَدَّ إِهُودُ يَدَهُ الْيُسْرَى وَأَخَذَ السَّيْفَ عَنْ فَخْذِهِ الْيُمْنَى وَضَرَبَهُ فِي بَطْنِهِ. [٢٢]

فَدَخَلَ الْقَائِمُ أَيْضًا وَرَاءَ النَّصْلِ، وَطَبَقَ الشَّحْمُ وَرَاءَ النَّصْلِ لأَنَّهُ لَمْ يَجْذُبِ السَّيْفَ مِنْ بَطْنِهِ. وَخَرَجَ مِنَ الْحِتَارِ. [٢٣] فَخَرَجَ إِهُودُ مِنَ الرِّوَاقِ وَأَغْلَقَ أَبْوَابَ الْعِلِّيَّةِ وَرَاءَهُ وَأَقْفَلَهَا. [٢٤]

حتى البهائم لم تسلم من السيف

سفر القضاة ٢٠/ ٤٨: وَرَجَعَ رِجَالُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى بَنِي بَنْيَامِينَ وَضَرَبُوهُمْ بِحَدِّ **السَّيْفِ** مِنَ الْمَدِينَةِ بِأَسْرِهَا، حَتَّى الْبَهَائِمَ، حَتَّى كُلَّ مَا وُجِدَ. وَأَيْضًا جَمِيعُ الْمُدُنِ الَّتِي وُجِدَتْ أَحْرَقُوهَا بِالنَّارِ.

والنساء والأطفال كذلك

سفر القضاة: ٢١/ ١٠: فَأَرْسَلَتِ الْجَمَاعَةُ إِلَى هُنَاكَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ رَجُل مِنْ بَنِي الْبَأْسِ، وَأَوْصَوْهُمْ قَائِلِينَ: «اذْهَبُوا وَاضْرِبُوا سُكَّانَ يَابِيشِ جِلْعَادَ بِحَدِّ **السَّيْفِ** مَعَ النِّسَاءِ وَالأَطْفَالِ.

صموئيل الأول: ٢٢/ ١٩: وَضَرَبَ نُوبَ مَدِينَةَ الْكَهَنَةِ بِحَدِّ **السَّيْفِ** الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالأَطْفَالَ وَالرِّضْعَانَ وَالثِّيرَانَ وَالْحَمِيرَ وَالْغَنَمَ بِحَدِّ **السَّيْفِ**.

الملوك الثاني: ٨/ ١٢: فَقَالَ حَزَائِيلُ: «لِمَاذَا يَبْكِي سَيِّدِي؟ » فَقَالَ: «لأَنِّي عَلِمْتُ مَا سَتَفْعَلُهُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّكَ تُطْلِقُ النَّارَ فِي حُصُونِهِمْ، وَتَقْتُلُ شُبَّانَهُمْ **بِالسَّيْفِ**، وَتُحَطِّمُ أَطْفَالَهُمْ، وَتَشُقُّ حَوَامِلَهُمْ».

النشر بالمناشير والقتل بالفؤوس

أخبار الأيام الأول: ٢٠/ ٣: وَأَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِينَ بِهَا وَنَشَرَهُمْ بِمَنَاشِيرِ وَنَوَارِجِ حَدِيدٍ وَفُؤُوسٍ. وَهكَذَا صَنَعَ دَاوُدُ لِكُلِّ مُدُنِ بَنِي عَمُّونَ. ثُمَّ رَجَعَ دَاوُدُ وَكُلُّ الشَّعْبِ إِلَى أُورُشَلِيمَ.

النصرانية لا تعرف السلام

إنجيل متى: ١٠/ ٣٤-٣٥: «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ **سَيْفًا**. [٣٥] فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا.

إنجيل لوقا: ١٢/ ٤٩-٥٣: «جِئْتُ لأُلْقِيَ نَارًا عَلَى الأَرْضِ، فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ؟ [٥٠] وَلِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِغُهَا، وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟ [٥١] أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لأُعْطِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ؟ كَلاَّ، أَقُولُ لَكُمْ: بَلِ انْقِسَامًا. [٥٢] لأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الآنَ خَمْسَةٌ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ

مُنْقَسِمِينَ: ثَلاَثَةٌ عَلَى اثْنَيْنِ، وَاثْنَانِ عَلَى ثَلاَثَةٍ. ٥٣ يَنْقَسِمُ الأَبُ عَلَى الابْنِ، وَالابْنُ عَلَى الأَبِ، وَالأُمُّ عَلَى الْبِنْتِ، وَالْبِنْتُ عَلَى الأُمِّ، وَالْحَمَاةُ عَلَى كَنَّتِهَا، وَالْكَنَّةُ عَلَى حَمَاتِهَا».

رؤيا يوحنا اللاهوتي: ٦/ ٤ ٤ فَخَرَجَ فَرَسٌ آخَرُ أَحْمَرُ، وَلِلْجَالِسِ عَلَيْهِ أُعْطِيَ أَنْ يَنْزِعَ السَّلاَمَ مِنَ الأَرْضِ، وَأَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأُعْطِيَ سَيْفًا عَظِيمًا.

ذبح الأعداء كالنعاج

إنجيل لوقا: ١٩/ ٢٧: أَمَّا أَعْدَائِي، أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأْتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَاذْبَحُوهُمْ قُدَّامِي».

السيف سبيل الحياة واستعباد الناس

سفر التكوين: ٢٧/ ٤٠: وَبِسَيْفِكَ تَعِيشُ، وَلأَخِيكَ تُسْتَعْبَدُ، وَلكِنْ يَكُونُ حِينَمَا تَجْمَحُ أَنَّكَ تُكَسِّرُ نِيرَهُ عَنْ عُنُقِكَ».

سفر الخروج: ٢٢/ ٢٤: فَيَحْمَى غَضَبِي وَأَقْتُلُكُمْ بِالسَّيْفِ، فَتَصِيرُ نِسَاؤُكُمْ أَرَامِلَ، وَأَوْلاَدُكُمْ يَتَامَى.

سفر الخروج: ٣٢/ ٢٧: فَقَالَ لَهُمْ: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: ضَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخْذِهِ وَمُرُّوا وَارْجِعُوا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ فِي الْمَحَلَّةِ، وَاقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ».

سفر اللاويين: ٢٦/ ٧: وَتَطْرُدُونَ أَعْدَاءَكُمْ فَيَسْقُطُونَ أَمَامَكُمْ بِالسَّيْفِ.

سفر اللاويين: ٢٦/ ٢٥: أَجْلِبُ عَلَيْكُمْ سَيْفًا يَنْتَقِمُ نَقْمَةَ الْمِيثَاقِ، فَتَجْتَمِعُونَ إِلَى مُدُنِكُمْ وَأُرْسِلُ فِي وَسَطِكُمُ الْوَبَأَ فَتُدْفَعُونَ بِيَدِ الْعَدُوِّ.

سفر العدد: ٣١/ ١-١٨: ١ وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: ٢ «انْتَقِمْ نَقْمَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْمِدْيَانِيِّينَ، ثُمَّ تُضَمُّ إِلَى قَوْمِكَ». ٣ فَكَلَّمَ مُوسَى الشَّعْبَ قَائِلًا: «جَرِّدُوا مِنْكُمْ رِجَالًا لِلْجُنْدِ، فَيَكُونُوا عَلَى مِدْيَانَ لِيَجْعَلُوا نَقْمَةَ الرَّبِّ عَلَى مِدْيَانَ. ٤ أَلْفًا وَاحِدًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ تُرْسِلُونَ لِلْحَرْبِ». ٥ فَاخْتِيرَ مِنْ أُلُوفِ إِسْرَائِيلَ أَلْفٌ مِنْ كُلِّ سِبْطٍ. اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مُجَرَّدُونَ لِلْحَرْبِ. ٦ فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى أَلْفًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ إِلَى الْحَرْبِ، هُمْ وَفِينْحَاسَ

بْنَ أَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ إِلَى الْحَرْبِ، وَأَمْتِعَةُ الْقُدْسِ وَأَبْوَاقُ الْهُتَافِ فِي يَدِهِ. ٧ فَتَجَنَّدُوا عَلَى مِدْيَانَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَرٍ. ٨ وَمُلُوكُ مِدْيَانَ قَتَلُوهُمْ فَوْقَ قَتْلاَهُمْ: أَوِيَ وَرَاقِمَ وَصُورَ وَحُورَ وَرَابعَ. خَمْسَةَ مُلُوكِ مِدْيَانَ. وَبَلْعَامَ بْنَ بَعُورَ قَتَلُوهُ بِالسَّيْفِ. ٩ وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مِدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ، وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ وَكُلَّ أَمْلاَكِهِمْ. ١٠ وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مُدُنِهِمْ بِمَسَاكِنِهِمْ، وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ بِالنَّارِ. ١١ وَأَخَذُوا كُلَّ الْغَنِيمَةِ وَكُلَّ النَّهْبِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، ١٢ وَأَتَوْا إِلَى مُوسَى وَأَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ وَإِلَى جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ وَالْغَنِيمَةِ إِلَى الْمَحَلَّةِ إِلَى عَرَبَاتِ مُوآبَ الَّتِي عَلَى أُرْدُنِّ أَرِيحَا.

١٣ فَخَرَجَ مُوسَى وَأَلِعَازَارُ الْكَاهِنُ وَكُلُّ رُؤَسَاءِ الْجَمَاعَةِ لاسْتِقْبَالِهِمْ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ. ١٤ فَسَخَطَ مُوسَى عَلَى وُكَلاَءِ الْجَيْشِ، رُؤَسَاءِ الأُلُوفِ وَرُؤَسَاءِ الْمِئَاتِ الْقَادِمِينَ مِنْ جُنْدِ الْحَرْبِ. ١٥ وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «هَلْ أَبْقَيْتُمْ كُلَّ أُنْثَى حَيَّةً؟ ١٦ إِنَّ هؤُلاَءِ كُنَّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، حَسَبَ كَلاَمِ بَلْعَامَ، سَبَبَ خِيَانَةٍ لِلرَّبِّ فِي أَمْرِ فَغُورَ، فَكَانَ الْوَبَأُ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. ١٧ فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلًا بِمُضَاجَعَةِ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا. ١٨ لكِنْ جَمِيعُ الأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ.

الأمر بتدمير كل شئ

التثنية: ٢٠/ ١٦-١٨: وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا، ١٧ بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا: الْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، ١٨ لِكَيْ لاَ يُعَلِّمُوكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا حَسَبَ جَمِيعِ أَرْجَاسِهِمِ الَّتِي عَمِلُوا لآلِهَتِهِمْ، فَتُخْطِئُوا إِلَى الرَّبِّ إِلهِكُمْ.

سفر أستير: ٩/ ٥: ٥ فَضَرَبَ الْيَهُودُ جَمِيعَ أَعْدَائِهِمْ ضَرْبَةَ سَيْفٍ وَقَتْل وَهَلاَكٍ، وَعَمِلُوا بِمُبْغِضِيهِمْ مَا أَرَادُوا.

سفر أشعياء: ١/ ٢٠: ٢٠ وَإِنْ أَبَيْتُمْ وَتَمَرَّدْتُمْ تُؤْكَلُونَ بِالسَّيْفِ». لأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ.

الرب يخادع ويقتل بالسيف ولا يسالم

إرميا: ٤/ ١٠: ١٠ فَقُلْتُ: «آهِ، يَا سَيِّدُ الرَّبُّ، حَقًّا إِنَّكَ خِدَاعًا خَادَعْتَ هذَا الشَّعْبَ وَأُورُشَلِيمَ، قَائِلًا: يَكُونُ لَكُمْ سَلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَ السَّيْفُ النَّفْسَ».

اللعنة على من لم يستعمل السيف

إرميا: ٤٨/ ١٠: ١٠ مَلْعُونٌ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلَ الرَّبِّ بِرِخَاءٍ، وَمَلْعُونٌ مَنْ يَمْنَعُ سَيْفَهُ عَنِ الدَّمِ.

قسوة في القتل وإيذاء بعد الموت

إرميا: ١٩/ ٧: وَأَنْقُضُ مَشُورَةَ يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ فِي هذَا الْمَوْضِعِ، وَأَجْعَلُهُمْ يَسْقُطُونَ بِالسَّيْفِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ وَبِيَدِ طَالِبِي نُفُوسِهِمْ، وَأَجْعَلُ جُثَثَهُمْ أُكْلًا لِطُيُورِ السَّمَاءِ وَلِوُحُوشِ الأَرْضِ.

النهي عن الشفقة والرحمة بالمخالفين

إرميا: ٢١/ ٧: ٧ ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ قَالَ الرَّبُّ: أَدْفَعُ صِدْقِيَّا مَلِكَ يَهُوذَا وَعَبِيدَهُ وَالشَّعْبَ وَالْبَاقِينَ فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْوَبَإِ وَالسَّيْفِ وَالْجُوعِ لِيَدِ نَبُوخَذْرَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ وَلِيَدِ أَعْدَائِهِمْ وَلِيَدِ طَالِبِي نُفُوسِهِمْ، فَيَضْرِبُهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ. لاَ يَتَرَأَّفُ عَلَيْهِمْ وَلاَ يَشْفُقُ وَلاَ يَرْحَمُ».

إكراه الأمم على اعتناق ملتهم و إلا فالسيف..

إرميا: ٢٧/ ٨:. ٨ وَيَكُونُ أَنَّ الأُمَّةَ أَوِ الْمَمْلَكَةَ الَّتِي لاَ تَخْدِمُ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكَ بَابِلَ، وَالَّتِي لاَ تَجْعَلُ عُنُقَهَا تَحْتَ نِيرِ مَلِكِ بَابِلَ، إِنِّي أُعَاقِبُ تِلْكَ الأُمَّةَ بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَإِ، يَقُولُ الرَّبُّ، حَتَّى أُفْنِيَهَا بِيَدِهِ.

سيف الرب لا يستريح و لا يهدأ و لا يسكن

إرميا: ٤٧/ ٦: آهِ، يَا سَيْفَ الرَّبِّ، حَتَّى مَتَى لاَ تَسْتَرِيحُ؟ انْضَمَّ إِلَى غِمْدِكَ! اهْدَأْ وَاسْكُنْ.

اقتل بيدك ورجلك وأطلق السيف والجوع عليهم

حزقيال: ٦/ ١١: ١١ «هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: اضْرِبْ بِيَدِكَ وَاخْبِطْ بِرِجْلِكَ، وَقُلْ: آهِ عَلَى كُلِّ رَجَاسَاتِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الشِّرِّيرَةِ، حَتَّى يَسْقُطُوا بِالسَّيْفِ وَبِالْجُوعِ وَبِالْوَبَإِ!

إبادة جماعية لا تعرف الرحمة

حزقيال: ٩/ ٥-٧: وَقَالَ لأُولئِكَ فِي سَمْعِي: «اعْبُرُوا فِي الْمَدِينَةِ وَرَاءَهُ وَاضْرِبُوا. لاَ تُشْفُقْ أَعْيُنُكُمْ وَلاَ تَعْفُوا. ٦ اَلشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ، اقْتُلُوا لِلْهَلاَكِ. وَلاَ تَقْرُبُوا مِنْ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ السِّمَةُ، وَابْتَدِئُوا مِنْ مَقْدِسِي». فَابْتَدَأُوا بِالرِّجَالِ الشُّيُوخِ الَّذِينَ أَمَامَ

الْبَيْتِ. ٧ وَقَالَ لَهُمْ: «نَجِّسُوا الْبَيْتَ، وَامْلأُوا الدُّورَ قَتْلَى. اخْرُجُوا». فَخَرَجُوا وَقَتَلُوا فِي الْمَدِينَةِ.

السيف للذبح

حزقيال: ٢١/ ١٥: لِذَوَبَانِ الْقَلْبِ وَتَكْثِيرِ الْمَهَالِكِ، لِذلِكَ جَعَلْتُ عَلَى كُلِّ الأَبْوَابِ سَيْفًا مُتَقَلِّبًا. آهِ! قَدْ جُعِلَ بَرَّاقًا. هُوَ مَصْقُولٌ لِلذَّبْحِ.

شق بطن الحوامل

هوشع: ١٣/ ١٦: تُجَازَى السَّامِرَةُ لأَنَّهَا قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَى إِلهِهَا. بِالسَّيْفِ يَسْقُطُونَ. تُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ، وَالْحَوَامِلُ تُشَقُّ.

* * *

١٢ـ إثبات نبوة النبي ﷺ

١٢ـ إثبات نبوة النبي ﷺ.

نص الشبهة:

إن نبوة نبينا محمد ﷺ لا تحتاج إلى دليل أو برهان؛ إذ هي واضحة لكل صغير وكبير كوضوح الشمس في رابعة النهار، ولكن لما قام المعاند بإنكارها وطالبنا بالدليل على إثبات نبوته ﷺ ، قلنا إن المسألة واضحة لكل ذي لب، وطالب حق؛ إذ الشرع كله، بل وحياته كلها ﷺ تدل على صدق دعوته، ونبوته ﷺ، وحتى لايطول المقام سطرنا كلماتنا تحت هذه الوجوه طلبًا للاختصار، والوصول إلى الحق سريعًا فافتح قلبك، وصفِّ ذهنك وأنت تقرأ هذه الكلمات فإنَّ الحق أبلج والباطل لجلج، والله المستعان وعليه التكلان ولاحول ولا قوة إلا بالله، وصلِّ اللهم على نبيِّنا المُخْتار وعلى آله وصحبه وسلِّم.

الوجه الأول: إثبات نبوته ﷺ من القرآن الكريم والسُنَّة المطهَّرة.

الوجه الثاني: صفاتُ النبيّ ﷺ .

الوجه الثالث: عصمةُ النبيِّ ﷺ من القتل.

الوجه الرابع: معجزاتُ النبيّ الأكرم ﷺ

الوجه الخامس: ظهورُ دينه وغلبته على الأمم.

الوجه السادس: الثمراتُ التي أتى بها محمّد ﷺ .

الوجه السابع: الكراماتُ التي ظهرت على يد أصحاب النبيّ ﷺ والتابعين.

الوجه الثامن: البشاراتُ بالنبيّ ﷺ في الكتاب المقدّس.

وإليك التفصيل

الوجه الأول: إثبات نبوته ﷺ من القرآن الكريم، والسنة المطهرة.

إنَّ دلائلَ النبوة الشاهدةَ بنبوة نبينا ﷺ متنوعةٌ وكثيرةٌ في القرآنِ والسُّنةِ. وسنكتفي بذكر بعضها.

أولًا: ما ورد في القرآن الكريم.

ثانيًا: ما ورد في السنة الشريفة.

أولًا: إثبات نبوته ﷺ من القرآن الكريم.

القرآن الكريم معجزة الله التي لا تبليها السُنونُ ولا القرون، هذا الكتاب معجزة خالدة ودليل باهر بما أودعه الله من أنواع الإعجاز العلمي والتشريعي والبياني، وغيرِها من وجوه الإعجاز،(١) يقول رسول الله ﷺ : **"مَا مِنَ الأَنْبيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الذي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ الله إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ "**. (٢)

والآيات في ذلك كثيرة ومتعددة، وسنكتفي بذكر بعضها، مع ذكر تفسير مختصر لها.

قال تعالى:

١ - ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ** . ﴾ (آل عمران: ١٤٤).

المعنى: إن محمدًا ﷺ رسولٌ كسائر الرُّسل؛ قد بلَّغَ الرِّسالة كما بلَّغُوا فيجب عليكم التمسُّكُ بدينه في حياته وبعد موته. وَحَاصِلُ الْمَعْنَى: أَنَّ مُحَمَّدًا لَيْسَ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا قَدْ خَلَتْ وَمَضَتِ الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِهِ فَماتُوا، وَقَدْ قُتِلَ بَعْضُ النَّبِيِّينَ كَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى فَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمُ الْخُلْدُ وَهُوَ لَا بُدَّ أَنْ تَحْكُمَ عَلَيْهِ سُنَّةُالله بالمَوتِ. (٣)

٢ - ﴿ **لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾ (آل عمران: ١٦٤).

المعنى: لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسهمْ" أَيْ عَرَبِيًّا مِثْلهمْ لِيَفْهَمُوا عَنْهُ وَيَشْرُفُوا بِهِ لَا مَلَكًا وَلَا عَجَمِيًّا "يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاته" الْقُرْآن "وَيُزَكِّيهِمْ" يُطَهِّرهُمْ مِنْ الذُّنُوب "وَيُعَلِّمهُمْ الْكِتَاب" الْقُرْآن "وَالْحِكْمَة" السُّنَّة "وَإِنْ" مُخَفَّفَة أَيْ إِنَّهُمْ "كَانُوا مِنْ قَبْل" أَيْ قَبْل بَعْثه "لَفِي ضَلَال مُبِين" بَيِّن. (٤)

---

(١) مستفاد من كتاب دلائل النبوة لـ د/ منقذ السقار ١/ ٢-٣.

(٢) البخاري (٦٤٩٦)، ومسلم (٤٠٢) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَي ١/ ٢٠٩، وتفسير المنار ٤/ ١٣٢.

(٤) تفسير الجلالين ١/ ٤٦٤، وابن عبد السلام ١/ ٣٢٥.

٣- ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥٨)

المعنى: هَذَا خِطَابٌ عَامٌّ لِجَمِيعِ الْبَشَرِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَجَّهَهُ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ النَّبِيُّ الْعَرَبِيُّ الْهَاشِمِيُّ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى، يُنْبِئُهُمْ بِهِ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ تَعَالَى إِلَيْهِمْ كَافَّةً لَا إِلَى قَوْمِهِ الْعَرَبِ خَاصَّةً (كَمَا زَعَمَتِ الْعِيسَوِيَّةُ مِنَ الْيَهُودِ)، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.(١)

٤- ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨).

المعنى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾، أيها القوم، رسول الله إليكم ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، تعرفونه، لا من غيركم، فتتهموه على أنفسكم في النصيحة لكم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، أي: عزيز عليه عنتكم، وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والأذى ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾، يقول: حريص على هُدَى ضُلالكم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحق ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾ أي: رفيق ﴿رَّحِيمٌ﴾: شديد الرأفة والرحمة بكم.(٢)

٥- **وقال تعالى**: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢١).

المعنى: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته

---

(١) تفسير المنار ٩/ ٢٥٥، والتفسير الميسر ٣/ ١١٩.

(٢) تفسير الطبري ١٤/ ٥٨٤، والوسيط لطنطاوي ١/ ٢٠٦٨.

وانتظاره الفرج من ربه ﷻ صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين.[1]

٦- **وقال تعالى**: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ (الأحزاب: ٤٠).

المعنى: يقول تعالى ذكره: ما كان أيها الناس محمدًا أبا زيد بن حارثة، ولا أبا أحدٍ من رجالكم الذين لم يلده محمد؛ فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين، الذي ختم النبوة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء.[2]

لما نفى كونه أبًا عقَّبه بما يدل على ثبوت ما هو في حكم الأبوة من بعض الوجوه فقال: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ فإن رسول الله كالأب للأمة في الشفقة من جانبه، وفي التعظيم من طرفهم؛ بل أقوى فإن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، والأب ليس كذلك، ثم بين ما يفيد زيادة الشفقة من جانبه والتعظيم من جهتهم بقوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وذلك لأن النبي الذي يكون بعده نبي إن ترك شيئًا من النصيحة والبيان يستدركه من يأتي بعده، وأما من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم وأجدى؛ إذ هو كوالد لولده الذي ليس له غيره من أحد.[3]

٧- **وقال تعالى**: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ﴾ (الفتح: ٢٩).

المعنى: ذلك المرسَل بالهدى ودين الحق هو محمد رسول الله ﷺ. يخبر تعالى عن محمد

---

(١) تفسير ابن كثير٦/ ٣٩١، والنكت والعيون٣/ ٣٦٧.

(٢) تفسير الطبري٢٠/ ٢٧٨، والنكت والعيون٣/ ٣٨١، وابن عجيبة٥/ ٩٥.

(٣) تفسير الرازي ١٢/ ٣٥٧، والكشاف٥/ ٣٣٣.

صلوات الله عليه أنه رسوله حقًا بلا شك ولا ريب.[1]

٨- ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الصف: ٦).

المعنى: بَشَّرَ كلُّ نبيٍّ قومَه بنَبِيِّنا ﷺ ، وأفرد الله - سبحانه- عيسى بالذِّكْرِ في هذا الموضع؛ لأنه آخِرُ نبيٍّ قبل نبيِّنا ﷺ : فبيَّن بذلك أن البشارة به عَمّتْ جميعَ الأنبياء واحدًا بعد واحد حتى انتهت بعيسى عليه السلام.

فعيسى عليه الصلاة والسلام -كالأنبياء - يصدق بالنبي السابق، ويبشر بالنبي اللاحق، بخلاف الكذابين، فإنهم يناقضون الأنبياء أشد مناقضة، ويخالفونهم في الأوصاف والأخلاق، والأمر والنهي ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم ﴾ ﷺ الذي بشر به عيسى (بِالْبَيِّنَاتِ) أي: الأدلة الواضحة، الدالة على أنه هو، وأنه رسول الله حقًا. قَالُوا معاندين للحق مكذبين له ﴿ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ وهذا من أعجب العجائب، الرسول الذي قد وضحت رسالته، وصارت أبين من شمس النهار، يُجعل ساحرًا بينًا سحره، فهل في الخذلان أعظم من هذا؟ وهل في الافتراء أعظم من هذا الافتراء، الذي نفى عنه ما كان معلومًا من رسالته، وأثبت له ما كان أبعد الناس منه؟[2]

٩- ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (البقرة: ١١٩).

المعنى: يَقُولُ الله تَعَالَى لِنَبيِّه ﷺ : " **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالشَّيءِ الثَّابِتِ الحَقِّ لِتُبَشِّرَ بِهِ مَنْ أَطَاعَ، وَتُنْذِرَ بِهِ مَنْ عَصَى وَاسْتَكْبَرَ**".[3]

---

(١) تفسير ابن عجيبة٦/ ٩٧، وابن كثير٧/ ٣٦٠.

(٢) تفسير القشيري٧/ ٤٢١، والسعدي١/ ٨٥٩.

(٣) تفسير حومد١/ ١٢٦، والنكت والعيون ١/ ٨٨.

١٠- ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ (الإسراء: ١٠٥)

المعنى: ولعل الجملة لتحقيق حقية بعثته ﷺ أثر تحقيق حقية القرآن. (١)

١١- ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

المعنى: قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان محمد ﷺ رحمة لجميع الناس فمن آمن به وصدق به سَعِد. . . ، ومن رَدّها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة، وقال ابن زيد: أراد بالعالمين المؤمنين خاصة. (٢)

١٢- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾﴾ (الفرقان: ٥٦).

المعنى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا" بِالْجَنَّةِ "وَنَذِيرًا" مُخَوِّفًا مِنْ النَّار. (٣)

١٣- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ (الأحزاب: ٤٥).

المعنى: على من بعثت إليهم تراقب أحوالهم، وتشاهد أعمالهم وتتحمل عنهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال، وتؤديها يوم القيامة أداءً مقبولًا فيما لهم وما عليهم. (٤)

١٤- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: ٢٨).

المعنى: كافًا لهم عن الشرك والهاء للمبالغة، أو أرسلناك إلى الجميع تضمهم. (٥)

١٥- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٤).

المعنى: يعني بشيرًا بالثواب لمن آمن ونذيرًا بالعقاب لمن كفر. (٦)

---

(١) تفسير الآلوسي ١١/ ١٢٤، وأبو السعود ٤/ ٢٣٠.

(٢) تفسير القرطبي ١١/ ٣٥٠، وابن كثير ٥/ ٣٨٥.

(٣) تفسير الجلالين ٦/ ٤٢٢، وابن عجيبة ٤/ ٣٠٦.

(٤) تفسير الآلوسي ١٦/ ١٥٩، والتسهيل لابن جُزي ١/ ١٥٥٧.

(٥) تفسير ابن عبدالسلام ٥/ ٩١، والمحرر لابن عطية ٥/ ٣٥١.

(٦) لباب التأويل للخازن ٥/ ٢٣٦، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٥.

١٦- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الفتح: ٨)

المعنى: الخطاب للنبي ﷺ ذكره في معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة، وبعثه إلى الكافة شاهدًا على أعمال أمته، ومبشرًا يعني لمن آمن به وأطاعه بالثواب، ونذيرًا يعني لمن خالفه وعصى أمره بالعقاب.(١)

ثانيًا: إثبات نبوته ﷺ من السنة الشريفة.

وهي أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر؛ وسنكتفي ببعضها؛

١- فمنها قوله ﷺ: "... **أنا رسُولُ الله، وأنا محمّدٌ بنُ عبدِ الله**".(٢)

٢- ومنها قوله ﷺ: "**والله ما أدري وأنا رسُولُ الله ما يفعل بي**".(٣)

٣- ومنها قوله ﷺ: "**أنا عبدُ الله ورسُولُه وقال: يا معشر الأنصار! أنا عبدُ الله ورسُولُهُ، فهزم الله المشركين ولم يُطعن برُمح ولم يُضرب بِسَيفٍ**".(٤)

٥- ومنها قوله ﷺ: "**اخْرُجْ عدوَّ الله؛ أنا رسُولُ الله**".(٥)

٦- ومنها قوله ﷺ: "**بُعِثتُ إلى كُلِّ أحمر وأسْود**".(٦)

٧- ومنها: "... وَالله إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتوكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ،

---

(١) لباب التأويل للخازن٥/ ٤٣٣، والتستري٢/ ٣٥.

(٢) رواه البخاري (٢٥٥٢) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (١١٨٦) عن خارجة بن زيد الأنصاري رضي الله عنه.

(٤) رواه البيهقي في الكبرى (١٣١٤١)، والحاكم (٢٥٩١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه الألباني في الصحيحة (٢١٠٩).

(٥) رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي (٤٢٣٢)، وجود إسناده الألباني بالمتابعات انظر (الصحيحة: ٢٩١٨) عن يعلى بن مرة عن أبيه رضي الله عنه.

(٦) رواه البزار٢/ ١٠٩، وقال الألباني: صحيح لغيره كما في صحيح الترغيب (٣٦٣٦) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه

وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا". (١)

٨- ومنها: قوله ﷺ ". . أنا محمدٌ بنُ عبدِ الله، أنا عبدُ الله ورسُولهُ؛ ما أحب أن ترفعُوني فوقَ مَنزِلتي الّتي أنزَلنيها الله﴾. (٢)

٩- ومنها قوله ﷺ " **إِنِّي عَبْدُ اللهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ عليه السلام لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى بِي، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ تَرَيْنَ** ". (٣)

١٠- (. . . بينما ﷺ يمشي في بطن الرّوحاء إذ أقبل وفدٌ فقال رجلٌ منهم: من أنتم؟ فقال: نحن المسلمون، ثم قالت امرأة: من أنت؟ قال: (أنا رسُول الله) فأخرجت صبيا فقالت: يا رسول الله ألهذا حجّ؟ فقال: (ولكِ أجر).(٤)

الوجه الثاني: صفات النبي ﷺ .

تمهيد:

ومما يثبتُ نبوّةَ نبيّنا ﷺ أنه تامُّ الخِلقة في بدنه، سويًا ليس فيه عيبٌ، وقد نقل الناسُ صفاتِه الظاهرةَ الدّالةَ على كماله، ونقلوا أخلاقه من حلمهِ، وشجاعتهِ، وكرمه، وزهده، وغير ذلك.

أولًا: الصفات البدنية الظاهرة:

١-عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناسِ وجهًا، وأحسنَهم خَلْقًا، ليس بالطويل الذاهب، ولا بالقصير. (١)

---

(١) رواه البخاري (٢٠١٨) عن عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه

(٢) رواه أحمد٢٦/ ٤٢٠، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٩٧) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد ٤/ ١٢٧، وابن حبان (٦٤٠٤)، وصححه الألباني في المشكاة (٥٧٥٩) عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (٣٣١٧) عن ابن عباس رضي الله عنه.

٢- وعنه أيضًا: قال كان بعيدَ ما بين المنكبين، عظيم الجُمّة[٢] إلى شحمة أذنيه، عليه حُلّة[٣] حمراء، ما رأيت شيئًا قطُّ أحسنَ منهُ[٤].

٣- وسئل البراء أكان وجهُ رسولِ الله ﷺ مثلَ السّيف؟ قال: لا، بل مثلُ القمر.

٤- وعن كعب بن مالك قال: " كان النبيّ ﷺ إذا سُر، استنار وجهُه، حتى كأنه فلقةُ[٥] قمر "[٦].

٥- وعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان رسولُ الله ﷺ ضخْمَ الرأس والقدمين، لم أر قبلَه ولا بعدَهُ مِثلهُ، وكان بسطَ الكفّين[٧]، ضخمَ اليدين.

وسُئل عن شعره فقال: كان شعرًا رجِلًا.[٨] ليس بالجعد.[٩] ولا بالسّبط بين أذنيه وعاتقه.[١٠]

٦- وعن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة ﷺ قال: " كان رسولُ الله ﷺ ضليعَ الفمِ، أشكلَ العينينِ، مَنهُوسَ العقِبينِ ".

وفسّرها سماك بن حرب فقال: واسعُ الفمِ، طويلُ شقّ العين، قليلُ لحمِ العقِب[١١].

٧- عن أنس ﷺ قال: كان رسولُ الله ﷺ ليس بالطويل البائِن[١]، ولا بالقصيرِ، ولا بالأبيض الأمهق[٢]، ولا بالآدم[٣] ولا بالجعد القطَطَ[٤]، ولا بالسبِط[٥]"[٦].

---

(١) رواه البخاري (٣٥٤٩)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٢) الجُمّة: الشعر الذي نزل إلى المنكبين.

(٣) الحُلّة: ثوبين من جنس واحد.

(٤) رواه البخاري (٣٥٥١) ومسلم (٢٣٣٧) واللفظ له.

(٥) فلقة: قطعة.

(٦) رواه البخاري (٣٥٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٧) بسط الكفين: ليونتها.

(٨) رجلًا: أي إذا مشط كان بين السبوطة والجعودة.

(٩) الجعد: هو الذي يتجعد، أي يلتوي ويتقبض كشعور السودان.

(١٠) رواه البخاري (٥٩٠٥ – ٥٩١٢)، ومسلم (٢٣٣٨).

(١١) رواه مسلم (٢٣٣٩).

٨- وعنه ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ أزهرَ اللون[٧]، كأنّ عرقَه اللؤلؤ[٨]، إذا مشى تكفّأ[٩]، وما مسستُ دِيباجةً ولا حريرًا ألْيَنَ من كفّ رسولِ الله ﷺ، ولا شَمَمْتُ مسكًا ولا عنبرة أطيبَ من رائحةِ رسولِ الله ﷺ.[١٠]

٩- وعن أنس ﷺ قال: " دخل علينا رسول الله ﷺ فقَال[١١] عندنا، فعرَق وجاءت أمّي بقارورة فجعلت تسلُتُ[١٢] العرَق فيها؛ فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال: أُمّ سليم، ما هذا الذي تصنعين؟ قالت هذا عرقُك نجعله في طِيبنا وهو أطيب من الطّيب[١٣].

١٠- "كانَ رسولُ الله ﷺ يعرفُ بريح الطيبِ إذا أقبل "[١٤].

١١- وفي حديث أمّ مَعبد المشهور، لماّ مرّ بها النبيّ ﷺ في الهجرة هو وأبو بكر ﷺ، ومولاه، ودليلُهم، وجاء زوجها فقال: "صفيه لي يا أم معبد" فقالت: رأيت رجلًا ظاهرَ الوَضاءة، حُلوَ المنطق[١]، فصلٌ[٢] لا نزرٌ ولا هذرٌ[٣]، كأن منطقَه خرزاتُ نظْمٍ يتحدّرن "[٤].

---

(١) البائن: المفرط في الطول مع اضطراب القامة.

(٢) الأمهق: الأبيض الشديد البياض، الذي لا تخالطه حمرة.

(٣) الآدم: الأسمر.

(٤) القطط: شديد الجعودة.

(٥) السبط: هو الذي يسترسل فلا ينكسر منه شئ.

(٦) رواه البخاري (٣٥٤٨)، ومسلم بمعناه (٢٣٣٧، ٢٣٣٨).

(٧) أزهر اللون: أبيض مستنير، وهو أحسن الألوان.

(٨) أي في الصفاء والبياض.

(٩) أي يتمايل إلى قدام.

(١٠) رواه مسلم (٢٣٣٠).

(١١) أي نام للقيلولة.

(١٢) السلت: هو التنحية والإزالة.

(١٣) رواه البخاري بمعناه (٥٩٢٥)، ومسلم (٢٣٣١)، واللفظ له.

(١٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٨٥٨)، والدارمي (٦٥)مرسلًا، وحسنه الألباني بمجموع طرقه كما في الصحيحة (٢١٣٧).

صفات النبي ﷺ الخلقية:

١- كان رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناس، وكان أجودَ الناس، وكان أشجعَ الناسِ، ولقد فزِع أهلُ المدينة ذاتَ ليلةٍ فانطلق ناسٌ قِبَلَ الصّوت[٥] فتلقّاهم رسول الله ﷺ راجعًا وقد سبقهم إلى الصّوت، وقد استبرأ الخبر[٦] وهو على فرس لأبي طلحة عري[٧] في عنقه السيف، وهو يقول: لن تراعوا وقال" وجدناه بحرًا "[٨]وكان الفرس قبل ذلك بطيئًا فعاد لا يُجارى[٩].

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس بالخير، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسُه القرآن، فلَرسول الله أجودُ بالخيرِ من الريح المرسَلة. [١٠]

٣- وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا إذا احمرَّ البأس. [١١] نتّقي به، وإنّ الشّجاع منّا الذي يحاذي به -يعني رسول الله ﷺ . [١٢]

---

(١) أي: لذيذ الكلام.

(٢) أي قوله فصل: حق ليس بباطل.

(٣) النزر: القليل الذي يدل على العيّ، والهذر: الكثير.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٤٢٧٤). وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبيّ

(٥) قبل الصوت: تجاهه.

(٦) استبرأ الخبر: أي طلب آخره لقطع الشبهة.

(٧) عري: أي ليس عليه سرج ولا أداة.

(٨) أي: واسع الجري.

(٩) رواه البخاري في صحيحه في عدة مواضع منها (١٨٢٠، ٢٨٦٧)، ومسلم (٢٣٠٧).

(١٠) رواه البخاري (٤٩٩٧)، ومسلم (٢٣٠٨).

(١١) احمرار البأس: كناية عن شدة الحرب، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة، أو لاستعار الحرب واشتعالها كاحمرار الجمر.

(١٢) رواه مسلم (١٧٧٦).

٤- وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: لما كان يومُ بدر اتّقينا المشركين برسول الله، وكان أشدّ الناس بأسًا وما كان أحدٌ أقربَ إلى العدوّ منه. [١]

٥- وعن أنس ﷺ قال: خدمت رسول الله ﷺ عشرَ سنين، والله ما قال لي أفًا قطّ ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلّا فعلت كذا "[٢].

وفي رواية قال: خدمته في السفر والحضر والله ما قال لي لشيء صنعته: لم صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا؟ وكان أحسن الناس خلقًا.

٦- عن جابر ﷺ قال: ما سئل رسول الله شيئًا فقال: لا. [٣]

٧- وعن أنس ﷺ، قال: ما سئل رسول الله على الإسلام شيئًا. [٤] إلا أعطاه قال: فجاءه رجلٌ فأعطاه غنمًا بين جبلين فرجع إلى قومه، فقال يا قوم أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاءَ من لاّ يخافُ الفاقة[٥]. [٦]

٨- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: " كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء[٧] في خِدْرِها، وكان إذا كَرِه شيئًا عرفناه في وجهه ". [٨]

٩- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وذكر رسول الله قال: لم يكن فاحشًا ولا متفحّشًا. [٩]

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٧٠).

(٢) رواه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩)، واللفظ له.

(٣) رواه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

(٤) أي: على الدخول في الإسلام، أو على نصرة الإسلام.

(٥) الفاقة: الفقر والحاجة.

(٦) رواه مسلم (٢٣١٢).

(٧) هي الجارية البكر.

(٨) رواه البخاري (٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

(٩) الفحش: هو كل ما خرج عن مقداره حتى يستقبح. رواه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١).

١٠- وعن أنس ﷺ قال: لم يكن رسول الله سبّابًا ولا فحّاشًا ولا لعّانًا، كان يقول لأحدنا عند المعتبة[١] ماله تربتْ جبينُه[٢].

١١- وعن عائشة ﵂ أنها قالت: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناسِ منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قطُّ إلا أن تنتهك حرمة الله[٣].

١٢- وعنها ﵂ قالت: " ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئًا قَطُّ لا امرأةً ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نِيل منه شيء قطّ فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيءٌ من محارم الله فينتقم لله. [٤]

١٣- وعنها وقد سئلت عن خُلق رسول الله فقالت: كان خلقُه القرآنَ. [٥]

١٤- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-: أن هذه الآية التي في القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ (الأحزاب: ٤٥). قال في التوراة: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ الله حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله. وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا). [٦]

---

(١) المعتبة: هي مصدر عتب عليه.

(٢) أي: خرّ لوجهه فأصاب الترابُ جبينَه، وهذا من الكلام الذي يجري على اللسان ولا يراد به حقيقته. رواه البخاري (٦٠٣١).

(٣) أي حرمات الله. رواه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

(٤) رواه مسلم (٦١٩٥).

(٥) رواه مسلم (٧٤٦).

(٦) رواه البخاري (٢٠١٨).

١٥- عن سعد بن هشام وقد سأل عائشة رضي الله عنها عن خُلق رسول الله ﷺ ؟ فقالت: ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت: فإن خلقَ نبي الله القرآنُ.[١]

١٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما عاب رسولُ الله طعامًا قطُّ، إن اشتهاه أكله وإلاّ تركه.[٢]

١٧- وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ . قَالَ: وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ.[٣]

١٨- عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ يَا مُحَمَّدُ: أَرْسَلَنِى إِلَيْكَ رَبُّكَ أَفَمَلَكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ أَوْ عَبْدًا رَسُولاً؟ قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: "بَلْ عَبْدًا رَسُولاً".[٤]

١٩- وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ " أَسْلِمْ ". فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهْوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ . فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهْوَ يَقُولُ " الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ".[٥]

٢٠- وعن أبي حازم أن النبي ﷺ كلّم رجلًا فأرعد، فقال له رسول الله ﷺ : هوّن عليك فإني لست بملِك، إنّما أنا ابنُ امرأةٍ من قريش كانت تأكل القدِيد.[٦]

---

(١) رواه مسلم (٧٤٦).

(٢) رواه البخاري (٥٤٠٩)ومسلم (٢٠٦٤).

(٣) وهو حديث صحيح. رواه الترمذي (٢٧٥٤)، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وقال الألباني في الصحيحة: إسناده صحيح على شرط مسلم (٣٥٨).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢٣١)، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٠٢)

(٥) رواه البخاري (١٢٩٠).

(٦) رواه ابن ماجه في سننه (٣٣١٢)، والحاكم ٢/ ٥٠٦، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٧٦).

٢١- وعن أنس ﷺ: أن امرأة كان في عقلها شيءٌ، قالت: يا رسول الله: إن لي إليك حاجة، قال: يا أمّ فلان، خُذي في أي الطرق شئت قومي فيه حتىّ أقومَ معك، فخلَا معها يُناجيها حتّى قضَتْ حاجَتَها.

وعن أنس ﷺ قال: كانت الأمةُ من إماء أهل المدينة لَتأخذُ بيد رسول الله فتدور به في حوائجها حتى تفرُغَ ثُمّ يرْجع.[١]

وروي عن ابن أبي أوفى ﷺ قال: كان رسول الله يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي لها حاجتها[٢].

وعن أنس ﷺ قال: ما رأيت أرحمَ بالعيال من رسول اللهﷺ.[٣]

وعنه ﷺ قال: مرّ رسولُ الله ﷺ على صِبيان فسلّم عليهم.[٤]

وروى ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كان رسول اللهﷺ يجلسُ على الأرض، ويأكلُ على الأرض، ويعتقلُ الشاة، ويجيبُ دعوة المملوك على خبز الشعير.[٥]

وعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ - قَالَتْ - وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله أَرَى النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْغَيْمَ فَرِحُوا. رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عَرَفْتُ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةَ، قَالَتْ: فَقَالَ « يَا عَائِشَةُ مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا (هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا) (الأحقاف: ٢٤).[٦]

---

(١) رواه أبو داود (٤٨١٨)، وأحمد في المسند ٣/ ١١٩ . وصححه الألباني في سنن أبي داود.

(٢) رواه النسائي (١٤١٣)، وابن حبان(٦٤٢٤). وصححه الألباني في المشكاة (٣/ ١٦٢٢).

(٣) رواه مسلم (٢٣١٦).

(٤) رواه البخاري (٥٨٩٣)، ومسلم (٢١٦٨).

(٥) صحيح. رواه الطبراني في الكبير (١٢٥٢٤). انظر: السلسلة الصحيحة (٢١٢٥).

(٦) رواه البخاري (٤٥٥١)، مسلم (٨٩٩).

وعن أنس ﷺ قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه بُرد نَجْرانيّ غليظُ الحاشِية، فأدركه أعرابيّ فجبذ بردائِه جبذًا شديدًا حتى نظرتُ إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثّرت بها حاشيةُ البُرد من شدّة جبذته ثم قال: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك، قال: فالتفتَ إليه رسولُ الله ﷺ فضحك ثم أمر له بعطاء.(١)

وعن جابر بن سمرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ لا يقوم من مصلاّه الذي يصلي فيه حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدّثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتَبسّم.(٢)

وعن عائشة ﷺ وسألها الأسود ما كان رسول الله ﷺ يصنع في أهله؟ فقالت: كان يكون في مهنة أهله تعني خدمة أهله فإذا حضرتِ الصلاةُ خرج.(٣)

وعن عائشة ﷺ قالت: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام من خبزِ بُرٍّ تباعًا حتى مضى لسبيله.(٤)

وعنها ﷺ أنها قالت لعروة: ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثةُ أهلة في شهرين وما أُوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نارٌ. فقلت: يا خالة ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر، والماء إلاّ إنه قد كان لرسول الله ﷺ جيرانٌ من الأنصار كانت لهم منائحَ وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم فيسقينا.(٥)

وقال أنس ﷺ : ما رأى رسول الله ﷺ رغيفًا مرقّقًا حتى لحق بالله، ولا أرى شاةً سميطًا بعينه قط.(٦)

وعنه أيضًا ﷺ قَالَ: مَا عَلِمْتُ النبي ﷺ أَكَلَ عَلَى سُكُرُّجَةٍ قَطُّ، وَلاَ خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ قَطُّ، وَلاَ أَكَلَ عَلَى خِوَانٍ. قِيلَ لِقَتَادَةَ: فَعَلَى مَا كَانُوا يَأْكُلُونَ؟ قَالَ: عَلَى السُّفَرِ.(١)

---

(١) رواه البخاري (٢٩٨٠)، مسلم (١٠٥٧).

(٢) رواه مسلم (٦٧٠).

(٣) رواه البخاري (٤٦٦).

(٤) رواه مسلم (٢٩٧٠).

(٥) رواه البخاري (٢٤٢٨)، مسلم (٢٩٧٢).

(٦) رواه البخاري (٥١٠٥).

وعن النعمان بن بشيرﷺ يقول: ألستم في طعام وشراب ما شئتم؟ لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدَّقَلِ ما يملأُ به بطنَهُ.(٢)

وعن أنس ﷺ أنه مشى إلى النبي ﷺ بخبزِ شعيرٍ وإهالةٍ سنخةٍ، ولقد رهن درعَهُ عند يهوديّ فأخذ لأهله شعيرًا، ولقد سمعته يقول: ما أمسى عند آل محمّدٍ صاعُ بُرٍّ ولا صاعُ حَبٍّ، وإنهم يومئذ تسعةُ أبيات، وفيه عن عائشة ﷺ قالت: كان فراش رسول الله ﷺ من أَدَم حشوُه ليف.(٣)

وعن عمر بن الخطاب ﷺ لما ذكر اعتزال رسول الله ﷺ نساءه قال: فدخلتُ على رسول الله ﷺ في خزانته، فإذا هو مضطجعٌ على حصير فأدنى إليه إزاره وجلس وإذا الحصير قد أثَّر بجنبه، وقلَّبْتُ عينيَّ في بيته فلم أجد شيئًا يرُدُّ البصرَ غيرَ قبضةٍ من شَعيرٍ، وقبضةٍ من قَرَظٍ نحو الصاعين وإذا أَفِيقٌ (الإهاب الذي قد ذهب شعره ولم يُدبَغ) مُعَلَّقةٌ فابتدرت عيناي؛ فقال رسول الله ﷺ : ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ فقلت: يا رسول الله ﷺ وما لي لا أبكي، وأنت صفوة الله ورسوله ﷺ ، وخيرته من خلقه، وهذه خزانتك، وهذه الأعاجم كسرى وقيصر في الثمار والأنهار؟ فقال: أَوَ فِي شكٍّ أنْتَ يا ابن الخطاب؟! أولئك قومٌ عُجِّلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا - وفي رواية -أَوَ ما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟ قال: بلى قال: فالحمد لله عز وجل. قال: فقلت: أستغفر الله.(٤)

وعن أبي هريرة ﷺقال: قال رسول اللهﷺ: اللهم اجعل رزق آلِ محمدٍ قُوتًا.(٥)

وعن عبد الله ﷺ قال: اضطَّجعَ النبيّ ﷺ على حصيرٍ فأثّر في جلده؛ فقلتُ: بأبي وأمي

---

(١) رواه البخاري (٥٠٧١).

(٢) رواه مسلم (٢٩٧٧).

(٣) رواه البخاري (١٩٦٣).

(٤) رواه مسلم (١٤٧٩).

(٥) رواه البخاري (٢٣٧٢)، مسلم (١٠٥٥).

يا رسول الله ﷺ لو كنت آذنتنا ففرشنا لك عليه شيئًا يقيكَ منه! فقال رسول الله ﷺ :"**مَا أَنَا وَالدُّنْيَا، إِنَّمَا أَنَا وَالدُّنْيَا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**".[١]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: حج النبي ﷺ على رحلٍ رثٍ وَقطيفةٍ.[٢]

وعَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ أَنَسٍ قَالَ: حَجَّ أَنَسٌ عَلَى رَحْلٍ، وَلَمْ يَكُنْ شَحِيحًا، وَحَدَّثَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ حَجَّ عَلَى رَحْلٍ وَكَانَتْ زَامِلَتَهُ.[٣]

الوجه الثالث: عصمة النبي ﷺ من القتل.

تمهيد:

ومن أبلغ الدلائل على نبوة النبي محمد ﷺ عصمته من أعدائه، وهم الجمّ الغفير والعدد الكثير، وهُم على أتَمِّ حَنَقٍ عليه، وأشدِّ طلبٍ لنفيه، وهو بينهم مسترسلٌ قاهرٌ، ولهم مُخالطٌ ومُكاثرٌ، ترمقه أبصارُهم شَزَرًا، وترتدُّ عنه أيديهم ذُعرًا، وقد هاجر عنه أصحابُه حذرًا، حتى استكمل مدته فيهم ثلاثَ عشرةَ سَنةً، ثم خرج عنهم سليمًا لم يُكلَم في نفسٍ ولا جسدٍ، وما كان ذاك إلا بعصمة إلهية وعده الله تعالى بها فحقّقها".[٤]

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿وَالله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧) فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القُبَّة فقال لهم: يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله ".[٥]

أي: بلِّغ أنت رسالتي، وأنا حافظُكَ وناصرُكَ، ومؤيِّدُكَ على أعدائكَ، ومظفركَ بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل أحدٌ منهم إليك بسوءٍ يؤذيك. . . . ".

---

(١) سنن ابن ماجه (٤١٠٩)، قال الألباني: صحيح.

(٢) سنن ابن ماجه (٢٨٩٠)، قال الألباني: صحيح.

(٣) رواه البخاري (١٤٤٥).

(٤) انظر: أعلام النبوة للماوردي (٥٩).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٠٤٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٨). وقال ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٨٢): إسناده حسن، وصححه الألباني بشواهده (انظر الصحيحة ٢٤٨٩).

ومن عصمة الله ﷻ لرسوله حفْظُه له من أهل مكة وصناديدها وحُسَّادها ومُعَانديها ومترفيها، مع شدة العداوة والبَغْضة ونصب المحاربة له ليلا ونهارًا، بما يخلقه الله تعالى من الأسباب العظيمة بقَدَره وحكمته العظيمة. فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب، إذ كان رئيسًا مطاعًا كبيرًا في قريش، وخلق الله في قلبه محبةً طبيعيةً لرسول الله ﷺ لا شرعيةً، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كُفّارها وكبارها، ولكن لما كان بينه وبينهم قدرٌ مشتركٌ في الكفر هابوه واحترموه، فلما مات أبو طالب نال منه المشركون أذىً يسيرًا، ثم قيض الله ﷻ له الأنصار فبايعوه على الإسلام، وعلى أن يتحول إلى دارهم - وهي المدينة، فلما صار إليها حَمَوْه من الأحمر والأسود، فكلما همَّ أحدٌ من المشركين وأهلِ الكتاب بسوء كاده الله وردّ كيده عليه، لما كاده اليهود بالسحر حماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سمّ اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر، أعلمه الله به وحماه الله منه؛ ولهذا أشباه كثيرة جدًا يطول ذكرها "[1].

فإن قيل: أليس قد شُجّ رأسُه وكُسرت رَبَاعِيتُه وأوذي بضروب من الأذى؟

قيل: معناه يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك.

وقيل: نزلت هذه الآية بعدما شُجَّ رأسُه؛ لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن.

وقيل: والله يَخُصّك بالعصمة من بين الناس، لأن النبي ﷺ معصوم. "[2]

مع ملاحظة أن هذه العصمة إنما هي من المخاوف التي يمكن أن توقف عن شئ من التبليغ كالقتل والأسر والأذى في الجسم ونحوه، وأما أقوال الكفار ونحوها فليست في الآية "[3]

وقائع تثبت عصمة النبيﷺ من القتل

١ - عن جابر بن عبد الله : أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثيرِ العِضاه، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٥/ ٢٨٨ - ٢٩١)

(٢) انظر تفسير الكشف والبيان للثعلبي (٢/ ٤٧٩)، تفسير البغوي (٢/ ٤٢).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٢/ ٢١٨).

بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت سَمُرَة، وعلّق بها سيفه، ونِمنا نَوْمة فإذا رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عنده أعرابيّ فقال: إن هذا اخترط عليّ سيفي وأنا نائمٌ، فاستيقظت وهو في يده صلتًا فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله ثلاثًا. ولم يعاقبه وجلس.[1]

٢- وإن قريشًا اجتمعت في دار الندوة وكان فيهم النضر بن الحارث بن كنانة، وكان زعيمَ القوم، وساعده عبد الله بن الزبعري، وكان شاعرَ القوم، فحضّهم على قتل محمد ﷺ وقال لهم: الموت خير لكم من الحياة، فقال بعضهم: كيف نصنع؟ فقال أبو جهل: هل محمد إلا رجلٌ واحدٌ؟ وهل بنو هاشم إلا قبيلة من قبائل قريش؟ فليس منكم من يزهد في الحياة فيقتل محمدًا ويريح قومه؛ و أطرق مليًّا فقالوا: من فعل هذا ساد. فقال أبو جهل: ما محمد بأقوى من رجل منّا، وإنّي أقوم إليه فأشدخ رأسه بحجر، فإن قُتلت أَرَحْتُ قومي وإن بقيت فذاك الذي أُوثره، وعلى ذلك خرجوا، فلما اجتمعوا في الحطيم خرج عليهم رسول الله ﷺ ، فقالوا: قد جاء فتقدم من الركن فقام يصلي فنظروا إليه يطيل الركوع والسجود، فقال أبو جهل: فإني أقوم فأريحكم منه، فأخذ مهراسًا عظيمًا ودنا من رسول الله ﷺ وهو ساجد لا يلتفت ولا يهابه وهو يراه فلما دنا منه، ارتعد وأرسل الحجر على رجله فرجع وقد شُدخت أصابعه وهو يرتعد، وقد دُوِّخت أوداجُه ورسول الله ﷺ ساجدٌ، فقال أبو جهل لأصحابه: خذوني إليكم فالتزموه وقد غشي عليه ساعة، فلما أفاق قال له أصحابه ما الذي أصابك؟ قال: لما دنوت منه أقبل عليّ من رأسه فحلٌ فَاغِرٌ فَاهُ فحمل عليّ أسنانه فلم أتمالك وإني أرى محمّدًا محجوبًا، فقال له بعض أصحابه: يا أبا الحكم رغبت وأحببت الحياة ورجعت، قال: ما تغرّوني عن نفسي. قال النضر بن الحارث: فإن رجع غدًا فأنا له، قالوا له: يا أبا سهم لئن فعلت هذا لتُسودنّ، فلما كان من الغد اجتمعوا في الحَطيم منتظرين رسول الله ﷺ فلما أشرف عليهم قاموا بأجمَعِهم فواثبوه فأخذ

---

(١) رواه البخاري (٢٧٥٣)، رواه مسلم (٨٤٣).

حفنةً من تراب، وقال: شاهتِ الوجوهُ، وقال: حم لا يبصرون فتفرّقوا عنه. وهذا دفع إلهي وثق به من الله تعالى فصبر عليه حتى وقاه الله، و كان من أقوى شاهد على صدقه. [١]

٣ـ معمر بن يزيد يحاول قتل النبي ﷺ :

ومما يثبت عصمته ﷺ من القتل، أن معمر بن يزيد، وكان أشجعَ قومه، استغاثت به قريش، وشكوا إليه أمر رسول الله ﷺ ، وكانت بنو كنانة تصدر عن رأيه، وتطيع أمره فلما شكوا إليه قال لهم: إني قادم إلى ثلاث وأريحكم منه، وعندي عشرون ألف مدجّج فلا أرى هذا الحيّ من بني هاشم يقدر على حربي وإن سألوني الدّية أعطيتهم عشر ديَات ففي مالي سعة، وكان يتقلّد بسيف طوله سبعة أشبار في عرض شبر وقصته في العرب مشهورة بالشجاعة والبأس، فلبس يوم وعده قريشًا سلاحَه وظاهر بين دِرعين، فوافقهم بالحطيم ورسول الله ﷺ في الحِجر يصلّي، وقد عرف ذلك فما التفت ولا تزَعزع ولا قصَّر في صلاة، فقيل له: هذا محمد ساجدٌ، فأهوى إليه وقد سلّ سيفه وأقبل نحوه، فلما دنا منه رمى بسيفه وعاد، فلما صار إلى باب الصفا عثر في درعه فسقط فقام وقد أدمى وجهه بالحجارة يعدو كأشد العدْوِ حتى بلغ البطحاء ما يلتفت إلى خلْف، فاجتمعوا وغسلوا عن وجهه الدم، وقالوا ماذا أصابك؟ ، قال: ويحكم المغرور من غرّرتموه. قالوا ما شأنك؟ قال: ما رأيت كاليوم دَعوني ترجعْ إليَّ نفسي فتركوه ساعة، وقالوا: ما أصابك يا أبا الليث؟ قال: إنّي لما دنوت من محمّد فأردت أن أهوي بسيفي إليه، أهوي إليّ من عند رأسه شُجاعان أقرعان ينفخان بالنيران، وتلمع فيَّ أبصارُهما، فعدَوْت فما كنت لأعود في شيء من مساءة محمد ﷺ . [٢]

٤ـ كلدة بن أسد يحاول قتل النبي ﷺ :

ولقد خاطر قريشًا يومًا في قتل رسول الله ﷺ فأعظموا له الخطر إن هو كفاهم فرأى رسول الله ﷺ في الطريق يريد المسجد ما بين دار عقيل وعقال، فجاء كلدة ومعه المزراق،

---

(١) انظر: أعلام النبوة للما وردي صـ ١٠٠ .

(٢) المصدر السابق (١٠٠).

فرجع المزراق في صدره فرجع فزِعًا فقالت له قريش: ما لك يا أبا الأشدّ؟ فقال: ويحكم فإني أراه فلم يزل يعْدُو حتى بلغ الطائف فاستهزأت به ثقيف فقال: أنا أعذركم لو رأيتم ما رأيت لهلكتم. (١)

٥ـ أبولهب يحاول قتل النبي ﷺ :

خرج أبو لهب يوماً وقد اجتمعت قريش فقالوا له: يا أبا عتبة إنك سيدّنا، وأنت أولى بمحمد منَّا، وإن أبا طالب هو الحائل بيننا وبينه، ولو قتلته لم ينكر أبوطالب ولا حمزة منك شيئًا، وأنت بريء من دمه، فنؤدي نحن الدّية وتسُود قومك، فقال: فإني أكفيكم ففرحوا بذلك ومدحته خطباؤهم.

فلما كان في تلك الليلة وكان مشرفًا عليه، نزل أبو لهب وهو يصلّي وتسلّقت أُمّ جميل الحائط حتى وقفت على رسول الله ﷺ وهو ساجد، فصاح أبو لهب فلم يلتفت إليه، وهما كانا لا ينقلان قدمًا، ولا يقدران على شيء حتى تفجَّر الصبح وفرغ ﷺ ، فقال أبو لهب: يا محمد أطلق عنا، فقال: ما كنت لأطلق عنكما أو تضمنا لي أنكما لا تؤذياني، قالا: قد فعلنا فدعا ربه فرجعا. (٢)

٦ـ سراقة بن مالك يحاول قتل النبي ﷺ :

قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري أن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم حدثه عن أبيه عن عمه سراقة بن مالك بن جعشم قال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجرًا إلى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم.

قال: فبينا أنا جالس في نادي قومي؛ إذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا فقال: والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مرُّوا عليّ آنفًا إني لأراهم محمدًا وأصحابه، قال: فأومأت إليه بعيني: أن اسكت، ثم قلت: إنما هم بنو فلان يبتغون ضالّة لهم قال: لعله، ثم سكت. قال: ثم مكثت

---

(١) المصدر السابق (١٠٠).

(٢) أعلام النبوة، للماوردي (١٠٠).

قليلًا ثم قمت، فدخلت بيتي ثم أمرت بفرسي فقيد لي إلى بطن الوادي، وأمرت بسلاحي فأخرج لي من دبر حجرتي، ثم أخذت قداحي التي استقسم بها ثم انطلقت فلبست لأمتي ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره (لا يضره). قال: وكنت أرجو أن أردّه على قريش فآخذ المائة الناقة. قال: فركبت على أثره فبينما فرسي يشتدّ بي عثر بي فسقطت عنه. قال: فقلت: ما هذا؟ قال: ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره (لا يضره) قال: فأبيت إلا أن أتبعه. قال: فركبت في أثره فبينا فرسي يشتد بي عثر بي فسقطتُ عنه. قال: فقلت: ما هذا؟ قال: ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره (لا يضره) قال: فأبيت إلا أن أتبعه فركبت في أثره. فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي فذهبت يداه في الأرض، وسقطت عنه ثم انتزع يديه من الأرض وتبعهما دخان كالإعصار، قال: فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنِع مني وأنه ظاهر، قال: فناديت القوم: فقلت: أنا سراقة بن جعشم: انظِروني أكلمْكم، فوالله لا أريبكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه، قال: فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: قل له: وما تبتغي منا؟ قال: فقال ذلك أبو بكر قال: قلت: تكتب لي كتابًا يكون آية بيني وبينك، قال: اكتب له يا أبا بكر.[1]

٧ـ شيبة بن عثمان يحاول قتل النبي ﷺ:

عن شيبة بن عثمان، قال: « لما رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين قد عري، ذكرت أبي وعمي وقتل علي وحمزة إياهما، فقلت: اليوم أدرك ثأري من محمد، قال: فذهبت لأجيئه عن يمينه، فإذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قائمٌ عليه درع بيضاء كأنها فضّة يكشف عنها العجَاج، فقلت: عمُّه ولن يخْذَلهُ، قال: ثم جئته عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فقلت: ابن عمّه ولن يخذلَهُ، قال: ثُمَّ جئتُهُ من خلفه فلم يبق إلا أن أساوره سورة بالسيف إذ رُفَع لي شُواظٌ من نار بيني وبينه كأنه برق، فخفت تمحشني،

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٦٢ – ٦٣).

فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقرى، والتفت رسول الله ﷺ وقال: " يا شيب، يا شيب، ادن مني، اللهم أذهب عنه الشيطان "، قال: فرفعت إليه بصري ولهو أحب إليَّ من سمعي وبصري، وقال: يا شيب، قاتل الكفار. (١)

٨ – ليلة الهجرة:

ومن ذلك القصة المشهورة التي تؤذن بالكفاية التامة، وذلك أن مشركي قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله ﷺ، أو يحبسوه، أو يخرجوه، فأطلعه الله على ذلك فأنزل عليه: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٣٠).

فأمر عليًّا فنام على فراشه، وذهب هو وأبو بكر، فلما أصبحوا ذهبوا في طلبهما في كل وجه يطلبونهما. (٢)

الوجه الرابع: معجزات النبي الأكرم ﷺ

ما من نبي أُرسل إلّا وأيده الله تعالى بالمعجزات؛ لتكون برهانًا واضحًا للناس في إثبات رسالته، وهاهي بعض معجزات نبينا الأكرم ﷺ إجمالًا ليهتدي من أراد طريق الحق.

١ـ معجزة القرآن:

أعطى الله ﷻ كل نبي من الأنبياء عليهم السلام معجزة خاصة به لم يُعْطها بعينها غيره، تحدى بها قومه، وكانت معجزةُ كل نبيّ تقع مناسبة لحال قومه وأهل زمانه، فلما كان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، بعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار، وحيرت كل سحَّار، فلما استيقنوا أنها من عند العزيز الجبَّار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار.

وأما عيسى عليه السلام فبعثه الله في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدًا من الذي شرع الشريعة، فمن أين

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٢ / ٤٦٦ .

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٢٤٤.

للطبيب قدرة على إحياء الجماد، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد، أو على مداواة الأكمه والأبرص؟

وكذلك نبيًّا بعث في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء، فأتاهم بكتاب من عند الله ﷻ، فاتّهمه أكثرهم أنه اختلقه وافتراه من عنده؛ فتحداهم ودعاهم أن يعارضوه ويأتوا بمثله وليستعينوا بمن شاءوا فعجزوا عن ذلك كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٨)، وكما قال الله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ (الطور: ٣٣، ٣٤).

ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال في: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ (هود: ١٣).

ثم تنازل إلى سورة فقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ (يونس: ٣٨)، وكذلك في سورة البقرة وهي مدنية أعاد التحدي بسورة منه، وأخبر تعالى أنهم لا يستطيعون ذلك أبدًا لا في الحال ولا في المآل فقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (سورة البقرة: ٢٣-٢٤). وهكذا وقع، فإنه من لدن رسول الله ﷺ وإلى زماننا هذا لم يستطع أحدٌ أن يأتي بنظيره ولا نظير سورة منه، وهذا لا سبيل إليه أبدًا؛ فإنه كلام رب العالمين الذي لا يشبهه شيء من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فأنّى يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق؟.

وقد انطوى كتاب الله العزيز على وجوه كثيرة من وجوه الإعجاز: ذلك أن القرآن الكريم معجز في بنائه التعبيري، وتنسيقه الفنّي باستقامته على خصائص واحدة في مستوى واحد، لا يختلف ولا يتفاوت، ولا تختلف خصائصه. معجز في بنائه الفكري وتناسق أجزائه وتكاملها،

فلا فلتة فيه ولا مصادفة، كل توجيهاته وتشريعاته تتناسب وتتكامل وتحيط بالحياة البشرية دون أن تصطدم بالفطرة الإنسانية، معجز في يسر مداخله إلى القلوب والنفوس، ولمس مفاتيحها وفتح مغاليقها واستجاشة مواضع التأثر، والاستجابة فيها[1].

٢- انشقاق القمر:

قال الله تعالى ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾.

أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي، وإعراض الكفرة عن آياته، وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه.[2]

وعن أنس بن مالك ﷺ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسولَ الله ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ.[3]

ومن هذه المعجزات أيضًا:

٣- الإسراء:

أمَّا في القرآن ففي قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١).

يُمَجِّدُ الله تَعَالَى نَفْسَهُ الكَرِيمَةَ، وَيُنَزِهُهَا عَنْ شِرْكِ مَنْ أَشْرَكَ، وَيُعَظِّمُ شَأْنَهُ لِقُدْرَتِهِ عَلَى مَا لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فَقَدْ أَسْرَى بِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَيْلًا مِنْ مَكَّةَ (المَسْجِدِ الحَرَامِ)، إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ (المَسْجِدِ الأَقْصَى)، وَهُوَ المَسْجِدُ الذِي بَارَكَ الله مَا حَوْلَهُ، مِنْ زُرُوعٍ وَثِمَارٍ وَنَبَاتٍ. لِيُرِيَ عَبْدَهُ مُحَمَّدًا، مِنْ آيَاتِهِ العِظَامِ، مَا فِيهِ الدَّلِيلُ القَاطِعُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَهُوَ السَّمِيعُ لأَقْوَالِ العِبَادِ، البَصِيرُ بِأَحْوَالِهِمْ.[4]

---

(١) راجع في ذلك شبهة ادعاؤهم عدم وجود إعجاز في القرآن والرد عليها من خلال هذه الموسوعة.

(٢) الشفا للقاضي عياض (٢٨٩).

(٣) رواه البخاري (٣٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢).

(٤) تفسير حومد ١/ ٢٠٣٠.

وأمّا في السُنَّة: فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " حِينَ أُسْرِىَ بِى لَقِيتُ مُوسَى عليه السلام". فَنعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا رَجُلٌ - حَسِبْتُهُ قَالَ - مُضْطَرِبٌ، رَجِلُ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ - قَالَ - وَلَقِيتُ عِيسَى ». فَنعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ «فَإِذَا رَبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ ». - يَعْنِى حَمَّامًا - قَالَ « وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ - قَالَ: فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِى أَحَدِهِمَا لَبَنٌ، وَفِى الآخَرِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِى: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ. فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ. فَقَالَ: هُدِيتَ الْفِطْرَةَ أَوْ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ ». [١]

والمعراج:

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: "فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِى وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام لِخَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: افْتَحْ. قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ. قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ مَعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَفَتَحَ - قَالَ: فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ - قَالَ: فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى - قَالَ: فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالِابْنِ الصَّالِحِ - قَالَ: قُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ ﷺ وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى - قَالَ: ثُمَّ عَرَجَ بِى جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ. فَقَالَ لِخَازِنِهَا افْتَحْ - قَالَ: فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ خَازِنُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَفَتَحَ ». فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ آدَمَ وَإِدْرِيسَ وَعِيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ وَجَدَ آدَمَ عليه السلام فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ. قَالَ: « فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ

---

(١) رواه البخاري (٣٢١٤)، ومسلم (١٦٨) واللفظ له.

وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِإِدْرِيسَ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ - قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ - قَالَ: ثُمَّ مَرَّ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ - قَالَ: ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى عليه السلام فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ - قَالَ: قُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ هَذَا مُوسَى - قَالَ: ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ - قَالَ: ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالاِبْنِ الصَّالِحِ - قَالَ: قُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ هَذَا إِبْرَاهِيمُ". (١)

٤ـ نبع الماء من بين أصابعه ﷺ.

فقد روى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ بِالزَّوْرَاءِ قَالَ: وَالزَّوْرَاءُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ السُّوقِ وَالْمَسْجِدِ فِيمَا ثَمَّهْ - دَعَا بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَوَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ، فَجَعَلَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ فَتَوَضَّأَ جَمِيعُ أَصْحَابِهِ. قَالَ: قُلْتُ كَمْ كَانُوا يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ: كَانُوا زُهَاءَ الثَّلاثِمِائَةِ. (٢)

٥ـ تكثير الطعام ببركته ودعائه.

فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بالنبيِّ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي؛ فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا؟ فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي، وَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: لاَ تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ. فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ. فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: « يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا فَحَيَّ هَلًا بِكُمْ ». فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « لاَ تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلاَ تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ ». فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ. فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِى قُلْتِ. فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا، فَبَصَقَ

---

(١) رواه مسلم (١٦٣).

(٢) رواه البخاري (٣٣٧٩)، ومسلم (٦٠٨٢).

فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ ثُمَّ قَالَ: « ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلاَ تُنْزِلُوهَا، وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِالله لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ. (١)

٦ـ كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة، وإجابتها دعوته.

فقد أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِى عَامِرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَرِنِي الْخَاتَمَ الَّذِى بَيْنَ كَتِفَيْكَ فَإِنِّى مِنْ أَطَبِّ النَّاسِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : « أَلاَ أُرِيكَ آيَةً». قَالَ: بَلَى.

قَالَ: فَنَظَرَ إِلَى نَخْلَةٍ فَقَالَ: « ادْعُ ذَلِكَ الْعَذْقَ ». قَالَ: فَدَعَاهُ فَجَاءَ يَنْقُزُ حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : « ارْجِعْ ». فَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ؛ فَقَالَ الْعَامِرِيُّ: يَا آلَ بني عَامِرٍ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رَجُلًا أَسْحَرَ مِنْهُ. (٢)

٧ـ حنين الجزع لفراق النبي ﷺ .

وهي قصة مشهورة شهدها الكثير من أصحاب النبي ﷺ - أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ : يَا رَسُولَ الله، أَلاَ أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ فَإِنَّ لِي غُلاَمًا نَجَّارًا؟ قَالَ: " إِنْ شِئْتِ ". قَالَ: فَعَمِلَتْ لَهُ الْمِنْبَرَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ الَّذِي صُنِعَ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَنْشَقَّ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيْهِ، فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ. قَالَ: " بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ ". (٣)

٨ـ تسليم الحجر على النبي ﷺ .

---

(١) رواه البخاري (٣٨٧٦)، ومسلم (٥٤٣٦).

(٢) رواه أحمد٥/ ٨ (١٩٨٢)، والدار مي (٢٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وصحح إسناده الألباني في الصحيحة (٣٣١٥).

(٣) رواه البخاري (٢٠٩٥) عن جابر بن عبد الله ﷺ.

فقد كان الحجر يسلم عليه، يقول رسول الله ﷺ : " إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ". (١)

٩ـ إخبار الشاة له ﷺ بأنها مسمومة.

إذ إن النبي ﷺ أتى خيبر، فَأَهْدَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ يَهُودِ خَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً، فَتَنَاوَلَ مِنْهَا وَتَنَاوَلَ مِنْهَا بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ، ثُمَّ رَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ هَذِهِ تُخْبِرُنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ ". فَمَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ : " مَا حَمَلَكِ عَلَى مَا صَنَعْتِ؟ ". فَقَالَتْ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ شَيْءٌ، وَإِنْ كُنْتَ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ. . .). (٢)

١٠ـ إبراؤه للمرضى ﷺ .

من ذلك أنه ﷺ قال يوم خيبر: "لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ الله عَلَى يَدَيْهِ". فَقَامُوا يَرْجُونَ لِذَلِكَ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا وَكُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَى، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ». فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَمَرَ فَدُعِي لَهُ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ. (٣)

١١ـ إخباره ﷺ بالأحداث التي لم تقع وقد وقعت.

كخبر أم حرام بنت ملحان، فقد سَمِعَتِ النبيَّ ﷺ يقول: " أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أمتي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا ". قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله: أَنَا فِيهِمْ. قَالَ « أَنْتِ فِيهِمْ ». ثُمَّ قَالَ النبي ﷺ : " أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أمتي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ ". فَقُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ الله. قَالَ " لا". (٤)

وكذلك: إخباره عن بركان يثور في الحجاز ينعكس ضوؤه بالشفق، فيلحظه أهل بصري بالشام، فتحقق تنبؤه ﷺ عام ٦٥٤ هـ، ليكون دليلًا آخر على نبوته ورسالته ﷺ ، فقد قال ﷺ "لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، تضيء أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى". (٥)

---

(١) رواه مسلم (٦٠٧٨) عن جابر بن سمرة ﷺ.

(٢) رواه أبو داود (٤٥١٤)، والحديث أصله في البخاري (٢٤٧٤)، ومسلم (٥٨٣٤). عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ.

(٣) رواه البخاري (٢٨٧٤)، ومسلم (٦٣٧٣). عن سهل بن سعد ﷺ.

(٤) رواه البخاري (٢٧٦٦)، عن أم حرام رضي الله عنها.

(٥) رواه البخاري (٦٧٠١)؛ ومسلم (٧٤٧٣)عن أبي هريرة ﷺ

قال النووي: وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت نارًا عظيمة جدًا، من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة.[1]

وغيرها كثير من المعجزات التي أجراها الكريم ﷻ -إذ الفضل منه وإليه- على يدي النبي المعصوم ﷺ ولكننا نثبت أن الله تبارك وتعالى أجرى معجزات كثيرة على يد نبيّه ﷺ تثبت نبوته ﷺ.[2]

الوجه الخامس: ظهور دينه وغلبته على الأمم.

ومن الأوجه القوية التي تثبت نبوته ﷺ أنه ﷺ جهر بدعوته بين قوم لا كتاب لهم، ولا حكمة فيهم: أنّي بعثت من عند الله بالكتاب المنير، والحكمة الباهرة لأنوّر العالم بالإيمان والعمل الصالح. وانتصب مع ضعفه وفقره وقلة أعوانه وأنصاره، مخالفًا لجميع أهل الأرض آحادهم وأوساطهم وسلاطينهم وجبابرتهم، فضلَّلَ آراءهم، وسفَّه أحلامهم، وأبطل مللهم وهدم دولهم، وظهر دينه على الأديان في مدة قليلة شرقًا وغربًا، وزاد على مر الأعصار والأزمان، ولم يقدر الأعداء مع كثرة عَدَدِهم وعُدَدِهم وشدة شوكتهم وشكيمتهم، وفرط تعصبهم وحميتهم وبذل غاية جهدهم في إطفاء نور دينه وطمس آثار مذهبه. فهل يكون ذلك إلا بعون إلهي وتأييد سماوي؟

قال غمالائيل مُعلّم اليهود لهم في حق الحواريين: أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ، احْتَرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ جِهَةِ هؤُلاَءِ النَّاسِ فِي مَا أَنْتُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ تَفْعَلُوا. ٣٦لأَنَّهُ قَبْلَ هذِهِ الأَيَّامِ قَامَ ثُودَاسُ قَائِلًا عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ شَيْءٌ، الَّذِي الْتَصَقَ بِهِ عَدَدٌ مِنَ الرِّجَالِ نَحْوُ أَرْبَعِمِئَةٍ، الَّذِي قُتِلَ، وَجَمِيعُ الَّذِينَ انْقَادُوا إِلَيْهِ تَبَدَّدُوا وَصَارُوا لاَ شَيْءَ. ٣٧بَعْدَ هذَا قَامَ يَهُوذَا الْجَلِيلِيُّ فِي أَيَّامِ الاكْتِتَابِ، وَأَزَاغَ وَرَاءَهُ شَعْبًا غَفِيرًا. فَذَاكَ أَيْضًا هَلَكَ، وَجَمِيعُ الَّذِينَ انْقَادُوا إِلَيْهِ تَشَتَّتُوا. ٣٨وَالآنَ أَقُولُ لَكُمْ: تَنَحَّوْا عَنْ هؤُلاَءِ النَّاسِ وَاتْرُكُوهُمْ! لأَنَّهُ إِنْ كَانَ هذَا الرَّأْيُ أَوْ هذَا

---

(١) شرح النووي١٨/ ٢٨.

(٢) وقد فُصِّلَ ذلك في بابه من خلال هذه الموسوعة فراجعها غير مأمور فإنها مهمة.

الْعَمَلُ مِنَ النَّاسِ فَسَوْفَ يَنْتَقِضُ، ٣٩وَإِنْ كَانَ مِنَ الله فَلاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنْقُضُوهُ، لِئَلاَّ تُوجَدُوا مُحَارِبِينَ لله أَيْضًا. (أعمال الرسل ٥: ٣٥ – ٣٩).

وورد في المزمور الأول: "لأَنَّ الرَّبَّ يَعْلَمُ طَرِيقَ الأَبْرَارِ، أَمَّا طَرِيقُ الأَشْرَارِ فَتَهْلِكُ".

وورد في المزمور الخامس ٦: "تُهْلِكُ المُتَكَلِّمِينَ بِالْكَذِبِ. رَجُلُ الدِّمَاءِ وَالْغِشِّ يَكْرَهُهُ الرَّبُّ".

وورد في المزمور ٣٤/ ١٦ "وَجْهُ الرَّبِّ ضِدُّ عَامِلِي الشَّرِّ لِيَقْطَعَ مِنَ الأَرْضِ ذِكْرَهُمْ".

فلو لم يكن محمد ﷺ من الصديقين لأهلك الرب طريقه، ورذله، وأباد ذكره من الأرض، وكسر سواعده، وأفناه كالدخان، لكنه لم يفعل شيئًا منها، فكان محمد ﷺ من الصديقين، والمحاربون كثير، والوقت قريب فسوف يعلمون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (الشعراء: ٢٢٧) ولا يقدرون على نقضه ألبتة كما وعد الله ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (التوبة: ٣٢) أي دين الإسلام ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ أي بأقوالهم الباطلة ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ أي مبلغه غايته ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي اليهود والنصارى والمشركون، ولنعم ما قيل:

ألا قل لمن ظل لي حاسدًا ... أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في فعله ... لأنك لم ترض لي ما وهب[1].

الوجه السادس: الثمرات التي أتى بها محمد ﷺ

تمهيد:

من ثمارهم تعرفونهم:

قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (الأعراف: ٥٨).

احْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِلٍ ذِئَابٌ

---

(١) إظهار الحق (٤/ ١٠٧٤ – ١٠٧٦) بتصرف يسير.

خَاطِفَةٌ! ١٦مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ عِنَبًا، أَوْ مِنَ الْحَسَكِ تِينًا؟ ١٧هكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَارًا جَيِّدَةً، وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، ١٨لاَ تَقْدِرُ شَجَرَةٌ جَيِّدَةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، وَلاَ شَجَرَةٌ رَدِيَّةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا جَيِّدَةً. ١٩كُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ ٢٠فَإِذًا مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. " (متى ٧: ١٥).

ويستشف أيضًا من كلام المسيح عليه السلام أنه ينبئ بنبيٍ بعده ليس بكاذب، وسوف يأتي بعد عيسى عليه السلام أنبياء ليسوا بكذبة، وكأن أصحابه سألوه: وكيف نفرق بين النبي الكاذب والنبي الصادق؟ ، فقال لهم: من ثمارهم تعرفونهم، ومن نتاج عمله ودعوته يظهر، فالنبي الصادق لابد أن تكون ثمرته طيبة كعمل صالح لأتباعه وغير ذلك، أما الأنبياء الكذبة بعد عيسى، فقد ذكر التاريخ العديد منهم، خاصة مع نهاية القرن الأول الميلادي.

أسماء الأنبياء الكذبة بعد عيسى عليه السلام:

١- سيمون " الملقب بالساحر ":

وهو لم يدَّعِ النبوة فقط، بل ادَّعى الألوهية أيضًا، خرج هذا الرجل من بعض قرى "السامرة " بفلسطين في عهد القيصر كلوديس، وأتى ببعض أعمال السحر العجيبة، وتابعه عدد كبير من أهل السامرة وغيرها؛ بل لقد صنع له في روما تمثال أقيم فوق نهر " التيبر" نقش عليه " إلى سيمون الإله القدوس " ورغم الأعمال الخارقة لسيمون هذا، فقد كانت أخلاقه وضيعة؛ إذ كان يعاشر عاهرة تدعى " هلانة " سماها " الفكرة الأولى " التي انبثقت منه، وسجد أتباعُهُ أمام أصنامه هو وعشيقته ويعبدونها بالبخور والذبائح. (١)

٢- اليهودي المصري الذي خرج في القرن الأول الميلادي، وقد اقتاد جيشًا مكونًا من ٤٠٠٠ من اليهود لدخول القدس لكن الحامية الرومانية قضت عليهم، وقد أتى ذكره في الإنجيل في سفر الأعمال(٢١: ٣٨)(٢)

---

(١) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري (٨٢).

(٢) المصدر السابق (٨٣).

٣- ولقد تكلم العهد القديم نفسه عن العديد من الأشياء مثل " أجابوس " وغيره الذين شكلوا ظاهرةً خطيرةً بنهاية القرن الأول. (١)

٤- ذكر التاريخ أيضًا من أوائل مدعي النبوة " ميناندر العراف " خليفة سيمون الساحر. الذي قال إنه نفسه " المخلص " الذي أرسل من الدهور غير المنظورة لخلاص البشر. وقد أتى بأعمال سحر عظيمة، وأقنع أتباعه أنهم لن يموتوا. (٢)

٥- أما أخطر النبوات الكاذبة بعد عيسى التي ذكرها التاريخ المسيحي، فهي نبوة " مونتانوس " الذي أعلن عام ١٥٦م أن الروح القدس يتكلم إليه مباشرة. . . (وأن أتباعه أداة توصيل للروح القدس " البراكليت "). . . وكان ينطق بعبارات مثل. . . " هو ذا الإنسان وكأنه قيثارة، وأن الله يلعب على أوتارها. . . انضمت إلى مونتانوس نبيتان أعلنتا نهاية العالم ورجوع المسيح السريع إلى " فريجيا " موطن مونتاس في تركيا الحالية، وأن أورشليم الجديدة سوف تنزل من السماء. . . وقد رحب الكثيرون بكل قوة بهذه الدعوة؛ لأن الانتظار ـ انتظار عودة المسيح ـ قد ضعف منذ نهاية القرن الأول. . . وقد امتدت المونتانية حتى إلى الغرب؛ بل وتبعها العديد من الآباء الكبار مثل " ترتليان القرطاجي " وعاشت المونتانية حتى القرن الخامس رغم المحاربة السابقة لها، ذلك لرفعها صوت النبوة في وجه السلطان الكهنوتي.

وقد عاب المونتانية أخذها من مدينة " فريجيا " التي عبدت الإلهة " سيبيل " أخذت منها الرقصات المتوحشة، وخصى الذات، والاستحمام في دماء الثور الذي يقدم ذبيحة لها. (٣)

والآن وبعد استعراض هذه النبوءات الزائفة تعال بنا لنطبق المعادلة التي ذكرناها في بداية البحث وهي " مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. ".

---

(١) التفسير الحديث للكتاب المقدس، (د. ت. فرانس) (إنجيل متى ١٥٥) نقلا عن: محمد في الترجوم والتلمود والتوراة، هشام محمد طلبة (٢١٢ – ٢١٤).

(٢) المصدر السابق (١٥٤).

(٣) تاريخ الكنيسة، جون لويمر، دار الثقافة (١/ ١٢٠).

ثمرات هذه النبوءات الكاذبة:

يجمع كل هذه الدعوات أن ثمراتها جميعها كانت خبيثةً، كالدعوة للزنا، والذبح للأصنام وادعاء الألوهية، كما أن هذه الدعوات ماتت ولم تعد لها أية ثمرة، بالرغم من وجود بعض الخوارق لأصحابها.

أما ثمرات النبي محمد ﷺ فثمرته باقية ودعوته خالدة، وهي ثمرة الصدق والحق والفضيلة.

الثمرة الأولى: التوحيد الخالص لله ﷻ:

إنه لكي نعرف فضل الإسلام والنور الذي أتى به لابد أولًا أن نعرج على الشرك الموجود بين الأمم والشعوب القديمة والحالية الآن.

١-**في الهند**: يوجد في الهند الآن حوالي ٢٠٠ مليون بقرة، وهذه الأبقار تعتبر عندهم مقدّسة، وبالتالي فإنهم لا يستفيدون منها بتاتًا، ويحرمون ذبحها؛ بل وأكثر من هذا فإن الشعب الهندي كله مسخر لخدمتها، وتعيش على حسابه، فكم تحتاج هذه الأبقار إلى مراع ومزارع؟ ، وكم تعطل من طاقات؟

بالإضافة إلى هذا فإن للبقرة سلطانًا على كل شئ في حياتهم، حيث تقف البقرة في وسط الطريق فتقف وراءها السيارات ولا يزعجها أحد حتى تمضي. وتبول في أي مكان، وتخثي في أي مكان، وتعتدي على مال أي إنسان، ولا أحد يجرؤ على أن يعترض سبيلها بشئ.

فانظر كيف جعل شرك البشر مسخرًا لخدمة البقر! فالحمد لله على نعمة العقل.

٢-**في مصر القديمة أيام الفراعنة**: نجد في مصر اليوم أهرامات ضخمة جدًا، وأحجارها ضخمة جدًا، نقلت من أماكن بعيدة جدًا، نقلها آلاف من أبناء الشعب المصري إلى منطقة الأهرامات، وتعبت في بناء هذه الأهرامات آلافُ الأدمغة وآلافُ الأيدي من أجل ماذا؟ ، من أجل أن يصنعوا قبرًا لفرعون الذي كانوا يعبدونه كإله؟!

فانظر كيف جعل الشرك كل هذا الجهد والقوى والمال مسخرًا لخدمة فرد من البشر!!.[1]

---

(١) الرسول. . . سعيد حوى (٢/ ١٤٥).

٣-الطائفة الإسماعيلية: في العالم اليوم حوالي ١٣ مليونًا من الطائفة الإسماعيلية، التي تعبد رجلًا كإله، وتقدم له كل عام خمس أموالها، حيث تجعله في كفة ميزان، وتجعل الذهب في كفة أخرى حتى يتساويا، وتقدمه له كهديةٍ سنويةٍ.

فانظر إلى هذه الصورة من صور الشرك كيف أن ثلاثة عشر مليونًا من البشر مسخرين لخدمة فرد واحد قد يكون من أفجر الناس وأفسق الناس.

ومن صور الوثنية القديمة والحديثة الشئ الكثير ونضرب أمثلة لها:

١-عند العرب: عن أبي رجاء العطاردي قال: (كنا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجرًا هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا حثوةً من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ثم طُفنا به). [1]

وقال الكلبي: كان الرجل إذا سافر فنزل منزلًا أخذ أربعة أحجار، فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربًّا وجعل ثلاثًا- أثافي لقدره إذا ارتحل تركه.

وقال أيضًا: كان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قدم من سفر كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أيضا يتمسح به. [2]

٢-عند الهنود: يقول أبوالحسن الندوي في كتابه " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " عن حال الوثنية في الهند: " بلغت الوثنية أوجها في القرن السادس فقد كان عدد الآلهة في "ويد " ثلاثةً وثلاثين، وقد أصبحت في هذا القرن ٣٣٠ مليونًا، وقد أصبح كل شئ رائعًا وجذَّابًا، وكل مرفق من مرافق الحياة إلهًا يُعبد. . وهكذا، وهكذا جاوزت الأصنام والتماثيل والآلهة والإلاهات الحصر وأربت على العدِّ، فمنها أشخاص تاريخية، وأبطال تمثل فيهم الله- زعموا- في عهود وحوادث معروفة، ومنها جبال تجلى عليها بعض آلهتهم، ومنها معادن

(١) رواه البخاري (٤٣٧٦).

(٢) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد على (١١/ ٦٦).

كالذهب والفضة تجلى فيها إله، ومنها نهر الكنج الذي خرج من رأس "مهاديو" الإله، ومنها آلات الحرب وآلات الكتابة وآلات التناسل وحيوانات أعظمها البقرة والأجرام الفلكية وغير ذلك، وأصبحت الديانة نسيجًا من خرافات وأساطير وأناشيد وعقائد وعبادات ما أنزل الله بها من سلطان، ولم يستسغها العقل السليم في زمن من الأزمان ". (١)

٣-**عند الفرس**: كانوا يعبدون ملوكهم ونيرانهم.

٤-**اليابانيون**: يعتبرون ملكهم ابن الشمس المعبودة.

٥-**اليونانيون**: يعبدون إلاهًا للمطر وإلاهًا للحرب وإلاهة للحب. . وهكذا.

والخلاصة:

أن الإنسان اعتبر نفسه أقل من الحجر، وأقل من الشمس، وأقل من الحيوانات، وأقل من مظاهر الطبيعة كلها؛ بل جعلها في مقام السيد، وجعل نفسه في مقام العبد الذليل، وجعلها تتحكم فيه بواسطة وبغير واسطة.

وأما عند النصارى فقد سبق تفصيل عقيدتهم. (٢)

وأما بالنسبة للإلحاد فقد ألحد أُناسٌ قديمًا وحديثًا.

ومعنى الإلحاد أن الإنسان اعتبر نفسه عبدًا للكون كله بدلًا من أن يعبد جزءًا منه، وخلع على الكون كله صفات الألوهية، فالكون يخلق ويرزق، ويعطي ويمنع، ويحيي ويميت. . . .

وفي نهاية الأمر اعتبر الإنسان نفسه أعظم ما في الكون فعبد نفسه، واعتبر نفسه هو مصدر التشريع، ومصدر الحاكمية، ومصدر الأمر والنهي، وهو حرٌّ أن يفعل ويترك ما شاء، فغلبتهم شهواتهم، وظلموا بعضهم، وأصبح كلُّ واحد من هؤلاء يعتبر نفسه إلاهًا يفعل ما يشاء، لا رادَّ لحكمه فحدث على أيديهم من المآسي ما يندى له جبين البشرية كلها، حتى إنه قتل في عهد ستالين وحده تسعة عشر مليونًا من أبناء الاتحاد السوفيتي.

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي (ص ٦٩).

(٢) انظر مبحث تحريف الكتاب المقدس من هذه الموسوعة.

وأما الإسلام دين النبي محمد ﷺ فهو الذي وضع الإنسان في مكانه الصحيح فعلمه: أن الكون كلَّه- قَمرَهُ وشمسَهُ ونجومَهُ وأرضَهُ وحيواناتِهِ من بقر ونمر وأسد وعجل، ونباتاتِهِ كلِّها، وأحجاره ومعادنه وكل شئ فيه خلق للإنسان.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (البقرة: ٢٩)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (لقمان: ٢٠).

والإنسان هو أكرم مخلوق على وجه الأرض، فمن حقه أن يستفيد من هذا الكون إلى أقصى درجة ممكنه في حدود " لا ضرر ولا ضرار "، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٠).

٢- وأن الله خالق الكون والإنسان، وهو وحده الإله المتصف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، المستحق وحده للعبادة، والإنسان عبد وحده.

قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات: ٥٦)، فالناس كلهم عبيد لله ورسولهم ونبيهم وملكهم وخادمهم وكبيرهم وصغيرهم، ولا يجوز أن يعطوا عبوديتهم لأحد سواه.

قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٩).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ (الكهف: ١١٠).

الله أكبر. . . كل الكون للإنسان، والإنسان لله، مقام الإنسان السيادة على المخلوقات؛ لأنها مسخّرة له والعبودية لله وحده.

فانظر كيف نقل محمد ﷺ البشر من أحطّ الدركات إلى أعلى الدرجات.

وبهذه النظرة الإيجابية إلى الكون والإنسان، فتح المسلم أقفال الكون بالتجربة والمشاهدة، يدفعه في ذلك عقيدة أن الكون كله للإنسان، وعليه أن يستفيد منه، ولئن وصلت الحضارة الغربية اليوم إلى القمة في تسخير الكون، فذلك لأنها تأثرت بالحضارة الإسلامية، ولولا ذلك لما كان في أوروبا حضارة ولا علم وهاهي بعض الأدلة على ذلك:

١-في (١١: ١٢: ١٨٦٢) أصدر البابا أبيوس التاسع قرارًا جاء فيه: لا يمكننا قبول العقل بغزو المجال المخصص لشئون الإيمان ليزرع فيه الاضطراب. [(١)]

وهذا الكلام له جذور في أصل النصرانية في العهد الجديد؛ إذ يقول بولس في رسالته الأولى إلى كورنثوس "[٢٧]بَلِ اخْتَارَ اللهُ جُهَّالَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ". (١: ٢٧).

وقال أيضا " إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ حَكِيمٌ بَيْنَكُمْ فِي هذَا الدَّهْرِ، فَلْيَصِرْ جَاهِلًا لِكَيْ يَصِيرَ حَكِيمًا! [١٩]لأَنَّ حِكْمَةَ هذَا الْعَالَمِ هِيَ جَهَالَةٌ عِنْدَ اللهِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «الآخِذُ الْحُكَمَاءَ بِمَكْرِهِمْ». [٢٠]وَأَيْضًا: «الرَّبُّ يَعْلَمُ أَفْكَارَ الْحُكَمَاءِ أَنَّهَا بَاطِلَةٌ". (٢: ١٨ – ٢٠).

أين هذا من قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨).

والأقوال الكثيرة للنبي محمد ﷺ في الحث على طلب العلم، ومنها:

عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ ". [(٢)]

---

(١) محاصرة وإبادة، زينب عبد العزيز صـ ١٩٣.

(٢) رواه أبو داود (٣٦٤٣)، ابن ماجه (٢٢٣)، وقال الألباني: حسن لغيره/ صحيح الترغيب والترهيب (٧٠).

تقول (زيغريد هونكة) المستشرقة الألمانية الشهيرة " لو أردنا دليلا آخر على مدى الهوة العميقة التي كانت تفصل الشرق عن الغرب، لكفانا أن نعرف أن نسبة ٩٥ في المائة على الأقل من سكان الغرب في القرون: التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر كانوا لا يستطيعون القراءة والكتابة، وبينما كان شارل الأكبر يجهد نفسه في شيخوخته لتعلم القراءة والكتابة. . . كانت الآلاف مؤلفة في المدارس في القرى والمدن تستقبل ملايين البنين والبنات يجلسون على سجادهم الصغير يكتبون بحبر يميل إلى السواد فوق ألواح خشبية،. . . فلم تكن المساجد مجرد أماكن تؤدى فيها الصلوات فحسب؛ بل كانت منبرًا للعلوم والمعارف.

كما ارتفعت فيها كلمات الرسول فوق مجد التدين الأعمى. ألم يقل محمد أقوالًا، كان يكفي لأن يقولها في روما حتى يحاكم عليها بتهمة الهرطقة. . . لقد قدم العرب بجامعاتهم التي بدأت تزدهر منذ القرن التاسع، والتي جذبت إليها منذ عهد البابا سلفستر الثاني عدداً من الغربيين من جانبي جبال البرانس ظل يتزايد حتى صار تيارًا فكريًّا دائمًا. [1]

يقول د: لويس لونج " يجب ألا ننسى الوجه الآخر للصورة في العصور الوسطى، عندما عكفت أوروبا على علوم العرب من طبّ وفلسفة وطبيعة، واستمرّ ذلك لفترة طويلة. حتى إذا كان القرن الثامن عشر قبست منهم نار الرومانطقية، وفي القرن التاسع عشر سلبتهم أراضيهم، ثم بترولهم في القرن العشرين. وعلى الرغم من سجل أوروبا الطافح بالتزمت الفكري واللّاتسامح الديني، على النقيض من المسلمين، فإنها ظلت ترفض الاعتراف بما للعرب من يد طولى على حضارتها، وتتجاهل دورهم الحضاري وتقلّل من شأنه". [2]

وانظر إلى مدى التخلف الحضاري الأوروبي: في عام ١٨١٩ م ندّدت صحيفة كولونيا في ألمانيا بإضاءة شوارع المدينة بالغاز؛ إذ إن الإنسان في هذه الحالة قد حطّم إرادة الله التي

(١) شمس العرب تسطع على الغرب (٣٦٩- ٣٧٤، ٣٩٣- ٣٩٨).

(٢) انظر: الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، لواء: أحمد عبد الوهاب صـ ٢٤.

قضت بأن يكون الليل مظلمًا. (١)

أصدر البرلمان الإنجليزي قرارًا في عصر هنري الثامن يحظر على المرأة قراءة العهد الجديد (الأناجيل وملحقاتها) - أين هذا عند المسلمين في وضعهم المصحف الأم عند حفصة أم المؤمنين؟!

في عام ١٨٤٧م عارضت الكنيسة استخدام التخدير في حالات الوضع؛ لأن الله قال في الكتاب المقدس- حسب زعمهم - قضى أن تلد حواء بآلام. (٢)

الثمرة الثانية: الإيمان باليوم الآخر وجعله محور سلوك الإنسان.

تمهيد:

إن الرسل كلهم بعثوا من أجل التبشير بالحياة الأبدية الطيبة للصالحين والعذاب الأبدي للطالحين.

قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ (النساء: ١٦٥).

وجاء في إنجيل مرقس (١٣ : ٣٢): وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ الآبُ.

وجاء في إنجيل متى (١٩ : ١٦): وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟.

من ثمار دعوة النبي ﷺ إلى الإيمان باليوم الآخر:

إن من ثمار دعوة النبي محمد ﷺ أنه أخرج -بإذنِ الله وَأَمرِهِ- جيلًا من البشر لم يَعُدْ لَهُ هِمَّةٌ إلاَّ أن ينالَ رضا الله، وينالَ سعادة الأبد، وَدَلَّ البشرية على الطريق إلى ذلك.

فكان أتباعُه أعظمَ نماذج عرفها العالم كطلاَّب آخرة بعد النبيين، هذا مع قيام كامل في

(١) شمس العرب تسطع على الغرب صـ٣٠٥.

(٢) انظر: محمد في الترجوم والتلمود والتوراة صـ ٢١٧ - ٢٢٠.

أمر الدنيا إصلاحًا ورعايةً، ولكن كممرٍّ إلى الآخرة.

وهذه أمثلة على هذه النماذج التي أخرجتها تربية النبي محمدٍ ﷺ :

١ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى سَرِيرٍ مُضْطَجِعٌ، مُرْمَلٌ بِشَرِيطٍ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَدَخَلَ عُمَرُ رضي الله عنه فَانْحَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ انْحِرَافَةً، فَلَمْ يَرَ عُمَرُ بَيْنَ جَنْبِهِ وَبَيْنَ الشَّرِيطِ ثَوْبًا، وَقَدْ أَثَّرَ الشَّرِيطُ بِجَنْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَكَى عُمَرُ. فَقَالَ لَهُ النبي ﷺ: مَا يُبْكِيكَ يَا عُمَرُ ؟. قَالَ: وَاللهِ مَا أَبْكِي إِلاَّ أَنْ أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّكَ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ ﷻ مِنْ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَهُمَا يَعِيثَانِ فِي الدُّنْيَا فِيمَا يَعِيثَانِ فِيهِ، وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ بِالْمَكَانِ الَّذِي أَرَى. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ؟ ». قَالَ عُمَرُ: بَلَى. قَالَ: " فَإِنَّهُ كَذَاكَ "[١].

٢-وعن عائشة رضي الله عنها قالت: " مات أبو بكر رضي الله عنه فما ترك دينارًا ولا درهمًا، وكان قد أخذ قبل ذلك ماله فألقاه في بيت المال ".

٣-وعن الحسن أنه سئل عن القائلين في المسجد فقال: رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقيل في المسجد وهو يومئذ خليفة، قال: ويقوم وأثر الحصير بجنبه، فيقال: هذا أمير المؤمنين، هذا أمير المؤمنين.

٤-وعن شرحبيل بن مسلم أن عثمان رضي الله عنه كان يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل بيته فيأكل الخلّ والزيت.

٥-وعن عبد الملك بن عمير قال: حدثني رجل من ثقيف أن عليًا استعمله على عكبرا قال: ولم يكن السواد يسكنه المصلون وقال لي: إذا كان عند الظهر فرُح إلي فرُحت إليه فلم أجد عنده حاجبًا يحبسني عنه دونه، فوجدته جالسًا وعنده قدح وكوز من ماء فدعا بطينة، فقلت في نفسي لقد أمنني حتى يخرج إليّ جوهرًا ولا أدري ما فيها، فإذا عليها خاتم فكسر الخاتم فإذا فيها سويق فأخرج منها فصبَّ في القدح فصَبَّ عليه ماءً فشرب وسقاني فلم

(١) رواه أحمد (٣/ ١٣٩)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٨٤).

أصبر فقلت: يا أمير المؤمنين أتصنع هذا بالعراق وطعام العراق أكثر من ذلك؟ قال: أما والله ما أختم عليه بخلًا عليه، ولكني أبتاع قدر ما يكفيني فأخاف أن يفنى فيصنع من غيره، وإنما حفظي لذلك وأكره أن أدخل بطني إلا طيبًا. (١)

٦-وعن عروة رضي الله عنه قال: دخل عمر بن الخطاب على أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فإذا هو مضطجع على طنفسة رحله، متوسد الحقيبة، فقال له عمر: ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك؟

قال: يا أمير المؤمنين، هذا يبلّغني المقيل.

وقال معمر في حديثه: لما قدم عمر الشام تلقّاه الناس وعظماءُ أهل الأرض فقال عمر: أين أخي؟ قالوا من؟ قال: أبو عبيدة، قالوا: الآن يأتيك! فلما أتاه نزل فاعتنقه فقال، ثم دخل عليه بيته فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله. (٢)

٧-وعن الحسن قال: كان عطاء سلمان رضي الله عنه خمسة آلاف درهم، وكان أميرًا على زهاء ثلاثين ألفًا من المسلمين، وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها، وإذا خرج عطاؤه أمضاه ويأكل من سفيف يده. (٣)

مما مرَّ – وغيره كثير – يتبين لنا أنّ الجيل الذي ربّاه محمد ﷺ جيلٌ أصبح همُّه الأعلى الآخرة، ولم يعد له في غيرها همة، إلا إذا كان وسيلة تقربهم إلى الله تعالى، وتفرع عن هذا الأصل سلوك لا مثيل له في أي جانب من جوانب الحياة، ألا وهو التضحية، وهذا ما نراه عند الصحابة رضي الله عنهم واضحًا جليًا لكل ذي عينين ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، مما يدل على مقدار إيمانهم بالله تعالى واليوم الآخر، حتى أصبح محور حياتهم، وأسوق الآن بعض الأمثلة التي توضح أن هذا الأمر قد استقر في أنفسهم:

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٨٢).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٠١).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٩٨).

عن سعيد بن عبد العزيز قال: كان للزبير بن العوّام ألف مملوك يؤدون إليه الخراج فكان يقسِّمه كل ليلة، ثم يقوم إلى منزله وليس معه منه شيء. (١)

عن مالك الدار: أن عمر بن الخطاب أخذ أربعمائة دينار، فجعلها في صُرَّةٍ فقال للغلام: اذهب بهم إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تلَهَّ ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها الغلام إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك. فقال: وصله الله ورحمه ثم قال: تعالَيْ يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفذها، فرجع الغلام وأخبره فوجده قد أعدّ مثله إلى معاذ بن جبل فقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل وتلَهَّ في البيت حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذا في بعض حاجتك فقال: رحمه الله ووصله - تعالَيْ يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا واذهبي إلى بيت فلان بكذا، فاطّلعت امرأة معاذ فقالت: نحن والله مساكين فأعطنا ولم يبق في الخرقة إلا ديناران فدَحَا (أي دفعهما) بهما إليها، ورجع الغلام إلى عمر فأخبره وسُرَّ بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض. (٢)

بهذه الأمثلة وغيرها كثير يتبين لنا أن من ثمار نبوءة النبي محمد ﷺ هذا الضمير الحيّ، والروح اليقظة المنتظرة لجزائها في اليوم الآخر الذي دعا إليه كل المرسلين، وغفل عنه كثير من الناس.

ولا يمكن بحال من الأحوال للعقل إلا أن يقرّ بأن هذه الثمرة ليست إلا من ثمار نبيّ وليست من ثمار كذّاب. (٣)

فاللهم صلّ وسلّم وبارك على محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

---

(١) المصدر السابق (١/ ٩٠).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٣٣).

(٣) وانظر: الرسول ﷺ. . . تأليف/ سعيد حوى (٣٧٦).

الثمرة الثالثة: أن الدين الذي أتى به النبي ﷺ من عند الله.

تمهيد:

مصدر الإسلام، ومشرّع أحكامه ومناهجه، هو الله تعالى فهو وحيه إلى رسوله الكريم ﷺ باللفظ والمعنى (القرآن الكريم) وبالمعنى دون اللفظ (السنّة النّبويّة). فالإسلام بهذه الخصيصة يختلف اختلافًا جوهريًا عن جميع الشرائع الوضعية؛ لأن مصدرها الإنسان، أما الإسلام فمصدره رَبُّ الإنسان. إنّ هذا الفرق الهائل بين الإسلام وغيره لا يجوز إغفاله مطلقًا ولا التقليل من أهميته.

أولًا: النصوص الدالة على أن الإسلام من عند الله.

من القرآن الكريم:

قال تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ (القدر: ١)، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ (الحجر: ٨٧)، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل: ٦)، وقال تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (آل عمران: ٣)، وقال تعالى﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (السجدة: ٢).

ثانيًا: من سنة النبي ﷺ :

عن المقدام بن معدِ يكَرِب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " أَلاَ إني أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلاَ يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ (السَّرير) يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ. . . ".[1]

مميزات كون دين الإسلام من عند الله

الميزة الأولى: كماله وخلوه من النقائص

ويترتب على كون الإسلام من عند الله كمالُه وخلوُّه من معاني النقص والجهل والهوى والظلم، لسبب بسيط واضح هو أن صفات الصانع تظهر في ما يصنعه. ولما كان الله

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠)، وأبو داود (٤٦٠٤)، واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٤٣).

تعالى له الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله ويستحيل في حقه خلاف ذلك، فإن أثر هذا الكمال يظهر فيما يشرّعه من أحكام ومناهج وقواعد، وبالتالي لا بد أن يكون كاملًا. وهذا بخلاف ما يصنعه الإنسان ويشرّعه فإنه لا ينفك عن معاني النقص والهوى والجهل والجور؛ لأن هذه المعاني لاصقةٌ بالبشر ويستحيل تجردهم عنها كل التجرد، وبالتالي تظهر هذه النقائص في القوانين والشرائع التي يصنعونها.

ويكفينا هنا أن نذكر مثالًا واحدًا للتدليل على ما نقول:

جاء الإسلام بمبدإِ المساواة بين الناس في الحقوق وأمام القانون، بغضِّ النظر عن اختلافهم في الجنس أو اللّغة أو اللّون أو الحرفة أو الغنى أو الفقر، وأقام ميزان التفاضل على أساس التقوى والعمل الصالح. وقد ورد هذا المبدأ العظيم في القرآن والسنة النبوية. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (الحجرات: ١٣).

وقد جاء في السنة النبوية ما يقرر هذا المبدأ، فَعَنْ أَبِي نَضْرَةَ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ " يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لعربي عَلَى أعجمي، وَلاَ لعجمي عَلَى عربي، وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى."[1]

وقال ﷺ "لو أن فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعتُ يدها". [2]

وبلغت دقّة تطبيق هذا المبدأ إلى حدّ أن النبي ﷺ أنكر على مسلم عربيّ قوله لمسلم غير عربي "يا ابن السوداء" واعتبر هذا القول من بقايا الجاهلية الأولى. [3]

أما عند غير المسلمين من أتباع الديانات الأخرى فالأمر مختلف، وخذ دليلًا على ذلك:

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤١١)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٧)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

ففي الولايات المتحدة الأمريكية لا تزال الفروق قائمةً بين المواطنين في أبسط الحقوق على أساس اللّون والجنس، فصاحب البشرة البيضاء أسمى منزلةً وأعلى قدرًا من صاحب البشرة السوداء، ولا مساواة بين الاثنين في الحقوق الآدمية ولا أمام القانون.

ولو كان هذا التفريق والتمايز في واقع الحياة فقط لأمكن أن يدعي البعض أنه من انحراف الأفراد ولا تسأل عنه الدولة، ولكن الواقع أن القانون نفسه يقر ويعترف صراحةً بهذا التمايز الظالم بين الأسود والأبيض ويحميه وإن كان الاثنان يحملان الجنسية الأمريكية.

فمن هذه النصوص القانونية في بعض الولايات الأمريكية:

أن النكاح بين شخصين أبيض وآخر زنجيّ يعتبر نكاحًا باطلًا. وبطلان العقد هنا لا يرجع إلى نقص أهلية العاقدين، فأهليتهما كاملة وإنما يرجع إلى شيء آخر خطير في نظر القانون هو أن أحد

طرفي عقد النكاح ذو بشرة بيضاء بينما الطرف الآخر في العقد ذو بشرة سوداء.

ومن هذه النصوص أيضًا في بعض الولايات المتحدة الأمريكية: أن كل من يطبع أو ينشر أو يوزع ما فيه دعوة أو حث للجمهور على إقرار المساواة الاجتماعية، والزواج بين البيض والسود، أو تقديم حجج للجمهور أو مجرد اقتراح في هذا السبيل يعتبر عملهُ جريمةً يعاقب عليها القانون بغرامة لا تتجاوز خمسمائة دولار أو بالسجن مدةً لا تتجاوز ستَّة أشهر أو بالعقوبتين.

أما التمايز بين رعايا المستعمِر "بكسر الميم" وأهل البلاد المنكوبة بالاستعمار فحدِّث ولا حرج، فالمستعمرون يضعون من القوانين ما يجعل أهل البلاد المستعمرة بمنزلة البهائم، دون أن يشعر هؤلاء المستعمرون بتأنيب ضمير أو بجَوْرهم على هؤلاء الآدميين. وما يعتبرونه ظلمًا في بلادهم، وبالنسبة لرعاياهم يعتبرونه حقًّا وعدلًا بالنسبة لأهل البلاد المنكوبة باستعمارهم. وهذا وغيره يدل على مدى ما عند الإنسان من ظلم وجور وهوى ومحاباة وجهل.

الميزة الثانية: الاحترام والهيبة.

ويترتب أيضًا على كون الإسلام من عند الله، أنه يظفر بقدر كبير جدًّا من الهيبة والاحترام من قبل المؤمنين به، مهما كانت مراكزهم الاجتماعية وسلطاتهم الدنيوية؛ لأن هذه السلطات وتلك المراكز لا تخرجهم من دائرة الخضوع لله تعالى واحترام شرعه، وطاعة هذا الشرع طاعة اختيارية تنبعث من النفس وتقوم على الإيمان، ولا يقسر عليها المسلم قسرًا. وفي هذا ضمان عظيم لحسن تطبيق القانون الإسلامي وعدم الخروج عليه ولو مع القدرة على هذا الخروج.

أما القوانين والمبادئ الوضعية التي شرعها الإنسان؛ فإنها لا تظفر بهذا المقدار من الاحترام والهيبة، إذ ليس لها سلطان على النفوس ولا تقوم على أساس من العقيدة والإيمان كما هو الحال بالنسبة للإسلام، ولهذا فإن النفوس تجرؤ على مخالفة القانون الوضعي كلما وجدت فرصة لذلك وقدرة على الإفلات من ملاحقة القانون وسلطان القضاء، ورأت في هذه المخالفة اتباعًا لأهوائها وتحقيقًا لرغباتها. إن القانون لا يكفي أن يكون صالحًا؛ بل لا بد له من ضمانات تكفل حسن تطبيقه، ومن أول هذه الضمانات، إيجاد ما يصل هذا القانون بنفوس الناس ويحملهم على الرضى به والانقياد له عن طواعية واختيار. ولا يحقق مثل هذه الضمانة مثل الإسلام؛ لأنه أقام تشريعاته على أساس الإيمان بالله واليوم الآخر ورسوله محمد ﷺ، وأن الالتزام الاختياري بهذه التشريعات واحترامها هو مقتضى هذا الإيمان.

وللتدليل على صحة ما نقول نضرب مثلًا واحدًا بشأن واقعة معينة عالجها الإسلام بتشريعه ونجح في هذه المعالجة، وعالجت هذه الواقعةَ بالذات القوانينُ الوضعيةُ وفشلت في هذه المعالجة.

من المعروف أن العرب قبل الإسلام كانوا مولعين بشرب الخمر لا يجدون فيه منقصةً ولا منكرًا، وكانت زقاق الخمر ودنانه في البيوت كالماء المخزون في القرب والحباب. فلما أتى الإسلام بتحريم الخمر بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ (المائدة: ٩٠) قوة هائلة تفوق قوة الجيش والشرطة، وما يمكن أن تستعمله أي دولة لتنفيذ أوامرها بالقوة والجبر. . لقد قام المسلمون إلى زقاق الخمر فأراقوها، وإلى دنانه فكسروها، وفطموا نفوسهم من شرب

الخمر حتى غدوا وكأنهم لا يعرفون الخمر ولم يتذوقوها من قبل. . لأن أمر الله ورد ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ وأوامر الله من شأنها الاحترام والطاعة.

قارن هذا الموقف بما حدث في القرن العشرين أرادت الولايات المتحدة الأمريكية تخليص مواطنيها من الخمر، وقبل أن تشرع قانون تحريم الخمر، مهدت له بدعايةٍ واسعةٍ جدًا لتهيئة النفوس إلى قبول هذا القانون، وقد استعانت بجميع أجهزة الدولة وبذوي الكفاية في هذا الباب. استعانت بالسّينما ومسارح التمثيل وبالإذاعة وبنشر الكتب والرسائل والنشرات والمحاضرات والإحصائيات من قبل العلماء والأطباء والمختصين بالشؤون الاجتماعية، وقد قُدّر ما أنفق على هذه الدعاية بـ (٦٥) مليون من الدولارات وكتبت تسعة آلاف صفحة في مضارّ الخمر ونتائجه وعواقبه. وأنفق ما يقرب من (١٠) عشرة ملايين دولار من أجل تنفيذ القانون. وبعد هذه الدعاية الواسعة والمبالغ المنفقة شرعت الحكومة قانون تحريم الخمر لسنة ١٩٣٠م وبموجبه حرم بيع الخمور وشراؤها وصنعها وتصديرها واستيرادها. فما كانت النتيجة؟ لقد دلت الإحصائيات للمدة الواقعة بين تشريعه وبين تشرين الأول سنة ١٩٣٣م أنه قتل في سبيل تنفيذ هذا القانون مائتا نفس وحبس نصف مليون شخص وغرم المخالفون له غرامات بلغت ما يقرب من أربعة ملايين دولار، وصودرت أموال بسبب مخالفته قدرت بألف مليون دولار. وكان آخر المطاف أن قامت الحكومة الأمريكية بإلغاء قانون تحريم الخمر في أواخر سنة ١٩٣٣م، ولم تستطع تلك الدعايات الضخمة التي قامت بها الدولة أن توجد القاعدة التي يرتكز عليها القانون في نفوس المواطنين، وبالتالي قاموا بمخالفته مما حمل الحكومة على إلغائه؛ لأن القانون لم يكن له سلطان على النفوس يحملها على احترامه وطاعته، ومن ثم فشل وألغي. أمّا كلمة ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾التي جاء بها الإسلام في جزيرة العرب فقد أثّرت أعظم التأثير وطبّقت فعلًا، وأريقت الخمور من قبل أصحابها وامتنعوا عنها، لا بقوة شرطيّ ولا

بقوّة جنديّ ولا رقيب ولكن بقوة الإيمان وطاعة المسلمين لشرائع الإسلام واحترامهم لها. [١]

الثمرة الرابعة: شمول الدين.

ومما يتميز به الإسلام أيضا أنه دين شامل لجميع شؤون الحياة وسلوك الإنسان.

فالإسلام يشتمل على:

أولًا: أحكام العقيدة الإسلامية، وهي تتعلق بأمور العقيدة كالإيمان بالله واليوم الآخر وهذه هي الأمور الاعتقادية.

ثانيًا: أحكام الأخلاق، وهي المتعلقة بما يجب أن يتحلى به المسلم، وما يجب أن يتخلّى عنه كوجوب الصدق، وحرمة الكذب.

ثالثًا: أحكام تتعلق بتنظيم علاقة الإنسان بخالقه، كالصلاة والصيام وغيرها من العبادات.

رابعًا: أحكام تتعلق بتنظيم علاقات الأفراد فيما بينهم وهذه على أنواع:

أ) أحكام الأسرة من نكاح وطلاق وإرث ونفقة. . الخ وتسمى في الاصطلاح الحديث بأحكام الأسرة أو قانون الأحوال الشخصية.

ب) أحكام تتعلق بعلاقات الأفراد ومعاملاتهم كالبيع والإجارة والرهن والكفالة، وهي التي تسمّى في الاصطلاح الحديث بأحكام المعاملات المالية أو بالقانون المدنيّ.

ت) أحكام تتعلق بالقضاء والدعوى وأصول الحكم والشهادة واليمين والبينات وهي تدخل فيما يسمى اليوم بقانون المرافعات.

ث) أحكام تتعلق بمعاملات الأجانب غير المسلمين عند دخولهم إلى إقليم الدولة الإسلامية، والحقوق التي يتمتعون بها والتكاليف التي يلتزمون بها، وهذه الأحكام تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الدولي الخاص.

ج) أحكام تتعلق بتنظيم علاقات الدولة الإسلامية بالدول الأخرى في السلم

---

(١) انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان (٤٦ –٥١).

والحرب، وتدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الدولي العام.

ح) أحكام تتعلق بنظام الحكم وقواعده، وكيفية اختيار رئيس الدولة، وشكل الحكومة، وعلاقات الأفراد بها، وحقوقهم إزاءها، وهي تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الدُّستوري.

خ) أحكام تتعلق بموارد الدولة الإسلامية ومصارفها، وتنظيم العلاقات المالية بين الأفراد والدولة، وبين الأغنياء والفقراء، وهي تدخل في القانون المالي بمختلف فروعه.

د) أحكام تتعلق بتحديد علاقة الفرد بالدولة من جهة الأفعال المنهي عنها "الجرائم ومقدار عقوبة كل جريمة". . وهذه تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الجنائيّ، ويلحق بهذه الأحكام الإجراءات التي تتبع في تحقيق الجرائم وإنزال العقوبات بالمجرمين وكيفية تنفيذها، وهي تدخل فيما يسمى اليوم بقانون تحقيق الجنايات أو بقانون المرافعات الجزائية.

مقارنة بين شمول الشريعة وشمول القوانين الوضعية:

وواضح مما قدمناه أن الشريعة في شمولها تختلف مع جميع القوانين الوضعية؛ لأن شمولها كامل تامٌّ بكل معاني الكلمة، فما من حدث ولا عمل يصدر عن الإنسان، ولا علاقة تقوم بينه وبين غيره، إلا وللشريعة حكم فيها.

فأمور العقيدة والأخلاق والعبادات تدخل في نطاق شمول الشريعة ولا تدخل في نطاق تنظيم القوانين الوضعية. وحتى في نطاق العلاقات البشرية التي تنظمها القوانين الوضعية فإن الشريعة تختلف اختلافًا بيِّنًا مع القوانين الوضعية في جانب مهم جدًا ألا وهو مراعاة الأخلاق في التشريع.

فالشريعة الإسلامية راعت جانبها كل الرعاية، وسمحت لها بالتسرب إلى القواعد القانونية والامتزاج بها وإقامة الأحكام التنظيمية عليها. وهذا بخلاف القوانين الوضعية حيث إنها لا تراعي المعاني الأخلاقية؛ بل إن الأصل فيها هو الفصل بين القواعد الأخلاقية والقواعد القانونية.

ونكتفي هنا بضرب مثالٍ واحدٍ فقط ليظهر لنا مدى تمسك التشريع الإسلامي بالمعاني الأخلاقية في أدق العلاقات وأخطرها ولو ترتب على هذا التمسك تضحيات جسيمة.

يقرر الفقهاء المسلمون أن الأجنبي (غير المسلم) إذا دخل إقليم الدولة الإسلامية بأمان ولمدّة معينة لا يجوز تسليمه إلى دولته إذا طلبته خلال هذه المدة ولو على سبيل المفاداة بأسير مسلم عندها، ويبقى المنع من تسليمه قائمًا حتى لو هددت دولته الدولة الإسلامية بإعلان الحرب عليها إذا لم تسلمها إياه.

ويعلل الفقهاء هذا الحكم بأن الأجنبي دخل إقليم الدولة الإسلامية بأمان منها، فعلى الدولة الإسلامية أن تفي بعهدها له فيبقى آمنًا لا يمسه سوء، وتسليمه بدون رضاه غدرٌ منها بعهدها له لا رخصة فيه فلا يجوز في شرع الإسلام. ويبقى المنع من تسليمه وعدم إلحاق أي ضرر به حتى لو قتلت دولته جميع رعايا الدولة الإسلامية المقيمين في أرضها؛ لأن فعلها ظلم ولا مقابلة بالظلم، هكذا يقول الفقهاء. فأي مستوى رفيع بلغه التشريع الإسلامي في التزامه بالمعاني الأخلاقية في أدق الظروف وأحرج الأوقات! مما لا نجد له نظيرًا أبدًا في أي تشريع وضعي آخر لا في القديم ولا في الجديد، ولا عجب من ذلك فالشريعة الإسلامية من عند الله، وما يأتي من الله هو الحق الخالص والعدل الخالص. [1]

الثمرة الخامسة: المساواة بين البشر.

لقد أعلن محمدٌ رسول الله ﷺ وحقق عمليًّا إنسانية الإنسان، ووحدة الإنسانية، وكرامة الإنسان. . . ، والناس كلهم سواء في هذه الإنسانية، فلا شعب أعلى من شعب، ولا جنس أعظم من جنس.

إن هناك إنسانية واحدة، ترجع إلى أصل واحد، وتتجه إلى إله واحد، والهدف من اختلاف الأجناس والألوان، واختلاف الرقعة والمكان، واختلاف العشائر والآباء. . كل أولئك لم يكن ليتفرّق الناس ويختصموا، ويتحوصلوا وينعزلوا، ولكن ليتعارفوا ويتآلفوا، وتتوزع بينهم وظائف الخلافة في الأرض، ويرجعوا بعد ذلك إلى الله الذي ذرأهم في الأرض واستخلفهم فيها.

---

(١) أصول الدعوة (٥٢ – ٥٣).

وقال الله: ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ (الحجرات: ١٣).

وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (النساء: ١).

لقد انساح الإسلام في رقعة من الأرض فسيحة، تكاد تضمُّ جميع الأجناس وجميع الألوان. . وذابت كلها في النظام الإسلامي، ولم تقف وراثة لون، ولا وراثة جنس، ولا وراثة طبقة، ولا وراثة بيت، دون أن يعيش الجميع إخوانًا، ودون أن يبلغ كل فرد منهم ما تؤهله له استعداداته الشخصية، وما تكفله له صفة الإنسان.

وقال الإسلام كلمته المدوية: إن كرامة الإنسان مستمدة من إنسانيته ذاتها، لا من أي عرض آخر كالجنس، أو اللون، أو الطبقة أو الثروة أو المنصب إلى آخر هذه الأعراض العارضة الزائلة. . والحقوق الأصيلة للإنسان مستمدةٌ إذن من تلك الإنسانية التي ترجع إلى أصل واحد.

قال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾ (الإسراء: ٧٠)، وقال الله ﷻ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠)، وقال الله ﷻ: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٣٤)، وقال الله: ﷻ ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية: ١٣).

وعلم الناس منذُئذٍ: أن الإنسان – بنوعه – كريم على الله. وأن كرامته ذاتية أصيلة، لا تتبع جنسه، ولا لونه، ولا بلده، ولا قومه ولا عشيرته، ولا بيته، ولا عرضًا من هذه الأعراض الزائلة الرخيصة.

وإنما تنبع من كونه إنسانًا من هذا النوع الذي أفاض عليه ربه الكريم، ولم تكن هذه المبادئ نظرية، إنما كانت واقعًا عمليًا، تمثل في حياة الجماعة المسلمة، وانساحت به في أرجاء الأرض، فعلمته للناس، وأقرته في أوضاع حياتهم كذلك، وعلمت جمهور الناس ـ ذلك الغثاء ـ أنه كريم، وأن له حقوقًا، هي حقوق الناس، وأن له أن يحاسب حكامه وأمراءه، وأن عليه ألا يقبل الذلّ والضّيم والمهانة، وعلمت الحكام والأمراء ألا تكون لهم حقوق زائدة على حقوق الجماهير من الناس، وأنه ليس لهم أن يهينوا كرامة أحد ممن ليس بحاكم أو أمير.

وهذه بعض الأمثلة:

لما تولّى أبو بكر الخلافة، قام فخطب الناس فقال: لقد ولّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم.

وخطب عمر بن الخطاب ﷺ فقال يعلم الناس حقوقهم تجاه الأمراء:

يا أيها الناس، إني والله ما أرسل إليكم عمالًا ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا من أموالكم، ولكني أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فعل به شئ من ذلك فليرفعه إلَيَّ، فوالذي نفس عمر بيده لأُقُصَّنَّهُ منه. . . فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، أرأيتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعيته فأدب بعض رعيته، إنك لتقتص منه؟

قال عمر: إي والذي نفسي بيده لأُقُصَّنَّهُ منه، وكيف لا أقص منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه، ألا لا تضربوا الناس فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفرونهم.

وكتب عثمان ﷺكتابًا إلى جميع الأمصار قال فيه: إني آخذ عمّالي بموافقاتي كل موسم، قد سلطت الأمة على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فلايرفع على شئ ولا أحد من عمّالي إلا أعطيته، وليس لي ولا لعمّالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم، وقد رفع إلَيَّ أهلُ المدينة أنَّ أقوامًا يشتمون ويضربون.

فمنِ ادَّعى شيئًا من ذلك فليواف الموسم، يأخذ حقّه حيث كان مني أو من عمالي، أو تصدقوا إن الله يجزي المتصدقين ".

ولم تكن هذه مجرد مبادئ نظرية أو مجرد كلمات تقال، فقد طبقت تطبيقًا واقعيًا، وسرت في أوساط الشعوب حتى اتخذت قاعدة للأوضاع العملية.

وكمثال عملي على هذا الكلام هذه الحادثة:

حادثة ابن القبطي الذي سابق ابن عمرو بن العاص، فاتح مصر وواليها، فسبقه فضربه ابن عمرو، فشكا أبوه إلى عمر بن الخطاب ﷺ فأقصه منه في موسم الحج وعلى ملأ من الناس.

ولا نقف في هذه الحادثة عند عدل عمر فقط ولكن الحادثة أوسع دلالة على ذلك التيار التحريري الذي أطلق الإسلام في ضمائر الناس وفي حياتهم.

فمصر إذ ذاك بلد مفتوح، وحديث عهد بالفتح الإسلامي. وهذا القبطي لم يزل على دينه فردًا من جماهير البلد المفتوحة، وعمرو بن العاص ﷺ هو فاتح هذا الإقليم، وأول أمير عليه من قبل الإسلام، وحكام هذا الإقليم قبل الفتح الإسلامي هم الرومان، أصحاب السياط التي تجلد ظهور شعوب المستعمرات، ولعل ذلك القبطي كان ما يزال ظهره يحمل آثار سياط الرومان.

ولكن المدّ التحرري الذي أطلقه الإسلام في أنحاء الأرض، أنسى ذلك القبطيّ سياطَ الرُّومان وذُلَّها، وأطلقه إنسانًا حرًا كريمًا، يغضب لأن يضرب ابن الأمير ابنه بعد اشتراكهما في سباق. ثم تحمله هذه الغضبة لكرامة ابنه الجريحة على أن يركب من مصر إلى المدينة، لا طائرة ولا سيارة ولا باخرة ولا قطارًا، ولكن جملًا يخَبُّ به ويضَعُ الأشهرَ الطُّوال كل ذلك ليشكو للخليفة.[1]

وإليك نماذج من توجيهات النبي ﷺ في هذا الباب:

عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : " كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ،

---

(١) انظر: الرسول ﷺ، سعيد حوى (٢/ ١٧٧).

لَيَنْتَهِيَنَّ قَوْمٌ يَفْخَرُونَ بِآبَائِهِمْ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجُعْلَانِ". (١)

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ: لَطَمْتُ مَوْلًى لَنَا فَهَرَبْتُ ثُمَّ جِئْتُ قُبَيْلَ الظُّهْرِ، فَصَلَّيْتُ خَلْفَ أَبِي فَدَعَاهُ وَدَعَانِي ثُمَّ قَالَ: امْتَثِلْ مِنْهُ فَعَفَا، ثُمَّ قَالَ: كُنَّا بني مُقَرِّنٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْسَ لَنَا إِلاَّ خَادِمٌ وَاحِدَةٌ فَلَطَمَهَا أَحَدُنَا فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِي ﷺ فَقَالَ " أَعْتِقُوهَا ". قَالُوا: لَيْسَ لَهُمْ خَادِمٌ غَيْرُهَا قَالَ " فَلْيَسْتَخْدِمُوهَا فَإِذَا اسْتَغْنَوْا عَنْهَا فَلْيُخَلُّوا سَبِيلَهَا ". (٢)

عن المعرور بن سُويد قال: رأيت أبا ذرٍّ رضي الله عنه وعليه حُلَّة وعلى غلامه مثلها فسألته عن ذلك؟ قال: فذكر أنه سَبَّ رجلًا على عهد رسول الله ﷺ فعيَّره بأُمِّه قال: فأتى الرجلُ النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له فقال ﷺ: " إنك امرؤٌ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم؛ فإن كلَّفتُمُوهم فأعينوهم عليه". (٣)

عن جابر بن عبد الله قال: كان عمر رضي الله عنه يقول: أبو بكر رضي الله عنه سيدُنا وأعتق سيدَنا. يعني بلالًا. (٤)

فهذه ثمرة من ثمرات محمد رسول الله ﷺ وهي ثمرة ما كانت لولا أنه رسول الله ﷺ.

الثمرة السادسة: العدل.

وهذه ثمرة أخرى من ثمار دعوة النبي محمد ﷺ تشهد أنه رسول الله ﷺ، ولولا ذلك ما كانت، وهي ثمرة العدل الذي ما عرف التاريخ له مثيلًا.

وسنختار حوادث من حياة رسول الله ﷺ والصحابة الذين رباهم، نرى فيها كيف ارتفعت النفس البشرية بمحمد ﷺ وبهديه إلى آفاق أعلى ما يطمح إليه الطامحون على مدى الأزمان والأجيال، ونرى بذلك كيف أن القرآن كان واقعًا حيًا متمثلًا بهذا الجيل

---

(١) رواه البزار (٢٩٣٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٦٩٧).

(٢) رواه مسلم (١٦٥٨).

(٣) رواه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

(٤) رواه البخاري (٣٧٥٤).

الفريد، وكيف أن القرآن يرفع الإنسان إلى أعلى آفاق الإنسانية.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء: ١٣٥) وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٨).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: ٥٨).

وإليك بعضًا من هذه الأمثلة:

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يتقاضاه دينًا كان عليه. فاشتد عليه حتى قال له: أُحَرِّج عليك إلا قضيتني. فانتهره أصحابه وقالوا: ويحك تدري من تكلّم؟ قال إني أطلب حقّي. فقال النبيّ: ﷺ هلاّ مع صاحب الحق كنتم؟ ثم أرسل إلى خولة بنت قيس فقال لها: إن كان عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا تمرنا فنقضيك، فقالت: نعم بأبي أنت يا رسول الله. قال: فأقرضته. فقضى الأعرابي وأطعمه، فقال: أوفيتَ أوفى الله لك. فقال: " أولئك خيارُ الناس؛ إنه لا قُدِّست أمةٌ لا يأخذ الضعيفُ فيها حقه غير متعتع. "[1]

أي: من غير أن يصيبه أذى يقلقه.

٢- وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه: أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلوّن وجه رسول الله ﷺ فقال: " أتكلّمني في حد من حدود الله ". قال أسامة: استغفر لي يا رسول الله. فلما كان العشيّ قام رسول الله ﷺ خطيبًا فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: " أمّا بعد؛

(١) رواه ابن ماجه (٢٤٢٦)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٩٦٩).

فإنّما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعتُ يدها". ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها، فحسنت توبتُها بعد ذلك، وتزوّجت قالت عائشة: فكانت تأتي بعدَ ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ. [١]

٣- عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ : أن أبا بكر الصديق ﷺقام يوم جمعة فقال: إذا كان بالغداة فاحضُروا صدقات الإبل تقسّم ولا يدخل علينا أحدٌ إلاَّ بإذن، فقالت امرأة لزوجها: خُذْ هذا الخطام لعل الله يرزقنا جملًا، فأتى الرجل فوجد أبا بكر وعمرﷺ قد دخلوا إلى الإبل فدخل معهما فالتفت أبو بكرﷺ فقال: ما أدخلك علينا؟ ثم أخذ منه الخطام فضربه، فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا بالرجل فأعطاه الخطام وقال: استقِد فقال له عمرﷺ: والله لا يستقيد، لا تجعلها سنة. قال أبو بكر: فمن لي من الله يوم القيامة؟ فقال عمر ﷺ: أَرْضِه، فأمر أبو بكر الصديقﷺ غلامه أن يأتيه براحلته ورحلها وقطيفة وخمسة دنانير فأرضاه بها. [٢]

٤- عن جابر بن عبد الله أنه قال: أفاء الله ﷻخيبر على رسول الله ﷺ فأقرهم رسول الله ﷺ كما كانوا، وجعلها بينه وبينهم، فبعث عبد الله بن رواحة ﷺ فخرصها عليهم ثم قال لهم يا معشر اليهود: أنتم أبغض الخلق إليَّ، قتلتم أنبياء الله ﷻ، وكذبتم على الله، وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم. قد خرصت عشرين ألف وسق من تمر فإن شئتم فلكم وإن أبيتم فلي. فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض قد أخذنا فاخرجوا عنا. [٣]

٥- عن الشعبي قال: كان بين عمر وأُبيّ -رضي الله عنهما- خصومة. فقال عمر: اجعل بيني وبينك رجلًا، قال فجعلا بينهما زيد بن ثابت، قال فأتوه، فقال عمر: ﷺأتيناك

---

(١) رواه البخاري (٣٤٥٧).

(٢) سنن البيهقي الكبرى (٨/ ٤٩).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٣٦٧)، وإسناده على شرط مسلم.

لتحكم بيننا وفي بيته يؤتى الحكم. قال: فلما دخلوا عليه أجلسه معه على صدر فراشه. فقال: هذا أول جَوْر جُرْتَ في حكمك، أجْلسني وخصمي مجلسًا، قال فقصا عليه القصة، قال: فقال زيد لأُبَيّ: اليمين على أمير المؤمنين فإن شئت أعفيته. قال: فأقسم عمرﷺ على ذلك ثم أقسم له لا تدرك باب القضاء حتى لا يكون لي عندك- على أحدٍ- فضيلة. (١)

٦- كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى فيروز الدّيلمي: أما بعد: فقد بلغني أنه قد شغلك أكل اللباب بالعسل، فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم على بركة الله، فاغزُ في سبيل الله فقدم فيروز فاستأذن على عمرﷺ فأذن له فزاحمه قوم من قريش، فرفع فيروز يده فلطم أنف القرشي، فدخل القرشيُّ على عمرﷺ مستدمي فقال له عمر: من فعل بك؟ قال: فيروز وهو على الباب، فأذن لفيروز بالدخول فدخل فقال: ما هذا يا فيروز؟ قال: يا أمير المؤمنين إنا كنا حديث عهد بملك، وإنك كتبت إليَّ ولم تكتب إليه، وأذنت لي بالدخول ولم تأذن له، فأراد أن يدخل في إذني قبلي فكان مني ما قد أخبرك. قال عمر: القصاص قال فيروز: لا بد؟ قال: لا بد .قال: فجثا فيروز على ركبتيه وقام الفتى ليقتص منه فقال له عمر: على رسلك أيها الفتى حتى أخبرك بشئ سمعته من رسول الله ﷺ ، سمعت رسول الله ﷺ ذات غداة يقول: قُتل الليلة الأسودُ العنسيُّ الكذَّابُ، قتلهُ العبدُ الصَّالحُ فيروزُ الدَّيلمي، أفتراك مقتصًّا منه بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال الفتى: قد عفوت عنه بعد إذ أخبرتني عن رسول الله ﷺ بهذا. فقال فيروز لعمر: فترى هذا مخرجي مما صنعت إقراري له وعفوه غير مستكره؟ قال نعم: قال فيروز: فأشهدك أن سيفي وفرسي وثلاثين ألفًا من مالي هبة له. قال: عفوتَ مأجورًا يا أخا قريش وأخذتَ مالًا. (٢)

٧- عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: مر عمر بن الخطاب ﷺفي السوق ومعه الدِّرَّة فخفقني بها خفقة، فأصاب طرف ثوبي فقال: أَمِط عن الطريق! فلما كان في العام المقبل

---

(١) رواه علي بن الجعد في مسنده (١٧٢٨)، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٤٤).

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٩/ ٢٣).

لقيني فقال يا سلمة: تريد الحج؟ فقلت: نعم، فأخذ بيدي فانطلق بي إلى منزله فأعطاني ستمائة درهم، وقال: استعن بها على حجّك، واعلم أنها بالخفقة التي خفقتك، قلت: يا أمير المؤمنين ما ذكرتها؛ ؛ قال: وأنا ما نسيتها.[1]

إن هذا العدل الذي رأينا بعض نماذجه فيما مضى، إنما كان وليدَ دعوة الرسول ﷺ وإلا فإن العرب قبل ذلك كان شعارهم "انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا " وكان هذا على ظاهره، بمعنى أنه ينصر أخاه فعلًا إن كان ظالمًا بأن يعينه على ظلمه، أما الإسلام فقد صحح هذا المفهوم المعكوس وقرر بأن معنى النصر للظالم هو أن تأخذ على يديه، وتمنعه من ظلمه لا أن تعينه على الظلم.

وعلى الرغم من تضاؤلِ جيل الصحابة بالنسبة لرقعة الأرض المفتوحة، فإن قوة الحياة التي صبتها تربية الرسول ﷺ في قلوب الأصحاب، كانت كافية لأن تجعل الأمور تمشي في طريقها المستقيم.

وحتى بعد ذلك، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فإن قضاة الإسلام المتحققين بالإسلام علمًا وعملًا هم الذين يضربون المثل الأعلى في العدل الربَّاني، الذي يتضائل جانبَهُ كلُّ قضاء.

الثمرة السابعة: الطاعة والانقياد.

تمهيد:

وهذه ثمرة جديدة من ثمار نبيّنا محمد ﷺ ، تشهد أنها ثمرة نبيّ ونبوة، هي الطاعة المبصرة، وذلك أن العرب شعب لم يتربَّ على طاعة أحد، ولم يتربّ على نظام ولا انضباط، وليس لديه مفهوم عن الولاء لحكومة ما، أو الخضوع لها، وأما غير العرب فالأمر عندهم مختلف، طاعةٌ عمياء لملوكهم ومرؤوسيهم في كل شيء، إذا أمروا بالشيء كان خيرًا، وإذا نهوا عنه كان شرًا، لا يقال لهم لا، ولا يحاسبون ولا يراقبون.

وحدث شيء اهتز العالم له ألا وهو: بعثة النبي محمد ﷺ التي قلبت الأمة التي لا

---

(١) رواه الطبري في تاريخه (٢/ ٥٧٨).

تعرف النظام أصبحت منظمة، والتي لا تعرف الطاعة أصبحت مطيعة، ولكنها طاعة من نوع فريد جديد، طاعة للحق لا بالباطل، بالعدل لا بالظلم، لمن يستحق الطاعة لا لمن لا يستحقها، فكان ذلك فتحًا جديدًا في تاريخ الوعي عند الشعوب، لدرجة أن العربي الذي كان يتعصّب لقريبه وينصره وإن كان على الباطل ولا يطيع فيه أحدًا أبدًا، صار على ابن عمه إذا كان على الباطل، ويطيع فيه أبعد الناس نسبًا عنه في الحق. والذي كان أبعد الناس عن الانضباط، صار أكثرَ الناس انضباطًا، ومن قرأ تاريخ العرب في الجاهلية، عرف الفارق الكبير بين ذلك الواقع وواقعهم بعد.

وهذه أمثلة من واقعهم بعد تربية الرسول ﷺ إيّاهم:

١ - عن عاصم بن عمر بن قتادة: أن عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ بن سلول أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إنه قد بلغني أنك تريد قتلَ عبد الله بن أُبيّ فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلًا فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمتِ الخزرج ما كان بها رجل أبرّ بوالده منّي، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبيّ يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنًا بكافر فأدخل النار. فقال رسول الله ﷺ : " بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا ". (١)

٢- ولما رأى سعدُ بنُ معاذ كثرةَ استشارة النبي ﷺ لأصحابه ظن سعدٌ أنه يستنطق الأنصار شفقًا أن لا يستحوذوا معه أو قال: أن لا يستجلبوا معه على ما يريد، فقال: لعلك يا رسول الله تخشى أن لا يكون الأنصار يريدون مواساتك. ولا يرونها حقًّا عليهم إلا بأن يروا عدُوًّا في بيوتهم وأولادهم ونسائهم. وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فاظْعن حيث شئت، وصِلْ حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذته منا أحب إلينا مما تركته علينا، فوالله لو سرت حتى تبلغ البرك من غمد ذي يمن لسرنا معك. (٢)

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/ ١١٠).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام (١/ ١٨٦).

٣- وعن كعب بن مالك ﷺ في قصة الثلاثة الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك فيقول فيها:

ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيُّها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبَنَا الناس، وتغيّروا لنا، حتى تنكرتْ في نفسي الأرض، فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأمَّا صاحباي فاستكانا، وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنتُ أشبَّ القوم وأجلدَهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحدٌ، وآتي رسول الله ﷺ فأسلِّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرّك شفتيه بردّ السلام عليّ أم لا؟ ثم أصلي قريبًا منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني، حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس مشيتُ حتى تسورتُ جدارَ حائط أبي قتادة - وهو ابن عمي - وأحبُّ الناس، إليّ، فسلَّمتُ عليه فوالله ما ردَّ عليّ السلامَ، فقلت: يا أبا قتادة أنشدُك بالله هل تعلمني أحبّ الله ورسوله؟ فسكتَ، فعدتُّ له فنشدتُّه فسكتَ، فعدتُّ له فنشدتُّه فقال: الله ورسوله أعلم؛ ففاضت عيناي وتوليتُ حتى تسورتُ الجدار.

قال: فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نِبطيٌّ من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلُّ على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إلي كتابًا من ملك غسان؛ فإذا فيه أمّا بعد: فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضِيعة فَالْحَق بنا نُواسِك. فقلت لما قرأتها: وهذا أيضا من البلاء فتيممت بها التَّنُّور فسجّرته بها، حتى إذا مضت أربعون ليلةً من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت: أُطَلِّقُها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تقربها. وأرسل إلى صاحبيَّ مثل ذلك فقلت لامرأتي: الْحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضيَ الله في هذا الأمر.[1]

---

(١) رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

٤- وللعرب ولع بالخمر تتحدث عن معاقرتها والاجتماع على شربها الشعراء، وشغلت جانبًا كبيرًا من شعرهم وتاريخهم وأدبهم، وكثرت أسماؤها وصفاتها في لغتهم، وكثر فيها التدقيق والتفصيل كثرةً تدعو إلى العَجَب، وكانت حوانيت الخَمَّارين مفتوحةً دائمًا يرفرف عليها علمٌ يسمى غايةً، وشاعت تجارتها عندهم حتى أصبحت كلمةُ التجارة مرادفةً لكلمة بيع الخمر، ومع هذا كله فما يكاد تحريم الخمر ينزل حتى انتهت أمر الخمر من أرض العرب.

فعن ابن بريدة عن أبيه قال: بينما نحن قُعودٌ على شراب لنا (ونحن على رمْلة، ونحن ثلاثةٌ أو أربعةٌ وعندنا بَاطيةٌ لنا) ونحن نشربُ الخمر -حِلًّا- إِذْ قمتُ حتى آتي رسولَ الله ﷺ فأسلمَّ عليه وقد نزل تحريم الخمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ (المائدة: ٩٠، ٩١) فجئت إلى أصحابي فقرأتها عليهم إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾؟ قال: وبعض القوم شَربته في يده، قد شرب بعضًا وبقي بعضٌ في الإناء، فقال بالإناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجَّام ثم صبُّوا ما في باطيتهم، فقالوا: انتهينا ربَّنا! انتهينا ربَّنا. [1]

الثمرة الثامنة: مسئولية كل فرد عن عمله.

تمهيد:

صُور من عدم تحمل المسؤولية ونتائجها.

١ـ في العقيدة النصرانية:

يعتقد النصارى بأن الإنسان خاطئٌ منذ ولادته؛ لأن أباه آدم قد ارتكب الخطيئة، وأن المسيح عليه السلام صلب -حسب زعمهم- حتى يُكَفِّرَ عن البشر خطاياهم فهو قد تحمل خطايا البشر، وهذا يعني أن الإنسان مسئول عن أعمال غيره وليس مسئولًا عن أعماله هو، وبين

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٧٢) عند تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩١).

هذا وذاك تضيع المسؤولية الفردية التي بها يحس الإنسان أنه مسئول عن أعماله فقط صغيرها وكبيرها، وليس مسئولًا عن عمل غيره بتاتًا.

ويترتب على هذا أمران خطيران:

الأول: أن الإنسان غيرُ طاهر القلب والنفس بسبب الخطيئة.

الثاني: أنه مادام غيره مسئولًا عن ذنوبه فلن يبالي بهذه الذنوب.

٢ـ عند البراهمة والبوذيين والجينيين:

وهؤلاء عندهم عقيدةٌ غريبةٌ جدًّا ألا وهي عقيدة " تناسخ الأرواح " وخلاصة هذه العقيدة هي أن الروح بعدما تفارق الجسد في هذه الدنيا فإنها تنتقل إلى جسد آخر في هذه الدنيا نفسها، ولا يكون هذا الجسد الثاني إلا متفقًا مع الحياة التي كان قد سار بها الجسد الأول.

فإن كانت أعمالُه وأفكاره، وميولُه، وعواطفُه سيئةً، فإنَّ رُوحَهُ سوف تنتقل إلى طبقة مبتذلة من طبقات الحيوانات أو النباتات. وأما إن كانت أعماله وأفكاره وميوله صالحةً، فإن روحه سترتقي إلى طبقة من الطبقات العليا.

فهذه العقيدة مقتضاها أنني أنا الإنسان الحالي، تنبع إنسانيتي من سلوك غيري، وحصيلة لسلسلة طويلة من أعمال المخلوقات قبلي، وهذه المخلوقات السابقة عليَّ، هي أنا وأنا بأعمالي الحاضرة سأكون بالتالي نباتًا أو حيوانًا أو إنسانًا، فماذا ينتج عن هذه العقيدة أيضًا؟

ينتج عنها أمران:

١-سينتج عنها شعور لدى الإنسان بأن الحيوان والنبات والإنسان سواءٌ في ميزان الوجود؛ إذ الحيوان كان إنسانًا والنبات كان حيوانًا، ويترتب على هذا أنه لا يجوز إيذاء الحيوان ولا النبات ولا الإنسان حتى ولو آذاني الإنسان، مما ينتج عن هذا بالطبع تشتُّتٌ شديد بين هذا وذاك.

٢-كما ينتج عن هذه العقيدة رهبانية مميتة عمليًّا؛ إذ إن أهل هذه العقيدة يعتقدون أن الشهوة هي أصل كل فساد في الأرض، وهي التي تلوِّث الروح بالذنوب والآثام. . . ،

فالإنسان إذا أَوْدى بها، وقضى عليها، ولم يشغل نفسه بمشاغل الدنيا وشواغبها، فلروحه أن تنال الخلاص من دورة التناسخ.

ويقولون: ليست هناك سبل أخرى للتخلص من دورة التناسخ غير هذه؛ لأنه من المحال إذا انشغل الإنسان بمشاغل الدنيا وشواغبها وشؤونها الخلاَّبة أن يأمن على نفسه الافتتان بالدنيا، والاسترسال وراء شهواتها وملاهيها، والنتيجة اللازمة لذلك – يقولون – إن من أراد لنفسه الخلاص من دورة التناسخ فعليه أن ينعزل عن الدنيا، ولا يسكن إلا في الغابات، ورؤوس الجبال وكهوفها، وإن لم يفعل ذلك فعليه أن ييأس من الخلاص من دورة التناسخ، ويستعد للانضمام إلى طبقات الحيوانات والنباتات.

فالناس نتيجة لذلك إما أن يسلكوا الطريق المرسوم للخلاص من دورة التناسخ بزعمهم فتفنى البشرية كلها لو سلكت هذا الطريق.

وإما إنسان لن يمشي في هذا الطريق وهو بالتالي لا يبالي لأنه ليس مسئولًا عن حاضره ولا يهمه مستقبله. (1)

تظهر فكرة انعدام المسئولية الفردية عند البشرية بصورة أخرى، كلها غير معقول:

فتظهر بصورة أخذ الثأر من أي قريب للقاتل، وتظهر بصورة الإيمان بأن الإنسان غيرُ مسئول أمام أحد عند الملحدين الفوْضَوِيِّين، وتظهر بصورة أن الإنسان مسئُولٌ أمام القانون فقط، فإذا استطاع أن يهرب من عين القانون فعل ما شاء.

٣ـ عند اليهود:

وهناك صورة أخرى تنعدم فيها المسؤولية موجودة عند اليهود، فاليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار، الذي غفر له كل شئ، فمهما فعلوه من جرائم أو مآس أو مفاسد أو مظالم، فإن خصوصيتهم هذه تجعلهم بمنجاة من العذاب، فأنَّى يؤفكون؟!.

هذه بعض الصور التي كانت ولا زالت موجودة إلى اليوم بين بني آدم عليه السلام.

---

(١) انظر: الحضارة الإسلامية أسسها ومبادؤها/ أبو الأعلى المودودي.

فيا تُرى ماذا فعل محمد ﷺ بالوحي الذي أنزل إليه؟ هل غيَّر هذا المفهوم أم بقي كما هو بدون تغيير؟

لقد كان الإعلان الذي أعلنه الإسلام؛ هو أن الإنسان لا يتحمل إلا مسؤولية أعماله وحده، فلا يتحمل مسؤُولية ذنب جَدٍّ، ولا مسؤولية ذنب أخ وعم، إلا إذا كان له علاقة في الموضوع، وأن الجيل اللاحق لا يتحمل أوزار الجيل السابق، وإنما الإنسان مسئولٌ عن أعماله وحدَهُ صغيرِها وكبيرِها أمام الله في الآخرة.

قال ﷻ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (فاطر: ١٨).

وقال النبيﷺ: " أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ. "(١)

وخاطب القرآن الناس ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ (النساء: ١٢٣).

فأصبح المسلم يحاسب نفسه على الصغيرة والكبيرة، حتى قال قائل المسلمين: كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام ".

ونادي النبي ﷺ فقال حين أنزل الله ﷻ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ (الشعراء: ٢١٤) " يا معشر قريش - أو كلمةً نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما

(١) رواه البخاري (٥١٨٨)، مسلم (٤٨٢٨)، واللفظ له. عن ابن عمر رضي الله عنهما.

شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا). [١]

وهكذا أصبح سلوك الإنسان مستقيمًا، وتحرر ضميره من التواكل على الآخرين، وبذلك لم يعد الإنسان غير مبال في أمر الخطيئة، واستقلت شخصيته استقلالًا تامًا. [٢]

الوجه السابع: الكرامات التي ظهرت على يد أصحاب النبي ﷺ والتابعين.

تمهيد:

اعلم أن غرضنا في إثبات هذا الفصل شيئان:

الأول: أن نبيّن أن ما ظهر على يد أصحابه وعلى أهل دينه من الكرامات هو آية لرسول الله ﷺ من أعظم الآيات؛ وذلك أن الله تعالى إذا أكرم واحدًا منهم؛ بأن خرق له عادة فإن ذلك يدل على أنه على الحق، وأن دينه حق؛ إذ لو كان مبطلًا في دينه، متبعًا لمبطل في دعواه، كاذب في قوله على الله، لما أكرمه الله، ولا أكرم من اتبع دينه.

فعلى هذا نقول إن كُلّ كرامة لوليّ إنما هي آية للنبيّ الذي يتبعه ذلك الوليّ.

الثاني: أن أصحاب رسول الله ﷺ وإن كانوا قد أكرمهم الله بكرامات خارقةٍ للعادات؛ فلا يعتقد فيهم أنهم أنبياء كما فعلت النصارى بالحواريين، بل يعتقد فيهم أنهم أولياء الله وأصحاب رسول الله ﷺ تلقّوا عن رسول الله ﷺ شرعه، وبلّغوا عنه قوله وفعله؛ فبذلوا في إظهار دين الله أنفسهم وأموالهم، حتى أظهر الله على كل الأديان دينهم وإيمانهم، كما قال الله تعالى فيهم ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ (الفتح: ٢٩). [٣]

---

(١) رواه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٤) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الرسول ﷺ، سعيد حوي (٤١١- ٤١٢).

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (٣٨١ - ٣٨٢).

أولا: بعض الكرامات التي أكرم الله بها صحابة النبي ﷺ:

١- نصرتهم على عدوهم من جميع الأجناس بعد موت نبيهم ﷺ، رغم قلة عَدَدهم وعُدَّتهم. ومن وقف على فتوحات الشام علم أن دين الحق هو دين الإسلام، فلقد اجتمع عليهم من عدوهم بالشام ثلاثُمائةِ ألفٍ ونحوها؛ بل قد قال الواقدي ثمانمائة ألف من النصارى المستعربة، وغيرهم وهم زهاء ثلاثين ألفًا بخيلهم ورجِلهم، فقارعوهم مقارعة الكرام، وصبروا صبر من صدق ما وعده به نبيه محمد ﷺ، فأظفرهم الله عليهم ومنحهم رقابهم، وأورثهم أموالهم وديارهم.

وهكذا فعل الله معهم غيرَ مَا مرَّةٍ، ولا يشك في أن هذا كرامةٌ من الله لهم، وأمرٌ خارق للعادة في حقهم، فإن العادة أن مَن أكثر من مقارعة الشجعان فلا بد له من أن يصاب، ولو في وقت من الزمان، وما اتفق لهم، وإن كان كرامة لهم فهو آية لرسول الله ﷺ وأنه قد كان بَشَّرَهُمْ بذلك وأخبرهم بكل ما طرأ لهم هنالك.

فقد ثبت عن أبي سعيد الخدري ﵁: عن النبي ﷺ قال: "يَأْتِي زَمَانٌ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ ؟ فَيُقَالُ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ فَيُقَالُ: فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ أَصْحَابَ النَّبِيَّ ﷺ ؟فَيُقَالُ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ، ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ فَيُقَالُ: فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ صَاحِبَ أَصْحَابِ النَّبِيَّ ﷺ ؟فَيُقَالُ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ". (١)

وأيضا حدثت كرامات لآحاد الصحابة ﷺ، لا ينقضي العجب منها:

٢- أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ؛ إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ فَقَرَأَ ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا قَالَ: فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. . . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ " تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ

---

(١) رواه البخاري (٢٧٤٠) ومسلم (٢٥٣٢).

يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ ". [(١)]

٣- وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين رضي الله عنه. [(٢)]

٤- وكان سلمان وأبو الدرداء رضي الله عنهما يأكلان في صحفة فسبّحت الصحفة أو سبّح ما فيها.

٥- وعباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فأضاء لهما نورٌ مثلُ طرفُ السّوط فلما افترقا افترق الضوء معهما. [(٣)]

٦- وقصة الصّديق رضي الله عنه في الصحيحين (لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته وجعل لا يأكل لقمة إلا رَبا من أسفلها أكثرُ منها فشبِعوا وصارت أكثر مما هي قبل ذلك فنظر إليها أبو بكر وامرأته فإذا هي أكثر مما كانت فرفعها إلى رسول الله ﷺ وجاء إليه أقوامٌ كثيرون فأكلوا منها وشَبعوا). [(٤)]

٧- وخُبَيب بن عديّ رضي الله عنه: كان أسيرًا عند المشركين بمكّة ـ شرّفها الله تعالى- وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة. [(٥)]

٨- وعامر بن فهيرة رضي الله عنه: قُتِل شهيدًا فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه، وكان لما كان قتل رفع فرآه عامر بن الطفيل رضي الله عنه وقد رفع، وقال عروة: فيرون الملائكة رفَعَتْهُ. [(٦)]

---

(١) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (١٨٩٥) عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم (١٢٢٦).

(٣) رواه البخاري (٤٦٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٥٧٩٠)؛ ومسلم (٢٠٥٧)، واللفظ له عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما.

(٥) رواه البخاري (٣٠٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٦) رواه البخاري (١٠٩٣) عن عائشة رضي الله عنها. وفيه: لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر ابن الطفيل: من هذا فأشار إلى قتيل؟ فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة فقال: لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع.

٩- وسفينة مولى رسول الله ﷺ : أخبر الأسدَ بأنه رسولُ رسولِ الله ﷺ فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده. (١)

١٠- والبراء بن مالك رضي الله عنه: كان إذا أقسم على الله تعالى أبرَّ قسَمه، وكانت الحربُ إذا اشتدّت على المسلمين في الجِهاد يقولون: يا براءُ! أقسم على ربك فيقول: يا ربّ! أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم، فيهزم العدو، فلما كان يوم القادسية قال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وجعلتني أول شهيدٍ، فمنحوا أكتافهم وقُتِل البراء شهيدًا. (٢)

١١- وخالد بن الوليد رضي الله عنه: حاصرَ حصنًا منيعًا، فقالوا: لا نسلم حتى تشرب السُمّ فشربه فلم يضره. (٣)

١٢- وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: كان مستجاب الدعوة، ما دعا قطُّ إلا استجيب له، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق. (٤)

١٣- وعمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما أرسل جيشًا أمَّر عليهم رجلًا يسمى سارية، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر: يا ساريةُ! الجبلَ، يا ساريةُ! الجبلَ، فقدم رسول الجيش فسأله؛ فقال: يا أمير المؤمنين! لقينا عدونا فهزمونا فإذا بصائح: يا ساريةُ الجبلَ، يا ساريةُ الجبلَ، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله. (٥)

١٤- ولما عذبت الزنيرة على الإسلام في الله، فأبت إلا الإسلام وذهب بصرها، قال

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣٩٨٤). وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الترمذي (٣٨٥٤) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأ بره، منهم البراء بن مالك. وقال: هذا حديث صحيح حسن من هذا الوجه، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (٣٠٢٨).

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده (١٣/ ١٠٩/ ٧١٨٦)، وإسناده منقطع.

(٤) رواه البخاري (٧٥٥) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٥) رواه ابن الأثير في أسد الغابة (١/ ٨٢٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١١٠).

المشركون: أصاب بصرها اللات والعزى. قالت: كلا والله، فرد الله عليها بصرها. (١)

١٥- والعلاء بن الحضرمي رضي الله عنه كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين وكان يقول في دعائه: يا عليم يا حليم، يا علي يا عظيم، فيستجاب له، ودعا الله بأن يسقوا ويتوضئوا لما عدموا الماء والإسقاء فأجيب. ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم فمروا كلهم هو والعسكر بخيولهم على الماء ما ابتلت سرج خيولهم. ودعا الله أن لا يروا جسده إذا مات فلم يجدوه في اللحد. (٢)

ثانيًا: كرامات التابعين:

وجرى لأبي مسلم الخولاني الذي ألقي في النار، أنه مشى هو ومن معه من المعسكر على دجلة وهي ترمي بالخشب من مدها، ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل تفقدون من متاعكم شيئًا حتى أدعو الله عز وجل فيه؟ فقال بعضهم: فقدت مخلاة، فقال: اتبعني فتبعته فوجدها قد تعلقت بشيء فأخذها. (٣)

وطلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع. قال: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، فأمر بنار فألقي فيها فوجدوه قائمًا يصلي فيها وقد صارت عليه بردًا وسلامًا.

وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- وقال: الحمد لله الذي لم يُمِتني حتى أرى من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله.

ووضعت له جاريته السم في طعامه فلم يضره.

---

(١) ذكره ابن حجر في الإصابة (٧/ ٤٦٦).

(٢) أشار إليها ابن حجر في الإصابة (٤/ ٤٥١/ ٦٥٤٦) وقال: وكان يقال إنه مجاب الدعوة، وخاض البحر بكلمات قالها وذلك مشهور في كتب الفتوح.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٢٠).

وخبَّبَت امرأةٌ عليه زوجته فدعا عليها فعميت وجاءت وتابت فدعا لها فردّ الله عليها بصرها.(١)

٢- وكان عامر بن عبد قيس رضي الله عنه يأخذ عطاءه ألفي درهم في كُمِّه، وما يلقاه سائل في طريقه إلا أعطاه بغير عدد، ثم يجيء إلى بيته فلا يتغير عددها ولا وزنها.

ومر بقافلة قد حبسهم الأسد فجاء حتى مس بثيابه الأسد ثم وضع رجله على عنقه وقال: إنما أنت كلب من كلاب الرحمن، وإني أستحيي من الله أن أخاف شيئًا غيره، ومرت القافلة.

ودعا الله تعالى أن يهون عليه الطهور في الشتاء فكان يؤتى بالماء له بخار، ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة فلم يقدر عليه.(٢)

٣- وتغيب الحسن البصري عن الحجاج فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله عز وجل فلم يروه، ودعا على بعض الخوارج - كان يؤذيهم - فخر ميتًا.

٤- وصِلة بن أشيم مات فرسه وهو في الغزو فقال: اللهم لا تجعل لمخلوق عليَّ مِنّة، ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه، فلما وصل إلى بيته قال: يا بني خذ سرج الفرس فإنه عاريّة، فأخذ سرجه فمات الفرس. وجاع مرة بالأهواز فدعا الله عز وجل واستطعمه فوقعت خلفه دوخلة رطب في ثوب حرير، فأكل التمر وبقي الثوب عند زوجته زمانًا.

وجاءه الأسد وهو يصلي في غيضه بالليل، فلما سلم قال له: اطلب الرزق من غير هذا الموضع فولّى الأسدُ وله زئير.(٣)

٥- عن سعيد بن عبد العزيز قال: لما كان أيام الحرَّة لم يؤذّن في مسجد النبي ﷺ ثلاثًا، ولم يقم ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبي ﷺ.(٤)

---

(١) المصدر السابق (٥/ ١٢١).

(٢) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ١٤٣).

(٣) المصدر السابق (٣/ ١٥٢).

(٤) رواه الدارمي (٩٣).

٦- وكان عمرو بن عتبة بن فرقد يصلي يومًا في شدة الحر فأظلَّته غمامة، وكان السبع يحميه وهو يرعى ركاب أصحابه؛ لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو أنه يخدمهم.(١)

٧- وكان مطرِّف بن الشِّخِّير إذا دخل بيته سبّحت معه آنيته. وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة، فأضاء لهما طرفُ السَّوط.(٢)

٨- ولما مات الأحنف بن قيس وقعت قَلنسوة رجل في قبره فأهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسح فيه مدّ البصر.

٩- وكان إبراهيم التيمي يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئًا.(٣)

١٠- وكان عتبة الغلام سأل ربه ثلاثَ خصالٍ: صوتًا حسنًا، ودمعًا غزيرًا، وطعامًا من غير تكلف، فكان إذا قرأ بكى وأبكى، ودموعُه جاريةٌ دهرَه، وكان يأوي إلى منزله فيصيب فيه قُوتَه ولا يدري من أين يأتيه.(٤)

١٣- وكان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج فسأل ربه أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء فكان وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه ثم تعود بعدها.(٥)

الوجه الثامن: البشارات بالنبي ﷺ في الكتاب المقدس.

شروط صحة النبوة:

- النبوة لا تصح إلا ممن أرسله الله تعالى بوحي منه، فصحتها معتبرةٌ بثلاثة شروط تدل على صدقه ووجوب طاعته:

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٤٧) بدون اشتراط الخدمة.

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٥٧ - ١٥٩).

(٣) المصدر السابق.

(٤) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٦٥).

(٥) ذكره ابن تيمية في الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان١/ ٨٧، وانظر: صفة الصفوة لابن الجوزي (٣/ ٣٢٤)، وانظر شيئًا من هذه الكرامات في: الإعلام... للقرطبي (٣٨١- ٣٨٤)

أحدها: أن يكون مدَّعِي النبوة على صفات يجوز أن يكون مؤهلًا لها لصدق لهجته، وظهور فضله وكمال حالته، فإن اعتوَره نقص أو ظهر منه كذب، لم يجز أن يؤهل للنبوة.

الشرط الثاني: إظهارُ معجزٍ يدل على صدقه، ويعجز البشر عن مثله، لتكون مضاهيةً للأفعال الإلهية، وليعلم أنها منه فيصح بها دعوى رسالته؛ لأنه لا يظهرها من كذب عليه، ويكون المعجز دليلًا على صدقه، وصدقه دليلًا على صحة نبوته، وليس بعد إعجاز القرآن إعجاز.

الشرط الثالث: أن يقرن بالمعجزة دعوى النبوة، فإن لم يقترن بالمعجزة دعوى، لم يصبح بظهور المعجزة نبيًا؛ لأن المعجزة تدل على صدق الدعوى فكان صفة لها، فلم يجز أن نثبت الصفة قبل وجود الموصوف، فإن تقدم ظهور المعجز على دعوى النبوة كان تأسيسًا للنبوة، ككلام عيسى عليه السلام في المهد تأسيسًا لنبوته، فاحتاج مع دعوى النبوة إلى إحداث معجزة يقترن بها ليدل على صدقه فيها. [1]

وسنتحدث بإذن الله تعالى في هذا الباب حول أدلة إثبات نبوة النبي محمد ﷺ.

أولًا: البشارات بالنبي ﷺ في الكتاب المقدس.

قواعد في ذكر البشارات

القاعدة الأولى:

أن أنبياء بني إسرائيل مثل أشعيا وأرميا ودانيال وحزقيال وعيسى عليه السلام، أخبروا عن الحوادث الآتية كحادثة بُختَنَصَّر وقورش واسكندر وخلفائه، وحوادث أرض أدوم ومصر ونينوى وبابل، ويبعد كل البعد أن لا يخبر أحدٌ منهم عن خروج محمد ﷺ الذي كان وقت ظهوره كأصغر البقول، ثم صار شجرة عظيمة تأوي طيور السماء في أغصانها، فكسر الجبابرة والأكاسرة، وبلغ دينه شرقًا وغربًا وغلب الأديان، وامتد دهرًا بحيث مضى على ظهوره مدة ألف ومائتين وثمانين إلى هذا الحين[2] ويمتد إن شاء الله إلى آخر بقاء

---

(١) الدليل من الأناجيل على أن نصارى اليوم يعرفون محمدًا كما يعرفون أنبياءهم، محمود عبد الرزاق الرضواني (ص ٨٥، ٨٦).

(٢) هذا قاله رحمت الله الهندي في زمنه ، ونحن الآن في عام ١٤٣٥ من هجرة سيد المرسلين .

الدنيا، وظهر في أمته ألوف ألوف من العلماء الربانيين، والحكماء المتقنين، والأولياء ذوي الكرامات والمجاهدات، والسلاطين العظام. وهذه الحادثة كانت أعظم الحوادث، وما كانت أقل من حادثة أرض أدوم ونينوى وغيرهما، فكيف يجوز العقل السليم أنهم أخبروا عن الحوادث الضعيفة وتركوا الإخبار عن الحادثة العظيمة؟ (١)

القاعدة الثانية

أن النبيّ المتقدّم إذا أخبر عن النبي المتأخر، لا يشترط في إخباره أن يخبر بالتفصيل التام بأنه يخرج من القبيلة الفلانية في السنة الفلانية في البلد الفلاني، وتكون صفته كيت وكيت؛ بل يكون هذا الإخبار في غالب الأوقات مجملًا عند العوام، وأما عند الخواص فقد يصير جليًا بواسطة القرائن، وقد يبقى خفيًا عليهم أيضًا لا يعرفون مصداقه إلا بعد ادعاء النبي اللاحق أن النبي المتقدم أخبر عنّي، وظهور صدق ادّعائه بالمعجزات وعلامات النبوة، وبعد الادّعاء وظهور صدقه يصير جليًا عندهم بلا ريب، ولذلك يعاتَبون كما عاتب المسيح عليه السلام علماء اليهود بقوله: (٥٢وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ! لأَنَّكُمْ أَخَذْتُمْ مِفْتَاحَ الْمَعْرِفَةِ. مَا دَخَلْتُمْ أَنْتُمْ، وَالدَّاخِلُونَ مَنَعْتُمُوهُمْ.) لوقا ١١ : ٥٢. (٢)

القاعدة الثالثة

ادّعاءُ أن أهل الكتاب ما كانوا ينتظرون نبيًا آخر غير المسيح وإيلياء، ادّعاءٌ باطل لا أصل له؛ بل كانوا منتظرين لغيرهما أيضًا، لما علمت في الأمر الثاني أن علماء اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام سألوا يحيى عليه السلام أولًا: أنت المسيح؟ ولما أنكر، سألوه: أنت إيلياء؟ ولما أنكر، سألوه: أنت النبيّ؟ أي النبيّ المعهود الذي أخبر به موسى، فعلم أن هذا النبيّ كان منتظرًا مثل المسيح وإيلياء، وكان مشهورًا بحيث ما كان محتاجًا إلى ذكر الاسم؛ بل الإشارة إليه كانت كافية.

وفي إنجيل يوحنا بعد نقل قول عيسى عليه السلام هكذا: "٤٠فَكَثِيرُونَ مِنَ الْجَمْعِ لَمَّا سَمِعُوا

---

(١) إظهار الحق (٤/ ١٠٧٨).

(٢) المصدر السابق (٤/ ١٠٧٩).

هذَا الْكَلاَمَ قَالُوا: «هذَا بِالْحَقِيقَةِ هُوَ النَّبِيُّ» آخَرُونَ قَالُوا: «هذَا هُوَ الْمَسِيحُ! ». وظهر من هذا الكلام أيضًا

أن النبي المعهود عندهم كان غير المسيح، ولذلك قابلوا بالمسيح. (١)

القاعدة الرابعة

ادّعاء أن المسيحَ خاتمُ النبيين ولا نبي بعده باطل، لما عرفت في القاعدة الثالثة أنهم كانوا منتظرين للنبي المعهود الآخر الذي يكون غير المسيح وإيلياء عليهم السلام، ولما لم يثبت بالبرهان مجيئه قبل المسيح فهو بعده، ولأنهم يعترفون بنبوة الحواريين وبولس؛ بل بنبوة غيرهم أيضًا.

وفي سفر أعمال الرسل (١١: ٢٧): " ٢٧وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ انْحَدَرَ أَنْبِيَاءُ مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ. وَقَامَ وَاحِدٌ مِنْهُمُ اسْمُهُ أَغَابُوسُ، وَأَشَارَ بِالرُّوحِ أَنَّ جُوعًا عَظِيمًا كَانَ عَتِيدًا أَنْ يَصِيرَ عَلَى جَمِيعِ الْمَسْكُونَةِ، الَّذِي صَارَ أَيْضًا فِي أَيَّامِ كُلُودِيُوسَ قَيْصَرَ. " فهؤلاء كلهم كانوا أنبياء على تصريح إنجيلهم، وأخبر واحد منهم اسمه أغابوس عن وقوع الجدب العظيم. (٢)

القاعدة الخامسة.

الإخبارات التي نقلها المسيحيون في حق عيسى عليه السلام لا تصدق عليه، على تفاسير اليهود وتأويلاتهم، ولذلك هم ينكرونه أشدّ الإنكار، وعلماء المسيحية لا يلتفتون في هذا الباب إلى تفاسيرهم وتأويلاتهم ويفسرونها ويؤولونها بحيث تصدق في زعمهم على عيسى عليه السلام.

وكما أن اليهود ادّعوا في حق بعض الإخبارات التي هي في حق عيسى عليه السلام على زعم المسيحيين أنها في حق مسيحهم المنتظر، أو في حق غيره أو ليست في حق أحد، والمسيحيون يدّعون أنها في حق عيسى عليه السلام ولا يبالون بمخالفتهم، فكذا نحن لا نبالي بمخالفة المسيحيين في حق بعض الإخبارات التي هي في حقّ محمدّ ﷺ لو قالوا إنها في حق عيسى

---

(١) المصدر السابق (١٠٨٥).

(٢) المصدر السابق (٤/ ١٠٨٥ - ١٠٨٦).

السَّلِيْلا، وسترى أيضًا أن صدقها في حق محمد ﷺ أليق من صدقها في حق عيسى السَّلِيْلا، فادّعاؤنا أحق من ادّعائهم.[1]

القاعدة السادسة.

وجود البشارات وعدمها سواء:

إن وجود البشارات وعدمها في الكتب المشار إليها آنفًا سواء، وجودها مثل عدمها، وعدمها مثل وجودها. فرسالة رسول الإسلام ﷺ ليست في حاجة إلى دليل يقام عليها من خارجها، بحيث إذا لم يوجد ذلك الدليل"الخارجي" بطلت - لا سمح الله - تلك الرسالة؛ فهي رسالة دليلها فيها، ووجود البشارات بها في كتب متقدمة - زمنًا - عليها لا يضيف إليها جديدًا، وعدم وجود تلك البشارات لا ينال منها شيئًا قطّ.

فهي حقيقة قائمة بذاتها لها سلطانها الغني عما سواها. ودليلها قائم خالد صالح للفحص في كل زمان ومكان، باق بقاء رسالته أبد الدهر، أشرق ولم يغب، ظهر ولم يختف، قوي ولم يضعف. علا ولم يهبط، إنه دليل صدق الأنبياء كلهم. فكل الأنبياء مضوا ولم يبق من أدلة صدقهم إلا ما جاء في هذا الدليل " القرآن العظيم " حيث شهد لهم بالصدق والوفاء وأنهم رسل الله المكرمون.

فلا يظنن أحدٌ أننا حين نتحدث عن بشارات الكتب السابقة برسول الإسلام إنما نتلمس أدلّة نحن في حاجة إليها لإثبات صدق رسول الإسلام في دعواه الرسالة. فرسول الإسلام ليس في حاجة إلى " تلك البشارات " حتى ولو سلّم لنا الخصوم بوجودها فله من أدلة الصدق ما لم يحظَ به رسولٌ غيره.

أولًا: بشارات التوراة :

تعددت البشارات برسول الإسلام في التوراة وملحقاتها، ولكن اليهود أزالوا عنها كل معنى صريح، وصيروها نصوصًا احتمالية تسمح لهم بصرفها عنه ﷺ ومع هذا فقد

---

(١) إظهار الحق (٤/ ١٠٨٩- ١٠٩١).

بقيت بعد تعديلها وتحريفها قوية الدلالة على معناها " الأصلي " من حملها على رسول الإسلام ﷺ لأن حملها على غيره متعذر أو متعسر أو محال.

فهي أشبهُ ما تكون برسالة مغلقة محي " عنوانها " ولكن صاحب الرسالة قادر - بعد فضّها - أن يثبت اختصاصها به؛ لأن الكلام " الداخلي " الذي فيها يقطع بأنها " له " دون سواه؛ لما فيها من " قرائن " وبينات واضحة ونعرض - فيما يلي - بعضًا منها.

البشارة رقم (١)

'وَهذِهِ هِيَ الْبَرَكَةُ الَّتِي بَارَكَ بِهَا مُوسَى، رَجُلُ الله، بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَوْتِهِ، 'فَقَالَ: "جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ[١]، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ[٢]" (التثنية ٣٣: ١ - ٢).

وفي التوراة السامرية: " ولهم لمع من جبل فاران ومعه ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم ".

في هذا النص إشارة إلى ثلاث نبوات:

الأولى: نبوة موسى عليه السلام التي تلقاها على جبل سيناء.

الثانية: نبوة عيسى عليه السلام وساعير هي قرية مجاورة لبيت المقدس، حيث تلقّى عيسى عليه السلام أمر رسالته.

الثالثة: نبوة محمد ﷺ وجبل فاران هو المكان الذي تلقى فيه - ﷺ - أول ما نزل عليه من الوحي، وفاران هي مكة المكرمة مولد ومنشأ ومبعث محمد ﷺ .

وهذه العبارة - مرة أخرى - تضمنت خبرًا وبشارتين:

فالخبر هو تذكير موسى بفضل الله عليه حيث أرسله إليهم رسولًا.

والبشارتان:

الأولى: خاصّة بعيسى عليه السلام. والثانية: خاصّة بمحمدﷺ.

---

(١) سعير (ساعير) اسم لجبال فلسطين، واسم لقرية من قرى الناصرة بين طبرية وعكا. (معجم البلدان).

(٢) فاران: اسم مكة بالعبرانية، وقيل اسم لجبال مكة، وقد تطلق على جبال الحجاز كلها. (معجم البلدان).

وموقف اليهود منهما النفي: فلا الأولى بشارة بعيسى ابن مريم، ولا الثانية بشارة برسول الإسلام.

أما موقف النصارى فإن النفي - عندهم - خاص ببشارة رسول الإسلام. ولهم في ذلك مغالطات عجيبة، حيث قالوا:

إن " فاران " هي " إيلات " وليست مكة. وأجمع على هذا " الباطل " واضعوا كتاب: " قاموس الكتاب المقدس ". وهدفهم منه واضح إذ لو سَلَّمُوا بأن " فاران " هي مكة المكرمة، للزمهم إمّا التصديق برسالة رسول الإسلام ﷺ، وهذا عندهم قطع الرقاب أسهل عليهم من الإذعان له. . ؟! ، أو يلزمهم مخالفة كتابهم المقدس. ولم يقتصر ورود ذكر " فاران "على هذا الموضع من كتب العهد القديم، فقد ورد في قصة إسماعيل عليه السلام مع أمه هاجر حيث تقول التوراة: " [٩]وَرَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي وَلَدَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَمْزَحُ، [١٠]فَقَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لأَنَّ ابْنَ هذِهِ الْجَارِيَةِ لاَ يَرِثُ مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ». [١١]فَقَبُحَ الْكَلاَمُ جِدًّا فِي عَيْنَيْ إِبْرَاهِيمَ لِسَبَبِ ابْنِهِ. [١٢]فَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «لاَ يَقْبُحُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْغُلاَمِ وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَتِكَ. فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا، لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. [١٣]وَابْنُ الْجَارِيَةِ أَيْضًا سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً لأَنَّهُ نَسْلُكَ». (تكوين ٢١: ٩ – ١٣).

وأيضا " [٢٠]وَكَانَ اللهُ مَعَ الْغُلاَمِ فَكَبِرَ، وَسَكَنَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَكَانَ يَنْمُو رَامِيَ قَوْسٍ. [٢١]وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. " (سفر التكوين٢١: ٢٠ –٢١).

على أنه يلزم من دعوى واضعي قاموس الكتاب المقدس من تفسيرهم فاران بإيلات أن الكذب باعترافهم وارد في التوراة؛ لأنه لم يبعث نبيّ من " إيلات " حتى تكون البشارة صادقة. ومستحيل أن يكون هو عيسى عليه السلام؛ لأن العبارة تتحدث عن بدء الرسالات وعيسى تلقى الإنجيل بساعير وليس بإيلات. فليست " فاران " إلا " مكة المكرمة " وباعتراف الكثير منهم، وجبل فاران هو جبل " النور " الذي به غار حراء، الذي تلقى فيه رسول الإسلام ﷺ بدء الوحي.

وهجرة إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة المكرمة " فاران" أشهر من الشمس.

وترتيب الأحداث الثلاثة في العبارة المذكورة:

- جاء من سيناء.
- وأشرق من ساعير.
- وتلألأ من فاران.

هذا الترتيب الزمنى دليل ثالث على أن " وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ" تبشير قطعى برسول الإسلامﷺ.

وفى بعض " النسخ " كانت العبارة: " واستعلن من جبل فاران " بدل " تلألأ. "

وأيًا كان اللفظ فإن " تلألأ " و" استعلن " أقوى دلالة من " جاء " و" أشرق " وقوة الدلالة هنا ترجع إلى " المدلولات " الثلاثة. فالإشراق جزء من مفهوم " المجيء " وهكذا كانت رسالة عيسى بالنسبة لرسالة موسى عليهما السلام.

أما تلألأ واستعلن فهذا هو واقع الإسلام، رسولًا ورسالة وأمة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وهذه المغالطة (أعني قولهم: فاران هي إيلات) لها مثيل، حيث تزعم التوراة أن هاجر أم إسماعيل عندما أجهدها العطش هي وابنها إسماعيل بعد أن طردا من وجه " سارة " طلبت الماء فلم تجده إلا بعد أن لقيا ملاك " الرب "في المكان المعروف الآن " ببئر سبع "؟! وأنها سميت بذلك لذلك. . ؟! وكما كذبت فاران دعوى " إيلات " كذَّبت " زمزم الطهور " دعوى " بئر سبع؟

وستظل فاران - مكة المكرمة - وزمزم الطهور " عملاقين " تتحطم على صخورهما كل مزاعم الحقد والهوى[1].

---

(١) وانظر الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، للقرطبي (٢٦٥) .

" ومضمون هذه البشارة موافق لمضمون قوله تعالى في سورة التين ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ (التين: ١-٣).

ففيه إشارة لأماكن بعثة الأنبياء الثلاثة، لكن لما كان المقصودُ في القرآن التعظيم تدرج من الأدنى إلى الأعلى؛ لأن رسالة موسى أعظم من رسالة عيسى، ورسالة محمد أعظم من رسالتيهما ﷺ، وكذلك مكة أقدس وأشرف من سيناء والقدس، ولما كان المقصود في التوراة الخبر التاريخي ذكرت هذه الأماكن الثلاثة مرتبة حسب زمان بعثة الأنبياء الثلاثة. . . "[1]

البشارة رقم (٢)

ويجئ نص آخر في التوراة لا محمل له إلا البشارة برسول الإسلام ﷺ مهما غالط المغالطون. وهو قول الله لموسى عليه السلام حسب ما تروى التوراة:

" ١٨أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. ١٩وَيَكُونُ أَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ. " (التثنية ١٨ : ١٨ – ١٩).

حدث هذا حسب روايات التوراة وعدًا من الله لموسى عليه السلام في آخر عهده بالرسالة، وكان يهمه أمر بني إسرائيل من بعده، فأعلمه الله - حسب هذه الرواية التوراتية أنه سيبعث فيهم رسولًا مثل موسى عليه السلام.

ولقوة دلالة النص على نبوة محمد ﷺ فقد وقف أهل الكتابين - اليهود والنصارى - موقفين مختلفين هدفهما واحد، وهو أن النص ليس بشارة برسول الإسلام ﷺ .

أما اليهود فلهم فيه رأيان: الأول: أن العبارة نفسها ليست خبرًا؛ بل هي نفى، ويقدرون قبل الفعل أقيم " همزة استفهام يكون الاستفهام معها " إنكاريًا " وتقدير النص عندهم هكذا: أأقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك. . ؟!

---

(١) هامش إظهار الحق (٤/ ١١٣٥)، وانظر: أيضا تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، تأليف/ صالح بن الحسين الجعفري (٢/ ٦٥٥)، هداية الحيارى لابن القيم (١٤٤).

نقل النص نفسه كما في النسخة العربية المشتركة: " سأقيم لهم نبيًا من بين إخوتهم مثلك وألقي كلامي في فمه، فينقل إليهم جميع ما أكلمه به. "

و كما في نسخة كتاب الحياة: " لهذا أقيم لهم نبيًا من بين إخوتهم مثلك، وأضع كلامي في فمه، فيخاطبهم بكل ما آمره به. "

أعتقد أنه واضح الآن كما في النسخ هذه: سأقيم، ولهذا أقيم، لا يمكن أن تكون استفهامًا أبدًا.

بطلان هذا الرأي:

وهذا الرأي باطل ولن نذهب في بيان بطلانه إلى أكثر من كلام التوراة نفسها. وذلك؛ لأنه لو كان النص كما ذكروا بهمزة إستفهام إنكاري محذوفة هي في قوة المذكور لكان الكلام نفيًا فعلًا. . ولو كان الكلام نفيًا لما صح أن يعطف عليه قوله بعد ذلك:

"١٩وَيَكُونُ أَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ "؟!

فهذا المقطع إثبات قطعًا فهو مرتب على إقامة النبي الذي وعد به المقطع الذي قبله. فدل هذا العطف على أن المقطع السابق وعد خبري ثابت لا نفي. ويترتب على ذلك بطلان القول الذاهب إلى تقدير الاستفهام. . ؟!

الثاني: وقد أحس اليهود ببطلان القول بالاستفهام فاحتاطوا للأمر وقالوا: لا مانع أن يكون النص خبرًا ووعدًا مثبتًا، ولكنه ليس المقصود به عيسى ابن مريم عليه السلام ولا محمد بن عبد الله رسول الإسلام ﷺ، بل المراد به نبي من أنبياء إسرائيل يوشع بن نون فتى موسى، أو صموئيل. . ؟!

موقف النصارى:

أما النصارى فيحملون البشارة في النص على عيسى عليه السلام وينفون أن يكون المراد بها رسول الإسلام ﷺ ، واليهود ينفون أن تكون لعيسى عليه السلام.

وللنصارى مغالطات عجيبة في ذلك؛ إذ يقولون إن النبي الموعود به ليس من بني إسماعيل بل من بني إسرائيل. ومحمد إسماعيليّ فكيف يرسل الله إلى بني إسرائيل رجلًا ليس منهم. ؟! كما قالوا: إن موسى أتى بمعجزات ومحمد لم يأت بمعجزات فكيف يكون مثله؟

الحق الذي لا جدال فيه: والواقع أن كل ما ذهب إليه اليهود والنصارى باطل. ولن نذهب في بيان بطلانه إلى أبعد من دلالة النص المتنازع عليه نفسه. أما الحق الذي لا جدال فيه فإن هذا النص ليس له محمل مقبول إلا البشارة برسول الإسلام ﷺ .

وإليكم البيان: إن النص المتنازع عليه يقيد البشارة بالنبي الموعود به فيه بشرطين:

أحدهما: أنه من وسط إخوة بني إسرائيل.

وثانيهما: أنه مثل موسى عليه السلام صاحب شريعة وجهاد لأعداء الله ، وهذان الشرطان لا وجود لهما لا في يوشع بن نون، ولا في صموئيل كما يدعي اليهود في أحد قوليهم.

ولا في عيسى عليه السلام كما يدعي النصارى.

أما انتفاء الشرط الأول:

فلأن يوشع وصموئيل وعيسى من بني إسرائيل وليسو من وسط إخوة بني إسرائيل. ولو كان المراد واحدًا منهم لقال في الوعد: أقيم لهم نبيًا منهم. . ؟! هذا هو منهج الوحي في مثل هذه الأمور كما قال في شأن النبي ﷺ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ (الجمعة: ٢).

وكما جاء على لسان إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ (البقرة: ١٢٩).

وأما انتفاء الشرط الثاني:

فلأن لاصموئيل ولا يوشع ولا عيسى ابن مريم كانوا مثل" موسى"عليه السلام، لعدة أوجه:

أولًا: لأنهما من بني إسرائيل، ولا يجوز أن يقوم أحد من بني إسرائيل مثل موسى كما يدل عليه هذا النص " ١٠وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لِوَجْهٍ " (سفر التثنية ٣٤: ١٠) فإن قام أحد مثل موسى بعده من بني إسرائيل، يلزم تكذيب هذا القول.

ثانيًا: فلأنه لا مماثلة بين يوشع وبين موسى عليهما السلام؛ لأن موسى عليه السلام صاحب كتاب وشريعة جديدة مشتملة على أوامر ونواهي، ويوشع ليس كذلك؛ بل هو متبع لشريعته.

وكذا لا توجد المماثلة التامة بين موسى وعيسى عليهما السلام؛ لأن عيسى ﷺ كان إلهًا وربًا على زعم النصارى وموسى ﷺكان عبدًا له.

وأن عيسى ﷺ على زعمهم، صار ملعونًا لشفاعة الخلق كما صرح به بولس في الباب الثالث من رسالته إلى أهل غلاطية، وموسى ﷺ ما صار ملعونًا لشفاعتهم.

وأن عيسى ﷺ دخل الجحيم بعد موته كما هو مصرح به في عقائد أهل التثليث، وموسىﷺ ما دخل الجحيم.

وأن عيسى ﷺ صلب على زعم النصارى ليكون كفارةً لأمته، وموسى ﷺ ما صار كفارةً لأمته بالصلب.

وأن شريعة موسى مشتملةٌ على الحدود والتعزيزات وأحكام الغسل والطهارات والمحرمات من المأكولات والمشروبات، بخلاف شريعة عيسى ﷺ، فإنها فارغة عنها على ما يشهد به هذا الإنجيل المتداول بينهم.

وأن موسىﷺ كان رئيسًا مطاعًا في قومه نفاذًا لأوامره ونواهيه، وعيسى ﷺ لم يكن كذلك.

وأن موسى ﷺ ولد من الأبوين، وعيسى ﷺ ولد بلا أب من عذراء.

وأن موسى ﷺ كان صاحب زوجة وأولاد بخلاف عيسى ﷺ، فأين المثلية إذن؟

وثالثًا: أنه وقع في هذه البشارة لفظ " مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ "، ولا شك أن الأسباط الاثني عشر كانوا موجودين في ذاك الوقت مع موسى ﷺ حاضرين عنده، فلو كان المقصود كون النبي المبشر به منهم، قال: منهم، أو: من خلفهم، لا من بين إخوتهم؛ لأن الاستعمال الحقيقي لهذا اللفظ أن لا يكون المبشر به له علاقة الصلبية والبطنية ببني إسرائيل. . . ".

ورابعًا: أنه وقع في هذه البشارة لفظ سوف أقيم، ويوشع ﷺ كان حاضرًا عند موسى ﷺ، داخلًا في بني إسرائيل، نبيًا في هذا الوقت، فكيف يصدق عليه هذا اللفظ؟

وخامسًا: أنه وقع في هذه البشارة لفظ: أجعل كلامي في فمه، وهو إشارة إلى أن ذلك النبي ينزل عليه الكتاب، وإلى أنه يكون أميًا حافظًا للكلام، وهذا لا يصدق على يوشع ﷺ

لانتفاء كلا الأمرين فيه، فقد كان يوشع قارئًا للتوراة عاملًا بها ولم ينزل عليه كتاب مستقل.

وهذه الوجوه التي ذكرت وغيرها أيضا تصدق في حق النبي محمد ﷺ على أكمل صدق، لأنه غير المسيح عليه السلام، ويماثل موسى عليه السلام في أمور كثيرة:

١-كونه عبد الله ورسوله.

٢-كونه ذا الوالدين.

٣-كونه ذا نكاح وأولاد.

٤-كون شريعته مشتملة على السياسات المدنية.

٥-كونه مأمورًا بالجهاد.

٦-اشتراط الطهارة وقت العبادة في شريعته.

٧- وجوب الغسل للجنب والحائض والنفساء في شريعته.

٨-اشتراط طهارة الثوب من البول والبراز.

٩-حرمة غير المذبوح وقرابين الأوثان.

١٠-كون شريعته مشتملة على العبادات البدنية والرياضات الجسمانية.

١١-أمره بحد الزنا.

ووجوه أخرى كثيرة. [١]

الشرطان متحققان في رسول الإسلام ﷺ:

وبنفس القوة والوضوح اللذين انتفى الشرطان بهما عمن ذكروا من الأنبياء ثبت ذلك الشرطان لمحمد بن عبد الله ﷺ.

فهو من نسل إسماعيل، وإسماعيل أخو إسحق، الذي هو أبو يعقوب المسمى إسرائيل. فهو من وسط إخوة بني إسرائيل - بنو عمومتهم - وليس من إسرائيل نفسها. وبهذا تحقق

---

(١) انظرها بالتفصيل في كتاب إظهار الحق (٤/ ١١٢٤).

الشرط الأول من شرطي البشارة.

ومحمد ﷺ صاحب شريعة جليلة الشأن لها سلطانها الخاص بها - جمعت فأوعت - مثلما كان موسى - أكبر رسل بني إسرائيل - صاحب شريعة مستقلة كانت لها منزلتها التي لم تضارع فيما قبل من بدء عهد الرسالات إلى مبعث عيسى ﷺ

وبهذا يتحقق الشرط الثاني من شرطي البشارة وهو " المثلية " بين موسى ومحمد (عليهما صلوات الله وسلامه)، فعلى القارئ أن يتأمل ثم يحكم. [(١)]

ويقول الأستاذ: إبراهيم خليل أحمد في كتابه " محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن":

" ويشاء الله – وهو العليم بجبلة بني إسرائيل – كما وضح لنا بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ (البقرة: ١٤٦).

يشاء الله تعالى أن يجعل الأمر لبني إسرائيل طلسمًا حتى لا يحرفوا الكلم عن مواضعه، فيظهر الحق ويزهق الباطل، ويحرصوا على حماية الرسول الكريم، لكنهم كانوا يظنون أنه إسرائيلي لا عربي، فلما بعث رسول الله ﷺ خاب رجاؤهم وقابلوه بعدوان، كأنه اغتصب منهم النبوة والكتاب والملك. "[(٢)]

البشارة رقم (٣)

وتنسب التوراة إلى نبي يدعى " حبقوق " من أنبياء العهد القديم، وله سفر صغير قوامه ثلاثة إصحاحات. تنسب إليه التوراة نصوصًا كان يصلي بها. تضمنها الإصحاح الثالث من سفره. وهذا الإصحاح يكاد يكون كله بشارة برسول الإسلام ﷺ .

وإليكم مقاطع منه:

---

(١) وانظر الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام صـ ٢٦٤.

(٢) محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ص ٦٨.

" [٣]الله جَاءَ مِنْ تِيمَانَ، وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ. سِلاَهْ. جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ، وَالأَرْضُ امْتَلأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ. [٤]وَكَانَ لَمَعَانٌ كَالنُّورِ. لَهُ مِنْ يَدِهِ شُعَاعٌ، وَهُنَاكَ اسْتِتَارُ قُدْرَتِهِ. [٥]قُدَّامَهُ ذَهَبَ الْوَبَأُ، وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْحُمَّى. [٦]وَقَفَ وَقَاسَ الأَرْضَ. نَظَرَ فَرَجَفَ الأُمَمُ وَدُكَّتِ الْجِبَالُ الدَّهْرِيَّةُ وَخَسَفَتْ آكَامُ الْقِدَمِ. مَسَالِكُ الأَزَلِ لَهُ. "

" بِسَخَطٍ دُسْتَ الأُمَمَ. [١٣]خَرَجْتَ لِخَلاَصِ شَعْبِكَ، لِخَلاَصِ مَسِيحِكَ. سَحَقْتَ رَأْسَ بَيْتِ الشِّرِّيرِ مُعَرِّيًا الأَسَاسَ حَتَّى الْعُنُقِ. سِلاَهْ. ".

دلالات هذه الإشارات:

لا يستطيع عاقل عالم بتاريخ الرسالات ومعاني التراكيب أن يصرف هذه النصوص على غير البشارة برسول الإسلام ﷺ . فالجهتان المذكورتان في مطلع هذا المقطع وهما تيمان: يعنى اليمن – وهي جزء من بلاد العرب – ومعنى كلمة تيمان الصحراء الجنوبية؛ لأنها جنوب بلاد الشام ولا يزال إلى الآن على طريق القوافل بين دمشق ومكة قرية تسمى (تيماء)ومعنى هذه الكلمة أيضًا الصحراءالجنوبية.

وجبل فاران: يعنى جبل النور الذي بمكة المكرمة التي هي فاران. هاتان الجهتان عربيتان. وهما رمز لشبه الجزيرة العربية التي كانت مسرحًا أوليًا لرسالة محمد ﷺ فليس المراد إذن نبيًا من بني إسرائيل؛ لأنه معلوم أن رسل بني إسرائيل كانت تأتى من جهة الشام شمالًا. لا من جهة بلاد العرب. وهذه البشارة أتت مؤكدة للبشارة المماثلة، التي تقدم ذكرها من سفر التثنية، وقد ذكرت أن الله: تلألأ أو استعلن من جبل فاران.

بيد أن بشارة التثنية شملت الإخبار بمقدم موسى عليه السلام والتبشير بعيسى عليه السلام وبمحمد ﷺ ، أما بشارة حبقوق فهي خاصة برسول الإسلام ﷺ . ولو لم يكن في كلام حبقوق إلا هذا " التحديد " لكان ذلك كافيًا في اختصاص بشارته برسول الإسلام ﷺ

ومع هذا فقد اشتمل كلام حبقوق على دلائل أخرى ذات مغزى:

منها: الإشارة إلى كثرة التسبيح حتى امتلأت منه الأرض. . ؟

ومنها: دكه ﷺ لعروش الظلم والطغيان وقهر الممالك الجائرة.

ومنها: أن خيل جيوشه ركبت البحر، وهذا لم يحدث إلا في ظل رسالة الإسلام.[١]

البشارة رقم (٤):

في المزامير المنسوبة إلى داود ﷺ وردت كثير من العبارات التى لا يصح حمل معناها إلا على رسول الإسلام ﷺ.

ومن ذلك قول داود مزمور (٤٥: ٢- ١٧):

٢أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالًا مِنْ بَنِي الْبَشَرِ. انْسَكَبَتِ النِّعْمَةُ عَلَى شَفَتَيْكَ، لِذلِكَ بَارَكَكَ الله إِلَى الأَبَدِ. ٣تَقَلَّدْ سَيْفَكَ عَلَى فَخْذِكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ، جَلاَلَكَ وَبَهَاءَكَ. ٤وَبِجَلاَلِكَ اقْتَحِم. ارْكَبْ. مِنْ أَجْلِ الْحَقِّ وَالدَّعَةِ وَالْبِرِّ، فَتُرِيَكَ يَمِينُكَ مَخَاوِفَ. ٥نَبْلُكَ الْمَسْنُونَةُ فِي قَلْبِ أَعْدَاءِ الْمَلِكِ. شُعُوبٌ تَحْتَكَ يَسْقُطُونَ.

٦كُرْسِيُّكَ يَا الله إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. ٧أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ الله إِلهُكَ بِدُهْنِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ. ٨كُلُّ ثِيَابِكَ مُرٌّ وَعُودٌ وَسَلِيخَةٌ. مِنْ قُصُورِ الْعَاجِ سَرَّتْكَ الأَوْتَارُ. ٩بَنَاتُ مُلُوكٍ بَيْنَ حَظِيَّاتِكَ. جُعِلَتِ الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ بِذَهَبِ أُوفِيرٍ.

١٠اِسْمَعِي يَا بِنْتُ وَانْظُرِي، وَأَمِيلِي أُذُنَكِ، وَانْسَيْ شَعْبَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ، ١١فَيَشْتَهِيَ الْمَلِكُ حُسْنَكِ، لأَنَّهُ هُوَ سَيِّدُكِ فَاسْجُدِي لَهُ. ١٢وَبِنْتُ صُورٍ أَغْنَى الشُّعُوبِ تَتَرَضَّى وَجْهَكِ بِهَدِيَّةٍ.

١٣كُلُّهَا مَجْدٌ ابْنَةُ الْمَلِكِ فِي خِدْرِهَا. مَنْسُوجَةٌ بِذَهَبٍ مَلاَبِسُهَا. ١٤بِمَلاَبِسَ مُطَرَّزَةٍ تُحْضَرُ إِلَى الْمَلِكِ. فِي إِثْرِهَا عَذَارَى صَاحِبَاتُهَا. مُقَدَّمَاتٌ إِلَيْكَ. ١٥يُحْضَرْنَ بِفَرَحٍ وَابْتِهَاجٍ. يَدْخُلْنَ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ. ١٦عِوَضًا عَنْ آبَائِكَ يَكُونُ بَنُوكَ، تُقِيمُهُمْ رُؤَسَاءَ فِي كُلِّ الأَرْضِ. ١٧أَذْكُرُ اسْمَكَ فِي كُلِّ دَوْرٍ فَدَوْرٍ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ تَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ إِلَى الدَّهْرِ وَالأبد.

وقد ذكر داود ﷺ في هذا الزبور من صفات النبي المبشر به هذه الصفات:

---

(١) انظر: محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن (٧١)، بشائر عيسى ومحمد (١٤٢ – ١٤٤).

كونه حسنًا. كونه أفضل البشر. كون النعمة منسكبة على شفتيه. كونه مباركًا إلى الدهر. كونه متقلدًا بالسيف. كونه قويًا. كونه ذا حق ودعة وصدق. كون هداية يمينه بالعجب. كون نبله مسنونة. سقوط الشعب تحته. كونه محبًا للبر ومبغضًا للإثم. خدمة بنات الملوك إياه. إتيان الهدايا إليه. انقياد كل أغنياء الشعب له. كون أبنائه رؤساء الأرض بدل آبائهم.

وهذه الأوصاف كلها توجد في محمد ﷺ على أكمل وجه.[1]

وقفة مع هذا الكلام.

في المقطع الأول:

أ) لا تنطبق الأوصاف التي ذكرها داود إلّا على رسول الإسلام ﷺ فهو الذي قاتل بسيفه في سبيل الله، وسقطت أمامه شعوب عظيمة كالفرس والروم. وهو الممسوح بالبركة أكثر من رفقائه الأنبياء؛ لأنه خاتم النبيين، ورسالته عامة خالدة، قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

ولم يترك رسول هدىً وبيانًا مثلما ترك رسول الإسلام في القرآن الحكيم، وفى أحاديثه وتوجيهاته، التي بلغت مئات الآلاف، وتعددت المصادر التي سجلتها، وفيها من روائع البيان، وصفاء الألفاظ، وشرف المعاني ما ليس في غيرها.

أما المقطع الثاني (ب):

فهو أوصاف للكعبة الشريفة. فهي التي تترضاها الأمم بالهدايا. وهى ذات الملابس المنسوجة بالذهب والمطرزة، وهى التي يذكر اسمها في كل دور، وتأتيها قوافل " الحجيج " رجالًا ونساءً من كل مكان فيدخل الجميع في " قصر الملك " ويحمدها الناس إلى الأبد؛ لأن الرسالة المرتبطة بها رسالة عامة: لكل شعوب الأرض الإنس والجن؛ بل والملائكة. وفى مواسم الحج يأتيها القاصدون من جميع بقاع الأرض مسلمين ورعايا مسلمين من

(١) انظر: كيف تنطبق على النبي محمد ﷺ من خلال سيرته وأوصافه، إظهار الحق (٤/ ١١٤٥).

بلاد ليست مسلمة. وهي خالدة لم ينته العمل بها بوفاة رسولها ﷺ كما هو الحال فيما تقدم. وإنما هي دين الله إلى الأبد الآبدين.[(١)]

البشارة رقم(٥)

ورد في سفر أشعيا: ٦٠

١ «قُومِي اسْتَنِيرِي لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ. ٢ لأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغَطِّي الأَرْضَ وَالظَّلاَمُ الدَّامِسُ الأُمَمَ. أَمَّا عَلَيْكِ فَيُشْرِقُ الرَّبُّ، وَمَجْدُهُ عَلَيْكِ يُرَى. ٣ فَتَسِيرُ الأُمَمُ فِي نُورِكِ، وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكِ.

٤ «اِرْفَعِي عَيْنَيْكِ حَوَالَيْكِ وَانْظُرِي. قَدِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ. جَاءُوا إِلَيْكِ. يَأْتِي بَنُوكِ مِنْ بَعِيدٍ وَتُحْمَلُ بَنَاتُكِ عَلَى الأَيْدِي. ٥ حِينَئِذٍ تَنْظُرِينَ وَتُنِيرِينَ وَيَخْفُقُ قَلْبُكِ وَيَتَّسِعُ، لأَنَّهُ تَتَحَوَّلُ إِلَيْكِ ثَرْوَةُ الْبَحْرِ، وَيَأْتِي إِلَيْكِ غِنَى الأُمَمِ. ٦ تُغَطِّيكِ كَثْرَةُ الْجِمَالِ، بُكْرَانُ مِدْيَانَ وَعِيفَةَ كُلُّهَا تَأْتِي مِنْ شَبَا. تَحْمِلُ ذَهَبًا وَلُبَانًا، وَتُبَشِّرُ بِتَسَابِيحِ الرَّبِّ. ٧ كُلُّ غَنَمِ قِيدَارَ تَجْتَمِعُ إِلَيْكِ. كِبَاشُ نَبَايُوتَ تَخْدِمُكِ. تَصْعَدُ مَقْبُولَةً عَلَى مَذْبَحِي، وَأُزَيِّنُ بَيْتَ جَمَالِي.

٨ مَنْ هؤُلاَءِ الطَّائِرُونَ كَسَحَابٍ وَكَالْحَمَامِ إِلَى بُيُوتِهَا؟ ٩ إِنَّ الْجَزَائِرَ تَنْتَظِرُنِي، وَسُفُنَ تَرْشِيشَ فِي الأَوَّلِ، لِتَأْتِيَ بِبَنِيكِ مِنْ بَعِيدٍ وَفِضَّتُهُمْ وَذَهَبُهُمْ مَعَهُمْ، لاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكِ وَقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَدْ مَجَّدَكِ.

١٠ «وَبَنُو الْغَرِيبِ يَبْنُونَ أَسْوَارَكِ، وَمُلُوكُهُمْ يَخْدِمُونَكِ. لأَنِّي بِغَضَبِي ضَرَبْتُكِ، وَبِرِضْوَانِي رَحِمْتُكِ. ١١ وَتَنْفَتِحُ أَبْوَابُكِ دَائِمًا. نَهَارًا وَلَيْلًا لاَ تُغْلَقُ. لِيُؤْتَى إِلَيْكِ بِغِنَى الأُمَمِ، وَتُقَادَ مُلُوكُهُمْ.

وفي أشعياء أيضا ٤٢: ١٠ – ١٣ " ١٠ غَنُّوا لِلرَّبِّ أُغْنِيَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَهُ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ. أَيُّهَا الْمُنْحَدِرُونَ فِي الْبَحْرِ وَمِلْؤُهُ وَالْجَزَائِرُ وَسُكَّانُهَا، ١١ لِتَرْفَعِ الْبَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا، الدِّيَارُ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ. لِتَتَرَنَّمْ سُكَّانُ سَالِعَ. مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَهْتِفُوا.

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٦٠).

١٢لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْدًا وَيُخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِي الْجَزَائِرِ. ١٣الرَّبُّ كَالْجَبَّارِ يَخْرُجُ. كَرَجُلِ حُرُوبٍ يُنْهِضُ غَيْرَتَهُ. يَهْتِفُ وَيَصْرُخُ وَيَقْوَى عَلَى أَعْدَائِهِ. "

دلالة هذه النصوص

بلا أدنى ريب فإن هذا الكلام المنسوب إلى أشعيا وصف لمكة المكرمة وكعبتها الشامخة.

فالمقطع الأول:

إنما هو حديث عن موسم الحج المبارك ، فيه يجتمع بنوها حولها من كل مكان، وفيه لمحة قوية جدًّا إلى نحر الهدي صبيحة العيد. ألم يشر النص إلى غنم قيدار، وقيدار هو ولد إسماعيل عليه السلام الذي تشعبت منه قبائل العرب. ثم ألم ينص على المذبح الذي تنحر عليه الذبائح؟ كما أشار النص ثلاث إشارات تعد من أوضح الأدلة على أن المراد بهذا النص مكة المكرمة. وتلك الإشارات هي طرق حضور الحجاج إليها. ففي القديم كانت وسائل النقل: ركوب الجمال. ثم السفن. أما في العصر الحديث فقد جدَّت وسيلة النقل الجوي " الطائرات " وبشارة أشعيا تضمنت هذه الوسائل الثلاث على النحو الآتي:

١- الجمال، قال فيها: تغطيك كثرة الجمال. ؟!

٢- السفن، قال فيها: وسفن ترشيش تأتى ببنيك من بعيد؟!

٣- النقل الجوى، وفيه يقول: من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها. ؟! !

أليس هذا أوضح من الشمس في كبد السماء.

على أن النص مليءٌ بعد ذلك بالدقائق والأسرار، ومنها أن مكة مفتوحةُ الأبواب ليلًا ونهارًا لكل قادم في حج أو عمرة. . ؟!

ومنها أن خيرات الأمم تجبى إليها من كل مكان، والقرآن يقرر هذا المعنى في قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آَمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص: ٥٧).

ومنها: أن بني الغريب (يعنى غير العرب) يبنون أسوارها. وكم من الأيدي العاملة الآن، وذوى الخبرات يعملون فيها ويشيدون قلاعها فوق الأرض وتحت الأرض.

ومنها أنه ما من عاصمة من عواصم العالم إلا دخلت في محنة من أهلها أو من غير أهلها إلا هذه العاصمة المقدسة فظلت بمأمن من غارات الغائرين وكيد الكائدين، ومثلها المدينة المنورة.

ومنها: كثرة الثروات التي مَنَّ الله بها عليها. أليس البترول من ثروات البحر العظمى التي تفجرت أرض الحجاز وشبه الجزيرة منه عيونًا دفاقة بمعدل لم تصل إليه أمة من الأمم. أضف إلى ذلك سبائك الذهب والفضة.

والحديث عن مكة المكرمة حديث عن رسول الإسلام؛ لأن مجدها لم يأت إلا على يدي بعثتهﷺ.

هذه الحقائق لا تقبل الجدل. ومع هذا فإن أهل الكتاب (وخاصة اليهود) يحملون هذه الأوصاف على مدينة" صهيون " ولهذا فإنهم عمدوا إلى النص وعدلوه ليصلح لهذا الزعم.

ولكننا نضع الأمر بين يدي المنصفين من كل ملة. أهذه الأوصاف يمكن أن تطلق على مدينة "صهيون ".

لقد خرب " بيت الرب " في القدس مرارًا، وتعرض لأعمال شنيعة على كل العصور. أما الكعبة الشريفة والمسجد الحرام فلم يصل أحد إليهما بسوء، ثم أين ثروات البحر والبر التي تجبى إلى تلك المدينة وأهلها (إلى الآن) يعيشون عالة على صدقات الأمم.

وأين هي المواكب التي تأتى إليها برًا وبحرًا وجَوًّا، وهل أبوابها مفتوحة ليلًا ونهارًا، وأين هم بنوها الذين اجتمعوا حولها.

وما صلة غنم قيدار وكباش مدين بها. وأين هو التسبيح الذي يشق عنان السماء منها. . وأين. وأين. . ؟

إن هذه المغالطات لا تثبت أمام قوة الحق، ونحن يكفينا أن نقيم هذه الأدلة من كتبهم على صدق الدعوى، ولا يهمنا أن يذعن القوم لما نقول، فحسبك من خصمك أن تثبت باطل ما يدعيه أمام الحق الذي تدافع عنه.

والفاصل بيننا ـ في النهاية ـ هو الله الذي لا يُبدل القول لديه.[(١)]

البشارة رقم (٦)

ورد في سفر التثنية (٣٢: ٢١): "هُمْ أَغَارُونِي بِمَا لَيْسَ إِلهًا، أَغَاظُونِي بِأَبَاطِيلِهِمْ. فَأَنَا أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبًا، بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ."

وفي التوراة السامرية " هم أسخطوني بغير قادر أكادوني بهبائهم وأنا أغيرهم بغير قوم بشعب ساقط أكيدهم ".

التعليق على البشارة:

والمراد بشعبٍ جاهلٍ العرب؛ لأنهم كانوا في غاية الجهل والضلال، وما كان عندهم علم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية، وما كانوا يعرفون سوى عبادة الأوثان والأصنام، وكانوا محقرين عند اليهود لكونهم من أولاد هاجر الجارية. فمقصود الفقرة أن بني إسرائيل أغاروني بعبادة المعبودات الباطلة فأغيرهم باصطفاء الذين هم عندهم محقرون وجاهلون، فأوفى بها وعد فبعث من العرب النبي ﷺ فهداهم إلى الصراط المستقيم كما قال الله تعالى في سورة الجمعة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ ﴾ (الجمعة: ٩)

البشارة رقم (٧)

ورد في سفر التكوين (٤٩: ١٠):

" ١٠ لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ. "

التعليق على البشارة:

والمقصود بكلمة " شيلون " هو " الذي له الكل " أو " الذي هو له " وبهذا التفسير جاءت في ترجمة سنة ١٨١١م، وسنة ١٨٢٢م، وسنة ١٨٣١م، وسنة ١٨٤٤ م.

فهو يخبرهم عن وقت زوال الملك والشريعة عنهم في آخر الأيام.

---

(١) وانظر: محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، إبراهيم خليل أحمد (٧٠ – ٧١).

وأما نسخة الرهبانية اليسوعية، فالنص فيها: " لا يزول الصولجان من يهوذا، ولا عصا القيادة من بين قدميه، إلا أن يأتي صاحبها وتطيعه الشعوب ".

والنص حسب ترجمة يوناثان أوضح، وفيه " لا يتوقف الملوك والحكام من عائلة يهوذا ولا يتوقف معلمو الشريعة من نسله حتى الملك المسيا أصغر أبنائه ". (١)

وحسب الترجمة التي ترجمها عبد الأحد داود " لا يزول الصولجان من يهوذا أو التشريع من بين قدميه حتى يأتي شايلوه ويكون له خضوع الأمم ".

وبين التراجم الثلاثة اختلافات، ولكن الاختلاف الأهم هو في كلمة " شِيلُونُ " التي أبقتها الترجمات على حالها، وفي تراجم عبرانية أخرى قيل: " إلى أن يأتي المسيح "، وقد فسر القس إبراهيم لوقا "شيلون" بالمسيح، واعتبرها ترجمة صحيحة لكلمة " شيلوه " العبرية، وذكرت الطبعة الأمريكية للكتاب المقدس في هامشها أن كلمة " شيلون " تعني " الأمان "، أو: الذي له.

فما هو المعنى الدقيق للكلمة " شيلون " التي تدور حولها النبوءة؟

في إجابة على هذا السؤال يرى القس السابق والخبير في اللغات القديمة:

عبد الأحد داود أن كلمة " شيلون " لا تخرج في أصلها العبري عن معان، **أهمها**:

أن تكون الكلمة سريانية مكونة من كلمتي " بشيتا " و" لوه " ومعنى الأولى منهما: " هو " أو " الذي "، والثانية: لوه، معناها " له "، ويصبح معنى النبوءة حسب ترجمته المفسرة: " إن الطابع الملكي المتنبئ لن ينقطع من يهوذا إلى أن يجيء الشخص الذي يخصه هذا الطابع، ويكون له خضوع الشعوب ".

أن تكون الكلمة محرفةً من كلمة " شيلواح " ومعناها " رسول الله " كما يعبر بالكلمة مجازًا عن الزوجة المطلقة؛ لأنها ترسل بعيدًا، وتفسير الكلمة بالرسالة: مال إليه القديس جيروم، فترجم العبارة " ذلك الذي أرسل ".

---

(١) برهان يتطلب قرارا، جوش مكدويل (ص ١٧٥).

وأيًاما كان المعنى؛ فإن النبوءة تتحدث عن شخص تدعوه: شيلون، وليس عن المكان المسمى " شيلون " كما ادعى بعض المفسرين، فمن هو شيلون؟

يمكن التأكد من تحقق نبوءة يعقوب حرفيًا في (محمد) من الحجج التالية:

- هناك إجماع بين المعلقين أن التعبيرين المجازيين: (الصولجان) و(التشريع) معناهما (السلطة الدنيوية) و(النبوءة) على التوالي.

- إن الترجمة السريانية للكتاب المقدس (البشيتا) ترجمت كلمة (شايلوه) إلى الشخص الذي يخصه الصولجان والتشريع، وهو الذي يمتلك السلطة وحق التشريع وتخضع له الأمم.

فمن يكون هذا السلطان والمشرع العظيم؟

قطعًا ليس موسى؛ لأنه كان أول منظم لقبائل إسرائيل الإثنى عشر ولم يأت قبله أي ملك أو نبي من سبط يهوذا أصلًا.

وحتمًا ليس داود؛ لأنه كان أول ملك ونبي من نسل يهوذا نفسه.

كما أنه ليس عيسى المسيح؛ لأنه أعلم بنفسه أن المسيح الذي تنتظره إسرائيل لن يكون من نسل داود (متى ٢٢: ٤٤ – ٤٥، مرقص ١٢: ٣٥ – ٣٧، لوقا ٢٠: ٤١ -٤٤).

غير أن محمدًا ﷺ جاء بالسلطة الدنيوية وبالقرآن يحلان محل الصولجان اليهودي المهترئ والشريعة البالية غير العملية والكهنوت الفاسد.

أعلن محمدﷺ أنقى الأديان وتوحيد الإله الحق، ووضع أفضل القواعد العملية لأخلاق وسلوك البشر، ووحد بالإسلام أممًا من كل الأجناس لا تشرك بالله شيئًا، تطيع الرسول وتحبه وتحترمه، ولكنها لا تعبده ولا تقدسه ولا تجعله إلاهًا.

كما أن محمدًا ﷺ قد سحق آخر معاقل اليهود في قريظة وخيبر ووضع نهاية لنفوذهم.[1]

البشارة رقم (٨)

---

(١) محمد ﷺ كما ورد في كتابات اليهود والنصارى، عبد الأحد داود (٦٠، ٦٤، ٦٥)، وانظر أيضا: هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ﷺ، منقذ السقار (٦٥ – ٦٨)، إظهار الحق (٤/ ١١٣٩ – ١١٤٠).

ورد في المزمور (١٤٩: ٦- ٩): " ٦تَنْوِيهَاتُ اللهِ فِي أَفْوَاهِهِمْ، وَسَيْفٌ ذُو حَدَّيْنِ فِي يَدِهِمْ. ٧لِيَصْنَعُوا نَقْمَةً فِي الأُمَمِ، وَتَأْدِيبَاتٍ فِي الشُّعُوبِ. ٨لأَسْرِ مُلُوكِهِمْ بِقُيُودٍ، وَشُرَفَائِهِمْ بِكُبُولٍ مِنْ حَدِيدٍ. ٩لِيُجْرُوا بِهِمِ الْحُكْمَ الْمَكْتُوبَ. كَرَامَةٌ هذَا لِجَمِيعِ أَتْقِيَائِهِ. هَلِّلُويَا. ".

التعليق على البشارة:

" ففي هذا الزبور عبر عن المبشر به بالملك، وعن مطيعه بالأبرار، وذكر من أوصافهم افتخارهم بالمجد وترفيع الله في حلوقهم، وكون سيوف ذات فمَيْنِ في أياديهم، وانتقامهم من الأمم وتوبيخاتهم للشعوب، وأسرهم الملوك والأشراف بالقيود والأغلال من حديد.

فأقول: المبشر به هو محمد ﷺ وأصحابه ﷺ، ويصدق جميع الأوصاف المذكورة في هذا الزبور عليه وعلى أصحابه.

وليس المبشر به سليمان عليه السلام؛ لأنه ما وسع مملكته على مملكة أبيه على زعم أهل الكتاب؛ ولأنه صار مرتدًا عابدًا الأصنام في آخر عمره على زعمهم، ولا عيسى ابن مريم عليهما السلام؛ لأنه بمراحل عن الأوصاف المذكورة فيه؛ لأنه أسر ثم قتل على زعمهم، وكذا أسر أكثر حواريّه بالقيود والأغلال، ثم قتلوا بأيدي الملوك والأشراف الكفار. (١)

البشارة رقم(٩).

ورد في سفر إشعياء (٤٢: ٩ – ١٧): " ٩هُوَذَا الأَوَّلِيَّاتُ قَدْ أَتَتْ، وَالْحَدِيثَاتُ أَنَا مُخْبِرٌ بِهَا. قَبْلَ أَنْ تَنْبُتَ أُعْلِمُكُمْ بِهَا ١٠غَنُّوا لِلرَّبِّ أُغْنِيَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَهُ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ. أَيُّهَا الْمُنْحَدِرُونَ فِي الْبَحْرِ وَمِلْؤُهُ وَالْجَزَائِرُ وَسُكَّانُهَا، ١١لِتَرْفَعِ الْبَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا، الدِّيَارُ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ. لِتَتَرَنَّمْ سُكَّانُ سَالِعَ. مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَهْتِفُوا. ١٢لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْدًا وَيُخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِي الْجَزَائِرِ. ١٣الرَّبُّ كَالْجَبَّارِ يَخْرُجُ. كَرَجُلِ حُرُوبٍ يُنْهِضُ غَيْرَتَهُ. يَهْتِفُ وَيَصْرُخُ وَيَقْوَى عَلَى أَعْدَائِهِ. ١٤«قَدْ صَمَتُّ مُنْذُ الدَّهْرِ. سَكَتُّ. تَجَلَّدْتُ. كَالْوَالِدَةِ أَصِيحُ. أَنْفُخُ وَأَنْخُرُ مَعًا. ١٥أُخَرِّبُ الْجِبَالَ وَالآكَامَ، وَأُجَفِّفُ كُلَّ عُشْبِهَا، وَأَجْعَلُ الأَنْهَارَ يَبَسًا وَأُنَشِّفُ

---

(١) إظهار الحق (٤/ ١١٥٥).

الآَجَامَ، [١٦] وَأُسَيِّرُ الْعُمْيَ فِي طَرِيق لَمْ يَعْرِفُوهَا. فِي مَسَالِكَ لَمْ يَدْرُوهَا أُمَشِّيهِمْ. أَجْعَلُ الظُّلْمَةَ أَمَامَهُمْ نُورًا، وَالْمُعْوَجَّاتِ مُسْتَقِيمَةً. هذِهِ الأُمُورُ أَفْعَلُهَا وَلاَ أَتْرُكُهُمْ. [١٧] قَدِ ارْتَدُّوا إِلَى الْوَرَاءِ. يَخْزَى خِزْيًا الْمُتَّكِلُونَ عَلَى الْمَنْحُوتَاتِ، الْقَائِلُونَ لِلْمَسْبُوكَاتِ: أَنْتُنَّ آلِهَتُنَا! ".

التعليق على البشارة:

المقصود بقوله " أُغْنِيَةً جَدِيدَةً " عبارة عن العبادة على النهج الجديد التي هي في الشريعة المحمدية، وتعميمها على سكان أقاصي الأرض وأهل الجزائر وأهل المدن والبراري، إشارة إلى عموم نبوته ﷺ، ولفظ" قِيدَار" أقوى إشارة إليه؛ لأن محمدًا ﷺ في أولاد قيدار بن إسماعيل.

وقوله " مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَهْتِفُوا " إشارة إلى العبادة المخصوصة التي تؤدى في أيام الحج، يصيح ألوف ألوف من الناس بلبيك اللهم لبيك.

وقوله " [١٢] لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْدًا وَيُخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِي الْجَزَائِرِ. " إشارة إلى الأذان يخبر به ألوف ألوف في أقطار العالم في الأوقات الخمسة بالجهر.

وقوله " [١٣] الرَّبُّ كَالْجَبَّارِ يَخْرُجُ. كَرَجُلِ حُرُوبٍ يُنْهِضُ غَيْرَتَهُ " يشير إلى مضمون الجهاد إشارةً حسنةً، بأن جهاده وجهاد تابعيه يكون لله وبأمره، خاليًا عن حظوظ الهوى النفسانية، ولذلك عبر الله عن خروج هذا النبيّ وخروج تابعيه بخروجه، وبيَّن في الآية الرابعة عشر سبب مشروعية الجهاد وأشار في الآية السادسة عشر إلى حال العرب؛ لأنهم كانوا غير واقفين على أحكام الله، وكانوا يعبدون الأصنام، وكانوا مبتلين بأنواع الرسوم القبيحة الجاهلية، كما قال الله تعالى في حقهم: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢) وقوله " وَلاَ أَتْرُكُهُمْ. " إشارة إلى كون أمته مرحومة ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: ٧) وإلى تأييد شريعته.

وقوله " الْمُتَّكِلُونَ عَلَى الْمَنْحُوتَاتِ، الْقَائِلُونَ لِلْمَسْبُوكَاتِ: أَنْتُنَّ آلِهَتُنَا! " وعد بأن عابدي الأصنام والأوثان كمشركي العرب وعابدي الصليب وصور القديسين يحصل لهم الخزي والهزيمة التامة، ووفَّى بما وعد. فإن مشركي العرب، وهرقل عظيم الروم، وكسرى فارس ما

قصَّروا في إطفاء النور الأحمدي لكنهم ما حصل لهم سوى الخزي التام، وعاقبة الأمر لم يبق أثر الشرك في إقليم العرب، وزالت دولة كسرى مطلقًا، وزالت حكومة أهل الصليب من الشام مطلقًا. وأما في الأقاليم الأخر، فمن بعضها انمحى أثره مطلقًا كبخارى وكابل وغيرهما، ومن بعضها قل كالهند والسند وغيرهما وانتشر التوحيد شرقًا وغربًا. (١)

البشارة رقم (١٠):

ورد في سفر إشعياء (٥٤: ١ – ١٧): " ١«تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ. أَشِيدِي بِالتَّرَنُّمِ أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَمْخَضْ، لأَنَّ بَنِي الْمُسْتَوْحِشَةِ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي ذَاتِ الْبَعْلِ، قَالَ الرَّبُّ. ٢أَوْسِعِي مَكَانَ خَيْمَتِكِ، وَلْتُبْسَطْ شُقَقُ مَسَاكِنِكِ. لاَ تُمْسِكِي. أَطِيلِي أَطْنَابَكِ وَشَدِّدِي أَوْتَادَكِ، ٣لأَنَّكِ تَمْتَدِّينَ إِلَى الْيَمِينِ وَإِلَى الْيَسَارِ، وَيَرِثُ نَسْلُكِ أُمَمًا، وَيُعْمِرُ مُدُنًا خَرِبَةً. ٤لاَ تَخَافِي لأَنَّكِ لاَ تَخْزَيْنَ، وَلاَ تَخْجَلِي لأَنَّكِ لاَ تَسْتَحِينَ. فَإِنَّكِ تَنْسَيْنَ خِزْيَ صِبَاكِ، وَعَارُ تَرَمُّلِكِ لاَ تَذْكُرِينَهُ بَعْدُ. ٥لأَنَّ بَعْلَكِ هُوَ صَانِعُكِ، رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ، وَوَلِيُّكِ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ، إِلهَ كُلِّ الأَرْضِ يُدْعَى. ٦لأَنَّهُ كَامْرَأَةٍ مَهْجُورَةٍ وَمَحْزُونَةِ الرُّوحِ دَعَاكِ الرَّبُّ، وَكَزَوْجَةِ الصِّبَا إِذَا رُذِلَتْ، قَالَ إِلهُكِ. ٧لُحَيْظَةً تَرَكْتُكِ، وَبِمَرَاحِمَ عَظِيمَةٍ سَأَجْمَعُكِ. ٨بِفَيَضَانِ الْغَضَبِ حَجَبْتُ وَجْهِي عَنْكِ لَحْظَةً، وَبِإِحْسَانٍ أَبَدِيٍّ أَرْحَمُكِ، قَالَ وَلِيُّكِ الرَّبُّ. ٩لأَنَّهُ كَمِيَاهِ نُوحٍ هذِهِ لِي. كَمَا حَلَفْتُ أَنْ لاَ تَعْبُرَ بَعْدُ مِيَاهُ نُوحٍ عَلَى الأَرْضِ، هكَذَا حَلَفْتُ أَنْ لاَ أَغْضَبَ عَلَيْكِ وَلاَ أَزْجُرَكِ. ١٠فَإِنَّ الْجِبَالَ تَزُولُ، وَالآكَامَ تَتَزَعْزَعُ، أَمَّا إِحْسَانِي فَلاَ يَزُولُ عَنْكِ، وَعَهْدُ سَلاَمِي لاَ يَتَزَعْزَعُ، قَالَ رَاحِمُكِ الرَّبُّ. ١١«أَيَّتُهَا الذَّلِيلَةُ الْمُضْطَرِبَةُ غَيْرُ الْمُتَعَزِّيَةِ، هأَنَذَا أَبْنِي بِالأُثْمُدِ حِجَارَتَكِ، وَبِالْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ أُؤَسِّسُكِ، ١٢وَأَجْعَلُ شُرَفَكِ يَاقُوتًا، وَأَبْوَابَكِ حِجَارَةً بَهْرَمَانِيَّةً، وَكُلَّ تُخُومِكِ حِجَارَةً كَرِيمَةً ١٣وَكُلَّ بَنِيكِ تَلاَمِيذَ الرَّبِّ، وَسَلاَمَ بَنِيكِ كَثِيرًا. ١٤بِالْبِرِّ تُثَبَّتِينَ بَعِيدَةً عَنِ الظُّلْمِ فَلاَ تَخَافِينَ، وَعَنِ الارْتِعَابِ فَلاَ يَدْنُو مِنْكِ. ١٥هَا إِنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ اجْتِمَاعًا لَيْسَ مِنْ عِنْدِي. مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْكِ فَإِلَيْكِ يَسْقُطُ. ١٦هأَنَذَا قَدْ خَلَقْتُ

(١) إظهار الحق (٤/ ١١٥٧ – ١١٥٨)، وانظر: بشائر عيسى ومحمد (١٤٤)

الْحَدَّادَ الَّذِي يَنْفُخُ الْفَحْمَ فِي النَّارِ وَيُخْرِجُ آلَةً لِعَمَلِهِ، وَأَنَا خَلَقْتُ الْمُهْلِكَ لِيَخْرِبَ. «كُلُّ آلَةٍ صُوِّرَتْ ضِدَّكِ لاَ تَنْجَحُ، وَكُلُّ لِسَانٍ يَقُومُ عَلَيْكِ فِي الْقَضَاءِ تَحْكُمِينَ عَلَيْهِ. هذَا هُوَ مِيرَاثُ عَبِيدِ الرَّبِّ وَبِرُّهُمْ مِنْ عِنْدِي، يَقُولُ الرَّبُّ".

التعليق على البشارة:

المراد " بالعاقر " في الفقرة الأولى مكة المعظمة؛ لأنها لم يظهر منها نبيٌّ بعد إسماعيل ﷺ، ولم ينزل فيها وحيٌ بخلاف أورشليم؛ لأنه ظهر فيها الأنبياء الكثيرون، وكثر فيها نزول الوحي.

وقوله " بَنِي الْمُسْتَوْحِشَةِ " عبارة عن أولاد هاجر؛ لأنها كانت بمنزلة المطلقة المخرجة من البيت ساكنة في البر، ولذلك وقع - في حق إسماعيل - في وعد الله هاجر (وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا) كما هو مصرح به سفر التكوين (١٦: ١١- ١٢).

وقوله " بَنِي ذَاتِ الْبَعْلِ " عبارة عن أولاد سارة. فخاطب الله مكة آمرًا لها بالتسبيح والتهليل وإنشاد الشكر، لأجل أن كثيرين من أولاد هاجر صاروا أفضل من أولاد سارة، فحصلت الفضيلة لها بسبب حصول الفضيلة لأهلها، ووفَّى بها وعد بأن بعث محمدًا ﷺ رسولًا أفضل البشر خاتم النبيين من أهلها في أولاد هاجر، وهو المراد بالصائغ الذي ينفخ في النار جمرًا، وهو القَتُول الذي خُلق لإهلاك المشركين، وحصل لها السَّعة بواسطة هذا النبي وما حصل لغيرها من المعابد في الدنيا؛ إذ لا يوجد معبد مثل الكعبة من ظهور محمد ﷺ إلى هذا الحين، والتعظيم الذي يحصل لها من القرابين في كل سنة من مدة كبيرة، لم يحصل لبيت المقدس إلا مرتين، مرة في عهد سليمان ﷺ لما فرغ من بنائه، ومرة في السنة الثامنة عشر من سلطنة يوشيا، ويبقى هذا التعظيم لمكة إلى آخر الدهر إن شاء الله كما وعد الله بقوله: («لاَ تَخَافِي لأَنَّكِ لاَ تَخْزَيْنَ، وَلاَ تَخْجَلِي لأَنَّكِ لاَ تَسْتَحِينَ.) وبقوله: (برحمات عظيمة أجمعك وبالرحمة الأبدية رحمتك) وبقوله: (حلفت أن لا أغضب عليك وأن لا أوبخك)، وبقوله: (رحمتي لا تزول عنك وعهد سلامي لا يتحرك)، وملك زرعها شرقًا وغربًا وورثوا الأمم وعمروا المدن في مدة قليلة لا تتجاوز اثنين وعشرين سنة من الهجرة، ومثل هذه الغلبة في مثل هذه المدة القليلة، لم يسمع من عهد آدم ﷺ إلى زمان محمد ﷺ

لمن يدّعي الدين الجديد. وهذا مفاد قول الله، وزرعك يرث الأمم، ويعمر المدن الخربة سلاطين الإسلام سلفًا وخلفًا اجتهدوا اجتهادًا تامًا في بناء الكعبة والمسجد الحرام وتزيينهما، وحفر الآبار والبرك والعيون في مكة ونواحيها إلى الآن.

والغرباء يحبون مجاورتها من ظهور الإسلام إلى هذا الحين، سيّما في هذا الزمان، وألوف من الناس يصلون إليها في كل سنة من أقاليم مختلفة وديار بعيدة، ووفّى بها وعد بقوله كل إناء مجبول بضدك لا ينجح، لأن كل شخص من المخالف قام بضدها أذله الله كما وقع بأصحاب الفيل. . . . ، وبحسب الوعد المذكور لا يدخل الأعور الدجال مكة ويرجع خائبًا كما جاء في الأحاديث الصحيحة.[1]

البشارة رقم (١١)

ورد في سفر إشعياء (٦٥: ١ – ٦):

" ١«أَصْغَيْتُ إِلَى الَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا. وُجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي. قُلْتُ: هأَنَذَا، هأَنَذَا. لأُمَّةٍ لَمْ تُسَمَّ بِاسْمِي. ٢بَسَطْتُ يَدَيَّ طُولَ النَّهَارِ إِلَى شَعْبٍ مُتَمَرِّدٍ سَائِرٍ فِي طَرِيقٍ غَيْرِ صَالِحٍ وَرَاءَ أَفْكَارِهِ. ٣شَعْبٍ يُغِيظُنِي بِوَجْهِي. دَائِمًا يَذْبَحُ فِي الْجَنَّاتِ، وَيُبَخِّرُ عَلَى الآجُرِّ. ٤يَجْلِسُ فِي الْقُبُورِ، وَيَبِيتُ فِي الْمَدَافِنِ. يَأْكُلُ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ، وَفِي آنِيَتِهِ مَرَقُ لُحُومٍ نَجِسَةٍ. ٥يَقُولُ: قِفْ عِنْدَكَ. لاَ تَدْنُ مِنِّي لأَنِّي أَقْدَسُ مِنْكَ. هؤُلاَءِ دُخَانٌ فِي أَنْفِي، نَارٌ مُتَّقِدَةٌ كُلَّ النَّهَارِ. ٦هَا قَدْ كُتِبَ أَمَامِي. لاَ أَسْكُتُ بَلْ أُجَازِي. أُجَازِي فِي حِضْنِهِمْ. "

فالمراد " الَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا " و" الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي " العرب؛ لأنهم كانوا غير واقفين على ذات الله وصفاته وشرائعه، فما كانوا سائلين عن الله وطالبين له كما قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران: ١٦٤).

---

(١) انظر: إظهار الحق (٤/ ١١٦٠– ١١٦٤).

ولا يجوز أن يراد بهم اليونانيون كما عرفت في البشارة الثانية، والوصف المذكور في الآية الثانية والثالثة يصدق على كل واحد من اليهود والنصارى، والأوصاف المذكورة في الآية الرابعة ألصق بحال النصارى، كما أن الوصف المذكور في الخامسة ألصق بحال اليهود فردّهم الباري واختار الأمة المحمدية.[١]

البشارة رقم (١٢)

ورد في سفر دانيال (٢: ٣١ – ٤٥):

" ٣١«أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنْتَ تَنْظُرُ وَإِذَا بِتِمْثَال عَظِيمٍ. هذَا التِّمْثَالُ الْعَظِيمُ الْبَهِيُّ جِدًّا وَقَفَ قُبَالَتَكَ، وَمَنْظَرُهُ هَائِلٌ. ٣٢رَأْسُ هذَا التِّمْثَالِ مِنْ ذَهَبٍ جَيِّدٍ. صَدْرُهُ وَذِرَاعَاهُ مِنْ فِضَّةٍ. بَطْنُهُ وَفَخْذَاهُ مِنْ نُحَاسٍ. ٣٣سَاقَاهُ مِنْ حَدِيدٍ. قَدَمَاهُ بَعْضُهُمَا مِنْ حَدِيدٍ وَالْبَعْضُ مِنْ خَزَفٍ. ٣٤كُنْتَ تَنْظُرُ إِلَى أَنْ قُطِعَ حَجَرٌ بِغَيْرِ يَدَيْنِ، فَضَرَبَ التِّمْثَالَ عَلَى قَدَمَيْهِ اللَّتَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ وَخَزَفٍ فَسَحَقَهُمَا. ٣٥فَانْسَحَقَ حِينَئِذٍ الْحَدِيدُ وَالْخَزَفُ وَالنُّحَاسُ وَالْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ مَعًا، وَصَارَتْ كَعُصَافَةِ الْبَيْدَرِ فِي الصَّيْفِ، فَحَمَلَتْهَا الرِّيحُ فَلَمْ يُوجَدْ لَهَا مَكَانٌ. أَمَّا الْحَجَرُ الَّذِي ضَرَبَ التِّمْثَالَ فَصَارَ جَبَلًا كَبِيرًا وَمَلأَ الأَرْضَ كُلَّهَا. ٣٦هذَا هُوَ الْحُلْمُ. فَنُخْبِرُ بِتَعْبِيرِهِ قُدَّامَ الْمَلِكِ.

٣٧«أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَلِكُ مُلُوكٍ، لأَنَّ إِلهَ السَّمَاوَاتِ أَعْطَاكَ مَمْلَكَةً وَاقْتِدَارًا وَسُلْطَانًا وَفَخْرًا. ٣٨وَحَيْثُمَا يَسْكُنُ بَنُو الْبَشَرِ وَوُحُوشُ الْبَرِّ وَطُيُورُ السَّمَاءِ دَفَعَهَا لِيَدِكَ وَسَلَّطَكَ عَلَيْهَا جَمِيعِهَا. فَأَنْتَ هذَا الرَّأْسُ مِنْ ذَهَبٍ. ٣٩وَبَعْدَكَ تَقُومُ مَمْلَكَةٌ أُخْرَى أَصْغَرُ مِنْكَ وَمَمْلَكَةٌ ثَالِثَةٌ أُخْرَى مِنْ نُحَاسٍ فَتَتَسَلَّطُ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ. ٤٠وَتَكُونُ مَمْلَكَةٌ رَابِعَةٌ صَلْبَةٌ كَالْحَدِيدِ، لأَنَّ الْحَدِيدَ يَدُقُّ وَيَسْحَقُ كُلَّ شَيْءٍ. وَكَالْحَدِيدِ الَّذِي يُكَسِّرُ تَسْحَقُ وَتُكَسِّرُ كُلَّ هؤُلاَءِ. ٤١وَبِمَا رَأَيْتَ الْقَدَمَيْنِ وَالأَصَابعَ بَعْضُهَا مِنْ خَزَفٍ وَالْبَعْضُ مِنْ حَدِيدٍ، فَالْمَمْلَكَةُ تَكُونُ مُنْقَسِمَةً، وَيَكُونُ فِيهَا قُوَّةُ الْحَدِيدِ مِنْ حَيْثُ إِنَّكَ رَأَيْتَ الْحَدِيدَ مُخْتَلِطًا بِخَزَفِ الطِّينِ. ٤٢وَأَصَابعُ الْقَدَمَيْنِ بَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ وَالْبَعْضُ مِنْ خَزَفٍ، فَبَعْضُ الْمَمْلَكَةِ يَكُونُ قَوِيًّا وَالْبَعْضُ قَصِمًا.

---

(١) إظهار الحق (٤/ ١١٦٥).

"٤٣وَبِمَا رَأَيْتَ الْحَدِيدَ مُخْتَلِطًا بِخَزَفِ الطِّينِ، فَإِنَّهُمْ يَخْتَلِطُونَ بِنَسْلِ النَّاسِ، وَلكِنْ لاَ يَتَلاَصَقُ هذَا بِذَاكَ، كَمَا أَنَّ الْحَدِيدَ لاَ يَخْتَلِطُ بِالْخَزَفِ. ٤٤وَفِي أَيَّامِ هؤُلاَءِ الْمُلُوكِ، يُقِيمُ إِلهُ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَنْ تَنْقَرِضَ أَبَدًا، وَمَلِكُهَا لاَ يُتْرَكُ لِشَعْبٍ آخَرَ، وَتَسْحَقُ وَتُفْنِي كُلَّ هذِهِ الْمَمَالِكِ، وَهِيَ تَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ. ٤٥لأَنَّكَ رَأَيْتَ أَنَّهُ قَدْ قُطِعَ حَجَرٌ مِنْ جَبَل لاَ بِيَدَيْنِ، فَسَحَقَ الْحَدِيدَ وَالنُّحَاسَ وَالْخَزَفَ وَالْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ. اللهُ الْعَظِيمُ قَدْ عَرَّفَ الْمَلِكَ مَا سَيَأْتِي بَعْدَ هذَا. اَلْحُلْمُ حَقٌّ وَتَعْبِيرُهُ يَقِينٌ». "

التعليق على البشارة:

" فالمراد بالمملكة الأولى سلطنة بُختنصَّر، وبالمملكة الثانية سلطنة الماديين[1] الذين تسلطوا بعد قتل بلشاصر بن بختنصر[2] كما هو مصرح به في الإصحاح الخامس من نفس هذا السفر (٥: ٣٠ – ٣١) "٣٠فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ قُتِلَ بَيْلْشَاصَّرُ مَلِكُ الْكَلْدَانِيِّينَ، ٣١فَأَخَذَ الْمَمْلَكَةَ دَارِيُّوسُ الْمَادِيُّ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً. "، وسلطنتهم كانت ضعيفة بالنسبة إلى سلطنة الكلدانيين.

والمراد بالمملكة الثالثة سلطنة الكيانيين[3] لأن قورش ملك إيران الذي هو بزعم القسيسين كيخسر، وتسلط على بابل قبل ميلاد المسيح بخمسمائة وست وثلاثين سنةً، ولما كان الكيانيون على السلطنة القاهرة فكأنهم كانوا متسلطين على جميع الأرض.

والمراد بالمملكة الرابعة سلطنة اسكندر بن فيلقوس الرومي. [4] الذي تسلط على ديار فارس قبل ميلاد المسيح بثلثمائة وثلاثين سنةً، فهذا السلطان كان في القوة بمنزلة الحديد ثم

---

(١) الماديون: يتصلون بالفرس من ناحية الجنس واللغة والتاريخ، وقد ظهروا كقوة كبيرة في منتصف القرن السابع قبل الميلاد.

(٢) بلشاصر بن بختنصر: هو ابن بختنصر وخليفته وآخر ملوك الكلدانيين، تولى الملك سنة ٥٥٣ ق. م.

(٣) الكيانيون: أي الفرس الذين منهم كورش، وهذه هي الامبراطورية الفارسية الأولى، وقد دامت مملكتهم إلى سنة ٣٣١ ق. م.

(٤) هو الإسكندر الكبير الرومي ابن فيليب الثاني المقدوني، وكان حكمه من سنة ٣٣٦ – ٣٢٣ ق. م

جعل هذا السلطان سلطنة فارس منقسمة على طوائف الملوك فبقيت هذه السلطنة ضعيفة إلى ظهور الساسانيين. [(١)] ثم صارت قويةً بعد ظهورهم، فكانت ضعيفةً تارةً وقويةً تارةً وفي عهد أنوشروان[(٢)] ولد محمد بن عبد الله ﷺ وأعطاه الله السلطنة الظاهرية والباطنية، وقد تسلط متبعوه في مدّةٍ قليلةٍ شرقًا وغربًا على جميع ديار فارس التي كانت هذه الرؤيا وتفسيرها متعلقين بها، فهذه هي السلطنة الأبدية التي لا تنقضي وملكها لا يعطى لشعب آخر، وسيظهر كمالها عن قريب في زمان الإمام المهدي رضي الله عنه لكن الوهن والضعف يقع قبل ظهوره بمدة قليلة كما يشاهد بعض علاماته الآن، ثم يزول بظهوره، ويكون الدين كله لله، فهذا الحجر الذي انقطع لا بيدين من جبل، وسحق الخزف والحديد والنحاس والفضة والذهب، وصار جبلًا عظيمًا، وملأ الأرض بأسرها هو محمد ﷺ. "[(٣)]

البشارة رقم (١٣)

ورد في رسالة يهوذا (١٤ - ١٥):

" ١٤وَتَنَبَّأَ عَنْ هؤُلاَءِ أَيْضًا أَخْنُوخُ السَّابعُ مِنْ آدمَ قَائِلًا: «هُوَذَا قَدْ جَاءَ الرَّبُّ فِي رَبَوَاتِ قِدِّيسِيهِ، ١٥لِيَصْنَعَ دَيْنُونَةً عَلَى الْجَمِيعِ، وَيُعَاقِبَ جَمِيعَ فُجَّارِهِمْ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِ فُجُورِهِمُ الَّتِي فَجَرُوا بِهَا، وَعَلَى جَمِيعِ الْكَلِمَاتِ الصَّعْبَةِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا عَلَيْهِ خُطَاةٌ فُجَّارٌ». "

التعليق على البشارة:

قوله (الرَّبُّ): معناه المخدوم والمعلم، وهذا شائع استخدامه.

ولفظ (القديس): يطلق في العهدين على المؤمن الموجود في الأرض إطلاقًا شائعًا. [(٤)]

فإذا تقرر هذا نقول:

---

(١) الساسانيون: ينتسبون إلى ساسان جد الملك أردشير الأول الذي أسس الدولة الساسانية في بلاد فارس سنة ٢٢٦م.

(٢) أنو شيروان: هو كسرى الأول بن قباذ، أعظم ملوك آل ساسان مكانة، وأشهر أكاسرتها بأسًا ومروءةً وعدلًا، فلقب بالملك العادل، وهو الذي انتصر على الروم وحكم معظم بلادهم.

(٣) إظهار الحق (٤/ ١١٦٨ - ١١٦٩).

(٤) انظر: إظهار الحق لمزيد تفصيل حول هذا المعنى.

إن المراد (بالرب) محمد ﷺ و(بالربوات المقدسة) الصحابة ﷺ.

والتعبير عن مجيئه (بقد جاء) لكونه أمرًا يقينيًا فجاء محمد ﷺ في ربواته المقدسة فَدَانَ الكُفّارَ، وبكَّتَ المنافقين والخُطاة على أعمال النّفاق وعلى أقوالهم القبيحة في الله ورسله، فبكَّت المشركين لعدم تسليم توحيد الله ورسالة رسله مطلقًا وعبادتهم الأصنام والأوثان، وبكَّت اليهود على تفريطهم في حق عيسى ومريم عليهما السلام وبعض عقائدهم الواهية، وبكَّت أهل التثليث مطلقًا على تفريطهم في توحيد الله وإفراطهم في حق عيسى ﵇، وبكَّت أكثرهم على عبادة الصليب والتماثيل وبعض عقائدهم الواهية. (١)

البشارة رقم (١٤)

ورد في سفر التكوين (١٦: ١١):

" ١١وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «هَا أَنْتِ حُبْلَى، فَتَلِدِينَ ابْنًا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكِ. ١٢وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ». "

التعليق على البشارة:

في هذا النص يتحدث الملاك مع هاجر، ويخبرها بأنها ستلد ابنًا، ستكون يده العليا ويد من سواه السفلى.

ويبين لنا المهتدي عبد الأحد داود أن عبارة (١٢وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا) مُحرّفة وتصحيحها كالآتي (وسوف يصبح إسماعيل ذا ذريةٍ كثيرةٍ) ويقول: لقد قام المسيحيون بترجمة نفس هذه الكلمة التي تعني (وفير أو كثير) من الفعل(Para) الذي يرادفه بالعربية لفظ (وفير) ترجموها إلى معنى مغاير لحقيقة اللفظ ألا وهو (الحمار الوحش)؟! أليس من العار والكفر أن ينعت إسماعيل بالحمار المتوحش وهو النبي الذي كرمه الله فنعته

---

(١) المصدر السابق (٤/ ١١٧٢).

(بصاحب الذرية الخصبة الكثيرة العدد)؟!.[١]

البشارة رقم (١٥).

ورد في سفر التكوين (١٧: ٢٠):

" ٢٠وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. "

التعليق على البشارة:

قوله " وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً " يشير إلى محمد ﷺ؛ لأنه لم يكن في ولد إسماعيل من كان لشعب كبير غيره، وقد قال الله تعالى ناقلًا دعاء إبراهيم وإسماعيل في حقه عليهم السلام في كلامه المجيد أيضًا: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩).[٢]

ولقد علم الموالف والمخالف، والموافق والمفارق أنه لم يكن في ذرية إسماعيل من ظهرت بركته ونمت أمته، وأعطي الشعب الجليل سوى محمد رسول الله ﷺ فلقد ملؤا الأرض برحبها، وطبقوا من شرق الدنيا إلى غربها، ودوّخوا الآفاق وأربَوْا في العدد على أولاد إسحاق، وهم والحمد لله لا يزدادون على مر الأيام إلا نماء وكثرة، وهذا بالغ في شرف إسماعيل؛ إذ فخر الولد يكسب الوالد فخرًا، ويرفعه دنيا وأخرى. . . "[٣]

البشارة رقم(١٦)

ورد في سفر التثنية (١٨: ١٥):

" ١٥«يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ. "

التعليق على البشارة:

---

(١) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٥٣- هامش رقم ٢).

(٢) انظر: إظهار الحق (٤/ ١١٣٦)، الإعلام للقرطبي (ص ٢٢٥ - ٢٢٦).

(٣) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٥٢).

فإن قيل: فلعل هذا الموعود به بنو إسرائيل هو هارون أخو موسى ووزيره، أو يوشع خادمه ومشيره، قلنا: التوراة تأبى ذلك؛ إذ قد أخبرت أن هارون توفي في حياة موسى وعاش موسى بعده، وأما يوشع بن نون فهو من بني إسرائيل والله تعالى يقول (مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي) ولم يقل من أنفسهم، والتوراة أيضا قد سدّت هذا الباب ففي سفر التثنية (٣٤: ١٠) " وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لِوَجْهٍ ".

ثم هارون ويوشع قد كانا أقيما للنبوة قبل صدور هذا الخطاب من الله، ولا يصحّ أن يُنَزَّل على المسيح بإجماع الأمم.

أما اليهود فهو عندهم كذَّاب أشِر. وأنه ما أحيا ميتًا قط ولا أبرأ أبرص. وأما النصارى فهم يزعمون أنه الرّبّ الذي بعث الأنبياء وأرسل الرسل وأنه الذي خلق الخلق وأتقن العالم.

فإن رجعوا القهقري وقالوا: إن المسيح مثل موسى فقد تناقض قولهم وخبطوا عشوى.

وأما المسلمون فالمسيح عندهم نبيٌّ كريمٌ غير أنه من بني إسرائيل والله تعالى يقول: " مِنْ إِخْوَتِكَ " ولم يقل من أنفسهم. فبطل أن يكون المسيح أو غيره وتعيّن أن يكون محمّدًا ﷺ ضرورة الوفاء بقول الله تعالى. (١)

البشارة رقم (١٧):

البشارة بـ(محمد) مشتهى الأمم.

مناسبة هذه البشارة:

" سقطت مملكة إسرائيل وعاصمتها شكيم (نابلس الحالية) بيد الآشوريين عام (٧٢١ ق. م) وتم نفي سكانها من بقايا أسباط إسرائيل العشرة إلى بلاد الآشوريين ثم بعد ذلك بأقل من قرن ونصف (٥٨٦ ق. م) سقطت مملكة يهوذا، وعاصمتها القدس بيد الكلدانيين بقيادة نبوخذ نصر، وتم تدمير معبد سليمان تدميرًا تامًا، وأعمل القتل في سلالة سبطي يهوذا وبنيامين الذين كانوا يشكلون مملكة يهوذا، ونفى من سلم منهم إلى بلاد بابل

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٥٨).

حيث بقوا في المنفى حتى سيطر قورش ملك الفرس على بابل عام(٥٣٨ ق. م) وسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين كما سمح لهم بإعادة بناء القدس والهيكل.

وعندما وضعت الأساسات لبناء المعبد الجديد ارتفعت صيحات الفرح بين اليهود، بينما استولى النحيب والبكاء المرير على كبار السن الذين سبق أن شاهدوا معبد سليمان قبل تدميره، وفي تلك المناسبة بعث الله النبي (حجي) ليعزي المجتمعين بهذه الرسالة الهامة "[١]:

" ٦لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: هِيَ مَرَّةٌ، بَعْدَ قَلِيل، فَأُزَلْزِلُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَالْيَابِسَةَ، ٧وَأُزَلْزِلُ كُلَّ الأُمَمِ. وَيَأْتِي مُشْتَهَى كُلِّ الأُمَمِ، فَأَمْلأُ هذَا الْبَيْتَ مَجْدًا، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. ٨لِي الْفِضَّةُ وَلِي الذَّهَبُ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ. ٩مَجْدُ هذَا الْبَيْتِ الأَخِيرِ يَكُونُ أَعْظَمَ مِنْ مَجْدِ الأَوَّلِ، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. وَفِي هذَا الْمَكَانِ أُعْطِي السَّلاَمَ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ». " (سفر حجي ٢: ٦ - ٩).

التعليق على البشارة:

وهذه النبوءة لا ريب تتحدث عن القادم الذي وعد به إبراهيم، وبشر به يعقوب وموسى ثم داود عليهم الصلاة والسلام.

قوله " فَأُزَلْزِلُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَالْيَابِسَةَ، ٧وَأُزَلْزِلُ كُلَّ الأُمَمِ. "

إشارة إلى حروب المسلمين وانتصاراتهم السريعة الباهرة على الظالمين وإنقاذهم اليهود من ظلم النصارى وتأمينهم لهم في أورشليم، ثم بعد ذلك أعطوا السلام للناس جميعًا الذين يقصدون البيت من جميع الأمم ومن سائر البقاع.

وقوله " مُشْتَهَى" هنا بالعبرية " حمدوت "، أي: محمود كل الأمم، وهذا صريح في محمد ﷺ، ولا ينطبق على أحد سواه.

وفي قوله " أُعْطِي السَّلاَمَ " إشارة لتحية المسلمين، وهي " السلام عليكم" التي كانوا يقولونها بعد أن عمروا بيت أورشليم في زمن عمر ﷺ وأعادوا إليه مجدًا أعظم من مجده

(١) محمد كما ورد في كتابات اليهود والنصارى، عبد الأحد داود (٣٦).

الأول، حتى صار يعظمه اليهود والنصارى والمسلمون الذين عاشوا حوله في أمن وسلام في حمى الإسلام، ويفِدون عليه من جميع الجهات مع اختلافهم في الدين والمعتقدات لزيارته وتكريمه إلى اليوم.

وقد تحقق السلام تحققًا تامًا بمجيء عمر ﷺ بنفسه إلى أورشليم بعد الحصار، وتأمين أهلها وعقده شروط الصلح معهم، وبذلك خضعوا وسلّموا بدون سفك دم وأعطاهم عمر السلم والأمان وفتحت المدينة بالصلح لا بالحرب، كما قال ربُّ الجنود، مع أن المسلمين زلزلوا الأمم الأخرى والأرض والجبال.[1]

ثانيًا: البشارات بالنبي ﷺ في العهد الجديد

تمهيد.

أسفارُ العهد الجديد (الأناجيل والرسائل) حافلةٌ بالنصوص التى يتعين أن تكون "بشارات" برسول الإسلام ﷺ.

تلك البشارات تعلن أحيانًا في صورة الوعد بملكوت الله أو ملكوت السماوات. وأحيانًا أخرى بالروح القدس. ومرات باسم المعزي أو الفارقليط، وهى كلمة يونانية سيأتى فيما بعد معناها.

البشارة رقم (١)

البشارة بالملكوت

ورد في إنجيل متى (٣: ٢): " ١وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ ٢قَائِلًا: «تُوبُوا، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ. "

وورد أيضًا في متّى (٤: ١٧): " ١٧مِنْ ذلِكَ الزَّمَانِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ: «تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ». "

وورد أيضًا في متّى (٦: ١٠): " ١٠لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. "

---

(١) انظر: بشائر عيسى ومحمد في العهد القديم والعهد الجديد، تأليف/ محمد توفيق صدقي (١٤٠ – ١٤٢).

وورد أيضا في متّى (١: ٧): "٧وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ اكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ."

وورد في إنجيل لوقا (٩: ١- ٢): "١وَدَعَا تَلاَمِيذَهُ الاثْنَيْ عَشَرَ، وَأَعْطَاهُمْ قُوَّةً وَسُلْطَانًا عَلَى جَمِيعِ الشَّيَاطِينِ وَشِفَاءَأَمْرَاضٍ، ٢وَأَرْسَلَهُمْ لِيَكْرِزُوا بِمَلَكُوتِ اللهِ وَيَشْفُوا الْمَرْضَى."

وورد أيضا في إنجيل لوقا (١٠: ١- ١١): "١وَبَعْدَ ذلِكَ عَيَّنَ الرَّبُّ سَبْعِينَ آخَرِينَ أَيْضًا، وَأَرْسَلَهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ أَمَامَ وَجْهِهِ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَمَوْضِعٍ حَيْثُ كَانَ هُوَ مُزْمِعًا أَنْ يَأْتِيَ. . . ، ٨وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَقَبِلُوكُمْ، فَكُلُوا مِمَّا يُقَدَّمُ لَكُمْ، ٩وَاشْفُوا الْمَرْضَى الَّذِينَ فِيهَا، وَقُولُوا لَهُمْ: قَدِ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ. ١٠وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَلَمْ يَقْبَلُوكُمْ، فَاخْرُجُوا إِلَى شَوَارِعِهَا وَقُولُوا: ١١حَتَّى الْغُبَارَ الَّذِي لَصِقَ بِنَا مِنْ مَدِينَتِكُمْ نَنْفُضُهُ لَكُمْ. وَلكِنِ اعْلَمُوا هذَا إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ."

التعليق على البشارة:

" ظهر من مجموع هذه النصوص أن كلًا من يحيى وعيسى والحواريين والتلاميذ السبعين بشر بملكوت السماوات، وبشر عيسى عليه السلام بالألفاظ التي بشر بها يحيى عليه السلام، فعلم أن هذا الملكوت كما لم يظهر في عهد يحيى عليه السلام فكذلك لم يظهر في عهد عيسى عليه السلام ولا في عهد الحواريين والسبعين؛ بل كل منهم مبشر به، ومخبر عن فضله، ومترجّ لمجيئه، فلا يكون المراد بملكوت السماوات طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة عيسى عليه السلام، وإلا لما قاله عيسى عليه السلام والحواريون والسبعون " أن ملكوت السماوات قد اقترب "، ولما علم التلاميذُ أن يقولوا في الصلاة: " وليأت ملكوتك " لأن هذه الطريقة قد ظهرت بعد ادعاء عيسى عليه السلام النبوة بشريعته، فهو- أي الملكوت - عبارة عن طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة محمد ﷺ، فهؤلاء كانوا يبشرون بهذه الطريقة الجليلة، ولفظ " مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ " بحسب الظاهر يدل على أن هذا الملكوت يكون في صورة السلطنة لا في صورة المسكنة، وأن المحاربة والجدال فيه مع المخالفين يكونان لأجله، وأن مبنى قوانينه لا بد أن يكون كتابًا سماويًا. وكل من هذه الأمور يصدق على الشريعة المحمدية.

وما قال علماء المسيحية: إن المراد بهذا الملكوت، شيوع الملة المسيحية في جميع العالم وإحاطتها كل الدنيا بعد نزول عيسى عليه السلام، فتأويل ضعيف خلاف الظاهر، وترده التمثيلات المنقولة عن عيسى عليه السلام.

ففي إنجيل متّى (١٣: ٢٤، ٣١، ٣٣) قال: ": «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا زَرَعَ زَرْعًا جَيِّدًا فِي حَقْلِهِ. "

": «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ حَبَّةَ خَرْدَل أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ "

"يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا امْرَأَةٌ وَخَبَّأَتْهَا فِي ثَلاَثَةِ أَكْيَالِ دَقِيق حَتَّى اخْتَمَرَ الْجَمِيعُ». "

فشبّه ملكوت السماوات بإنسان زارع لا بنمو الزراعة وحصادها، وكذلك شبّه بحبّة خردل لا بصيرورتها شجرة عظيمة، وشبّه بخميرة لا باختمار جميع الدقيق. وكذا يردّ هذا التأويل قولُ عيسى عليه السلام بعد بيان التمثيل المنقول في الإصحاح الحادي والعشرين من إنجيل متّى هكذا: " ٤٣لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ. ".

فإن هذا القول يدل على أن المراد بملكوت السماوات طريقة النجاة نفسها لا شيوعها في جميع العالم وإحاطتها كل العالم، وإلاّ لا معنى لنزع الشيوع والإحاطة من قوم وإعطائها لقوم آخرين، فالحق أن المراد بهذا الملكوت هي المملكة التي أخبر عنها دانيال في الإصحاح الثاني من السفر المنسوب إليه[(١)].

فمصداق هذا الملكوت وتلك المملكة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. والله أعلم. [(٢)]

البشارة رقم (٢)

ورد في رؤيا يوحنا اللاهوتي (٢: ٢٦ – ٢٩):

---

(١) سبق ذكرها والتعليق عليها.

(٢) إظهار الحق (٤/ ١١٧٤ – ١١٧٦) بتصرف يسير.

" ٢٦وَمَنْ يَغْلِبُ وَيَحْفَظُ أَعْمَالِي إِلَى النِّهَايَةِ فَسَأُعْطِيهِ سُلْطَانًا عَلَى الأُمَمِ، ٢٧فَيَرْعَاهُمْ بِقَضِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ، كَمَا تُكْسَرُ آنِيَةٌ مِنْ خَزَفٍ، كَمَا أَخَذْتُ أَنَا أَيْضًا مِنْ عِنْدِ أَبِي، ٢٨وَأُعْطِيهِ كَوْكَبَ الصُّبْحِ. ٢٩مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ».

التعليق على البشارة:

فهذا الغالب الذي أعطى سلطانًا على الأمم، ويرعاهم بالقضيب من حديد، هو محمد ﷺ كما قال الله ﷻ في حقه: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ (الفتح: ٣).

وقوله " ٢٨وَأُعْطِيهِ كَوْكَبَ الصُّبْحِ " عبارة عن القرآن، قال الله تعالى في سورة النساء ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ١٧٤)، وفي سورة التغابن ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ (التغابن: ٨).(١)

البشارة رقم (٣)

ورد في إنجيل متى (٢٠: ١- ١٦):

" ١«فَإِنَّ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ يُشْبِهُ رَجُلًا - رَبَّ بَيْتٍ- خَرَجَ مَعَ الصُّبْحِ لِيَسْتَأْجِرَ فَعَلَةً لِكَرْمِهِ، ٢فَاتَّفَقَ مَعَ الْفَعَلَةِ عَلَى دِينَارٍ فِي الْيَوْمِ، وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى كَرْمِهِ. ٣ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ وَرَأَى آخَرِينَ قِيَامًا فِي السُّوقِ بَطَّالِينَ، ٤فَقَالَ لَهُمُ: اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضًا إِلَى الْكَرْمِ فَأُعْطِيَكُمْ مَا يَحِقُّ لَكُمْ. فَمَضَوْا. ٥وَخَرَجَ أَيْضًا نَحْوَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ وَالتَّاسِعَةِ وَفَعَلَ كَذلِكَ. ٦ثُمَّ نَحْوَ السَّاعَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ خَرَجَ وَوَجَدَ آخَرِينَ قِيَامًا بَطَّالِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا وَقَفْتُمْ ههُنَا كُلَّ النَّهَارِ بَطَّالِينَ؟ ٧قَالُوا لَهُ: لأَنَّهُ لَمْ يَسْتَأْجِرْنَا أَحَدٌ. قَالَ لَهُمُ: اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضًا إِلَى الْكَرْمِ فَتَأْخُذُوا مَا يَحِقُّ لَكُمْ. ٨فَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ قَالَ صَاحِبُ الْكَرْمِ لِوَكِيلِهِ: ادْعُ الْفَعَلَةَ وَأَعْطِهِمُ الأُجْرَةَ مُبْتَدِئًا مِنَ الآخِرِينَ إِلَى الأَوَّلِينَ. ٩فَجَاءَ أَصْحَابُ السَّاعَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ وَأَخَذُوا دِينَارًا دِينَارًا. ١٠فَلَمَّا جَاءَ الأَوَّلُونَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ أَكْثَرَ. فَأَخَذُوا هُمْ أَيْضًا دِينَارًا دِينَارًا. ١١وَفِيمَا هُمْ يَأْخُذُونَ تَذَمَّرُوا عَلَى رَبِّ الْبَيْتِ ١٢قَائِلِينَ: هؤُلاَءِ الآخِرُونَ عَمِلُوا سَاعَةً وَاحِدَةً، وَقَدْ سَاوَيْتَهُمْ بِنَا نَحْنُ الَّذِينَ احْتَمَلْنَا ثِقَلَ

---

(١) انظر: إظهار الحق (٤/ ١١٨١، ١١٨٤).

النَّهَارِ وَالْحَرَّ! [١٣] فَأَجَابَ وَقَالَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ: يَا صَاحِبُ، مَا ظَلَمْتُكَ! أَمَا اتَّفَقْتَ مَعِي عَلَى دِينَارٍ؟ [١٤] فَخُذِ الَّذِي لَكَ وَاذْهَبْ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَ هذَا الأَخِيرَ مِثْلَكَ. [١٥] أَوَ مَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَفْعَلَ مَا أُرِيدُ بِمَا لِي؟ أَمْ عَيْنُكَ شِرِّيرَةٌ لأَنِّي أَنَا صَالِحٌ؟ [١٦] هكَذَا يَكُونُ الآخِرُونَ أَوَّلِينَ وَالأَوَّلُونَ آخِرِينَ، لأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ». "

التعليق على البشارة:

فالآخرون أمة محمد ﷺ ، فهم يقدمون في الأجر، وهم الآخرون الأولون، وقد وردت عدة أحاديث صحيحة بمعنى هذه البشارة، فمنها:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ " نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِى فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا الله، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، الْيَهُودُ غَدًا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ". [(١)]

٢- عن ابن عمر -رضي الله عنهما-: عن النبي ﷺ قال: "مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِى مِنْ غُدْوَةَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِى مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاَةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِى مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلاً، وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قَالَ: هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟ قَالُوا: لاَ. قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِى أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ". [(٢)]

٣- عن أبي موسى رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: " مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلاً يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ عَلَى أَجْرٍ مَعْلُومٍ، فَعَمِلُوا لَهُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا: لاَحَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ الَّذِي شَرَطْتَ لَنَا، وَمَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ، فَقَالَ لَهُمْ: لاَ تَفْعَلُوا أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ، وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلًا، فَأَبَوْا وَتَرَكُوا، وَاسْتَأْجَرَ أَجِيرَيْنِ بَعْدَهُمْ

---

(١) رواه البخاري (٨٣٦)، ومسلم (٨٥٥).

(٢) رواه البخاري (٢١٤٨).

فَقَالَ لَهُمَا: أَكْمِلاَ بَقِيَّةَ يَوْمِكُمَا هَذَا، وَلَكُمَا الَّذِي شَرَطْتُ لَهُمْ مِنَ الأَجْرِ. فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِينُ صَلاَةِ الْعَصْرِ قَالاَ: لَكَ مَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ، وَلَكَ الأَجْرُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ. فَقَالَ لَهُمَا: أَكْمِلاَ بَقِيَّةَ عَمَلِكُمَا، فَإِنَّ مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ. فَأَبَيَا، وَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ، فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا، فَذَلِكَ مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ مَا قَبِلُوا مِنْ هَذَا النُّورِ.(١)

البشارة رقم(٤)

يقول القس المهتدي إبراهيم خليل أحمد:

" لقد جهد المسيح عليه السلام من الكهنة والكتبة والفريسيين والصدوقيين، وندّد بهم بقوله:

" ٢١«لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَارَبُّ، يَارَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. ٢٢كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: يَارَبُّ، يَارَبُّ! أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ ٢٣فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ! إنجيل متّى (٧: ٢١ – ٢٣)

وأسى للشعب فقال عنهم: " ٨يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ، وَيُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا. ٩وَبَاطِلًا يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ (إنجيل متّى ١٥ :٨ – ٩).

وفي هذا القول ترديد لما قاله نبي العهد القديم أشعياء وهو في أرض السبي في بابل سنة ٧٠١ ق. م: " ١٣فَقَالَ السَّيِّدُ: «لأَنَّ هذَا الشَّعْبَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ بِفَمِهِ وَأَكْرَمَنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَأَبْعَدَهُ عَنِّي، وَصَارَتْ مَخَافَتُهُمْ مِنِّي وَصِيَّةَ النَّاسِ مُعَلَّمَةً. ١٤لِذلِكَ هاأَنَذَا أَعُودُ أَصْنَعُ بِهذَا الشَّعْبِ عَجَبًا وَعَجِيبًا، فَتَبِيدُ حِكْمَةُ حُكَمَائِهِ، وَيَخْتَفِي فَهْمُ فُهَمَائِهِ». ١٥وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَتَعَمَّقُونَ لِيَكْتُمُوا رَأْيَهُمْ عَنِ الرَّبِّ، فَتَصِيرُ أَعْمَالُهُمْ فِي الظُّلْمَةِ، وَيَقُولُونَ: «مَنْ يُبْصِرُنَا وَمَنْ يَعْرِفُنَا؟ ». ١٦يَا لَتَحْرِيفِكُمْ! هَلْ يُحْسَبُ الْجَابِلُ كَالطِّينِ، حَتَّى يَقُولُ الْمَصْنُوعُ عَنْ صَانِعِهِ: «لَمْ يَصْنَعْنِي». أَوْ تَقُولُ الْجُبْلَةُ عَنْ جَابِلِهَا: «لَمْ يَفْهَمْ»؟ " (سفر إشعياء ٢٩: ١٣ – ١٦).

---

(١) رواه البخاري (٢١٥١)، وانظر: الفارق بين المخلوق والخالق- عبد الرحمن الباجه جي زاده (١٧٣).

فيقرر عيسى عليه السلام قرار الرب بانتزاع النبوة والكتاب من ذرية إسحاق إلى ذرية من؟"[(١)]

قال لهم يسوع: " ٣٣«اِسْمَعُوا مَثَلًا آخَرَ: كَانَ إِنْسَانٌ- رَبُّ بَيْتٍ- غَرَسَ كَرْمًا، وَأَحَاطَهُ بِسِيَاجٍ، وَحَفَرَ فِيهِ مَعْصَرَةً، وَبَنَى بُرْجًا، وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَّامِينَ وَسَافَرَ. ٣٤وَلَمَّا قَرُبَ وَقْتُ الأَثْمَارِ أَرْسَلَ عَبِيدَهُ إِلَى الْكَرَّامِينَ لِيَأْخُذَ أَثْمَارَهُ. ٣٥فَأَخَذَ الْكَرَّامُونَ عَبِيدَهُ وَجَلَدُوا بَعْضًا وَقَتَلُوا بَعْضًا وَرَجَمُوا بَعْضًا. ٣٦ثُمَّ أَرْسَلَ أَيْضًا عَبِيدًا آخَرِينَ أَكْثَرَ مِنَ الأَوَّلِينَ، فَفَعَلُوا بِهِمْ كَذلِكَ. ٣٧فَأَخِيرًا أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ ابْنَهُ قَائِلًا: يَهَابُونَ ابْنِي! ٣٨وَأَمَّا الْكَرَّامُونَ فَلَمَّا رَأَوْا الابْنَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: هذَا هُوَ الْوَارِثُ! هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ وَنَأْخُذْ مِيرَاثَهُ! ٣٩فَأَخَذُوهُ وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ. ٤٠فَمَتَى جَاءَ صَاحِبُ الْكَرْمِ، مَاذَا يَفْعَلُ بِأُولَئِكَ الْكَرَّامِينَ؟ » ٤١قَالُوا لَهُ: «أُولئِكَ الأَرْدِيَاءُ يُهْلِكُهُمْ هَلاَكًا رَدِيًّا، وَيُسَلِّمُ الْكَرْمَ إِلَى كَرَّامِينَ آخَرِينَ يُعْطُونَهُ الأَثْمَارَ فِي أَوْقَاتِهَا». ٤٢قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ؟ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا! ٤٣لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ. ٤٤وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هذَا الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ!» ٤٥وَلَمَّا سَمِعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ أَمْثَالَهُ، عَرَفُوا أَنَّهُ تَكَلَّمَ عَلَيْهِمْ. " (متّى ٢١: ٣٣ – ٤٥).

التعليق على البشارة:

أقول: إن قوله " رَبُّ بَيْتٍ " كناية عن الله، " والكرْم " كناية عن الشريعة، و " وَأَحَاطَهُ بِسِيَاجٍ، وَحَفَرَ فِيهِ مَعْصَرَةً، وَبَنَى بُرْجًا " كنايات عن بيان المحرمات والمباحات والأوامر والنواهي، وإن " الكرامين الأردياء " كناية عن اليهود، كما فهم رؤساء الكهنة، والفريسيون، أنه تكلم عليهم.

و " أَرْسَلَ عَبِيدَهُ " كناية عن الأنبياء عليهم السلام، و" الابن " كناية عن عيسى عليه السلام. . . ، وقد قتله اليهود أيضًا في زعمهم. والحجر الذي رفضه البناءون كناية عن محمد ﷺ ، والأمة التي تعمل أثماره كناية عن أمته ﷺ ، وهذا هو الحجر الذي كل من

---

(١) انظر: محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، (ص ٧٢ – ٧٣).

سقط عليه ترضض، وكل من سقط هو عليه سحقه.

وما ادعاه علماء المسيحية بزعمهم، أن هذا الحجر عبارة عن عيسى ﷺ، فغير صحيح لوجوه:

(**الأول**): أن داود ﷺ قال في الزبور المائة والثامن عشر هكذا: " ٢٢الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ. ٢٣مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هذَا، وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا".

فلو كان هذا الحجر عبارة عن عيسى ﷺ وهو من اليهود من آل يهوذا من آل داود ﷺ، فأي عجب في أعين اليهود عمومًا لكون عيسى ﷺ رأس الزاوية سيما في عين داود ﷺ خصوصًا؛ لأن مزعوم المسيحيين، أن داود ﷺ يعظم عيسى ﷺ في مزاميره تعظيمًا بليغًا، ويعتقد الألوهية في حقه بخلاف آل إسماعيل؛ لأن اليهود كانوا يحقرون أولاد إسماعيل غاية التحقير، وكان كون أحد منهم رأسًا للزاوية عجيبًا في أعينهم.

(**والثاني**): أنه وقع في وصف هذا الحجر: وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هذَا الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ! ».

ولا يصدق هذا الوصف على عيسى ﷺ ؛ لأنه قال: وَإِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كَلاَمِي وَلَمْ يُؤْمِنْ فَأَنَا لاَ أَدِينُهُ، لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ. (إنجيل يوحنا ١٢: ٤٧)، وصدقه على محمد ﷺ غير محتاج إلى البيان؛ لأنه كان مأمورًا بتنبيه الفجار الأشرار، فإن سقطوا عليه ترضّضوا، وإن سقط هو عليهم سحقهم.

(**الثالث**) عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ.)[1]

فهذا الحديث يوافق في معناه معنى هذه البشارة.

(**والرابع**) أن المتبادر من كلام المسيح أن هذا الحجر غير الابن، أي أن صيغة كلام المسيح

(١) البخاري (٣٣٤١)، ومسلم (٢٢٨٦).

تدل على أنه لم يتكلم عن نفسه وإنما عن آخر سيأتي بعده؛ لأن الابن أخذه الكرامون وقتلوه ثم يأتي بعد ذلك الحجر الذي يسحق الخصوم، فكيف يكون الابن هو الحجر؟

فالتفريق واضحٌ بين نفسه وبين الحجر، ويدل غضب الكهنة كذلك على أن هذا الابن ليس من بني إسرائيل، وأن الأمة المقصودة هي غيرهم، ولو كان النبي منهم لم يغضبوا؛ لأنه لم يخالف إرادتهم وهواهم.(١)

البشارة رقم (٥)

وأعظم البشارات في العهد الجديد هي البشارة " بالبارقليط " وحسب النسخة الرهبانية اليسوعية " سيد هذا العالم ".

ورد في إنجيل يوحنا (١٤: ١٥ – ٣٠): " ١٥«إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، ١٦وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، ١٧رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فتعرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. ١٨لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ. ١٩بَعْدَ قَلِيل لاَ يَرَانِي الْعَالَمُ أَيْضًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرَوْنَنِي. إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ. ٢٠فِي ذلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي، وَأَنْتُمْ فِيَّ، وَأَنَا فِيكُمْ. ٢١اَلَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي، وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي، وَأَنَا أُحِبُّهُ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي».

٢٢قَالَ لَهُ يَهُوذَا لَيْسَ الإِسْخَرْيُوطِيَّ: «يَا سَيِّدُ، مَاذَا حَدَثَ حَتَّى إِنَّكَ مُزْمِعٌ أَنْ تُظْهِرَ ذَاتَكَ لَنَا وَلَيْسَ لِلْعَالَمِ؟ » ٢٣أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلًا. ٢٤اَلَّذِي لاَ يُحِبُّنِي لاَ يَحْفَظُ كَلاَمِي. وَالْكَلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي. ٢٥بِهذَا كَلَّمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ. ٢٦وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ.

٢٧«سَلاَمًا أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلاَ تَرْهَبْ. ٢٨سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ: أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِي إِلَيْكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي

(١) انظر: إظهار الحق (٤/ ١١٧٩ – ١١٨١).

لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ، لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي. [٢٩]وَقُلْتُ لَكُمُ الآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، حَتَّى مَتَى كَانَ تُؤْمِنُونَ. "

وفي نفس الإنجيل (١٥: ٢٦ – ٢٧):

" [٢٦]«وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي. [٢٧]وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الابْتِدَاءِ. "

وفي نفس الإنجيل أيضا (١٦: ٧ – ١٤):

" [٧]لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. [٨]وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ: [٩]أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِي. [١٠]وَأَمَّا عَلَى بِرّ فَلأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلاَ تَرَوْنَنِي أَيْضًا. [١١]وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ.

[١٢]«إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. [١٣]وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ؛ لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ؛ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. [١٤]ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. "

ففي هذه النصوص يتحدث المسيح عليه السلام عن صفات الآتي بعده، فمن هو هذا الآتي؟

أولًا: البارقليط عند النصارى:

لقد اختلف النصارى في (الفارقليط) في لغتهم فذكروا فيه أقوالًا ترجع إلى ثلاثة:

الأول: أنه الحامد والحماد أو الحمد، . . . ، ورجحت طائفة هذا القول.

والثاني: وعليه أكثر النصارى أنه المخلص والمسيح نفسه يسمونه المخلص.

قالوا: وهذه كلمة سريانية ومعناها المخلص قالوا: وهو بالسريانية فاروق فجعل (فارق)، قالوا و(ليط)كلمة تزاد، ومعناها كمعنى قول العرب: رجل هو، وحجر هو، وفرس هو، قالوا: فكذلك معنى (ليط) في السريانية.

والثالث: وقالت طائفة أخرى من النصارى معناه بالسريانية " المعزي " قالوا: وكذلك هو في اللسان اليوناني. (١)

ويجيبون أيضا بأن الآتي هو روح القدس الذي نزل على التلاميذ يوم الخمسين ليعزيهم في فقدهم للسيد المسيح، وهناك "١وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ٢وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ، ٣وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. ٤وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا. (أعمال ٢: ١ – ٤).

ولا تذكر أسفار العهد الجديد شيئًا - سوى ما سبق - عن هذا الذي حصل يوم الخمسين من قيامة المسيح.

يقول الأنبا أثناسيوس في تفسيره لإنجيل يوحنا: " البارقليط هو روح الله القدوس نفسه المعزي، البارقليط: المعزي " الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي "(يوحنا ١٤: ٢٦)، وهو الذي نزل عليهم يوم الخمسين (أعمال ٢: ١ – ٤) " فامتلأوا به وخرجوا للتبشير، وهو مع الكنيسة وفي المؤمنين، وهو هبة ملازمة للإيمان والعماد ". (٢)

ثانيًا: البارقليط عند المسلمين

ويعتقد المسلمون أن ما جاء في يوحنا عن المعزي رئيس هذا العالم الآتي، إنما هو بشارة من المسيح بنبينا – ﷺ –، وذلك يظهر من أمور:

أولا: أن لفظة " المعزي " لفظة حديثة استبدلتها التراجم الجديدة للعهد الجديد، فيما كانت التراجم العربية القديمة (١٨٢٠م، ١٨٢١م، ١٨٢٣م، ١٨٣١م، ١٨٤٤م، وترجمة الخوري يوسف عون بلفظ " فارقليط " و" بارقليط " و" روح الحق ".

وفي طبعة سنة ١٨٢٥ م، وسنة ١٨٢٦ م بلفظ " المعزي " و" روح الصدق ".

---

(١) هداية الحيارى (ص ١٢٥ – ١٢٦).

(٢) هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ﷺ ؟تأليف : منقذ السقار (١٢٠ – ١٢١).

وفي طبعة سنة ١٨٦٥ م وسنة ١٩٧٠ م و١٩٧١م و١٩٧٦ م ١٩٨٣ م ١٩٨٥م بلفظ "المعزي " و" روح الحق ".

وفي طبعة دار المشرق ببيروت سنة ١٩٨٢ م بالمطبعة الكاثوليكية بإذن بولس باسيم النائب الرسولي للاتين بلفظ " المؤيد " و" روح الحق ". (١)

فهذا دليل واضح على أن اليهود والنصارى يسعون إلى إخفاء البشارات بالنبيّ ﷺ من كتبهم المقدسة لديهم أو تحريف معناها. وذلك مما أخبرنا الله ﷻ عنهم فقال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٤٦).

فما معنى كلمة: (فارقليط) التي اختلف النصارى في معناها؟

إن (فارقليط) معربة من كلمة: (بيركليتوس) اليونانية (PERIQLYTOS) التي تعني اسم: أحمد، صيغة المبالغة من الحمد. والأدلة على ذلك كثيرة منها:

١- شهادة العلامة علي بن ربنّ الطبري - الذي كان مسيحيًا فأسلم - في القرن الثالث الهجري بذلك في كتابه: الدين والدولة.

٢- أن هذه الكلمة كانت سببًا في إسلام القس الأسباني: أنسلم تورميدا في القرن التاسع الهجري بعدما أخبره أستاذه القسيس (نقلًا ومرتيل) - بعد إلحاح منه - أن الفارقليط هو اسم من أسماء محمّد ﷺ . فكان ذلك سببًا في إشهار إسلامه وتغيير اسمه إلى عبد الله الترجمان وتأليف كتابه: تحفة الأريب في الرّدّ على أهل الصليب، وذكر فيه قصته مفصلة.

٣- شهادة القسيس (دافيد بنجامين كلداني) - الذي هداه الله إلى الإسلام وغيّر اسمه إلى: (عبد الأحد داود) - في كتابه القيم: (محمّد في الكتاب المقدس) بذلك فقد وضح فيه أن الفارقليط ليس هو الروح القدس وليس أي شيء يدَّعيه النصارى، وإنما هو اسم محمّد ﷺ

---

(١) انظر إظهار الحق (٤/ ١١٨٦) هامش رقم (٢).

وبيّن ذلك بأدلة من نصوص الأناجيل وقواميس اللغة اليونانية.

٤- ذكر الأستاذ عبد الوهّاب النجار في كتابه " قصص الأنبياء " أنه كان في سنة ١٨٩٤م زميل دراسة اللغة العربية للمستشرق الإيطالي. (كارلو نالينو) وقد سأله النجار في ليلة ٢٧: ٧: ١٣١١هـ ما معنى: (بيريكلتوس)؟. فأجابه قائلًا: إن القسس يقولون إن هذه الكلمة معناها: (المعزي). فقال النجار: إني أسأل الدكتور كارلونالينو الحاصل على الدكتوراه في آداب اليهود باللغة اليونانية القديمة. ولست أسأل قسيسًا. فقال: إن معناها: "الذي له حمد كثير". فقال النجار: هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد؟ فقال الدكتور: نعم. فقال النجار: إن رسول الله ﷺ من أسمائه (أحمد) فقال الدكتور: يا أخي أنت تحفظ كثيرًا ثم افترقا.[1]

ثانيًا: أن عيسى عليه السلام قال أولًا: "«إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ" ثم أخبر عن معزي (فارقليط). فمقصوده عليه السلام، أن يعتقد السامعون بأن ما يلقى عليهم يعد ضروري واجب الرعاية، فلو كان فارقليط عبارة عن الروح النازل يوم الدار لما كانت الحاجة إلى هذه الفقرة؛ لأنه ما كان مظنونًا أن يستبعد الحواريون نزول الروح عليهم مرة أخرى؛ لأنهم كانوا مستفيضين به من قبل أيضًا؛ بل لا مجال للاستبعاد أيضًا؛ لأنه إذا نزل على قلب أحد وحل فيه يظهر أثره لا محالة ظهورًا بينًا، فلا يتصوّر إنكار المتأثر منه، وليس ظهوره عندهم في صورة يكون فيه مظنة الاستبعاد، فهو عبارة عن النبي المبشر به، فحقيقة الأمر أن المسيح عليه السلام لما علم بالتجربة وبنور النبوّة أن الكثيرين من أمته ينكرون النبي المبشر به عند ظهوره، فأكد أولًا بهذه الفقرة، ثم أخبر عن مجيئه.

ثالثًا: أن هذا الروح متحد بالأب مطلقًا وبالابن، نظرًا إلى لاهوته اتحادًا حقيقيًا فلا يصدق في حقه (فارقليط آخر) بخلاف النبي المبشر به فإنه يصدق هذا القول في حقه بلا تكلُّف.

رابعًا: أن الوكالة والشفاعة من خواص النبوّة لا من خواص هذا الروح المتحد بالله،

(١) انظر تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٧٠٣) هامش رقم (١).

فلا يصدقان على الروح ويصدقان على النبي المبشر به بلا تكلُّف.

خامسًا: أن عيسى ﷺ قال: " وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ. "

ولم يثبت في رسالة من رسائل العهد الجديد، أن الحواريين كانوا قد نسوا ما قاله عيسى ﷺ، وهذا الروح النازل يوم الدار ذكرهم إياه.

سادسًا: أن عيسى ﷺ قال: " ٢٩وَقُلْتُ لَكُمُ الآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، حَتَّى مَتَى كَانَ تُؤْمِنُونَ. "

وهذا يدل على أن المراد به ليس الروح لأنك قد عرفت في الأمر الأول أنه ما كان عدم الإيمان مظنونًا منهم وقت نزوله؛ بل لا مجال للاستبعاد أيضًا، فلا حاجة إلى هذا القول، وليس من شأن الحكيم العاقل أن يتكلم بكلام فضول فضلًا عن شأن النبي العظيم الشأن. فلو أردنا به النبي المبشر به يكون هذا الكلام في محله، وفي غاية الاستحسان لأجل التأكيد مرةً ثانيةً.

سابعًا: أن عيسى ﷺ قال: " فَهُوَ يَشْهَدُ لِي " وهذا الروح ما شهد لأجله بين يدي أحد؛ لأن تلاميذه الذين نزل عليهم ما كانوا محتاجين إلى الشهادة؛ لأنهم كانوا يعرفون المسيح حق المعرفة قبل نزوله أيضًا، فلا فائدة للشهادة بين أيديهم، والمنكرون الذين كانوا محتاجين للشهادة، فهذا الروح ما شهد بين أيديهم بخلاف محمد ﷺ فإنه شهد لأجل المسيح ﷺ، وصدقه، وبرأه عن ادعاء الألوهية الذي هو أشد أنواع الكفر والضلال، وبرأ أمه عن تهمة الزنا، وجاء ذكر براءتها في القرآن في مواضع متعددة[1]، وفي الأحاديث في مواضع غير محصورة.

ثامنًا: أن عيسى ﷺ قال: " ٢٧وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الابْتِدَاءِ. "

وهذه الآية في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ هكذا: (وتشهدون أنتم أيضًا لأنكم كنتم معي من الابتداء). فيوجد في هذه التراجم لفظ أيضًا، وكذلك يوجد اللفظ في طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م وسنة ١٨٦٥م و١٩٧٠م و١٩٧١ و ١٩٧٦ و١٩٨٣م

---

(١) انظر: سورة آل عمران (٣٣ –٦٣)، وسورة النساء (١٥٥ – ١٥٩)، وسورة المائد ة (٧٢ – ٧٥) و (١١٠ – ١١٨)، وسورة مريم (١٦ – ٣٦)، وسورة المؤمنون (٥٠)، وسورة التحريم (١٢).

وسنة ١٩٨٥م، وطبعة دار المشرق وترجمة يوسف عون، ولم يسقط إلا من الطبعة العربية المطبوعة سنة ١٨٢٣م و١٨٤٤م، ونص المتن منقول عنهما.

فلفظ " أيضًا " سقط من التراجم التي نقلت عنها عبارة يوحنا سهوًا أو قصدًا، فهذا القول يدل دلالة ظاهرة على أن شهادة الحواريين غير شهادة فارقليط، فلو كان المراد به الروح النازل يوم الدار فلا توجد مغايرة بين الشهادتين؛ لأن الروح المذكور لم يشهد شهادة مستقلة غير شهادة الحواريين؛ بل شهادة الحواريين هي شهادته بعينها؛ لأن هذا الروح مع كونه إلهًا متحدًا بالله اتحادًا حقيقيًا بريئًا من النزول والحلول والاستقرار والشكل التي هي من عوارض الجسم والجسمانيات، نزل مثل ريح عاصفة، وظهر في أشكال ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم يوم الدار، فكان حالهم كحال من عليه أثر الجن، فكما أن قول الجن يكون قوله في تلك الحالة فكذلك كانت شهادة الروح هي شهادة الحواريين، فلا يصح هذا القول بخلاف ما إذا كان المراد به النبي المبشر به، فإن شهادته غير شهادة الحواريين.

تاسعًا: أن عيسى عليه السلام قال: " لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. "

فعلق مجيئه بذهابه – أي علق مجئ المعزي بذهاب عيسى - وهذا الروح عندهم نزل على الحواريين في حضوره لما أرسلهم إلى البلاد الإسرائيلية، فنزوله ليس بمشروط بذهابه، فلا يكون مرادًا بالمعزي؛ بل المراد به شخص لم يستفض منه أحد من الحواريين قبل زمان صعوده، وكان مجيئه موقوفًا على ذهاب عيسى عليه السلام، ومحمد ﷺ كان كذلك؛ لأنه جاء بعد ذهاب عيسى عليه السلام، وكان مجيئه موقوفًا على ذهاب عيسى عليه السلام؛ لأن وجود رسولين ذوي شريعتين مستقلتين في زمان واحد غير جائز، بخلاف ما إذا كان الآخر مطيعًا لشريعة الأول، أو يكون كل من الرسولين مطيعًا لشريعة واحدة؛ لأنه يجوز في هذه الصورة وجود

اثنين أو أكثر في زمان واحد ومكان واحد، كما ثبت وجودهم ما بين زمان موسى وعيسى عليهما السلام.

عاشرًا: أن عيسى عليه السلام قال: "يُبَكِّتُ الْعَالَمَ".

فهذا القول بمنزلة النص الجلي لمحمد ﷺ ؛ لأنه بكّت العالم - لاسيما اليهود على عدم إيمانهم بعيسى عليه السلام - توبيخًا لا يشك فيه إلا معاند بحت، وسيكون ابنه الرشيد محمد المهدي رفيقًا لعيسى عليه السلام في زمان قتل الدجال الأعور ومتابعيه، بخلاف الروح النازل يوم الدار، فإن تبكيته لا يصح على أصول أحد، وما كان التوبيخ منصب الحواريين بعد نزوله أيضًا؛ لأنهم كانوا يدعون إلى الملة بالترغيب والوعظ.

الحادي عشر: أن عيسى عليه السلام قال: "أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِي."

وهذا يدل على أن المعزي يكون ظاهرًا على منكري عيسى عليه السلام موبخًا لهم على عدم الإيمان به، والروح النازل يوم الدار ما كان ظاهرًا على الناس موبخًا لهم.

الثاني عشر: قال عيسى عليه السلام: "«إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ."

وهذا ينافي إرادة الروح النازل يوم الدار؛ لأنه ما زاد حكمًا على أحكام عيسى عليه السلام، لأنه على زعم أهل التثليث كان أمر الحواريين بعقيدة التثليث وبدعوة أهل العالم كله، فأي أمر حصل لهم أزيد من أقواله التي قال لهم إلى زمان صعوده؟!

الثالث عشر: أن عيسى عليه السلام قال: "لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ".

وهذا يدل على أن المعزي (فارقليط) يكون بحيث يكذبه بنو إسرائيل، فاحتاج عيسى عليه السلام أن يقرر حال صدقه فقال هذا القول، ولا مجال لمظنة التكذيب في حق الروح النازل يوم الدار، على أن هذا الروح عندهم عين الله فلا معنى لقوله "بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ". فمصداقه محمد ﷺ ، فإنه كان في حقه مظنة التكذيب وليس هو عين الله، وكان يتكلم بما يوحى إليه كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٣، ٤).

وقال ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ (الأنعام: ٥٠). [١]

الرابع عشر: ومما يدل أيضا على أن المعزي غير الروح القدس أن يوحنا استعمل في حديثه عن البارقليط أفعالًا حسية (الكلام، والسمع، والتوبيخ) في قوله: " بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ " وهذه الصفات لا تنطبق على الألسنة النارية التي هبت على التلاميذ يوم الخمسين؛ إذ لم ينقل أن الألسنة النارية تكلمت يومذاك بشيء، وأما الروح فغاية ما يصنعه إنما هو الإلهام القلبي، وأما الكلام فهو صفة بشرية، لا روحية.

وقد فهم أوائل النصارى قول يوحنا بأنه بشارة بكائن بشري، وادَّعى مونتنوس في القرن الثاني (١٨٧م) أنه البارقليط القادم، ومثله صنع ماني في القرن الرابع فادعَّى أنه البارقليط، وتشبه بالمسيح فاختار اثنا عشر تلميذًا وسبعين أسقفًا أرسلهم إلى بلاد المشرق، ولو كان فهمهم للبارقليط أنه الأقنوم الثالث لما تجرؤوا على هذه الدعوى. [٢]

البشارة رقم(٦)

ورد في متّى (١٧: ١٠ – ١٢): " ١٠وَسَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: «فَلِمَاذَا يَقُولُ الْكَتَبَةُ: إِنَّ إِيلِيَّا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ أَوَّلاً؟ » ١١فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ إِيلِيَّا يَأْتِي أَوَّلاً وَيَرُدُّ كُلَّ شَيْءٍ. ١٢وَلكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ إِيلِيَّا قَدْ جَاءَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ، بَلْ عَمِلُوا بِهِ كُلَّ مَا أَرَادُوا. كَذلِكَ ابْنُ الإِنْسَانِ أَيْضًا سَوْفَ يَتَأَلَّمُ مِنْهُمْ».

التعليق على البشارة:

وقد فسروا إلياء بأنه نبيّ. وقد ذكر: " إِنَّ إِيلِيَّا قَدْ جَاءَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ ". فلا بدَّ من الوفاء بقول المسيح ﷺ إن إلياء يأتي ويُعلِّم الناس كلّ شيء، ولم يأتِ بعد المسيح من علَّم الناس كلّ شيء من أمر الدنيا والآخرة سوى محمّد رسول الله ﷺ. [٣]

---

(١) انظر: إظهار الحق (٤/ ١١٩١ – ١١٩٧) بتصرف يسير.

(٢) هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ﷺ ؟ (ص ١٢٣)، وبشائر عيسى ومحمد في العهد القديم والعهد الجديد، محمد توفيق صدقي (ص ١٣٦ – ١٣٨).

(٣) تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٧١٤)

البشارة رقم(٧)

ورد في متى (١١: ١١ – ١٥): "[١١]اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَلكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ. [١٢]وَمِنْ أَيَّامِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ إِلَى الآنَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ، وَالْغَاصِبُونَ يَخْتَطِفُونَهُ. [١٣]لأَنَّ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ وَالنَّامُوسَ إِلَى يُوحَنَّا تَنَبَّأُوا. [١٤]وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، فَهذَا هُوَ إِيلِيَّا الْمُزْمِعُ أَنْ يَأْتِيَ. [١٥]مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ. "

التعليق على البشارة:

قوله " الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ " هو إيلياء المزمع أن يأتي، الذي تنبأ به الأنبياء، نبيًا تلو نبي، وكان آخرهم يوحنا المعمدان.

فمن هو إيليّا، الأصغر في ملكوت السماوات؟

إنه محمدٌ رسول الله ﷺ الذي صغُر بتأخره في الزمان عن سائر الأنبياء، لكنه فاقهم جميعًا باكتمال رسالته ورضا الله بدينه دينًا خاتمًا إلى قيام الساعة، فإن لم يكن محمدًا ﷺ فمن ذا يكون؟

ولا يمكن لنصرانّي أن يدّعي بأن عيسى هو آخر الرسل والأنبياء؛ لإيمانهم برسالة تلاميذه؛ بل وغيرهم كبولس، كما لم تكمل رسالته عليه السلام بدليل التعديل والنسخ الذي أجراه الحواريّون عليها في المجمع الأورشليمي الأول بزعم التيسير على المتنصّرين، فأبطلوا الختان، وأحلوا بعض محرمات التوراة.

وعليه فلا تصدق على المسيح عليه السلام كلمة " الأصغر "، لأنه ليس آخر الأنبياء، كما أنه لم يصرح ولا يفهم أنه كان يتحدث عن نفسه حين قال: " وَلكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ. . . . [١٣]لأَنَّ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ وَالنَّامُوسَ إِلَى يُوحَنَّا تَنَبَّأُوا. [١٤]وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، فَهذَا هُوَ إِيلِيَّا الْمُزْمِعُ أَنْ يَأْتِيَ. [١٥]مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ. (متّى ١١: ١١– ١٥).

وهذا الأصغر إنما يأتي في ملكوت السماوات التي لم تكن قد قامت يومذاك، وهو مزمع

أن يأتي ولمّا يأتِ بعدُ، إنه محمدٌ ﷺ . [١]

البشارة رقم (٨)

قال يحيى بن زكريا عليه السلام لأصحابه: " ١١أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلكِنِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. " (متّى ٣: ١١، مرقص ١: ٧، لوقا ٣: ١٦، يوحنّا ١: ٢٦ – ٢٧).

التعليق على البشارة:

وما ذلك إلاّ محمّد ﷺ . ولا يليق أن يكون المسيحُ أصلًا؛ لأن المسيح جاء مع يحيى لا بعده. فيحيى أكبر منه بستة أشهر لا غيرُ كما نطق به الإنجيل. [٢]

البشارة رقم (٩)

ورد في إنجيل يوحنّا (٤: ١٩ – ٢١):

" ١٩قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ! ٢٠آبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هذَا الْجَبَلِ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ فِيهِ». ٢١قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا امْرَأَةُ، صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، لاَ فِي هذَا الْجَبَلِ، وَلاَ فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ. "

التعليق على البشارة:

وهذا القول من المسيح عليه السلام تنويهٌ بأمر الكعبة. فإن التوجه إليها على يد محمّد ﷺ نسخُ مَا عدَاها. وصار السجود لله تعالى لا في أورشليم ولا في غيرها؛ بل إلى جهة الكعبة لا غيرُ، قال تعالى ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (البقرة: ١٤٤). [٣]

البشارة رقم(١٠)

---

(١) انظر: هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ﷺ؟ منقذ السقار (١١٧ – ١١٨).

(٢) إنجيل لوقا الإصحاح الأوّل. وانظر تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٧١٥).

(٣) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٧١٣).

ورد في إنجيل متى (٨: ١١ – ١٢): " ١١وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، ١٢وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ فَيُطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ».

التعليق على البشارة:

وذلك القول من المسيح تنويهٌ بأمة محمّد ﷺ؛ إذ ليسُوا من الذين خاطبهم المسيح عليه السلام بهذا الكلام، فهم الذين يكونون في رفقة إبراهيم وإسحاق ويعقوب. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(آل عمران: ٦٨). (١)

البشارة رقم (١١)

ورد في رسالة يوحنّا الأولى (٤: ١ – ٤): " ١أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لاَ تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللهِ؟ لأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذَبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ. ٢بِهذَا تَعْرِفُونَ رُوحَ اللهِ: كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللهِ، ٣وَكُلُّ رُوحٍ لاَ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ. وَهذَا هُوَ رُوحُ ضِدِّ الْمَسِيحِ الَّذِي سَمِعْتُمْ أَنَّهُ يَأْتِي، وَالآنَ هُوَ فِي الْعَالَمِ. "

التعليق على البشارة:

لقد شهد الحواريّ بأنّ محمّدًا ﷺ من عند الله؛ لأنّ محمّدًا قد آمن أن المسيح قد جاء وكان جسدانيًا، فأما اليهود فلم يؤمنوا بالمسيح ولا كثير من أهل ذلك الزمان. واليهود إلى الآن في انتظار مسيح آخر. ولا مسيح يأتي سوى المسيح الدجّال الكذّاب الذي حذرت منه الأنبياء عليهم السلام.

فهذا الحواريّ يوحنّا قد شهد بصدق محمّد ﷺ وأمته، وأن اعتقادهم في المسيح هو الاعتقاد الحقّ، وقد أكذب النصارى بقوله هذا في دعوى ربوبية المسيح؛ إذ فرّق في قوله بين الله وبين المسيح. وشهد أن الله غيرُه وأنهُ غيرُ الله. (١)

---

(١) انظر: المصدر السابق.

البشارة رقم (١٢).

ورد في رسالة بطرس الأولى (٤: ١٧):

" ١٧لأَنَّهُ الْوَقْتُ لابْتِدَاءِ الْقَضَاءِ مِنْ بَيْتِ الله. "

التعليق على البشارة:

فبيت الله الذي ذكره الحواريُّ هو الكعبة شرّفها الله. ومنها كان ابتداء الحكم الجديد. ولا يحسُن تنْزيل هذا الكلام على بيت المقدس؛ لأن حكم ذاك كان مستمرًا عند صدور هذا الكلام من شمعون. ولا يليق إلاّ بشرع جديد ولا يقال فيما كان مستمرًا إنه قد حان أن يبتدأ. [٢]

البشارة رقم (١٣).

ورد في رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية (٤: ٢٢ – ٢٦): "٢٢فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ كَانَ لإِبْرَاهِيمَ ابْنَانِ، وَاحِدٌ مِنَ الْجَارِيَةِ وَالآخَرُ مِنَ الْحُرَّةِ. ٢٣لكِنَّ الَّذِي مِنَ الْجَارِيَةِ وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ، وَأَمَّا الَّذِي مِنَ الْحُرَّةِ فَبِالْمَوْعِدِ. ٢٤وَكُلُّ ذلِكَ رَمْزٌ، لأَنَّ هَاتَيْنِ هُمَا الْعَهْدَانِ، أَحَدُهُمَا مِنْ جَبَلِ سِينَاءَ، الْوَالِدُ لِلْعُبُودِيَّةِ، الَّذِي هُوَ هَاجَرُ. ٢٥لأَنَّ هَاجَرَ جَبَلُ سِينَاءَ فِي الْعَرَبِيَّةِ. وَلكِنَّهُ يُقَابِلُ أُورُشَلِيمَ الْحَاضِرَةَ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْبَدَةٌ مَعَ بَنِيهَا. ٢٦وَأَمَّا أُورُشَلِيمُ الْعُلْيَا، الَّتِي هِيَ أُمُّنَا جَمِيعًا، فَهِيَ حُرَّةٌ. "

التعليق على البشارة :

لقد أفاد قول بولس هذا أمورًا:

١ – أن إسماعيل وأمه هاجر قد كانا أُوطِنا أرض العرب.

٢ – أن جبل سيناء متّصل بوادي العرب.

٣ – أن بيت مكّة نظير بيت المقدس بشهادة بولس.

٤ – أن كلاَ الولدين صاحبُ ناموسٍ وشريعةٍ وأحكامٍ وفرائض. [٣]

وختامًا: هذا خطاب للعقول السليمة أن تتفكّر وتتأمّل قبل أن تُكذِّب هذا الرسول ﷺ، فهو

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٧١٧).

(٢) المصدر السابق (٧١٧– ٧١٨).

(٣) تخجيل من حرف الإنجيل (٢/ ٧١٨).

المبعوث بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فكمل الله به الرسالة وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة وفتح برسالته أعينًا عميًا، وآذانا صمًا، وقلوبًا غلفًا، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد شتاتها، فأقام بها الملة العوجاء وأوضح بها المحجة البيضاء، فبين عن طريقه ﷺ الكفر من الإيمان، والربح من الخسران، والهدى من الضلال، وأهل الجنة من أهل النار، والمتقين من الفجار، فهو المبعوث رحمة للعالمين، ومحجة للسالكين وحجة على الخلائق أجمعين. ولقد نوه الله ﷻ في كتابه الكريم بهذه النعمة العظمى التي امتن بها على هذه الأمة في آيات كثيرة- كما أسلفنا- منها: قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الجمعة: ٢-٤).

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨)

وإنما كان إرساله ﷺ إلى الناس أعظم منة امتن بها على عباده؛ لأن في ذلك تخليص من وفقه الله وهداه منهم من العذاب السرمدي، وذلك بسبب الإيمان بالله ورسوله والابتعاد عن كل ما يوجب دخول النار والخلود فيها.

ولذلك فإن الناس أحوج ما يكونون إلى الإيمان بالرسول ﷺ والأخذ بما جاء به من الدين فهم أحوج إلى ذلك من الطعام والشراب؛ بل ومن نفس الهواء الذي يتنفسونه، فإنهم متى فقدوا ذلك فالنار جزاء من كذب بالرسول وتولى عن طاعته كما قال تعالى: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ (الليل: ١٤-١٦) أي كذب به وتولى عن طاعته، فهم محتاجون إلى الإيمان بالرسول وطاعته، والأخذ بما جاء به والالتزام بذلك في كل مكان وزمان ليلًا ونهارًا، سفرًا وحضرًا، سرًا وعلانية. فاللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الأمي وصحبه أجمعين.

* * *

الفهـــــــرس

الفهرس الإجمالي للموسوعة